2273
.8237
v.4

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
CARREL USE 1987-1988			
JUN 15 2004			

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015067067

UAR. 1398. al- Muḥammad ibn al-Ḥasan, al-Ṭūsī
Tafsīr al-Tibyān,
(Vol. 4).

تفسير التبيان

al-Tibyān

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ — ٤٦٠

المجلد الرابع

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهارسه

أحمد حبيب قصير

مكتبة القصير

المطبعة العلمية تلفون ٤٥٤

التبيان

في

تفسير القرآن

لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (قدس سره)

صححه ورتبه وعلق حواشيه :

احمد حبيب قصير العاملي

مكتبة القصير

النجف الأشرف

١٣٧٩ / ١٩٦٠ ـ هج

11-4-62 P2-465

2273
.8237

V.4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما تفضل وانعم وصلى الله على محمد وآله وسلم

وبعد فقد قمنا سابقاً بالاشتراك مع الاخ الفاضل السيد احمد شوقي الامين في اخراج هذا الكتاب ومنذ مدة وجيزة ترك الاخ الامين العمل فانفردت بتصحيحه وترتيبه وتعليق حواشيه كما وقد قام بطبعه بعض اخواننا المؤمنين على نفقته والله سبحانه هو الموفق المعين .

احمد حبيب قصير

قوله تعالى :

﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٨٦) آية بلاخلاف .

المعنى :

هذا وصف للذين آمنوا من هؤلاء النصارى الذين ذكرهم الله أنهم أقرب مودة للمؤمنين بأنهم إذا سمعوا ما أنزل الله من القرآن يتلى « ترى أعينهم تفيض من الدمع » يعني من آمن من هؤلاء النصارى . قال الزجاج وأبو علي : تقديره ومنهم إذا سمعوا ولم يذكر منهم لدلالة الكلام عليه وما وصفهم به فيما بعده .

اللغة :

وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه سيلا ومنه فيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن شدة امتلاء ومنه قول الشاعر :

ففاضت دموعي فظل الشؤو ن اما وكيفاً وإما انحدارا (١)

وخبر مستفيض اي شائع وقاض صدر فلان بشره . وأفاض القوم من عرفات الى منى إذا دفعوا وأفاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه ، والدمع الماء الجاري من العين ويشبه به الصافي ، فيقال دمعة . والمدامع مجاري الدمع وشجة دامعة تسيل دما .

المعنى :

وقوله « مما عرفوا من الحق » أي مما علموه من صدق النبي وصحة ما أتى به « يقولون ربنا » في موضع الحال ، وتقديره قائلين « ربنا آمنا » أي صدقنا بما

(١) قائله الاعشى . ديوانه : ٣٥ من قصيدته في قيس بن معد يكرب الكندي .

أنزلت « فاكتبنا مع الشاهدين » [قيل في معنـــاه قولان : احدهما ـ فاجعلنا مع الشاهدين] (١) فيكون بمنزلة ماقد كتب ودون . الثاني ـ فاكتبنا معهم في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ . و (الشاهدين) قال ابن عباس وابن جريج مع أمة محمد صلى الله عليه وآله الذين يشهدون بالحق من قوله تعالى « وكذلك جعلنـاكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس (٢) وقال الحسن : هم الذين يشهدون بالايمـان . وقال أبو علي الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٧) آية

هذا إخبار من هؤلاء الذين آمنوا من النصارى بانهم قالوا : « ومالنا » قال الزجاج وهو جواب لمن قال لهم من قومهم معنفين لهم : لم آمنتم .

وقال غيره قدروا في أنفسهم كأن سائلا يسالهم عنه ، فاجابوا بذلك . وقوله: ﴿ لانؤمن ﴾ في موضع حال نصب على الحال وتقديره أي شيء لنا تاركين للايمان أي في حال تركنا للايمان . والايمان هو التصديق عن ثقة لأن الصدق راجع الى طمأنينة القلب بما صدق به . والحق هو الشيء الذي من عمل عليه نجا ، ومن عمل على ضده من الباطل هلك . ومعنى (من) هاهنا قيل فى معناه قولان : أحدهما تبيين الاضافة التي تقوم مقام الصفة كأنه قيل والجائي لنا الذي هو حق . وقال آخرون إنها للتبعيض لأنهم آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل ، ووصف القرآن بانه جاء مجاز ، كما قيل نزل ومعناه نزل به الملك فكذلك جاء به الملك . ويقـــال جاء بمعنى حدث نحو ﴿ جاءت سكرت الموت ﴾ (٣) وجاء البرد والحر .

وقوله ﴿ ونطمع ﴾ فالطمع تعلق النفس بما يقوى أن يكون من معنى المحبوب

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة . (٢) سورة البقرة آية ١٤٣

(٣) سورة ق آية ١٩ .

ونظيره الأمل والرجاء فالطمع يكون معه الخوف أولا يكون .

﴿ أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ معناه أن يدخلنا معهم الجنة. والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه وإذا عمله في غيره فهو مصلح فلذلك لم يوصف الله تعالى بانه صالح ووصف بانه مصلح .

قوله تعالى

﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٨) آية بلاخلاف

معنى ﴿ فأثابهم الله ﴾ جازاهم الله بالنعيم على العمل كما أن العقاب الجزاء بالعذاب على العمل وأصل الثواب الرجوع . ومنه قوله : « هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون » (١) أي هل رجع اليهم جزاء عملهم . وقوله « بما قالوا » يعني قولهم ﴿ ربنا آمنا ﴾ وقوله ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ إنما ذكرها بلفظ الجمع وإن كانت هي جنة الخلد ، لأنها جنة فيها جنات أي بساتين وتذكر بالجمع لتبين عن اختلاف صورها وأحوال أشجارها وأنهارها ووجوه الاستمتاع بها . وجه آخر هو أن يكون جمعها مضافاً إليهم كما يقال لهم جنة الخلد إلا أنها مرة تذكر على طريق الجنس ومرة على غير طريق الجنس. وقوله « وذلك جزاؤ المحسنين » ذلك إشارة الى الثواب .

والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهي ايصال الضرر القبيح اليه ، وليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً ، فالمحسن فاعل الاحسان الخالي مما يبطله ، كما أن المؤمن هو فاعل الايمان الخالص مما يحبطه ، وعندنا لايحتاج الى شرط خلوه مما يبطله ، لأن الاحباط عندنا باطل لكن يحتاج أن يشرط فيه أن يكون خالياً من وجوه القبح .

وقوله : « وذلك جزاء المحسنين » وإن كان مطلقاً فهو مقيد في المعنى بالمحسنين

---

(١) سورة المطففين آية ٣٦

الذين يجوز عليهم الوعد بالنفع ، لأنه وعد به ألا ترى أن الله تعالى يفعل الاحسان وإن كان لايصح عليه الثواب لأنه مضمن بمن يجوز عليه المنافع والمضار فجزاؤه هذه المنافع العظام دون المضار ، لأنه خرج مخرج استدعاء العباد الى فعل الاحسان

قوله تعالى :

﴿والَّذينَ كَفَرُوا وَكذَّبوُا بآياتِنا أولئِك أصحابُ الجَحيمِ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

لما كان أهل الكتاب فريقين أحدهما آمنوا . والثاني كفروا وذكر الوعد للمؤمنين منهم اقتضى ان يذكر الوعيد لمن كفر منهم وأطلق اللفظ ليكون لهم ولكل من جرى مجراهم وإنما شرط في الوعيد على الكفر با لتكذيب بالآيات وان كان كل واحدا منهما يستحق به العقاب ، لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات فلم يصلح ها هنا لو كذبوا لأنهم قد جمعوا الأمرين ، ولأن دعوة الرسول (عليه السلام) بوعيد الكفار ظاهرة مع مجيء القرآن به في نحو قوله « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » (١) فلم يقع فيه اشكال لهذا . وقوله « اولئك » يعني هؤلاء الكفار .

واللغة

و ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ يعني الملازمون له كقولك أصحاب الصحراء وليس كمثل أصحاب الاموال ، لأن معنى ذلك ملاك الأموال ، وليس من شرط المكذب أن يكون عالما أن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد ان الخبر كذب سمي مكذباً ، وإن لم يعلم أنه كذب ، وإنما يستحق الذم ، لأنه جعل له طريق الى أن يعلم صحة ما كذب به . و «الجحيم » النار الشديدة الايقاد وهو إسم من اسماء جهنم ويقال :

﴿١﴾ سورة النساء آية ٤٧ ، ١١٥

جحم فلان النار إذا شدد ايقادها ويقال أيضاً لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها ويقال ذلك للحرب أيضاً قال الشاعر :

والحرب لايبقى لجا حمها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار في النجـ ـدات والفرس الوقاح(١)

قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين « ٩٠ » آية .

اللغة

هذا خطاب للمؤمنين خاصة نهاهم الله أن يحرموا طيبات ما أحل الله لهم . والتحريم هو العقد على مالا يجوز فعله للعبد والتحليل حل ذلك العقد ، وذلك كتحريم السبت بالعقد على أهله، فلا يجوز لهم العمل فيه ، وتحليله تحليل ذلك العقد بانه يجوز لهم الآن العمل فيه . والطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب . ويقال طيب بمعنى حلال . وتقول يطيب له كذا أي يحل له ولا يليق ذلك بهذا الموضوع ، لأنه لايقال لاتحرموا حلال ما أحل الله لكم .

المعنى

والذي اقتضى ذكر النهي عن تحريم الطيبات - على ماقال ابن عباس ومجاهد وابو مالك وقتادة وابراهيم - حال الرهبان الذين حرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وحبسوا انفسهم في الصوامع وساحوا في الأرض وحرموا النساء فهم قوم من الصحابة أن يفعلوا مثل ذلك ، فنهاهم الله عن ذلك . وقال أبو علي : نهوا أن يحرموا الحلال من الرزق بما يخلطه من الغصب ، واختار الرماني الوجه الاول لان اكثر المفسرين عليه .

(١) انظر ٢ : ٤٣٨ من هذا الكتاب

وقال السدي: نهاهم الله عما هم به عثمان بن مظعون من جب نفسه .

وقال عكرمة: هو ما هممت به الجماعة من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم .

وقال الحسن: لا تعتدوا الى ما حرم عليكم وهو اعم ، فائدة . والاعتداء مجاوزة حد الحكمة الى ما نهى عنه الحكيم ، وزجر عنه اما بالعقل او السمع وهو تجاوز المرء ماله الى ما ليس له . وقوله « ان الله لا يحب المعتدين » معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم وانما ذكره على وجه النفي لدلالة هذا النفي على معنى الاثبات اذا ذكر في صفة المعتدين وكأنه قيل يكفيهم في الهلاك ألا يحبهم الله .

قوله تعالى:

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٩١) آية اجماعاً

سبب النزول

سبب نزول هذه الآية والتي قبلها على ما قال عكرمة وأبو قلابة وابو مالك وابراهيم وقتادة والسدي وابن عباس والضحاك : ان جماعة من الصحابة منهم علي (عليه السلام) وعثمان بن مظعون وابن مسعود وعبد الله بن عمر ، همـوا بصيام الدهر وقيام الليل ، واعتزال الناس وجب أنفسهم وتحريم الطيبات عليهم . فروي ان عثمان بن مظعون قال اتيت النبي (عليه السلام) فقلت يارسول الله ائذن لي في الترهب فقال : (لا إنما رهبانية امتي الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة) فقلت يارسول الله اتأذن لي في السياحة قال : (سياحة امتي الجهـاد في سبيل الله) فقلت يارسول الله أتأذن لي في الاختصاء فقال : (ليس منا من خصـا واختصا إنما اختصاء أمتي الصوم) .

اللغة والمعنى

قوله : « وكلوا » لفظه لفظ الأمر والمراد به الاباحة أباح الله تعالى للمؤمنين

أن يأكلوا مما رزقهم حلالا طيباً ، فالرزق هو ما للحي الانتفاع به وليس لغيره منعه منه. وقال الرماني الرزق هو العطاء الجاري في الحكم من ذلك قيل: رزق السلطان الجند إذا جعل لهم عطاء جارياً في حكمه في كل شهر أو في كل سنة . قال الرماني وكل ما خلقه الله في الأرض مما يملك ، فهو رزق للعباد في الجملة بدلالة قوله ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ (١) ولولا ذلك لجوزنا ان يكون منه ما ليس للانس إلا انه وان كان رزقاً لهم في الجملة فتفصيل قسمته على ما يصح ويجوز من الأملاك ، ولا يجوز أن يكون الرزق حراماً ، لأن الله منع منه بالنهي ، فأما البغاة فيرزقون حراماً إذ حكموا بان المال للعبد ، وهو مغصوب لا يحل ، قال وما افترسه السبع رزق له بشرط غلبته عليه كما ان غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليها ، لان المشرك يملك ما في يده ، فاذا غلبنا عليه بطل ملكه ، وصار رزقاً لنا في هذه الحال . قال : وقد أمرنا بان نمنعه من الانسان مع الامكان ، وأذن لنا أن نمنعه من غيره من نحو الميتة والوحش إن شئنا وبسقط جميع ذلك في حال التعذر علينا .

وعندي أنه لا يجب أن يطلق أن ما يغلب عليه السبع رزق له بل إنما نقول: إن رزقه ما ليس لنا منعه منه فأما ما لنا منعه منه إما بان يكون ملكا لنا أو أذن لنا فيه ، فلا يكون رزقاً له بالاطلاق وقد يسلط الله السبع على بعض المشركين فيكون رزقاً له وعقاباً للمشرك والاصل فيه قوله تعالى « وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها »(٢) ففهوم هذا أنه رزقه بشرط الغلبة عليه ، فان قيل إذا كان الرزق لا يكون إلا حلالا فلم قال : (حلالا) ؟ قيل : ذكر ذلك على وجه التأكيد كما قال « وكلم الله موسى تكليما » (٣) وقد أطلق في موضع آخر على جهة المدح «ومما رزقناهم ينفقون » (٤)

وقوله : « واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون » استدعاء الى التقوى بألطف الاستدعاء ، وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير في التقوى فيكون

---

(١) سورة البقرة آية ٢٩ (٢) سورة يونس آية ٦

(٣) سورة النساء آية ١٦٤ (٤) سورة البقرة آية ٢ وغيرها كثير .

عليكم الحسرة العظمى واتقوا تحريم ما أحله الله لكم في جميع معاصيه من انتم به تؤمنون وهو الله تعالى .

وأصل الصفة التعريف ثم يخرج الى غيرذلك [من المدح والذم وغيرذلك] (١) من المعاني التي يحسن في مخرج الصفة فلذلك قال الذي «أنتم به مؤمنون » وفي هاتين الايتين دلالة على كراهة التخلي والتفرد والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في التأهل وطلب الولد وعمارة الارض .

قوله تعالى :

لا يُؤاخِذُكمُ اللهُ باللغوِ في أيمانِكمْ ولكنْ يُؤاخِذكمْ بما عقَّدتمُ الأيمانَ فكفّارتُه إطعامُ عشرةِ مساكينَ من أوسطِ ما تُطعِمون أهليكمْ أو كسوتُهم أو تحريرُ رقبةٍ فمن لمْ يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ ذلكَ كفّارةُ أيمانِكمْ إذا حلفتمْ واحفظوا أيمانكمْ كذلكَ يُبيِّنُ اللهُ لكمْ آياتِه لعلكم تشكرونَ (٩٢) آية بلاخلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ « عاقدتم » بالالف ابن عامر و « عقدتم » بلا الف مع تخفيف القاف حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، والباقون بالتشديد . ومنع من القراءة بالتشديد الطبري ، قال ، لانه لا يكون الا مع تكرير اليمين والمؤاخذة تلزم من غير تكرير بلا خلال ـ وهذا ليس بصحيح لان تعقيد اليمين إن يعقدها بقلبه ولفظه ولو عقد عليها في أحدها دون الآخر لم يكن تعقيداً وهو كالتعظيم الذي يكون تارة بالمضاعفة وتارة بعظم المنزلة .

وقال أبو علي الفارسي من شدد احتمل أمرين أحدهما ـ ان يكون لتكثير الفعل

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة .

لقوله ﴿ولكن يؤاخذكم﴾ مخاطباً الكثرة، فهو مثل «وغلقت الابواب» .والآخر أن يكون عقد مثل ضعف لايراد به التكثير كما أن ضاعف لايراد به فعل من اثنين . وقال الحسين بن علي المغربي في التشديد فائدة ، وهو أنه إذا كرر اليمين على محلوف واحد فاذا حنث لم يلزمه إلا كفـــارة واحدة وفي ذلك خلاف بين الفقهاء والذي ذكره قوي .

ومن قرأ بالتخفيف جاز ان يريد به الكثير من الفعل والقليل الا ان فعّل يختص بالكثير كما ان الركبة تختص بالحال التي يكون عليها الركوب وقالوا عقـدت الحبل والعهد واليمين عقدا ألا ترى انها تتلقى بما يتلقى به القسم قال الشاعر :

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم (١)

ويقال : أعقدت العسل فهو معقد وعقيد وحكى ابو اسحاق عقدت العسل . والاول اكثر . فأما قراءة ابن عامر فيحتمل امرين احدهما ـ ان يكون عاقدتم يراد به عقدتم كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت ويحتمل ان يكون اراد فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعداً ، كأنه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريباً من عاهد عداه بعلى كما يعدى عاهد بها . قال الله تعالى « ومن اوفي بما عاهدعليه الله » (٢) والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه ، ثم قال عاقدتموه الايمان فحذف الراجع. ويجوز أن يجعل (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر فيمن قرأ عقدتم بالتخفيف والتشديد ، فـلا يقتضي راجعـاً كما لايقتضيه في قوله « ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون (٣)

سبب النزول :

وقيل في سبب نزول هذه الآية قولان : احدهما قال ابن عباس إن القوم لما حرموا الطيبات من المآكل والمناكح والملابس حلفوا على ذلك فنزلت الآية . وقال ابن زيد نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاه فحلف

(١) اللسان (عقد) (٢) سورة الفتح آية ١٠ (٣) سورة البقرة آية ١٠

لا يأكل من الطعام وحفلت المرأة لا تأكل إن لم يأكل وحلف الضيف لا يأكل ان لم يأكلا فأكل عبد الله بن رواحة واكلا معه وأخبر النبي (عليه السلام) بذلك فقال له احسنت ونزلت هذه الآية . واللغو في اللغة هو مالا يعتد به قال الشاعر:

أومائه تجعل أولادها لغواً وعرض المائه الجلمد(١)

أي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقاً أي لا يعتد به باولادها

المعنى :

ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) وهو قول أبي علي الجبائي . وقال الحسن وابو مالك هو اليمين على مايرى صاحبها أنه على ما حلف ولا كفارة في يمين اللغو عند اكثر المفسرين والفقهاء . وروي عن ابراهيم أن فيها الكفارة بخلاف عنه .

بين الله تعالى بهذه الآية أنه لا يؤآخذ على لغو الأيمان وانه يؤآخذ بما عقد عليه قلبه ونواه .

وقوله « فكفارته » (الهاء) يحتمل رجوعها الى احد ثلاثة أشياء احدها الى (ما) من قوله بما عقدتم الايمان الثاني على اللغو الثالث على حنث اليمين لانه مدلول عليه والأول هو الصحيح ، وبه قال الحسن والشعبي وابو مالك وعائشة . وقوله « إطعام عشرة مساكين » إنما ذكر بلفظ المذكر تغليباً للتذكير في كلامهم لانه لاخلاف انه لو أطعم الاناث لأجزاه ويحتاج ان يعطي قدر مايكفيهم وقد حده اصحابنا ان يعطي كل واحد مدين او مداً ، وقدره رطلان وربع منفرداً أو يجمعهم على ماهذا قدره ليأكلوه ولا يجوز أن يعطي خمسة مايكفي عشرة ، وهو قول ابي علي ، وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

وهل يجوز اعطاء القيمة ؟ فيه خلاف ، والظاهر يقتضي أنه لا يجزي والروايات

---

(١) اللسان (جلمد)

تدل على أجزائه ، وهو قول أبي علي واهل العراق . وانما ذكر الكفارة في الآية ولم يذكر التوبة ، لان المعنى إفكفارته الشرعية كذا واما العقاب فلأنه يجوز أن تكون المعصية صغيرة أو كبيرة فلأجل ذلك لم يبين وعندنا أن حكم التوبة معلوم من الشرع ، فلذلك لم يذكر .

وقوله « من اوسط ماتطعمون » قيل فيه قولان :

أحدهما ـ الخبز والأدم دون اللحم ، لأن أفضله الخبز واللحم والتمر وأوسطه الخبز والزيت او السمن وأدونه الخبز والملح . وبه قال ابن عمر و الاسود وعبيدة وشريح .

الثاني ـ قيل أوسطه في المقدار إن كنت تشبع أهلك أولا تشبعهم بحسب العسر واليسر فبقدر ذلك هذا قول ابن عباس والضحاك وعندنا يلزمه ان يطعم كل مسكين مدين وبه قال علي عليه السلام وعمر وابراهيم وسعيد بن جبير والشعبي ومجاهد .

وقال قوم يكفيه مد ، ذهب اليه زيد بن ثابت والشافعي والطبري ، وغيرهم وروي ذلك في اخبارنا .

وقوله « او كسوتهم » فالذي رواه أصحابنا أنه ثوبان لكل واحد مئزر وقميص ، وعند الضرورة قميص ، وقال الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وابراهيم : ثوب

وقوله « او تحرير رقبة » فالرقبة التي تجزي في الكفارة كل رقبة كانت سليمة من العاهة صغيرة كانت او كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة والمؤمنة افضل ، لأن الآية مطلقة مبهمة وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف . وما قلناه قول اكثر المفسرين : الحسن وغيره ، ومعنى فتحرير رقبة عتق رقبة وقيل تحرير من الحرية أي جعلها حرة قال الفرزدق :

ابني عدانة انني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال (١)

(١) ديوانه : ٧٢٦ ، والنقائض : ٢٧٥ وطبقات فحول الشعراء : ٤٢٤ .

أي اعتقتكم من ذل الهجاء ولزوم العار. وهذه الثلاثة أشياء مخير فيها بلاخلاف وعندنا أنها واجبة على التخيير.

وقال قوم إن الواجب . منها واحد لا بعينه. والكفارة قبل الحنث لاتجزي وفيه خلاف .

وقوله « فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام » يحتمل رفعه أن يكون بالابتداء وخبره فكفارته . ويجوز أن يكون رفعاً بالخبر ويكون تقديره فكفارته صيام . وحد من ليس بواجد هو من ليس عنده مايفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ، وهو قول قتادة والشافعي . وصوم الثلاثة ايام متتابعة ، وبه قال ابن كعب وابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وسفيان واكثر الفقهاء . ويقويه أنه في قراءة ابن مسعود وابي « صيام ثلاثة ايام متتابعات » .

وقال مالك والحسن التتابع افضل والتفريق يجوز . فاما اذا قال القائل: إن فعلت كذا فلله علي أن اتصدق بمئة دينار فان هذا نذر عندنا ، وعند اكثر الفقهاء يلزمه به مئة دينار .وقال أبو علي عليه كفارة يمين ، لقوله «ذلك كفارة ايمانكم » وهو عام في جميع الايمان . وهذا ليس بيمين عندنا بل هو نذر يلزمه الوفاء به لقوله « أوفوا بالعقود » (١) واليمين على ثلاثة أقسام :

احدها ـ عقدها طاعة وحلها معصية فهذه يتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف كقوله والله لاشربت خمراً ، ولا قتلت نفساً .

الثاني ـ عقدها معصية وحلها طاعة كقوله والله لاصليت ولا صمت ، فاذا جاء بالصلاة والصوم ،فلا كفارة عليه عندنا وخالف جميع الفقهاء في ذلك واوجبوا عليها عليه الكفارة .

الثالث أن يكون عقدها مباحاً كقوله والله لالبست هذا الثوب فمتى حنث تعلق به الكفارة بلا خلاف .

وقوله تعالى « ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم » معناه حنثتم .

« ١ » سورة الانعام آية ١

وقوله « واحفظوا ايمانكم » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ احفظوها أن تحلفوا بها ، ومعناه لاتحلفوا .

الثاني ـ احفظوها من الحنث وهو الاقوى ، لان الحلف مباح الا في معصية بلا خلاف ـ وانما الواجب ترك الحنث وذلك يدل على ان اليمين في المعصية غير منعقدة ، لأنها لو انعقدت لزم حفظها واذا لم تنعقد لم تلزمه كفارة على مابيناه .

وقوله « كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون » معناه ان الله يبين لكم اياته وفرائضه كما بين لكم أمر الكفارة لتشكروه على تبيينه لكم امور كم ونعمه عليكم وتسهيله عليكم المخرج من الاثم بالكفارة فاما أقسام الايمان وما ينعقد منها وما لاينعقد وشرائطها ، فقد بيناها في كتب الفقه مشروحة لانطول بذكرها الكتاب .

قوله تعالى :

يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا إِنَّما الخَمرُ وَالميسِرُ وَالأَنصابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِنْ عَملِ الشَّيطانِ فاجتَنِبوهُ لَعَلَّكُمْ تُفلِحونَ (٩٣) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

هذا خطاب للمؤمنين أخبرهم الله تعالى أن الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس ، فالخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وقليله . والخمر حرام وتسمى خمراً لانها بالسكر تغطي على العقل والاصل في الباب التغطية من قول أهل اللغة خمرت الاناء إذا غطيته ومنه دخل في خمار الناس اذا خفي فيما بينهم بسترهم له والخمير العجين الذي يغطى حتى يختمر ، وخمار المرأة ، لانها تغطي رأسها به . وخامره الحزن إذا خالطه منتشراً في قلبه واستخمرت فلاناً أي استعبدته . والاصل فيه أمرته أن يتخذ الخمر ثم كثر حتى جرى في كل شيء يأمر به . وعلى هذا الاشتقاق يجب أن

يسمى النبيذ وكل مسكر على اختلاف أنواعه خمراً ، لاشتراكها في المعنى وان يجري عليها اجمع جميع احكام الخمر .

و « الميسر » القمار كله مأخوذ من تياسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه والذي يدخل فيه ييسر والذي لا يدخل فيه برم . قال ابو جعفر ويدخل فيه الشطرنج والنرد ، وغير ذلك حتى اللعب بالجوز . والاصل فيه اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تفاؤلا بتيسير العمل بها . وقيل بل لأنها تعين اليمنى فيكون العمل أيسر ، وذهب يسرة خلاف يمنة .

« والأنصاب » الاصنام واحدها نصب . وقيل لها انصاب ، لانها كانت تنصب للعبادة وأصله الانتصاب : القيام ، نصب ينصب نصباً . ومنه النصب التعب عن العمل الذي ينتصب له ونصاب السكين ، لأنها تنصب فيه ومناصبة العدو : الانتصاب لعداوته قال الاعشى :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا (١)

و « الأزلام » القداح وهي سهام كانوا يجيلونها ويجعلون عليها علامات (إفعل ، ولا تفعل) ونحو ذلك على ما يخرج من ذلك في سفر او إقامة أو غير ذلك من الامور المهمة ، وكانوا يجيلونها للقمار ، واحدها زلم ، وزلم . وقال الاصمعي : كان الجزور يقسمونه على ثمانية وعشرين جزءاً وقال ابو عمر كان عددها على عشرة . وقال ابو عبيد لا علم لي بمقدار عدتها ، وقد ذكرت اسماؤها مفصلا وهي عشرة : ذوات الحظوظ منها سبعة واسماؤها ، الفذ ، والتوءم ، والرقيب ، والحلس ، والنافس ، والمسبل ، والمعلى .

والاغفال التي لا حظوظ لها ثلاثة اسماؤها ، السفيح ، والمنيح ، والوغد . ذكر القتيبي ذلك .

---

(١) اللسان (نصب) وروايته :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعافية والله ربك فاعبدا

وقوله « رجس » أي نجس « والرجز » العذاب . ومنه قوله « لئن كشفت عنا الرجز » (١) أي العذاب وقوله « والرجز فاهجر » (٢) يعني الاوثان ومعناه الرجس فاهجر واصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء إذا كانت ترتعد قوايمها في ناحية وقال الزجاج يقال رجس يرجس إذا عمل عملا قبيحاً والرجس بفتح الراء شدة الصوت وسحاب الرجاس ورعد رجاس إذا كان شديد الصوت قال الشاعر :

وكل رجاس يسوق الرجسا (٣)

وقوله « من عمل الشيطان » إنما نسبها الى عمل الشيطان وهي اجسام لما يأمر به فيها من الفساد فيأمر بالسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار لاستعمال الاخلاق الدنيئة ويأمر بعبادة الأوثان لما فيها من الكفر بالله العظيم ويأمر بالازلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق . وقوله « فاجتنبوا » أمر بالاجتناب اي كونوا جانباً منه في ناحية « لعلكم تفلحون » ومعناه لكي تفوزوا بالثواب .

وفي الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الاشياء الاربعة من اربعة اوجه :

احدها ـ أنه وصفها بانها رجس وهي النجس والنجس محرم بلا خلاف .

الثاني ـ نسبها الى عمل الشيطان وذلك لايكون الا محرماً ـ .

والثالث ـ انه أمرنا باجتنابه . والامر يقتضي الايجاب ـ .

الرابع ـ انه جعل الفوز والفلاح باجتنابه .

والهاء في قوله « فاجتنبوه » راجعة الى عمل الشيطان وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان . قال ابن عباس : الرجس هاهنا معناه السخط . وقال ابن زيد : هو الشر .

قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ ـ

---

(١) سورة الاعراف آية ١٣٣ (٢) سورة المدثر آية ٥

(٣) اللسان ﴿ رجس ﴾ وعجزه :

من السيول والسحاب المرسا

ـ وَالميسرِ وَيَصُدكمْ عَنْ ذِكرِ اللهِ وَعنِ الصَّلاةِ فَهَل أنْتمْ مُنتَهونَ ﴾ (٩٤) آية بلاخلاف .

سبب النزول :

قيل في سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما ـ أنه لاحق سعد بن ابي وقاص رجلا من الانصار ، وقد كانا شربا الخمر فضربه بلحي جمل ففزر أنف سعد بن ابي وقاص ، فنزلت هذه الآية .

الثاني ـ أنه لما نزل قوله : « يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى » قال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت هذه الآية

المعنى :

والشيطان انما يريد إيقاع العداوة والبغضاء بينهم بالاغواء (١) المزين لهم ذلك حتى اذا سكروا زالت عقولهم واقدموا من المكاره والقبائح على ما كانت تمنعه منه عقولهم . وقال قتادة كان الرجل يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزيناً سليباً فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء .

وقوله . « ويصدكم عن ذكر الله » أي يمنعكم من الذكر لله بالتعظيم له والشكر له على آلائه لما في ذلك من الدعاء إلى الصلاح واستقامة الحال في الدين والدنيا بالرغبة فيما عنده ، والتوسل اليه بالاجتهاد في طاعته التي تجمع محاسن الافعال ومكارم الاخلاق

وقوله : « فهل انتم منتهون » صيغته صيغة الاستفهام ومعناه النهي ، وانما جاز ذلك ، لأنه إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار في منزلة من نهي عنه ، فاذا قيل له : أتفعله ؟ بعدما قد ظهر من أمره وصار في محل من عقد عليه باقراره .

فان قيل ما الفرق بين انتهوا عن شرب الخمر ، وبين لاتشربوا الخمر ؟ قلنا :

---

(١) في المخطوطة ﴿ بالاغراء ﴾ بدل ﴿ بالاغواء ﴾

لأنه إذا قال : انتهوا دل ذلك على انه مريد لامر ينافي شرب الخمر . وصيغة النهي إنما تدل على كراهة الشرب لأنه قد ينصرف عن الشرب الى أخذ اشياء مباحة وليس كذلك المأمور به ، لأنه لاينصرف عنه إلا الى محذور . والمنهي عنه قد ينصرف عنه الي غير مفروض .

قوله تعالى :

وأطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ واحذَرُوا فإن تَوَلَّيتُمْ فاعلَمُوا أنَّما على رَسولِنا البَلاغُ المبينُ (٩٥) آية بلا خلاف

لما أمر الله تعالى باجتناب الخمر والميسر والانصاب والازلام أمر في هذه الآية بطاعته فى ذلك وغيره من اوامر الله تعالى .والطاعة هي امتثال الامر ، والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح أن تكون الطاعة طاعة لاثنين بان يوافق أمرهما وارادتها .

وقوله « واحذروا » أمر منه تعالى بالحذر ، وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر . والخوف هو توقع الضرر الذي لايؤمن كونه .والجزع مفاجاة الضرر الذي يزعج النفس مثله . والفزع والرعب مثل الجزع .

وقوله : « فان توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين » معناه الوعيد والتهديد كأنه قال : فاعلموا انكم قد استحققتم العقاب لتوليكم عما ادى رسولنا من البلاغ المبين ، يعني الأداء الظاهر الواضح ، فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لأن عليهم أن يعلموا ذلك تولوا أو لم يتولوا و « ما » في قوله : « أنما » كافة لـ (أن) عن عملها وذلك أنها لما كانت من عوامل الأسماء خاصة ثم احتيج الى ادخالها على غيرها زيد عليها (ما) ليعلم تغيرها عن حالها فصارت كافة لها .

قوله تعالى :

لَيسَ عَلى الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما-

أتّقَوا وَآمنوُا وَعَمِلوُا الصّالِحاتِ ثُمّ اتّقَوْا وآمَنوُا ثُمّ أتقَوْا وأحَسنوُا وَاللهُ يُحبُ المحُسِنينَ (٩٦) آية .

قال ابن عباس وابن مالك والبراء بن عازب ومجاهد ، وقتادة والضحاك : إنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة كيف بمن مات من إخواننا وهو يشربها ، فأنزل الله الآية وبين انه ليس عليهم في ذلك شيء إذا كانوا مؤمنين عاملين للصالحات ، ثم يتقون المعاصي وجميع ماحرم الله عليهم .

فان قيل لم كرر الاتقاء ثلاث مرات في الآية ؟

قيل : الأول المراد به اتقاء المعاصي . الثاني ـ الاستمرار على الاتقاء والثالث ـ اتقاء مظالم العباد وضم الاحسان الى الاتقاء على وجه الندب واعتبر أبو علي في الثالث الأمرين .

وقوله : « والله يحب المحسنين » أي يريد ثوابهم واجلالهم واكرامهم والاحسان النفع الحسن الواصل الى الغير ، ولا يقال لكل حسن إحسان ، لأنه لا يقال في العذاب بالنار أنه إحسان وان كان حسناً . والصلاح استقامة الحال وهو مما يفعله العبد ، وقد يفعل الله تعالى له الصلاح في دينه باللطف فيه . والايمان هو الاطمينان الى الصواب بفعله مع الثقة به وهو من افعال العباد . وعلى هذا يحمل قوله « وآمنوا » والأول على الايمان با الله الذي هو التصديق . وروي أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في ايام عمر ، فاراد عمر ان يقيم عليه الحد فقال « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » فاراد عمر أن يدرأ عنه الحد حين لم يعلم تحريمها فقال امير المؤمنين (عليه السلام) اديروه على الصحابة ، فان لم يسمع احداً منهم قرأ عليه آية التحريم ، فأدرؤا عنه . وان كان قد سمع فاستتيبوه ، واقيموا عليه الحد ، فان لم يتب وجب عليه القتل .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ (٩٧) آية واحدة بلا خلاف

الاعراب واللغة :

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وقسم منه أنه يبلوهم بشيء من الصيد ، لأن اللام في قوله : « ليبلونكم » لام القسم والواو مفتوحة لالتقاء الساكنين في قول بعضهم مثل (واو) اغزون . واما واو « ليبلونكم » قال سيبويه هي مبنية على الفتح. وقال الزجاج فتحت ، واو « ليبلونكم » لأنها حرف الاعراب الذي تتعاقب عليه الحركات وضمت ، واو « لتبلون » لأنها واو الجمع فصح لالتقاء الساكنين نحو قوله « فلا تخشوا الناس واخشوني » (١) ومعنى « ليبلونكم » ليختبرن طاعتكم من معصيتكم بشيء من الصيد واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء للنعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر ، والكفر .

والبلاء النقمة لا نه يظهر به مايوجبه كفر النعمة . والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه .

المعنى :

وقوله « بشيء من الصيد » قيل في معنى (من) ثلاثة اوجه :

أحدها صيد البر ، دون البحر . والآخر صيد الاحرام دون الاحلال .

الثالث للتجنيس نحو اجتنبوا الرجس من الاوثان ـ في قول الزجاج . وقوله « تناله

(١) سورة المائدة آية ٤٧ .

أيديكم ورماحكم » [يعني به فراخ الطيور وصغار الوحش في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وزاد مجاهد : والبيض. والذي تناله الرماح الكبار من الصيد . قال ابو علي معنى « تناله ايديكم ورماحكم »] (١) إن صيد الحرم يقرب من الناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل ، وذلك آية من آيات الله . وقال الحسن ومجاهد حرم الله بهذه الآية صيد البركه . وقال أبو علي صيد الحرم هو المحرم بهذه الآية . وقال الزجاج : بين النبي (عليه السلام) تحريم صيد الحرم على المحرم . وغيره بهذه الآية وهذا صحيح . وصيد غير المحرم إنما يحرم على المحرم دون المحل .

وقوله « ليعلم الله من يخافه بالغيب » معناه ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم مظاهرة في العدل . ووجه آخر ليظهر المعلوم ، والاول احسن واختار البلخي الوجه الثاني . قال والله تعالى وإن كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل، فانه لا يجوز ان يثيبهم ولا يعاقبهم على ما يعلم منهم ، وانما يستحقون ذلك اذا علمه واقعاً منهم على وجه كلفهم ، فاذاً لابد من التكليف والابتلاء

وقوله « من يخافه بالغيب » يعني من يخشى عقابه إذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس في قول الحسن تقول غاب يغيب غيباً فهو غائب عن الحس ، ومنه الغيبة وهي الذكر بظهر الغيب بالقبيح . وقال قوم : معناه من يخاف صيد الحرم في السر كما يخافه في العلانية ، فلا يعرضون له على حال

وقوله « فمن اعتدى بعد ذلك » يعني من تجاوز حد الله بمخالفة أمره وارتكاب نهيه بالصيد في الحرم ، وفي حال الاحرام « فله عذاب اليم » أي مؤلم قال البلخي يجوز أن يكون ذلك في النار ، ويجوز ان يكون غير ذلك من صنوف الآلام والعقوبات قال سليمان « لاعذبنه عذاباً شديداً » (٢) يعني الهدهد ولم يرد عذاب النار .

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) سورة النمل آية ٢١

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ (٩٨) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل الكوفة ويعقوب « فجزاء » منوناً « مثل » رفع الباقون بالاضافة. وقرأ ابن عامر واهل المدينة « او كفارة » بغير تنوين « طعام » بالخفض. الباقون بالتنوين واجمعوا على جمع مساكين. وقرأ بعضهم ﴿ اوعدل ذلك ﴾ بالكسر .

الاعراب والحجة :

قال الاخفش وهو الوجه ، أن العدل هو المثل . والعدل مصدر عدلت هذا بهذا عدلا حسناً . والعدل أيضاً المثل « ولا يقبل منها عدل » (١) اي مثل قال الفراء: العدل ـ بفتح العين ـ ما عادل الشيء من غير جنسه ، ـ وبكسر العين ـ المثل يقول عندي غلام عدل غلامك بالكسر لأنه من جنسه وإن اراد قيمته دراهم ، قال عندي عدل غلامك ، لأنها من غير جنسه . قال أبو علي الفارسي : حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل المقتول . والتقدير فعليه جزاء أي فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ماقتل من الصيد وقوله : « من النعم »

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٣ .

على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي (جزاء) وفيه ذكر ، ويكون مثل صفة للجزاء لان المعنى عليه جزاء مماثل للمقتول من الصيد من النعم . والمماثلة في القيمة او الخلقة على اختلاف الفقهاء في ذلك . ولا ينبغي اضافة (جزاء) الى المثل ألا ترى انه ليس عليه جزاء مثل ماقتل في الحقيقة وإنما عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله . ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله . واذا كان كذلك علمت ان الجزاء لاينبغي أن يضاف الى مثل . ولا يجوز أن يكون قوله : « من النعم » على هذه القراءة متعلقاً بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقاً به في قوله « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) بـ(مثلها) لانك قد وصفت الموصول ، واذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعـــد الوصف ، شيئاً كما انك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز ان تعلق به شيئاً بعد العطف عليه والتأكيد له . فاما فى قراءة من اضاف الجزاء إلى المثل ، كان قوله : « من النعم » يكون صفة للجزاء كما كان في قول من نوّن ، ولم يضف صفة له.

ويجوز فيه وجه آخر لايجوز في قول من نون ووصف : وهو ان يقدره متعلقاً بالمصدر . ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما تضمن الذكر لما كان صفة. وإنما جاز تعلقه بالمصدر على قول من أضاف ، لانك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من نون ، فيمتنع تعلقه به

واما من اضاف الجزاء إلى (مثل) فانه وان كان جزاء المقتول لاجزاء مثله فانهم قد يقولون : انا اكرم مثلك . يريدون انا اكرمك ، وكذلك إذا قال « فجزاء مثل » فالمراد جزاء ماقتل ، فاذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة لان المعنى فعليه جزاء ماقتل . ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر واضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان في قول من جر (مثلا) على الاتساع الذي وصفناه ألا ترى ان المعنى « فجزاء مثل » اي يجازى مثل ماقتل ، والواجب عليه في الحقيقة جزاء المقتول لاجزاء مثل المقتول .

« ١ » سورة الشورى آية ٤٠

المعنى :

خاطب الله بهذه الآية المؤمنين ونهاهم عن قتل الصيد وهم حرم وقوله « وانتم حرم » قيل فيه ثلاثة اوجه :

احدها ـ وانتم محرمون لحج او عمرة .

الثاني ـ وانتم في الحرم . يقال احرمنا أي دخلنا في الحرم كما يقال أنجدنا واتهمنا .

الثالث ـ وانتم في الشهر الحرام . يقال أحرم إذا دخل في الشهر الحرام .

قال ابو علي: الآية تدل على تحريم قتل الصيد في حال الاحرام بالحج ، والعمرة وحين الكون في الحرم .

وقال الرماني: يدل على الاحرام بالحج أو العمرة فقط . والذي قاله أبو علي أعم فائدة ، واما القسم الثالث فلا خلاف أنه غير مراد .

وقاتل الصيد إذا كان محرما لزمه الجزاء عامداً كان في القتل أو اخطأ أو ناسياً لاحرامه او ذاكراً . وبه قال مجاهد ، والحسن ـ بخلاف عنه ـ وابن جريج ، وابراهيم وابن زيد ، واكثر الفقهاء ، واختاره البلخي ، والجبائي . وقال ابن عباس ، وعطاء والزهري واختاره الرماني : إنه يلزمه إذا كان متعمداً لقتله ذاكراً لاحرامه . . هو اشبه بالظاهر . والاول يشهد به روايات اصحابنا .

واختلفوا في مثل المقتول فقال الحسن وابن عباس والسدي ومجاهد وعطاء والضحاك : هو اشبه الأشياء به من النعم : إن قتل نعامة فعليه بدنة ، حكم النبي (عليه السلام) بذلك في البدنة . وان قتل اروى (١) فبقرة . وان قتل غزالا او ارنباً ، فشاة . وهذا هو الذي تدل عليه روايات اصحابنا .

---

(١) ﴿ الاروى ﴾ اناث الوعل ، وهو اسم جمعها وواحدها (اروية) ـ بضم الهمزة وسكون الراء وكسر الواو وفتح الياء المشددة .

وقال قوم : يقوم الصيد بقيمة عادلة ثم يشتري بثمنه مثله من النعم ثم يهدى الى الكعبة ، فان لم يبلغ ثمن هدي كفر او صام ، وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف :

واختلف من قال بذلك في المكان الذي يقوم فيه الصيد ، فقال ابراهيم ، والنخعي ، وحماد ، وابو حنيفة ، وابو يوسف ، ومحمد : يقوم بالمكان الذي اصاب فيه إن كان بخراسان او غيره . وقال ابن عامر والشعبي : يقوم بمكة او منى .

وقوله : « يحكم به ذوا عدل منكم » يعني شاهدين عدلين فقيهين يحكمان بانه جزاء مثل ماقتل من الصيد .

وقوله : « هديا بالغ الكعبة » فـ (هدياً) نصب على المصدر . ويحتمل ان يكون نصباً على الحال ، و (بالغ الكعبة) صفة له وتقديره يهديه هدياً يبلغ الكعبة وقوله « بالغ الكعبة » فهو وان كان مضافاً الى المعرفة فالنية فيه الانفصال ، كما نقول هذا ضارب زيد ، فيمن حذف النون ولم يكن قد فعل ، فانه يكون نكرة ، والهدي يجب ان يكون صحيحاً بالصفة التي تجزي في الاضحية ، وهو قول أبي علي .

وقال الشافعي يجوز في الهدي مالا يجوز في الاضحية . وان قتل طائراً اونحوه قال ابو علي عليه دم شاة . وعندنا فيه دم وقال قوم يجوز ان يهدى سخلة اوجدياً . والنعم هي الابل ، والبقر والغنم . وقوله « او كفارة طعام مساكين » فمن رفع (طعام مساكين) جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان ، لان الطعام هو الكفارة ، ولم يضف الكفارة إلى الطعام ، لانها ليست للطعام وإنما هي لقتل الصيد ، فلذلك لم يضف الكفارة الى الطعام . ومن اضافها الى الطعام ، فلانه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء : الهدى ، والطعام ، والصيام اجاز الاضافة لذلك ، فكأنه قال : كفارة طعام لا كفارة هدي ، ولا كفارة صيام ، فاستقامت الاضافة لكون الكفارة من هذه الاشياء .

وقيل في معناه قولان :

احدهما ـ يقوّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاماً في قول عطا . وهو مذهبنا .

وقال قتادة : يقوم نفس الصيد المقتول حياً ثم يجعل طعاماً .

وقوله : « او عدل ذلك صياماً » نصب صياما على التمييز وفي معناه قولان :

احدهما ـ لكل مد يقوم من الطعام يوم في قول عطاء .

وقل غيره عن كل مدين يوم وهو مذهبنا .

وقال سعيد بن جبير يصوم ثلاثة ايام الى عشرة ايام .

وقوله « ليذوق وبال امره » يعني عقوبة مافعله ونكاله . وقال المغربي الوبال من الطعام الوبيل الذي لايستمرى ، أولا يوافق ، وهو قول الازهى قال كثير :

فقد اصبح الراضون إذ أنتم بها　　مشوم البلاد يشتكون وبالها

وقوله : « عفا الله عما سلف » قيل في معناه قولان :

أحدهما ـ قال الحسن : عفا الله عما سلف من امر الجاهلية

وقال آخرون عما سلف من الدفعة الاولى في الاسلام

وقوله : « ومن عاد فينتقم الله منه » اختلفوا فى لزوم الجزاء بالمعاودة على قولين :

احدهما ـ قال عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير ومجاهد : يلزمه الجزاء بالمعاودة وهو قول بعض اصحابنا

الثاني ـ قال ابن عباس، وشريح ، والحسن، وابراهيم ، بخلاف عنه: لاجزاء عليه وينتقم الله منه ، وهو الظاهر من مذهب اصحابنا ، واختار الرماني الأول وبه قال اكثر الفقهاء قال ، لانه لاينافي الانتقام منه . واختلفوا في (أو) في الآية هل هي على جهة التخيير أم لا ؟ على قولين :

احدهما ـ قال ابن عباس والشعبي ، وابراهيم، والسدي وهو الظاهر في رواياتنا

انه ليس على التخيير لكن على الترتيب . وانما دخلت (او) لأنه لايخرج حكمه عن احد الثلاثة ، على انه إن لم يجد الجزاء فالاطعام وان لم يجد الاطعام فالصيام

وفي رواية اخرى عن ابن عباس ، وعطاء والحسن وإبراهيم - على خلاف عنه - واختاره الجبائي ، وهو قول بعض اصحابنا انه على التخيير .

وقوله « والله عزيز ذو انتقام » معناه قادر لايغالب « ذو انتقام » معناه ينتقم ممن يتعدا امره ويرتكب نهيه .

وليس في الآية دليل على العمل بالقياس ، لأن الرجوع الى ذوي عدل في تقويم الجزاء مثل الرجوع الى المقومين في قيم المتلفات ، ولا تعلق لذلك بالقياس

قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(٩٩) آية بلا خلاف

قال ابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة والسدي ، ومجاهد : الذي احل من هذه الآية من صيد البحر الطري منه واما العتيق فلا خلاف في كونه حلالا ، واذا حل صيد البحر حل صيد الانهار ، لأن العرب تسمي النهر بحراً . ومنه قوله « ظهر الفساد في البر والبحر » (١) والاغلب على البحر هو الذي يكون ماؤه ملحاً لكن إذا اطلق دخل فيه الانهار بلا خلاف .

وقوله « وطعامه » يعني طعام البحر وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابو بكر وعمر ، وابن عباس وابن عمر ، وقتاده هو ما قذف به ميتاً .

« ١ » سورة الروم آية ٤١

الثاني ـ في رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وابراهيم بخلاف عنه أنه المملوح ، واختار الرماني الأول . وقال لأنه بمنزلة ما صيد منه ومالم يصد منه فعلى هذا تصح الفائدة في الكلام والذي يقتضيه ويليق بمذهبنا القول الثاني ، فيكون قوله « صيد البحر » المراد به ماأخذ طرياً .

وقوله « وطعامه » ما كان منه مملوحاً ، لأن مايقذف به البحر ميتاً لايجوز عندنا أكله لغير المحرم ولا للمحرم . وقال قوم معنى « وطعامه » مانبت بمائة من الزرع والثمار حكاه الزجاج .

وقوله « متاعاً لكم وللسيارة » نصب متاعاً [على المصدر لان قوله « احل لكم » يدل على انه قد متعهم متاعاً] (١) وقال ابن عباس والحسن وقتادة معناه منفعة للمقيم والمسافر .

وقوله « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما » يقتضي ظاهره تحريم الصيد في حال الاحرام وأكل ماصاده غيره وبه قال علي (ع) وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير ، وقال عمر وعثمان والحسن لحم الصيد لايحرم على المحرم إذا صاده غيره ، ومنهم من فرق بين ماصيد وهو محرم وبين ما صيد قبل احرامه . وعندنا لافرق بينهما والكل محرم ، والصيد يعبر به عن الاصطياد فيكون مصدراً ويعبر به عن المصيد ، فيكون اسماً . ويجب أن تحمل الآية على تحريم الجميع . وقوله « واتقوا الله الذي اليه تحشرون » أمر منه تعالى بان يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه من الصيد في الاحرام وغيره ، لأن اليه الرجوع في الوقت الذي لايملك احد فيه الضر والنفع سواه ، وهو يوم القيامة فيجازي كلا بعلمه : المحسن على إحسانه والمسيء على اساءته .

قوله تعالى :

﴿ جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ وَالشَّهرَ الحَرامَ وَالهَدْيَ وَالقَلائِدَ ذلِكَ لِتَعلَموا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الأَرضِ وَأنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ﴾ (١٠٠) آية بلا خلاف .

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابن عامر وحده « قيما » للناس بلا الف . الباقون قياماً بالالف . قال ابو علي الفارسي قوله « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » تقديره جعل الله حج الكعبة أو نصب الكعبة قياماً لمعايش الناس أو مكاسب الناس ، لأنه مصدر (قام) كأن المعنى قام بنصبه ذلك لهم ، فاستتبت بذلك معايشهم ، واستقامت أحوالهم به ، فالقيام كالعياذ والعيال . وعلى هذا لحقته تاء التأنيث في هذه المصادر ، فجاءت فعالة كالزيارة والسياسة والحياكة ، فكما جاءت هذه المصادر على فعال او فعالة كذلك حكم القيام ان يكون على فعال

ووجه قراءة ابن عامر احد امرين : إما ان يكون جعله مصدراً كالشبع أو حذف الألف وهو يريدها كما يقصر الممدود ، وهذا الوجه إنما يجوز في الشعر دون الكلام . وإنما أعلوا الواو فقلبوها ياءاً لاعتلال الفعل ، ولم يصححوها كما صحت في الحول والعوض ألا ترى انهم قالوا ديمة وديم وحيلة وحيل فاعلوها في الجموع لاعتلال آحادها ، فاعلال المصدر لاعتلال الفعل اولى .

والقوام هو العماد تقول هو قوام الامر وملاكه ، وهو مايستقيم به امره وقلبت الواو ياءاً لانكسار ماقبلها في مصدر فعل يفعل ، وهو قام بالامر قياماً كقولك صام صياماً . فاما صحة الواو في قاومه قواماً مثل حاوره حواراً قال الراجز :

قوام دنياً وقوام دين (١)

وتقدير الآية جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياماً لمعاش الناس ومصالحهم .

المعنى :

وقوله « والشهر الحرام » معطوف على المفعول الأول لـ (جعل) كما تقول

(١) مجاز القرآن ١ : ١٧٧

ظننت زيداً منطلقاً وعمراً أي فعل ذلك ليعلموا أن الله يعلم مصالح مافي السماوات والارض ، وما يجري عليه شأنهم في معاشهم وغير ذلك مما يصلحهم « وأن الله بكل شيء عليم » بما يقيمهم ، ويصلحهم عليه .

وقيل في قوله « قياماً للناس » ان معناه أمناً لهم . وقيل إنه مما ينبغي أن يقيموا به . والأول أقوى . وقال قوم لما كان في المناسك زجراً عن القبيح ودعاء الى الحق كان بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر أتباعه . وقال سعيد بن جبير « قياماً للناس » صلاحاً لهم . وقيل يقوم به أبدانهم . وقيل « قياماً » يقومون به في متعبداتهم .

اللغة :

قال مجاهد وعكرمة : سميت الكعبة كعبة لتربيعها .

وقال أهل اللغة وإنما قيل كعبة البيت واضيف لأن كعبة تربع اعلاه والكعوبة: النتوء فقيل للتربيع كعبة لنتوء زوايا المربع . ومنه كعب ثدي الجارية اذا نتأ ومنه كعب الانسان لنتوئه . وسميت الكعبة حراماً لتحريم الله إياها ان يصاد صيدها او يخلى خلاها أو يعضد شجرها . وقوله « والشهر الحرام » قال الحسن هي . الاشهر الحرام الاربعة فهذا على مخرج الواحد مذهب الجنس . وهي واحد فرد وثلاثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

و (القلائد) قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها ـ ان الرجل من العرب كان ينتهي به الحال من الضرر والجوع الى ان يأكل العصب فيلقى الهدي مقلداً فلا يعرض له .

الثاني ـ أن من اراد الاحرام تقلد قلادة من شعر او لحي الشجرة فتمنعه من الناس حتى يأتي أهله .

الثالث ـ قال الحسن : القلائد ان يقلد الابل والبقر النعال او الخفاف تقور

تقويراً على ذلك مضت السنة ، فهـذا على صلاح التعبـد بها ، وهذا هو المعتمد عليه عندنا .

فان قيل مامعنى قوله « ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الارض » بعد قوله « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » واي تعلق لها بذلك ؟ وما في ذلك مما يدل على انه بكل شيء عليم ؟ قيل عن ذلك ثلاثة اجوبة :

احدها أنه تعالى لما اخبر بما في هذه السورة من قصة موسى وعيسى وقومها وبالتوراة والانجيل ، وما فيها من الاحكام واخبار الامم وفصله ، وذلك كلـه مما لم يشاهده محمد (صلى الله عليه وآله) ولا قومه ولا أحد في عصره ولا وقفوا على شيء من ذلك ، قال ذلك لتعلموا ان الله تعالى لولا انه بكل شيء عليم لمـا جاز ان يخبركم عنهم ، فاخباره بذلك يدل على انه بكل شيء عليم .

وايضاً فان ماجعله الله من البلد الحرام والشهر الحرام من الآيات والاعاجيب دالا على انه تعالى لايخفى عليه شيء ، لأنه جعل البيت الحرام والحرم أمنا يأمن فيه كل شيء ويسكن قلبه ، فالظبي يأنس بالسبع والذئب مادام في الحرم ، فاذاخرج عن الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع الى الحرم ، فاذا رجع اليه كف عنه السبع ، وهذا من عظيم ايات الله وعجيب دلائله وكذلك الطير والحمامة يأنس بالانسان ، فاذا خرج من الحرم خافه ولم يدن من احد حتى يعود الى الحرم ، والطير يستشفى بالبيت الحرام إذا مرض يسقط على سطح البيت استشفاء به ، فاذا زال عنه المرض لم ير على سطح البيت ولا محاذيه في الهواء إجلالا له وتعظيما مع امور كثيرة يطول ذكرها ، فيكون مادبره الله من ذلك دالا على انه عـالم بمصالح الخلق وبكل شيء .

وايضاً فانه اخبرهم بأنه قد علم قبل أن يخلقهم ماهم صائرون اليه من القتال والغارة والسبي والسلب فجعل من سنن ابراهيم واسماعيل ان من دخل الحرم لم يقتل وكذلك من عاذ بالبيت وان اشهر الحرم لايجوز فيها قتال وأن من اهدى اوقلد

أمن على نفسه ، وكل ذلك يدل على ان من دبره عالم بالعواقب ولا يخفى عليه شيء من الاشياء على وجه من الوجوه .

قوله تعالى :

إعلَمُوا أنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ وأنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ (١٠١) آية واحدة.

أمر الله تعالى أن يعلم المكلف انه شديد العقاب ، فالعلم ما اقتضى سكون النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ماهو به [مع سكون النفس الى ما اعتقده والاول أخص ولا يجوز ان يحد العلم بأنه المعرفة لأن المعرفة هي العلم ولا يحد الشيء بنفسه والعلم يتناول الشيء على ماهو به] (١) وكذلك الرؤية .

والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه والرؤية لاتتعلق الا على وجه واحد . والعلم محله القلب . والرؤية ليست معنى على الحقيقة وانما تثبت للرائي بكونه رائياً صفة . ومن قال هو معنى قال محلها العين .

وفي الآية دلالة على ان المعرفة بالله وبصفاته ليست ضرورية ، لأنها لو كانت ضرورية لما امرنا بها . وليس لاحد ان يقول إنما أمر على جهة التذكير ، والتنبيه ، لان ذلك ترك للظاهر .

والعقاب هو الضرر المستحق على جهة الاهانة (٢) والاستخفاف ولو اقتصرت على ان نقول هو الضرر المستحق او الضرر الذي يقارنه استحقاق واهانة لكان كافياً لان ما ليس بعقاب ليس بمستحق ولا يقارنه استخفاف واهانه وانما سمي عقاباً لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه .

وقوله « وان الله غفور رحيم » منصوب بـ (إعلموا) وتقديره واعلموا ان لله غفور رحيم والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها . وأصلها الستر ومنه المغفر. وضم ذكر الرحمة الى المغفرة لبيان سبوغ نعم الله تعالى وانه اذا أزال العقوبة بتوبة

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة (المقارن) بدل (على جهة).

أوجب الرحمة التي هي المغفرة . وذلك يدل على أن الغفران عند التوبة غير واجب وانه تفضل والا لم يكن كذلك .

قوله تعالى :

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (١٠٢) آية بلا خلاف .

النظم :

لما انذر تعالى في الآية الاولى شدة العقاب وبشّر بالعفو والغفران ذكر في هذه انه ليس على الرسول إلا البلاغ .

وأما القبول والامتثال فانه متعلق بالمكلفين المبعوث اليهم .

اللغة :

وأصل الرسول الاطلاق من قولهم أرسل الطير إرسالا إذا أطلقه ومنه قولهم ترسل في القراءة ترسّلا اذا تثبت . واسترسل الشيء إذا تسلل وانطلق . وراسله مراسلة وتراسلوا تراسلا . والرسل اللبن لاسترساله من الضرع . وفي الحديث اعطي من رسلها . وقوله : « والمرسلات عرفا » (١) قيل : هي الخيل . وقيل هي الرياح . والفرق بين الرسول والنبي أن النبي لايكون إلا صاحب المعجز الذي ينبيء عن الله أي يخبر ، والرسول اذا كان رسول الله فهو بهذه الصفة وقد يكون الرسول رسولا لغير الله فلا يكون بهذه الصفة . والانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ . والارسال لايكون الا بتحميل الرسالة . والبلاغ وصول المعنى الى غيره ، وهو هاهنا وصول الانذار الى نفوس (٢) المكلفين وأصل البلاغ البلوغ تقول بلغ يبلغ بلوغا وابلغه ابلاغا وتبلغ تبلغاً وبالغ مبالغة وبلغه تبليغاً . ومنه البلاغة لانها إيصال المعنى

(١) سورة المرسلات آية ١

(٢) في المطبوعة الى « نفر » بدل « نفوس »

الى النفس في حسن صورة من اللفظ . وتبالغ الرجل اذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ وفي هذا بلاغ أي كفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة.

المعنى

« والله يعلم ماتبدون وماتكتمون » معناه أنه لايخفى عليه شيء من احوالكم التي تظهرونها او تخفونها وتكتمونها وفي ذلك غاية التهديد والزجر .

قوله تعالى:

قُل لَا يَستَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ولو أعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبِيثِ وَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلبَابِ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ (١٠٣) آية

اللغة :

معنى قوله لايستوي لايتساوى . والاستواء على أربعة اقسام : استواء في المقدار . واستواء في المكان . واستواء في الذهاب . واستواء في الانفاق . والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء في المكان ، لأنه تمكن واقتدار وقوله « الخبيث والطيب » قيل في معناهما قولان :

احدهما - الحرام ، والحلال في قول الحسن وابي علي .

الثاني - قال السدي الكافر ، والمؤمن . والخبيث الردي بالعاجلة ويسوى بالآجلة . (١) ومنه خبث الحديد ، وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده ففي الخبيث امتزاج جيد برديء ولذلك قال « ولو اعجبك كثرة الخبيث » والاعجاب سرور بما يتعجب منه . والعجب والاعجاب والتعجب من اصل واحد . وعجب يعجب عجباً والعجب مذموم ، لانه كبر يدخل النفس بحال يتعجب منها . وعجب الذنب أصله عجوب الرمل او آخره لانفراده عن جملته كانفراد مايتعجب منه .

(١) في المخطوطة (وبؤ الاجلة) بدل (وسوى بالآجلة) .

المعنى :

ومعنى الآية أنه لا يتساوى الحرام والحلال وان اعجبك يا محمد كثرة ما تراه من الحرام والمراد به امته . وقوله «فاتقوا الله» معناه اجتنبوا ما حرمه عليكم «يا أولي الالباب» يعني يا أولي العقول «لعلكم تفلحون» معناه لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم الدائم .

قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم (١٠٤) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٥) آيتان بلا خلاف .

سبب النزول

قيل في سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما ـ قال ابن عباس وأنس وابو هريرة والحسن وقتادة وطاوس والسدي: انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله رجل يقال له عبد الله وكان يطعن في نسبه فقال : يارسول الله من أبي ، فقال له حذافة . فنزلت الآية . وقال أبو هريرة ومجاهد : نزلت حين سألوا عن أمر الحج لما انزل « ولله على الناس حج البيت » فقالوا: في كل عام ؟ قال : لا ولو قلت نعم لوجب . وقال قوم وقع السؤال الأول ، والثاني في مجلس واحد ، فخاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين ، ونهاهم عن مسألة الاشياء التي إذا أبديت وأظهرت ساءت واحزنت من أظهرت له

اللغة :

يقال بدا يبدوا بدواً. وابداه إبداء إذا اظهره وبداله في الأمر بدواً وبداً وبداء إذا تغير رأيه ، لأنه ظهر له . والبادية خلاف الحاضرة . والبدو خلاف الحضر من الظهور .

وقيل في وزن اشياء ثلاثة أقوال :

قال الكسائي : هو افعال إلا انه لم يصرف ، لأنهم شبهوه بحمراء فالزمه الزجاج ألا يصرف اسماء ولا انباء .

الثاني ـ قال الاخفش والفراء هي فعلاء كقولك هين وأهوناء فالزمه المازني وقال سله كيف يصغرها؟ فقال الاخفش اشياء فقال يجب ان يصغرها شيئآت كما يصغر اصدقاء في المؤنث صديقات في المذكر صديقون . قال الزجاج إنما قيل في هين أهوناء لأن هين اصله هيين على وزن فعيل فجمع على أفعلاء كنصب وانصباء .

الثالث ـ قال الخليل وسيبويه افعاء مقلوبة كما قلبوا انيق عن انوق وقسي عن قؤوس .

المعني :

وقوله « تسؤكم » معناه تحزنكم . وقوله « عفا الله عنها والله غفور رحيم » قيل فيما يعود الضمير اليه في (عنها) قولان :

احدهما ـ قال قوم على المسألة ، لان قوله « لاتسألوا » دليل عليها فيكون العفو عن مسألتهم التي سلفت منهم .

الثاني ـ على الأشياء التي سألوا عنها من امور الجاهلية ، وما جرى مجراها مما يسؤهم تشديد المحنة فيها .

وقوله « قد سألها قوم من قبلكم » قال ابن عباس سأل قوم عيسى (عليه السلام) إنزال المائدة ثم كفروا بها . وقال غيره هم قوم صالح سألوا الناقة

ثم عقروها ، وكفروا بها . وقال السدي هذا حين سألوا أن يحول لهم الصفا ذهباً . وقال أبو علي إنما كانوا سألوا نبيهم عن مثل هذه الأشياء يعني من آيات ونحوها فلما أخبرهم النبي (عليه السلام) قالوا ليس الأمر كذلك ، فكفروا به .

وقال الرماني السؤال هو طلب الشيء إما بإيجاده واما باحضاره واما بالبيان عنه والذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه من امر دين أودنيا وما لايجوز العمل عليه من امر دين او دنيا لايجوز السؤال عنه ،ولا يجوز أن يسأل الله تعالى شيئاً إلا بشرط انتفاء وجود القبح عن الاجابة ، فعلى هذا لايجوز ان يسأل الانسان : من أبي لان المصلحة اقتضت ان من ولد على فراش إنسان حكم بانه ولده. وان لم يكن مخلوقاً من مائه فالمسألة بخلافه سفه لايجوز .

قوله تعالى :

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

(١٠٦) آية بلا خلاف

المعنى :

هذه الآية من الادلة الواضحة على بطلان مذهب المجبرة من قولهم من أن الله تعالى هو الخالق للكفر والمعاصي وعبادة الاصنام وغيرها من القبائح ، لانه تعالى نفى أن يكون هو الذي جعل البحيرة أو السائبة او الوصيله او الحام ، وعندهم أن الله تعالى هو الجاعل له والخالق تكذيباً لله تعالى وجراءة عليه . ثم بين تعالى أن هؤلاء بهذا القول قد كفروا بالله وافتروا عليه بان اضافوا اليه ماليس بفعل له ، وذلك واضح لا إشكال فيه . ومعنى « ماجعل الله من بحيرة » أي ماحرمها على ما حرمها أهل الجاهلية ، ولا أمر بها .

اللغة .

و (البحيرة) هي الناقة التي تشق اذنها يقال بحرت الناقة أبحرها بحراً ، والناقة مبحورة ، وبحيرة : إذا شققتها شقاً واسعاً ، ومنه البحر لسعته . وكانت الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها ذكراً بحروا اذنها أي شقوها ، وامتنعوا من ركوبها وذبحها ، ولم تطرد عن ماء ، ولم تمنع من رعي . واذا لقيها المعيي (١) لم يركبها .

و (السائبة) المخلاة وهي المسيبة وكانوا في الجاهلية اذا نذر انسان نذراً لقدوم من سفر او برء من مرض او ما اشبه ذلك قال ناقتي سائبة ، فكانت كالبحيرة في التخلية ، وكان اذا اعتق الانسان عبداً ، فقال هو سائبة لم يكن بينهما عقل ، ولا ولاء ، ولا ميراث .

و (الوصيلة) الانثى من الغنم اذا ولدت مع الذكر ، قالوا اوصلت اخاها فلم يذبحوه . وقال أهل اللغة كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم ، واذا ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم في زعمهم واذا ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه لآلهتهم .

و (الحام) الفحل من الابل الذي قد حمى ظهره أن يركب بتتابع أولاد تكون من صلبه وكانت العرب إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه شيء ولا يمنع من ماء ، ولا مرعى . وقال محمد بن اسحق البحيرة بنت السائبة و (السائبة) هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف . فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم يخلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها . و (الوصيلة) هي الشاة اذا أتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة

(١) المعيي : هو الذي اعياه التعب .

أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة ، وقالوا قد وصلت وكان ماولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث .

المعنى :

وقوله « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » أخبار منه تعالى بان هؤلاء الذين كفروا يكذبون على الله بادعائهم أن هذه الاشياء من فعل الله أو بامره وقوله « وكثرهم لايعقلون » [خص الاكثر بانهم لايعقلون لانهم أتباع ، فهم لايعقلون] (١) أن ذلك كذب وافتراء كما يفعله الرؤساء في قول قتادة ، والشعبي وقال ابو علي « اكثرهم لايعقلون » ما أحل لهم وما حرم عليهم يعني أن المعاند هو الأقل منهم .

قوله تعالى :

وَإِذا قيلَ لَهُمْ تَعالَوا إِلى ما أَنزلَ اللهُ وَإِلى الرَّسولِ قالوا حَسبُنا ما وَجدْنا عَليهِ آباءَنا أَولو كانَ آباؤُهُمْ لا يَعلَمونَ شَيئاً وَلا يَهتدونَ (١٠٧) آية بلا خلاف

المعنى :

اخبر الله تعالى عن الكفار الذين أخبر عنهم انهم لايعقلون ، والذين جعلوا البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، و « الذين يفترون على الله الكذب » من كفار قريش وغيرهم من العرب بأنه إذا قيل لهم تعالوا أي هلموا إلى ما أنزل الله من القرآن واتباع مافيه ، والاقرار بصحته ، والى الرسول ، وتصديقه ، والاقتداء به ، وبافعاله ، قالوا في الجواب عن ذلك حسبنا اي كفانا ماوجدنا عليه آباءنا يعني مذاهب آبائنا ، ثم اخبر تعالى منكراً عليهم ، فقال « اولو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

ولا يهتدون» [أي انهم يتبعون آباءهم في ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان وان كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً من الدين ولا يهتدون اليـــه] (١) . وقيل في معنى (لا يهتدون) قولان احدهما ـ الذم بأنهم ضلال . والثاني أنهم لا يهتدون الى طريق العلم بمنزلة العمي عن الطريق .

وفي الآية دلالة على فساد التقليد ، لأن الله تعالى انكر عليهم تقليد الآباء فدل ذلك على انه لا يجوز لاحد ان يعمل على شيء من امر الدين الا بحجة .

وفيها دلالة على وجوب المعرفة وأنهـا ليست ضرورية ، لأن الله تعـالى بين الحجاج عليهم في هذه الآية ليعرفوا صحة ما دعا الرسول اليه ، ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم وكان يجب أن يكون آباؤهم ايضاً عارفين ضرورة ولو كانوا كذلك لما صح الاخبار عنهم بانهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون . وانما نفى عنهم الاهتداء والعلم معاً لان بينهما فرقاً ، وذلك ان الاهتداء لا يكون الا عن بيان وحجة . والعلم مطلق وقد يكون الاهتداء ضرورة .

قوله تعالى :

يا أيُّها الذينَ آمَنوا عليكمْ أنفُسكمْ لا يضرّكمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهتَدَيتمْ إلى اللهِ مَرجِعكمْ جَميعاً فَينبئُكمْ بِما كُنتمْ تعملونَ (١٠٨)

آية واحدة بلا خلاف

المعنى :

لما بين الله تعالى حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم واسـلافهم وركنوا اليهم في اديانهم ذكر في هذه الآية أن المكلف انما يلزمه حكم نفسه وانه لا يضره ضلال من ضل اذا كان هو مهتدياً حتى يعلم بذلك أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم بشيء من الذم والعقاب .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

الاعراب واللغة :

و « أنفسكم » نصب على الاغراء كأنه قال احفظوا انفسكم أن تزلوا كما زل غيركم والعرب تغري بـ (عليك، واليك ودونك وعندك .)، فينصبوا الاسماء بها ولم يغروا بمنك كما أغروا باليك، لأن اليك احق بالتنبيه من منك . والاغراء تنبيه على مايحب ان يحذر، ولذلك لم يغروا بـ (فيك) ونحوها من حروف الاضافة . وحكى المغربي انه سمع من يغري بـ (وراءك) و (قدامك)

المعنى :

وليس في الآية مايدل على سقوط انكار المنكر . وانما يجوز الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله في حال التقية، هذا قول ابن مسعود على ان الانسان إنما يكون مهتدياً إذا اتبع امر الله في نفسه وفي غيره بالانكار عليه . وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال اذا رأوا الناس منكراً فلم يغيروه عمهم الله بالعقاب.

وفي الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة في تعذيب الاطفال ، لأنه لوكان الامر على ماقالوه لم يأمن المؤمنون ان يؤخذوا بذنوب آبائهم وقد بين الله تعالى أن الامر بخلافه مؤكداً لما في العقل .

وقوله «الى الله مرجعكم جميعاً » معناه اليه تعالى مآلكم في الوقت الذي لايملك احد الضرر والنفع سواه بخلاف دار الدنيا التي مكن الله تعالى الخلق من الضرر والنفع فيها .

وقوله « فينبئكم » معناه يخبركم باعمالكم التي عملتموها في الدنيا من الطاعات والمعاصي، ويجازيكم بحسبها وفي ذلك غاية الزجر والتهديد .

الاعراب :

وقوله « لايضركم » يحتمل أن يكون جزما لانه جواب الأمر وحرك الراء

لانها ثقيلة واولها ساكن ، فلا يستقيم إسكان آخرها فيلتقي ساكنان . قال الاخفش والأجود ان يكون رفعاً على الابتداء ، لأنه ليس بعلة لقوله « عليكم انفسكم » وانما أخبر أنه لايضرهم .

قوله تعالى :

يا أيُّها الَّذينَ آمنوا شَهادَةُ بَينكمْ إذا حَضرَ أحدَكمُ المَوْتُ حينَ الوَصيَّةِ إثنانِ ذوا عدلٍ منكمْ أو آخرانِ منْ غيرِكم إنْ أنتمْ ضَربتمْ في الأرضِ فأصابَتكمْ مُصيبَةُ المَوتِ تحبِسونَهُما منْ بَعدِ الصَّلاةِ فيُقسِمانِ باللهِ إنِ ارتَبتُمْ لا نَشتَري بِهِ ثَمَناً ولَوْ كانَ ذا قُربى ولا نَكتُمُ شَهادَةَ اللهِ إنا إذاً لَمِنَ الآثِمينَ (١٠٩) آية بلاخلاف

سبب النزول :

ذكر الواقدي وابو جعفر (عليه السلام) أن سبب نزول هذه الآية ماقال اسامة بن زيد عن ابيه قال كان تميم الداري واخوه عدي نصرانيين وكان متجرهما الى مكة ، فلماهاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى المدينة قدم ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجراً فخرج هو وتميم الداري واخوه عدي حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابي مارية فكتب وصية بيده ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلي ، فلما مات فتحا المتاع وأخذا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال إلى الورثة ، فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم ، ونظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً وكلموا تميما وصاحبه ، فقالا لاعلم لنا به وما دفعه الينا أبلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبي (عليه السلام) فنزلة هذه الآية .

المعنى :

قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » قيل في معنى الشهادة هاهنا ثلاثة أقوال :

احدها ـ الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكام

الثاني ـ شهادة الحضور لوصيين .

الثالث ـ شهادة ايمان بالله اذا ارتاب بالوصيين من قول القائل اشهد بالله إني لمن الصادقين .

والأول أقوى واليق بالقصة .

وفي كيفية الشهادة قيل قولان : .

أحدها ـ أن يقول صحيحاً كان او مريضاً اذا حضرني الموت فافعلوا كذا وكذا . ذكره الزجاج

الثاني ـ اذا حضرت اسباب الموت من المرض .

وقيل في رفع « شهادة » ثلاثة أقوال : احدها ـ ان يكون رفعاً بالابتداء وتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين ويرتفع اثنان بانه خبر الابتداء ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال ابو علي الفارسي واتسع في (بين) واضيف اليه المصدر وذلك يدل على قول من يقول ان الظرف الذي يستعمل يجوز ان يستعمل اسما في غير الشعر كما قال تعالى « لقد تقطع بينكم » فيمن رفع. وجاء في الشعر :

فصادف بين عينيه الجبوبا (١)

الثاني ـ على تقدير محذوف وهو عليكم شهادة بينكم او مما فرض عليكم شهادة

---

(١) قائله ابو خراش الهذلي . اللسان (بين) وصدره :

فلا قته ببلقعة براح

يصف عقاباً . والجبوب ـ بفتح الجيم . وجه الارض . والبلقع المكان الخالي . وبراح صفة له . والشاهد ضم النون في (بين) .

بينكم ، ويرتفع اثنان [بالمصدر ارتفاع الفاعل بفعله .

والثالث ـ ان يكون الخبر « اذا حضر » فعلى هذا لايجوز ان يرتفع اثنان بالمصدر] (١) ، لانه خارج عن الصلة بكونه بعد الخبر لكن على تقدير لايشهد اثنان ولا يجوز أن يتعلق إذا حضر بالوصية لامرين :

احدهما ـ ان المضاف اليه لايعمل فيما قبل المضاف ، لأنه لو عمل فيما قبله للزم أن يقدر وقوعه في موضعه ، فاذا قدر ذلك لزم تقديم المضاف اليه على المضاف ، ومن ثم لم يجز القتال زيداً حين يأتي .

والآخر ان الوصية مصدر ، فلا يتعلق به مايتقدم عليه .

وقوله « اذا حضر احدكم الموت » يعني قرب أحدكم من الموت كما قال « حتى اذاحضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن » (٢) وقال « حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا » (٣) وقال « حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون » (٤) وكل ذلك يريد به المقاربة . ولولا ذلك لما استند اليه القول بعد الموت .

وقوله « حين الوصية » فلا يجوز ان يحمل على الشهادة ، لأنها اذا عملت في ظرف من الزمان لم تعمل في ظرف آخر منه ، ويمكن حمله على احد ثلاثة اشياء :

احدها ـ أن تعلقه بالموت كان الموت في ذلك الحين بمعنى قرب منه .

الثاني ـ على حضر أي إذا حضر : هذا الحين .

الثالث ـ أن يحمله على البدل من إذا ، لأن ذلك الزمان في المعنى هو ذلك الزمان فيبدله منه ، ويكون بدل الشيء من الشيء اذا كان إياه .

وقوله « اثنان ذواعدل منكم » خبر المبتدا الذي هو شهادة وتقديره شهادة بينكم شهادة اثنين على ما بيناه ، لان الشهادة لاتكون الا من اثنين .

وقوله « منكم » صفة لقوله « اثنان » كما ان (ذوا عدل) صفة لهما ، وفي الظرف ضمير .

وفي معنى « منكم » قولان :

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة (٢) سورة النساء آية ١٧

(٣) سورة الانعام آية ٦١ (٤) سورة المؤمنون آية ١٠٠

احدهما ـ [قال سعيد بن المسيب ، وعبيدة . ويحيى بن يعمر ، ومجاهد وقتادة وابن عباس : أي من المسلمين ، وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله (ع)](١)

الثاني ـ قال سعيد بن المسيب وعبيدة في رواية اخرى وعكرمة انهما من حي الموصى . والأول أظهر واصح ، وهو اختيار الرماني ، لأنه لاحذف فيه . وقوله « أو آخران من غيركم » تقديره او شهادة آخرين من غيركم وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه . ومن غيركم صفة للآخرين . وقيل في معنى « من غيركم » قولان:

احدهما ـ قال ابن عباس وابو موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير وشريح وابراهيم وابن سيرين ومجاهد وابن زيد واختاره ابو علي الجبائي ، وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله (ع) أنهما من غير اهل ملتكم .

الثاني ـ قال عكرمة وعبيدة بخلاف عنه وابن شهاب والحسن يعني من غير عشيرتكم . قال الحسن لأن عشيرة الموصي اعلم باحواله من غيرهم ، وهو اختيار الزجاج . قال لأنه لايجوز قبول شهادة الكفار مع كفرهم ، وفسقهم ، وكذبهم على الله ومعنى (أو) هاهنا للتفصيل لاللتخيير ، لأن المعنى اوآخران من غيركم إن لم تجدوا منكم ، وهو قول عبيدة وشريح ويحيى بن يعمر وابن عباس وابراهيم وسعيد بن جبير والسدي ، وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله (ع)

وقال قوم هو بمعنى التخيير فيمن ائتمنه الموصي من مؤمن أو كافر .

وقوله « ان انتم ضربتم في الارض » يعني إن انتم سافرتم كما قال « واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » (٢)

وقوله « فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة » فيه محذوف ، وتقديره وقد اسندتم الوصية اليهما فارتاب الورثة بهما تحبسونهما .

وقوله « تحبسونهما » خطاب للورثة والهاء في به تعود الى القسم بالله . والصلاة

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) سورة النساء آية ١٠٠

المذكورة في هذه الآية قيل فيها ثلاثة اقوال :

أولها ـ قال شريح وسعيد بن جبير وابراهيم وقتادة ، وهو قول أبي جعفر (ع) أنها صلاة العصر .

الثاني ـ قال الحسن هي الظهر أو العصر ، وكل هذا التعظيم حرمت وقت الصلاة على غيره من الاوقات . وقيل لكثرة اجتماع الناس كان بعد الصلاة العصر .

الثالث ـ قال : ابن عباس صلاة اهل دينها يعني في الذميين لأنهم لا يعظمون اوقات صلاتنا .

وقوله « فيقسمان بالله » الفاء دخلت لعطف جملة (ان ارتبتم) في قول الآخرين الذين ليسا من اهل ملتنا أو من غير قبيلة الميت فغلب في ظنكم خيانتهم ، ولا خلاف ان الشاهد لا يلزمه اليمين إلا ان يكونا شاهدين على وصية مستندة اليهما فيلزمهما اليمين لانهما مدعيان .

وقوله « لا نشتري به ثمناً » لا نشتري جواب ما يقتضيه قوله « فيقسمان » لان (اقسم) ونحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان . ومعنى قوله « لا نشتري به ثمنا » لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا ، فحذف المضاف وذكر الشهادة ، لان الشهادة قول كما قال « واذا حضر القسمة اولوا القربى » ثم قال « فارزقوهم منه » (١) لما كان القسمة يراد بها المقسوم ، ألا ترى أن القسمة التي هي افراد الانصباء لا يرزق منه . وانما يرزق من التركة ، وتقديره ، لا نشتري به ثمناً أي ذا ثمن الا ترى أن الثمن لا يشترى ، وانما الذي يشترى المبيع دون ثمنه ، وكذلك قوله « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا » (٢) أي ذا ثمن . والمعنى انهم آثروا الشيء القليل على الحق ، فاعرضوا عنه وتركوه ، ولا يكون اشتروا في الآية بمعنى باعوا ، لأن بيع الشيء اخراج وانفاذ له من البائع وليس المعنى هاهنا على الانفاذ وانما هو على التمسك به ، والايثار له على الحق .

وقوله « ولو كان ذا قربى » تقديره ولو كان المشهود له ذا قربى وخص ذوا القربى لميل الناس الى قراباتهم ، ومن يناسبونه .

« ١ » سورة النساء آية ٧ « ٢ » سورة التوبة آية ١٠

وقوله «ولا نكتم شهادة الله انا إذاً لمن الآثمين» معناه انا ان كتمناها لمن الآثمين. وقال شهادة الله فاضاف الشادة الى الله لأمره بها وباقامتها، والنهي عن كتمانها في قوله «ومن يكتمها فانه آثم قلبه» (١) وقوله «واقيموا الشهادة لله» (٢).

قوله تعالى :

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١١٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ حفص والاعشى إلا النفار والكسائي عن ابي بكر « استحق » بفتح التاء والحاء الباقون بضم التاء وكسر الحاء . والابتداء على الأول بكسر الهمزة . وقرأ حمزة وابو بكر الا الاعشى في غير رواية النفار ويعقوب ، وخلف (الاولين) بتشديد الواو ، وكسر اللام وفتح النون على الجمع . والباقون بسكون الواو ، وفتح اللام وكسر النون على التثنية .

النزول :

وقد ذكرنا سبب نزول الآية عمن رويناه عنه فذكروا انها نزلت في امر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يستحلفوهما والله ماقبضنا له غير هذا ، ولا كتمناه. ثم ظهر على اناء من فضة منقوش مذهب معهما ، فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه فارتفعوا الى رسول الله فنزلت قوله تعالى : « فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق . . » فامر رسول الله رجلين من اهل

(١) سورة البقرة آية ٢٨٣.
(٢) سورة الطلاق آية ٢.

البيت أن يحلفا على ما كتما وغيبا ، فحلف عبد الله بن عمرو (١) والمطلب بن أبي وداعه (٢) فاستحقا. ثم ان تميما اسلم وتابع رسول الله وكان يقول صدق الله وبلغ رسول الله أنا أخذت الاناء .

اللغة :

ومعنى (عثر) ظهر على تقول عثرت على خيانته واعثرت غيري على خيانته أي اطلعته . ومنه قوله « وكذلك أعثرنا عليهم » (٣) أي اطلعنا عليهم واصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل يعثر عثوراً إذا وقع اصبعه بشيء صدمته ، وعثر الفرس عثاراً قال الشاعر :

بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان أقول لعا (٤)

وعثر الرجل يعثر عثراً إذا اطلع على امر كان خفيفاً عنه ، لانه وقع عليه بعد خفائه ، والعثير الغبار الساطع لانه يقع على الوجه وغيره ، والعثير الاثر الخفي ، لأنه يوقع عليه عن خفاء .

المعنى :

وقوله : « على انهما » يعني على ان الوصيين المذكورين اولا في قوله « إثنان » في قول سعيد بن جبير. وقال ابن عباس : على الشاهدين استحقا إثما يعني خانا وظهر وعلم منهما ذلك « فآخران يقومان مقامهما » يعني من الورثة في قول سعيد بن جبير [وغيره . و « من الذين استحق عليهم الاوليان » قيل في قوله « الاوليان » ثلاثة قوال:

---

(١) وقد روي فقام عمر بن العاص ورجل آخر فحلفا . . .

(٢) في بعض النسخ ﴿ ابن ابي رفاعة ﴾ بدل ﴿ ابن ابي وداعة ﴾ .

(٣) سورة الكهف آية ٢١

(٤) قائله الاعشى : ميمون بن قيس . ديوانه : ٨٣ . ﴿ اللوث ﴾ : القوة و (عفرناة) ـ بفتح العين والفاء ـ يصف بها الناقة بانها شبه المجنونة في السير . و (التعس) العثور . و (لعا) كلمة تقال للعاثر .

احدها ـ قال سعيد بن جبير [(١)] وابن زيد الأوليان بالميت . الثاني قال ابن عباس وشريح الأوليان بالشادة وهي شهادة الايمان . الثالث قال الزجاج الاوليان ان يحلفا غيرهما وهما النصرانيان .

اللغة والاعراب :

ويقال هو الاولى بفلان ثم يحذف بفلان فيقال هو الاولى، وهذان الاوليان كما يقال هو الاكبر بمعنى الكبير وهذان الاكبران. وفي رفع الاوليان ثلاثة اقوال :

احدها ـ بانه اسم مالم يسم فاعله والمعنى استحق عليهم اثم الاولين أي استحق منهم ، فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه.

الثاني ـ بانه بدل من الضمير « في يقومان » على معنى فليقم الاوليان من الذين استحق عليه الوصية وهو اختيار الزجاج .

الثالث ـ بدل من قوله « آخران » . وزعم بعض الكوفيين انه لايجوز ابداله من آخرين لتأخر العطف في (فيقسمان)، لانه يصير بمنزلة مررت برجل قام زيد وقعد. قال الرماني يجوز على العطف بالفاء جملة على جملة . وقال ابوعلي الفارسي يجوزان يكون رفعاً بالابتداء وقد أخر. وتقديره فالاوليان بأمر الميت آخران من اهله او من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر عليهما كقولك تميمي انا . ويجوز ان يكون خبر ابتداء محذوف وتقديره فآخران يقومان مقامهما هما الاوليان . واختار ابو الحسن الاخفش ان يكون الاوليان صفة لقوله « فآخران » ،لأنه لما وصف اختص . فوصف لأجل الاختصاص بما توصف به المعارف . واما الجمع فعلى اتباع «الذين» وموضعه الجر وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء والاثم . وانما قيل لهم الاولين من حيث كانوا أولين في الذكر الا ترى أنه قد تقدم « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » وكذلك « إثنان ذوا عدل منكم » ذكرا في اللفظ ،قيل قوله « أو آخران من غيركم » وحجتهم في ذلك أن قالوا ارأيت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة .

اذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت وان كانا لو كانا كبيرين كانا اولى به. وانما قال «استحقا إثما» لان آخذه انما يأخذه آثم فسمي إثما كما يسمى ما يؤخذ منك بغير حق مظلمة. قال سيبويه المظلمة اسم ما أخذ منك قهراً وكذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر. وقيل معناه استحقا عذاب إثم وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال « اني اريد ان تبوء بأثمي وإثمك » (١) اي بعقاب أثمي وعقاب اثمك .

المعنى والاعراب :

وقيل في معنى (عليهم) ثلاثة اقوال: احدها ـ ان تكون (على) بمعنى (من) كأنه . قال من الذين استحق منهم الاثم كما قال « إذا اكتالوا على الناس » (٢) أي من الناس .

الثاني ـ ان يكون المعنى كما تقول استحق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ماولياء من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجها منها مستحقاً عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه .

الثالث ـ أن تكون (على) بمنزلة (في) كأنه استحق فيهم ، وقام (على) مقام (في) كما قام (في) مقام (على) في قوله « ولاصلبنكم في جذوع النخل » (٣) والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا .

فان قيل هل يجوز ان يسند استحق فيه الى الاوليان ؟ قلنا لايجوز ذلك لان المستحق انما يكون الوصية او شيء منها ولا يجوز ان يستحق الاوليان وهما الاوليان بالميت والاوليان بالميت لايجوز ان يستحقا فيسند استحق اليهما .

وقوله « فيقسمان بالله » أي يحلفان بالله وقوله « لشهادتنا أحق من شهادتهما »

---

(١) سورة المائدة ٣٢　　(٢) سورة المطففين آية ٢

(٣) سورة طه آية ٧١

جواب القسم في قوله « فيقسمان بالله » وقوله « وما اعتدينا » يعني فيما قلنا من ان شهادتنا احق من شتهادتها « انا إذا لمن الظالمين » تقدره إنا ان اعتدينا لمن الظالمين لنفوسنا . قال الزجاج هذه الآية أصعب آية في القرآن إعراباً، فان قيل كيف يجوز أن يقف اولياء الميت على كذب الشاهدين او خيانتهما حتى حل لهما ان يحلفا ؟ قيل يجوز ذلك بوجوه أحدها ان يسمعا اقرارهما بالخيانة من حيث لا يعلمان او يشهد عندهم شهود عدول بانهم سمعوهما يقران بانهما كذبا او خانا اوتقوم البينة عندهما على انه أوصى بغير ذلك اوعلى ان هذين لم يحضرا الوصية اويعرفان بغير ذلك من الاسباب.

قوله تعالى :

ذٰلِكَ أَدنىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ عَلىٰ وَجْهِها أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاسْمَعُوا وَاللّٰهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ (١١١) آية بلا خلاف

المعنى :

قوله «ذلك ادنى» معناه ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي حقها وصدقها لان اليمين يردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين . واختلفوا في ان اليمين هل تجب على كل شاهدين ام لا ، فقال ابن عباس انما هي على الكافر خاصة وهو الصحيح . وقال غيره هي على كل شاهدين وصيين اذا ارتيب بهما. واختلفوا في نسخ حكم الآيتين المتقدمتين مع هذه على قولين: فقال ابن عباس وابراهيم وابو علي الجبائي هي منسوخة الحكم. [وقال الحسن وغيره هي غير منسوخة . وهو الذي يقتضيه مذهبنا واخبارنا] . (١) وقال البلخي اكثر أهل العلم على انه غير منسوخ ، لانه لم ينسخ من سورة المائدة شيء لانها آخر ما نزلت . ووجه قول من قال هي منسوخة ان اليمين لا يجب اليوم على الشاهدين بالحقوق . وانما

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

كان قبل الامر باشهاد العدول في قوله « واشهدوا ذوي عدل منكم » (١) فنسخت هذه الآية ودلت على ان شهادة الذمي لاتقبل على الذمي اذا ارتفعا الى حكام المسلمين لان الذمي ليس بعدل ولا ممن يرضى من الشهداء وهو قول ابي علي الجبائي . ومن ذهب الى انها منسوخة جعلها بمعنى شهادة الايمان على الوصيين فاذا ظهروا على خيانة منهما مما وجد في ايديهما صارا مدعيين وصار الورثة في معنى المنكر فوجبت عليهما اليمين من حيث صارا مدعيين (٢) وقوله « اويخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم » يعني اهل الذمة يخافوا ان ترد ايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم فيفتضحوا ويغرموا وينكشف بذلك للناس بطلان شهادتهم ويسترد منهم ما أخذوه بغير حق ، حينئذ يؤدوا الشهادة على وجهها ويحذروا من الكذب . وقوله « واتقوا الله واسمعوا » يعني اجتنبوا معاصيه واحذروا ان تحلفوا ايماناً كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا مواعظ الله « والله لايهدي القوم الفاسقين » يعني لايهدي الفاسقين ـ الذين خرجوا من طاعة الله الى معصيته ـ الى الجنة . وقيل ان معنى لايهدي لايحكم للفاسقين بانهم مهتدين ولايجري عليهم مثل هذه الصفه لانها صفة مدح .

قوله تعالى :

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٢) آية واحدة

الاعراب :

فيما ينتصب به قوله « يوم » ؟ قيل فيه ثلاثة قوال : احدها ـ إنه انتصب بمحذوف تقديره احذروا « يوم يجمع الله الرسل » الثاني ـ اذكروا يوم يجمع الله. الثالث ـ قال الزجاج: ينتصب بقوله « اتقوا الله » .وقال المغربي يتعلق بقوله « لايهدي

(١) سورة المائدة آية ٩٨ (٢) هكذا في الاصل وهو كما ترى لايليق بمذهبنا

القوم الفاسقين » الى الجنة « يوم يجمع الله » ولا يجوز ان ينتصب على الظرف لهذا الفعل ، لأنهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم ، لكن انتصب على انه مفعول به. واليوم لا يتقى ولا يحذر ، وإنما يتقي ما يكون فيه من العقاب والمحاسبة والمناقشة كأنه قال اتقوا عقاب يوم ، وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه .

المعنى :

وقوله « ما ذا اجبتم » تقرير للرسل في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم وهتك أستارهم على رؤوس الاشهاد .

وقول الرسل « لا علم لنا » قيل فيه ثلاثة اقوال :

أولها ـ قال الحسن والسدي ومجاهد أنهم قالوا ذلك لذهولهم من هول ذلك المقام . فان قيل كيف يجوز ذهولهم مع انهم آمنون لا يحزنهم ؟ كما قال « لا يحزنهم الفزع الاكبر » (١) وقال « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) قيل إن الفزع الاكبر دخول جهنم . وقوله « ولا خوف عليهم » هو كقولك للمريض لا خوف عليك ، ولا باس عليك مما يدل على النجاة من تلك الحال وخالف ابو علي في هذا ولم يجز الا ما نحكيه عنه .

الثاني ـ قال ابن عباس ، ومجاهد في رواية اخرى إن معناه لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه .

الثالث ـ قال الحسن في رواية اخرى وابو علي الجبائي ان معناه لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا ، لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء .

وقال بعضهم معناه لا علم لنا مع علمك اي ليس عندنا شيء مما نعلمه الا وانت عالم به وبكل ما غاب وحضر بدلالة قوله « انك أنت علام الغيوب »

وقيل في معنى قوله « انك انت علام الغيوب » قولان : احدهما ـ انه قال علام للمبالغة هاهنا لا للتكثير المعلوم .

« ١ » سورة الانبياء ١٠٣　　« ٢ » سورة آل عمران آية ١٧٠ وغيرها كثير .

قوله تعالى :

﴿إذ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مَريمَ اذكُرْ نِعمتي عَليكَ وعَلى والِدَتِكَ إذْ أيَّدْتُكَ بِروحِ القُدُسِ تُكلِّمُ الناسَ في المَهدِ وكَهلاً وإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكمَةَ والتوراةَ والإنجيلَ وإذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهيئَةِ الطَّيرِ بإذني فَتَنفخُ فِيها فَتكونُ طيراً بإذني وتُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ بإذني وإذْ تُخرِجُ المَوتى بإذني وإذ كَفَفتُ بَني إسرائيلَ عَنكَ إذْ جِئتَهُمْ بالبَيِّناتِ فَقالَ الذينَ كَفَروا مِنهُمْ إنْ هذا إلا سِحرٌ مُبينٌ﴾(١١٣) آية بلاخلاف

القراءة :

قرأ حمزة والكسائي وخلف « ساحر » بالف هاهنا وفي أول سورة يونس ، وفي هود ، وفي الصف . واقفهم ابن عامر (١) وعاصم في يونس .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه من صفة يوم القيامة كما ان ماقبله من صفتها ومن خطاب الرسل بالمسألة والتذكير بالنعمة لتوبيخ من يستحق التوبيخ من امهم وتبشير من يستحق البشارة منهم .

الاعراب والمعنى :

العامل في (إذ) يحتمل احدامرين : احدها الابتداء عطفاً على قوله « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم » قال وذلك « اذ قال » فيكون موضعه رفعاً كما يقول القائل كانك بنا قد وردنا بلد كذا فصنعنا فيه وفعلنا اذ صاح بك صائح فاجبته وتركتني

(١) في المطبوعة « ابن كثير » بدل (ابن عامر)

الثاني ـ اذكر اذ قال الله . وقال بعضهم ان معناه ماذا أجبتم على عهد عيسى. قال الرماني هذا غلط ، لانه من صفة يوم القيامة وعندي لا يمتنع ان يكون المراد بذلك اخبار النبي (عليه السلام) اذ قال الله لعيسى بن مريم اذكر أي اخبر قومك ما انعمت به عليك وعلى امك [واشكر ذلك اذ أيدتك بروح القدس. وروح القدس هو جبرائيل](١) وحسن قوله « اذ قال » ولم يقل (يقول) لانه عطف على ماقبله لانه قدم ذكر الوقت . وتأييد الله هو ماقواه به واعانه على امور دينه وعلى رفع ظلم اليهود والكافرين عنه .

اللغة :

ووزن « أيدتك » فعلتك من الايد على وزن قربتك . وقال الزجاج يجوز أن يكون فاعلتك من الايد . وقرأ مجاهدا أيدتك على وزن افعلتك من الايد . وروح القدس جبرائيل قال الحسن والقدس هو الله .

المعنى والاعراب :

وقوله « تكلم الناس في المهد » أي انك تكلم الناس في حال ما كنت صبياً في المهد ـ والمهد حجر أمه ، في قول الحسن ـ وفي حال ما كنت كهلا . قال ابو علي فكان كلم الناس في هذين الوقتين بتبليغه إياهم ما ارسله الله به الى عباده ، وما يدعوهم اليه من طاعة الله وتصديق رسله ، لانه كان بين لهم عند كلامه في المهد « إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا » (٢) فبين لهم في هذا وفي وقت ما صار كهلا ان الله بعثه نبياً ولم يتكلم أحد من الانبياء في المهد سواه ولم يبعث أحد عندما ولد غيره ، فذكره هذه النعمة التي خصه بها ليشكره على ذلك .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٢) سورة مريم آية ٣٠ ـ ٢٣

ونصب قوله « كهلا » يحتمل أمرين احدهما على ان يكون عطفاً على موضع تكلم أي أيدتك صغيراً وكهلا . الثاني ـ أن يكون عطفاً على موضع في المهد اي وتكلمهم كهلا بالرسالة

وقوله « واذ علمتك الكتاب » يعني واذكر اذ . وقيل في معنى (الكتاب) قولان:

احدهما ـ انه اراد الخط الكتابة .

الثاني ـ الكتب فيكون على طريق الجنس ثم فصله بذكر التوراة والانجيل .

وقوله « والحكمة » يعني العلم بما في تلك الكتب .

وقوله « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير » أي واذكر ذلك ايضا كل ذلك تذكير له بنعمه عليه .

والخلق هو الفعل المقدر على مقدار يعرفه الفاعل ، فعلى هذا جميع أفعاله تعالى توصف بانها مخلوقة ، لانه ليس فيها شيء على وجه السهو والغفلة ، ولا على سبيل المجازفة . ومعنى ذلك انه خلق من الطين كهيئة الطير أي تصور الطين بصورة الطير الذي تريد . وسماه خلقاً لانه كان يقدره .

وقوله « باذني » اي تفعل ذلك باذني وامري .

وقوله « فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني » معناه انه نفخ فيها الروح ، لأن الروح جسم ويجوز ان ينفخها المسيح بامر الله .

اللغة :

والطير يؤنث ويذكر فمن أنث أراد الجمع ومن ذكر فعلى اللفظ . والطير واحده طائر مثل ضائن وضأن وراكب وركب . وقد قالوا أطيار مثل صاحب وأصحاب وشاهد واشهاد ويمكن أن يكون اطيار جمع طير مثل ثبت واثبات وبيت وابيات .

المعنى :

قال ابو علي وقد ينفخها في الجسم على ما اخبر الله به جبرائيل، وعلى ماروي عن النبي (عليه السلام) انه يبعث اليه ملكا عند تمام مئة وعشرين يوماً فينفخ فيه

الروح ويكتب اجله ورزقه وشقي هو أم سعيد . وبين بقوله « فيكون طيراً باذني » انه اذا نفخ المسيح (عليه السلام) فيها الروح قلبها الله لحماً ودماً ، وخلق فيها الحياة فصارت طائراً باذن الله وارادته لا بفعل المسيح (عليه السلام) فلذلك قال « فيكون طيراً باذني »

وقوله « وتبريء الاكمه والابرص باذني » معناه انك تدعوني حتى ابريء الاكمه ، وهو الذي خلق اعمى . وقال الخليل ويكون الذي عمي بعد ان كان بصيرا والاصل الاول . والابرص معروف ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله

وقوله « واذ تخرج الموتى باذني » أي اذكر اذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء . وانما نسبه الى عيسى لما بينا من أنه كان بدعائه .

وقوله « واذا كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات » أي اذكر اذ كففت هؤلاء عن قتلك واذ ايدتك حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعتوهم مع قولهم ان ماجئت به من الآيات سحر مبين . ويجوز ان يكون كفهم بالطاقة التي لا يقدر عليها غيره . ويجوز أن يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد قتل نبينا (صلى الله عليه وآله) وقيل لأنه القى شبهه على غيره حتى قتلوه ونجا .

ومن قرأ (ساحر) اراد أن عيسى ساحر مبين اي ظاهر بين . والسحر هو الباطل المموه بالحق . وقوله في اول الآية « اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك » اي اخبر بها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه أنه إله وأنه لم يكن عبداً منعما عليه ثم عدد النعم نعمة نعمة على ما بينا . وقال الطبري : انما عدد الله تعالى هذه النعم على عيسى (ع) حين رفعه اليه فلذلك قال « إذ قال الله »

قوله تعالى :

﴿ وإذ أوحيتُ إلى الحواريّينَ أنْ آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهدْ بأنّا مسلمونَ ﴾ (١١٤) آية

المعنى واللغة :

التقدير واذكر اذ أوحيت الى الحواريين . وفي معنى « اوحيت » قولان : احدهما ـ أن معناه الهمتهم كما قال « أوحى ربك الى النحل » اي ألهمها . وقيل امرتهم الثاني ـ القيت اليهم بالآيات التي أريتهم إياها كما قال الشاعر :

الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت
أوحى لها القرار فاستقرت (١)

أي القى اليها ويروى وحي لها . والفرق بين اوحى ووحي من وجهين: احدهما ـ أن او حى بمعنى جعلها على صفة كقولك جعلها مستقرة ووحي جعل فيها معنى الصفة ، لأن أفعل اصله التعدية . وقال قوم هما لغتان وقال البلخي معنى «اوحيت الى الحواريين » أي اوحيت اليك ان تبلغهم او الي رسول متقدم .

وقوله أوحيت اليهم يعني او حيت الى الرسول الذي جاءهم . وفي معنى الآية قولان : احدهما قال ابو علي اذكر نعمتي عليك إذ اوحيت الى الحواريين الذين هم انصارك . الثاني ـ اذكر نعمتي على الحواريين لما في ذلك من العلم بنعم الله خاصة وعامة . وانما حسن الحذف في التذكير بالنعمة للشهرة وعظم المنزلة باجلال النعمة ولذلك يحسن الحذف في الافتخار كقول الاعشى :

ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا(٢)

أي لنا محلا . والحواريون قال الحسن هم انصار عيسى . وقيل هم وزراؤه على امره . وقيل هم خاصة الرجل وخلصائه . ومنه قول النبي (عليه السلام) للزبير انه حواري . ومعناه خالصتي من الناس والرفيق الحواري لانه اخلص اليه من كل مايشوبه . واصله الخلوص ومنه حار يحور أي رجع الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل صار لكل راجع وقيل انهم كانوا قصارين .

---

(١) انظر ٢ : ٥٩ تعليقة ١ .

(٢) ديوانه القصيدة : ٣٥ صفحة ١٥٥ . طبعة بيانة .

قوله تعالى :

﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (١١٥) آية بلا خلاف .

القراءة والاعراب :

قرأ الكسائي والاعشى الا النفار « هل تستطيع » بالتاء « ربك » بنصب الباء. والباقون بالياء وضم الباء . وادغم الكسائي اللام في التاء.

قيل في العامل في (إذ) قولان : أحدهما ـ او حيث . الثاني ـ اذكر إذ قال الحواريون . وكلاهما يحتمل .

المعنى :

وقيل في معنى قوله « هل يستطيع ربك » ثلاثة اقوال :

احدها ـ هل يقدر وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان تستحكم معرفتهم بالله تعالى ، وما يجوز عليه ومالا يجوز من الصفات ، ولذلك انكر عليهم نبيهم ، فقال « اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » ، لانه لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت

الثاني ـ هل يفعل ذلك قاله الحسن كما يقول القائل هل تستطيع ان تنهض أي هل تفعل ، لأن المانع من جهة الحكمة او الشهوة قد يجعل بمنزلة المنافي للاستطاعة .

الثالث ـ هل يستجيب لك ربك . قال السدي هل يطيعك ربك إن سألته ، فهذا على معنى استطاع وأطاع كقولهم استجاب بمعنى اجاب وإنما حكى سيبويه إستطاع بمعنى اطاع على زيادة السين . ومعنى قراءة الكسائي « هل تستطيع » ان تستدعي اجابة ربك . واصله هل تستدعي طاعته فيما قبله من هذا ـ هذا قول الزجاج

وفيه وجه آخر وهو هل تقدر ان تسأل ربك .

اللغة

والفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجبت كون القادر قادراً ولذلك يوصف تعالى بأنه قادر ، ولا يوصف بانه مستطيع . والمائدة الخوان لانها تميد بما عليها اي تحركه . قال ابو عبيدة هي مفعولة في المعنى ولفظها فاعلة ، كقوله « عيشة راضية » (١) أي مرضية واصل المائدة الحركة من قولهم ماد يميد ميداً اذا تحرك ، عن الزجاج . ومنه المائد المدار به في البحر ماد يميد ميداً . وماده اذا اعطاه ومنه قول رؤبة :

نهدي رؤوس المترفين الانداد الى امير المؤمنين الممتاد (٢)

اي المستعطي ومادهم يميدهم ميـــداً اذا اطعمهم على المائدة ثم كثر حتى قيل لكل مطعم .

المعنى :

وقوله « قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » معناه اتقوا معاصيه وكثرة سؤال الآيات لانكم ان كنتم مؤمنين بالله وبصحة نبوة عيسى ، فقد اغناكم ماعرفتموه عن الآيات واتقوا سؤال نزول المائدة فانكم لاتعلمون مايفعل الله بكم عند هذا السؤال .

قوله تعالى :

﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ (١١٦) آية

قيل في معنى (الارادة) هاهنا قولان : احدهما ان يكون بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع . الثاني ـ ان تكون الارادة التي هي من افعـــال القلوب ، ويكون

(١) سورة الحاقة آية ٢٠ وسورة القارعة آية ٧

(٢) ديوانه : ٤٠ ومجاز القرآن لابي عبيدة ١ : ١٨٣ ، واللسان ﴿ ميد ﴾

التقدير فيه نريد بسؤالنا هذا كأنهم قالوا نريد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا وهذه الارادة وإن تقدمت المراد باوقات لاتوصف بانها عزم ، لانها متعلقة بفعل الغير وقوله « تطمئن قلوبنا » يجوز ان يكونوا قالوه وهم مستبصرون في دينهم مؤمنون كما قال ابراهيم (عليه السلام) « ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »(١) تحقيقه لنزداد طمأنانية الى مانحن عليه من المعرفة ، وان كانت المعرفة لاتكون الا مع الثقة التامة ، فان الدلائل كلما كثرت مكنت في النفس المعرفة .

وقوله « ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » يعني الشاهدين لله بتوحيده بالدليل الذي نراه في المائدة والشهادة لك بالنبوة من جهة ذلك الدليل. والصدق هو الاخبار بالشيء على ماهو به والكذب هو الاخبار بالشيء لاعلى ماهو به.

قوله تعالى :

﴿قالَ عيسى ابنُ مَريَمَ اللّهمَّ ربَّنا أنزِلْ علينا مائدةً من السَّماءِ تكونُ لَنا عِيداً لأوَّلِنا وآخِرِنا وآيةً مِنكَ وارزُقنا وأنتَ خيرُ الرّازِقينَ﴾ (١١٧) آية بلاخلاف .

اخبر الله تعالى عن عيسى ﴿عليه السلام﴾ أنه سأل ربه أن ينزل عليه مائدة من السماء تكون عيداً لهم لاولهم وآخرهم على مايقترحه قومه .ورفع تكون لانه صفة للمائدة كما قال « فهب لي من لدنك ولياً يرثني » (٢) في قراءة من رفعه ، لأنه جعله صفة . وفيه محذوف ، لان تقديره عيداً لنا ولأولنا وآخرنا لتصح الفائدة في تكرير اللام في اولنا وآخرنا وقيل في معناه قولان :

احدهما ـ نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا في قول السدي ، وقتادة وابن جريج ، وهو قول أبي علي الثاني يكون ذلك عائدة

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ (٢) سورة مريم آية ٤ ـ ٥

فضل من الله ونعمة منه تعالى . والأول هو وجه الكلام .

وقيل أنها نزلت يوم الاحد. وقوله «وآية منك» فالآية هي الدلالة العظيمة الشأن في ازعاج قلوب العباد الى الاقرار بمدلولها ، والاعتراف بالحق الذي يشهد به ظاهرها ،فهي دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك . وقيل في طعـــام المائدة ثلاثة أقوال :

أولها ـ قال ابن عباس وابو عبد الرحمان : هو خبز وسمك، وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) قال عطية كانوا يجدون في السمك طيب كل طعام .

الثاني ـ قال عمار بن ياسر كان ثمراً من ثمار الجنة .

الثالث ـ قال زادان وابو ميسرة كان عليها من كل طعام الا اللحم .

وقوله : « وأرزقنا » قيل في معناه هاهنا قولان :

أحدهما ـ واجعل ذلك رزقاً لنا .

الثاني ـ وارزقنا الشكر عليها ذكرهما الجبائي. وانما يكون الشكر رزقاً منه لنا لأنه لطف فيه ووفق له واعانة عليه كما يكون المال رزقاً لنا اذا ملّكنا إياه لا بخلقه له (١) وفي الآية دلالة على ان العباد يرزق بعضهم بعضاً بدلالة قوله « وانت خير الرازقين » لانه لولم يصح ذلك لم يجز خير الرازقين كما انه لما لم يجز ان يكونوا آلهة لم يصح أن يقول انت خيرا لآلهة وصح « أرحم الراحمين (٢) .واحكم الحاكمين(٣). واسرع الحاسبين (٤) . واحسن الخالقين » (٥) .

قوله تعالى :

﴿قالَ اللهُ إنِّي مُنزِّلُها عَلَيكُمْ فَمَن يَكفُرْ بَعدُ مِنكُمْ فَإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحداً مِنَ العالَمِينَ﴾ «١١٨» آية بلا خلاف

---

(١) في المخطوطة ﴿ لا كلفة له ﴾ بدل « لا بخلقه له »

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٠ وسورة الانبياء آية ٨٣ وسورة يوسف آية ٦٤ و٩٢

(٣) سورة هود آية ٤٥ وسورة التين آية ٨

«٤» سورة الانعام آية ٦٢ «٥» سورة المؤمنون آية ١٤ وسورة الصافات آية ١٢٥

القراءة والحجة :

قرأ « منزلها » بالتشديد أهل المدينة وابن عامر، وعاصم . الباقون بالتخفيف . من خفف طابق بينه وبين قوله « أنزل علينا » ومن ثقل ، فلأن نزل وانزل بمعنى . قال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان » (١) . وقال « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » (٢)

المعنى

لما سأل الله عيسى (عليه السلام) أن ينزل عليه المائدة تكون عيداً لأولهم وآخرهم . قال تعالى مجيباً له الى ما التمسه « اني منزلها عليكم » يعني المائدة « فمن يكفر بعد منكم » يعني بعد انزالها عليكم « فاني أعذبه عذابا لا عذبه احداً من العالمين » وقيل في معناه ثلاثه اقوال :

احدها ـ قال قتادة : مسخوا قردة وخنازير، وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ولم يمسخ أحد خنازير سواهم .

الثاني ـ انه اراد به من عالمي زمانهم .

الثالث ـ انه اراد به جنساً من العذاب لا يعذب به احداً غيرهم . وانما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة (٣) لانهم كفروا بعدما رؤا الآية التي هي من ازجر الآيات عن الكفر لم يرها غيرهم بعد سؤالهم لها وتعلق سببهم بها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بضرب من العذاب عظيم الموقع كما اختصت آيتهم بضرب من الزجر في عظيم الموقع . وقال الحسن ومجاهد: ان المائدة لم تنزل عليهم ، لانهم استعفوا من نزولها لما سمعوا الوعيد المقرون بها . وقال قوم هذا غلط من قائله لانه تعالى وعد بانزالها ولا خلاف لقوله واكثر أهل العلم على انها أنزلت : منهم ابن

---

(١) سورة الفرقان آية ١

(٢) سورة الكهف آية ١

(٣) يقصد بعد نزول المائدة على بني اسرائيل لا نزول سورة المائدة .

وعمار بن ياسر وابو عبد الرحمن السلمي ، وقتادة والسدي وهو ظاهر القرآن . وايضاً فلا يجوز ان يسأل نبي على رؤوس الملأ آية لايجاب اليها ، لان ذلك ينفر عنه . وقال الحسن انما كان الوعد من الله بانزال المائدة بشرط ان يكون بتقدير اني منزلها عليكم ان تقبلتم الوعيد فيها « فمن يكفر بعد منكم ... » الآية ، وهذا الشرط الذي ذكره لادليل عليه . والمطلق لايحمل على المقيد الا بقرينة .

وقال قوم انها لو نزلت فكفروا لعذبوا (٢) وانزل ذلك في القرآن ولو لم يكفروا لكانت المائدة قائمة للمسلمين الى يوم القيامة . وهذا ليس بصحيح لانه يجوز ان يكون عنى بالعذاب مايفعله في الآخرة . ويجوز ان يكون عنى عذاب الدنيا ولم يذكره ، لانه ليس بواجب ان يكون كل من اختصه بضرب من العذاب لابد ان يخبرنا عنه في القرآن ، لانه يكون تجويز ذلك على منازل عظيمة في الجملة اهول وأملأ للصدر من ذكره بالتصريح على تفصيل أمره . واما بقاؤها الى يوم القيامة فلا يلزم لان وجه السؤال أن يكون يوم نزولها عيداً لهم ولمن بعدهم ممن كان على شريعتهم .

قوله تعالى :

﴿ وإذْ قالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مَريمَ أأنتَ قُلتَ للناسِ اتخذوني وأميَ إلهَينِ منْ دونِ اللهِ قالَ سُبحانَكَ مايكونُ لي أنْ أقولَ مالَيسَ لي بحقٍّ إنْ كُنتُ قلتُهُ فقدْ علِمتَهُ تعلَمُ مافي نَفسي ولا أعلَمُ مافي نَفسِكَ إنَّكَ أنتَ علاّمُ الغُيوبِ ﴾ (١١٩) آية بلاخلاف .

قوله « وإذ قال » فحقيقة (إذ) أن تكون لما مضى ، وهذا مستقبل . ويحتمل ثلاثة أوجه :

اولها - أن يكون معطوفاً على ماقبله ، كأنه قال « يوم يجمع الله الرسل فيقول

---

(١) اثبتنا ما في المخطوطة . وفي المطبوعة ﴿ انها نزلت فكفرو فعذبوا ﴾

ماذا اجبتم » ثم قال : وذلك اذ يقول ياعيسى اذكر نعمتي واذ يقول له أأنت قلت للناس .

الثاني ـ قال البلخي ان يكون لما رفع الله عيسى اليه قال له ذلك ، فيكون المقال ماضياً.

والثالث ـ ذكره ايضاً البلخي ان (إذ) استعملت بمعنى (اذا) فيصح حينئذ أن يكون القول من الله يوم القيامة ومثله و « لو ترى اذ فزعوا فلا فوت » (١) كأنه قال اذ يفزعون . وقال « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون » (٢) كأنه قال اذا وقفوا لان هذا لم يقع بعد وقال ابو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جزى ... جنات عدن في العلا لحي العلا (٣)

والمعنى اذا جزى وقال الاسود :

فالآن اذ هم لهن قاعا ... يفلين ألا لم يذهب المرء مذهباً (٤)

وقال اوس :

الحافظ الناس في الزمان اذا ... لم يرسلوا تحت مايد ربعا (٥)

وهبت الشامل البليل واذ ... بات كميع الفتاة ملتفعا (٦)

يقال اذا واذ في معنى واحد ، وقال بعض اهل اليمن :

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت اذا تغورت النجوم (٧)

فقال اذا والمعنى (إذ) لانه انما يخبر عما مضى وقال ابو عبيدة (اذ) صلة . والمعنى

---

(١) سورة سباء آية ٥١ ﴿٢﴾ سورة سباء آية ٣١

(٣) اللسان ـ اذ ـ ، ـ طها ـ والاضداد لابن الانباري : ١٠٢ وتفسير القرطبي ٦ : ٣٧٥ وتفسير الطبري ١١ : ٢٣٥ ـ العلالي ـ الغرف المرتفعة واراد الشاعر عليين المذكورة في القرآن

(٤) قائله هو الاسود بن يعفر النهشلي : اعشى بني نهشل . ديوان الاعشين : ٢٩٣ والاضداد لابن الانباري ١٠١ وتفسير القرطبي ٦ : ٣٧٥ وقد روي ـ الشيخ ـ بدل ـ المرء ـ

(٥) اللسان ـ اذ ـ وروايته :

الحافظون الناس في تحوط اذا ... لم يرسلوا تحت حائذ ربعا

(٦) اللسان ـ اذ ـ . وكان هنا مخطأ جداً فصححته على اللسان

﴿٧﴾ اللسان ﴿ندم﴾ . قائله البرج بن مسهر اليعني . « الندمان » الرفيق في شرب الخمر

قال الله يا عيسى . وقد بينا فساد هذا القول فيما مضى . فأما لفظ (قال) في معنى يقول فمستعمل كثيراً وان كان مجازاً . قال الله تعالى « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار » ( ) والمراد ينادي . وقد استعمل المستقبل بمعنى الماضي ، قال زياد الاعجم في المغيرة بن المهلب يرثيه بعد موته :

فاذا مررت بقبره فانحر به خوص الركاب وكل طرفٍ سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذبائح (٢)

فقال يكون ومعناه كان لدلالة الكلام عليه لأنه في مرثية له بعد موته .

وقوله « ياعيسى ابن مريم » يحتمل عيسى ان يكون منصوباً مثل ماتقول يازيد بن عبد الله ، وهو الاكثر فى كلام العرب . وانما يجوز ذلك اذا وقع الابن بين علمين فأما اذا قلت يازيد ابن الرجل لم يجز في زيد الا الضم . ويحتمل ان يكون عيسى في موضع الضم ويكون نداء (ابن) كأنه قال ياعيسى يا ابن مريم .وقوله « ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله » تقريع فى صورة الاستفهام والمراد بذلك تقريع وتهديد من ادعى ذلك ، لانه تعالى كان عالما بذلك هل كان أو لم يكن . ويحتمل وجهاً آخر ذكره البلخي ان الله تعالى أراد ان يعلم عيسى أن قومه اعتقدوا فيه وفي امه انهما إلهان كما ان الواحد منا اذا ارسل رسولا الى قوم ان يفعلوا فعلا فأدى الرسالة وانصرف فخالفوا ذلك وعلما المرسل ولم يعلم الرسول جاز ان يقول المرسل للرسول أأنت امرتهم بذلك ، وغرضه ان يعلمه أنهم خالفوه .وانما قال الهين تغليباً للذكر على الانثى ، والغرض بالكلام ان النصارى يعتقدون في المسيح أنه صادق لايكذب وانه الذي امرهم بان يتخذوه وامه الهين فاذا كذبهم الصادق عندهم الذي ينسبون الامر به اليه كان ذلك آكد في الحجة عليهم وأبلغ في التوبيخ لهم والتوبيخ ضرب من العقوبة . وقيل فى قوله تعالى « الهين » ثلاثة اوجه :

أحدها - انهم لما عظموهما تعظيم الآلهة اطلق ذلك عليهما كما قال « اتخذوا

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٣

(٢) الاغاني ١٥ : ٣٠٨ ورواية البيت الثاني
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » (١) وانما أراد تقريعهم على معصيتهم .

والثاني ـ انهم جعلوه إلهاً وجعلوا مريم والدة له ميزوها من جميع البشر تمييزا شابهت الالهية واطلق ذلك لانه مستخرج من قصدهم . وان لم يكن صريح الفاظهم على طريقة الالزام لهم .

الثالث ـ انهم لما سموه إلهاً وعظموها هي وكانا مجتمعين سماهما الهين على طريقة العرب كقولهم القمران للشمس والقمر والعمران لابي بكر وعمر قال الشاعر :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة (٢)

يريد زهدما وقيسا اني حزن القيسين وهذا كثير وذكر لي بعض النصارى الذي قرأ كتب النصارى عن جاثليق لهم لم يكن في زمانه مثله أنه سأله عن هذا فقال كنت شاكاً في ذلك الى أن قرأت في كتاب ذكره أن فيما مضى كان قوم يقال لهم المريمية كانوا يعتقدون في مريم أنها آلهة فعلى هذا القول أقر . وورد كما قلناه فى الحكاية عن اليهود انهم قالوا عزير بن الله . وقد ذكرناه في سورة التوبة وقوله « سبحانك مايكولي أن اقول ماليس لي بحق » معناه أنزهك ان يكون معك آلهة وان يكون للأشياء اله غيرك ، واعترف بانه لم يكن لي ان يقول هذا القول. وقوله « ان كنت قلته فقد علمته » أي لم اقله لاني لو كنت قلته لما خفي عليك اذ كنت علام الغيوب . وقوله « تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك » أى تعلم غيبي ولا اعلم غيبك لان مافي نفس عيسى وما في قلبه هو ما يغيبه عن الخلق وانما يعلمه الله وسمي مايختص الله بعلمه بانه في نفسه على طريق الازدواج في الكلام كما قال «ومكروا ومكر الله » (٣) « والله يستهزيء بهم » (٤) « ويخادعون الله وهو خادعهم » (٥)

« ١ » سورة التوبة آية ٣٣

« ٢ » اللسان ـ زهدم ـ نسبة الى قيس بن زهير . قال قال ابو عبيدة : الزهدمان : هما زهدم وكردم ، وقال الكلبي : هما اخوان من بني عبس زهد وقيس ابنا حزن بن وهب .

(٣) سورة آل عمران آية ٥٤

٤ سورة البقرة آية ١٥ *٥* سورة النساء آية ١٤١

« وجزاء سيئة سيئة مثلهـــا » (١) « وان عاقبتم فعاقبوا » (٢) وكل ذلك وجه ازدواج الكلام، ويقوى هذا التأويل قوله «انك أنت علام الغيوب » لانه علل أنه انما يعلم مافي نفس عيسى ، لأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك ، فلذلك لم يعلم مايختص الله بعلمه .

اللغة :

والنفس فى اللغة على ضروب أحدها نفس الانسان التي بها حياته يقولون خرجت نفسه أي روحه وفي نفسي أن افعل أي في روعي (٣) وثانيها ان نفس الشيء ذات الشيء يقولون قتل فلان نفسه أي ذاته وعلى هذا حمل قوله « ويحذركم الله نفسه » أي ذاته وقيل عذابه. والنفس الهم بالشيء كما يحكى أن سائلا سأل الحسن فقال ان لي نفسين احدهما تقول لي حج والآخر تزوج ، فقال الحسن النفس واحـدة وانما لك هان هم بكذا وهم بكذا . والنفس الأنفة كقولهم ليس لفلان نفس اي لا أنفة له والنفس الارادة يقولون نفس فلان فى كذا اي ارادته قال الشاعر :

فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهـابها

ونفس تقول اجهد نجاءك ولا تكن كخاضبة لم يغن عنها خضابها (٤)

والنفس أيضاً العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلاناً نفس اي عين .ومنه قوله (عليه السلام) في رقيا (بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل عاهة فيك من كل عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد) وقال عبيدالله بن قيس الرقيات :

تتقي نفسها النفوس عليها فعلى نحرها الرقي والتميم

وقال ابن الأعرابي :

النفوس التي تصيب الناس بالنفس

والنفس ايضاً من الدباغ مقدار الدبغة (٥)

---

١ ـ سورة الشورى آية ٤٠ ـ ٢ ـ سورة النحل آية ١٢٦ .

* ٣ * كان في المطبوعة : اي بين روحي بدل : أي في روعي : وقد اثبتنا مافي المخطوطة

ـ ٤ ـ اللسان ـ نفس . ـ ٥ ـ قال في لسان العرب : والنفس من الدباغ : قدر دبغة او دبغتين مما يدبغ به الاديم من القرظ وغيره

قوله تعالى:

﴿ما قُلتُ لَهُمْ الا ما أمرتَني بِهِ أنِ اعبُدوا اللهَ رَبي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَليهِمْ شَهيداً مادُمتُ فِيهِمْ فَلمّا تَوفَّيتَني كُنتَ أنتَ الرَّقيبَ عَليهِمْ وأنتَ عَلى كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ﴾ (١٢٠) آية

المعنى

هذا اخبار عن عيسى (ع) أنه يقول لله تعالى في جواب ماقرره عليه اني لم أقل للناس الا ما امرتني به، من الاقرار لك بالعبودية وأنك ربي وربهم وإلهي وإلههم وامرتهم بان يعبدوك وحدك لا يشركوا معك في العبادة. وقال اني كنت شهيداً اي شاهداً عليهم مادمت فيهم بما شاهدته منهم وعلمته وعما بلغتهم من رسالاتك التي حملتنيها وامرتني بادائها اليهم مادمت حياً بينهم فلما توفيتني اي قبضتني اليك وامتني كنت أنت الرقيب عليهم. والرقيب هو الذي يشاهد القوم ويرقب مايعملون ويعرف ذلك ثم اعترف بانه تعالى «على كل شيء شهيد» لأنه عالم بجميع الاشياء لايخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء فهو يشهد على العباد كل مايعملونه وفي اخباره تعالى عن المسيح من انتفائه من القول الذي ادعوه عليه تأكيد لتكبيد النصارى وتكذيب لهم وتوبيخ على ما ادعوه من ذلك عليه قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه تعالى امات عيسى (ع) وتوفاه عندما رفعه لانه بين انه كان شهيداً عليهم. وتوفيه اياه بعد ان كان بينهم انما كان عند رفعه اياه الى السماء عندما ارادوا قتله وعندي ان الذي ذكره لايدل على انه أماته، لأن التوفي هو القبض اليه ولا يستفاد منه الموت الا بشاهد الحال. ولذلك قال تعالى «الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها» (١) فبين انه يتوفى التي لم تمت فذعس التوفي لايفيد الموت بحال.

---

١ - سورة الزمر آية ٤٢

الاعراب :

وقوله « ان اعبدوا الله » يجوز ان تكون (ان) بمعنى اي مفسرة في قول سيبويه ، كما قال « وانطلق الملأ منهم ان امشوا » (١) اي امشوا ، لانها مفسرة لما قبلها . والمعنى ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله . ويجوز ان تكون (ان) في موضع خفض على البدل من الهاء وتكون (ان) موصولة بـ (اعبدوا الله) . ومعناه الا ما امرتني به بأن يعبدوا الله ، ويجوز ان يكون موضعها نصباً على البدل من (ما) والمعنى ما قلت لهم شيئاً الا ان اعبدوا الله ، اي ما ذكرت لهم الا عبادة الله . وقوله « ان اعبدوا الله ربي وربكم » شاهد بلفظ الانجيل فانه ذكر في الفصل الرابع من انجيل لوقا ، قال المسيح : مكتوب ان أسجد لله ربك واياه وحده فاعبد ، وهذا لفظه وهو صريح التوحيد .

قوله تعالى :

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢١) آية بلا خلاف .

المعنى :

ظاهر هذه الآية يدل على ان عيسى لم يكن أعلمه الله ان الشرك لا يغفر على كل حال ، فلذلك قال ان تعذبهم فانهم عبادك الذين كفروا بك وجحدوا الهيتك وكذبوا رسلك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

وقال البلخي ان عيسى ﴿ ع ﴾ اخبر انه لا علم له بما صنعوا بعده من الكفر به حتى قيل له : ماذا اجبت ؟ قال لا علم لي ثم قال ان كانوا كفروا فعذبتهم فهم عبادك

(١) سورة ص آية ٦

وان كانوا ثبتوا على ما دعوتهم اليه او تابوا من كفرهم فغفرت لهم فأنت العزيز الحكيم .

ومن ذهب الى قول الله : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس » اخبار عما مضى وان الله قال ذلك عند ما رفعه اليه ، قال : انما عنى عيسى ان تعذبهم بمقامهم على معصيتك فانهم عبادك وان تغفر لهم بتوبة تكون منهم ، لان القوم كانوا في الدنيا لان عيسى لم يشك في الآخرة انهم مشركون . وقد انقطعت التوبة ، وانما قال ذلك في الدنيا وجعل قول الله تعالى « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » جواباً للرسل حين سألهم ماذا اجبتم « قالوا لا علم لنا » فصدقهم الله في ذلك . ومثل ذلك قال عمرو ابن عبيد والجبائي والزجاج وكلهم شرط التوبة . وهذا الذي ذكروه ترك للظاهر وزيادة شرط في ظاهرها ليس عليه دليل . وقوله « ان الله لا يغفر ان يشرك بـــه » (١) [انما هو اخبار لامة نبينا بأن لا يغفر الشرك ولا نعلم ان مثل ذلك اخبر به الامم الماضية فلا متعلق بذلك . ويمكن ان يكون الوجه في الآية مع تسليم ان كان عارفاً بأن الله لا يغفر أن يشرك به] (٢) وانه اراد بذلك تفويض الامر الى مالكه وتسليمه الى مدبره والتبري من ان يكون له شيء من امر قومه ، كما يقول الواحد منا اذا تبرء من تدبير امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره : هذا الأمر لا مدخل لي فيه فان شئت ان تفعله وإن شئت ان تتركه مع علمه ان احدهما لا يكون منه .

وقوله « فانك انت العزيز الحكيم » معناه انك القادر الذي لا يغالب وانت حكيم في جميع افعالك فيما تفعله بعبادك .

وقيل معناه « انك انت العزيز » القدير الذي لا يفوتك مذنب ولا يمتنع من سطوتك مجرم « الحكيم » فلا تضع العقاب والعفو الا موضعها . ولو قال : الغفور الرحيم كان فيه معنى الدعاء لهم والتذكير برحمته ، على ان العذاب والعفو قد يكونان

---

(١) سورة النساء آية ٤٧ ، ١٥١

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

غير صواب ولا حكمة فالاطلاق لا يدل على الحكمة ، والحسن والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على العذاب والرحمة إذا كانا صوابين . وقال الحسين بن علي المغربي رأيت على باب دار بمصر في موضع يقال له (بيطار بلال) معروف لوحاً قديماً من ساج عليه هذا العشر وفيه فانك انت الغفور الرحيم وتأريخ الدار سنة سبعين من الهجرة اونحوهـــا ولعلها باقية الى اليوم .

فان قيل قول عيسى إن تعذبهم فانهم عبادك يدل على ان الله تعالى له ان يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم لانه علل حسن ذلك بكونهم عبيداً لا بكونهم عصاة وذلك خلاف ما يذهبون اليه ؟ قلنا : لا يجوز ان يريد عيسى ﴿ع﴾ بكلامه ما يدل على الفعل على كونه غير جائز عليه تعالى . ولا يحسن منه تعالى ايضاً ان يترك انكار ذلك فلما علمنا ان الله تعالى لا يجوز ان يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم من حيث كان ذلك ظلماً محضاً علمنا ان عيسى اراد بقوله ذلك « ان تعذبهم فانهم عبادك » الجاحدون لك المتخذون معك الهاً غيرك لان ما تقدم من الكلام دل عليه فلم يحتج ان يذكره في اللفظ فبطل ما توهموه .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢٢) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٣) آيتان بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب:

قرأ « يوم ينفع » بفتح الميم نافع . الباقون بضمها .

من رفع (يوماً) جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا واضاف يوماً إلى ينفع . والجملة التي هي من المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول ، كما تقول : قال زيد عمرو أخوك . ومن نصب احتمل امرين : احدهما - ان يكون مفعول قال وتقديره قال الله هذا القصص ، وهذا الكلام « يوم ينفع الصادقين » فيوم ظرف للقول (وهذا) اشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم » وجاء على لفظ الماضي وإن كان المراد به المستقبل ، كما قال « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار » (١) ونحو ذلك على ما بيناه . وليس ما بعد (قال) حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الآخر . ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله تعالى « هذا يوم ينفع » اي هذا الذي اقتصصنا به يقع او يحدث يوم ينفع ، فيوم خبر المبتدأ الذي هو هذا الامر اشارة إلى حدث ، وظروف الزمان تكون اخباراً عن الاحداث . والجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول ، قال الفراء : (يوم) منصوب لأنه مضاف إلى الفعل وهو في موضع رفع بمنزلة يومئذ مبني على الفتح في كل حال ، قال الشاعر :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما تصح والشيب وازع (٢)

قال الزجاج هذا خطأ عند البصريين لانهم لا يجيزون هذا يوم اتيتك ، يريدون هذا يوم اتيانك ، لان اتيتك فعل مضارع فالاضافة اليه لا يزيل الاعراب عن جهته ولكنهم يجيزون ذلك يوم يقع زيد اصدقه ، لان الفعل الماضي غير مضارع للمتمكن فهي اضافة إلى غير متمكن وإلى غير ما ضارع المتمكن ويجوز (هذا يوم) منوناً (ينفع الصادقين) على اضمار هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم كقوله : « واتقوا يوماً

(١) سورة الأعراف آية ٤٣ .

(٢) قائله النابغة . ديوانه : ٣٨ ومعاني القرآن ١ : ٣٢٧ ، وسيبويه ١ : ٣٦٩ وخزانة الادب ٣ : ١٥١ وغيرها . وفي بعضها (أصح) بدل (تصح) .

لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » والمعنى لا تجزي فيه ، وقال الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغي العيش اكدح(١)

والمعنى فمنها تارة اموت فيها .

قوله « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين » يعني يوم القيامة ، ودل على ان قول الله للمسيح « أأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله » يكون يوم القيامة ، ثم بين ان الصادقين ينفعهم صدقهم وهو ما صدقوا فيه في دار التكليف ، لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ، ولا يخبر احد فيه إلا بالصدق ، ولا ينفع الكفار صدقهم الذي يقولونه يوم القيامة إذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم ، ثم بين ان « لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » ، وانهم « خالدون فيها ابداً » في نعيم مقيم لا يزول ، وان الله قد « رضي عنهم ورضوا » هم عن الله وبيّن ان ذلك « هو الفوز العظيم » وهو ما يحصلون فيه من الثواب والنجاة من النار ، ثم قال تعالى : « لله ملك السموات والأرض وما فيهن » يعني ان ملك السماوات والارض وما بينهما له بالقدرة على التصرف فيهما وفيما بينهما على وجه ليس لاحد منعه منه ولا معارضته فيه خاصة ، ثم بين انه تعالى : « على كل شيء قدير » مما كان ويكون مما يصح ان يكون مقدوراً له .

(١) قائله ابن مقبل . اللسان « كدح »

سورة الأنعام

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم : ان سورة الانعام مكية .

وقال يزيد ابن رومان بعضها مكي وبعضها مدني .

وقال شهر بن حوشب : هي مكية إلا آيتين منها قوله تعالى : « قل تعالوا اتل عليكم ما حرم » والتي بعدها . وروى عن ابن عباس انه قال نزلت سورة الأنعام جملة بمكة معها سبعون الف ملك محدقون حولها بالتسبيح والتهليل والتحميد وهي مئة وخمس وستون آية كوفي وست في البصري وسبع في المدنيين . وروي عن ابن عباس ايضاً انه قال هي مكية غير ست آيات منها فانها مدنيات . « قل تعالوا اتل » وآيتان بعدها وقوله « وما قدروا الله حق قدره » إلى آخرها والآية التي بعدها « ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً اوقال اوحي . . . » إلى آخرها . وروي عن انس بن مالك انه قال : قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : ما نزل علي سورة من القرآن جملة غير سورة الأنعام وما جمعت الشياطين لسورة من القرآن جمعها لها ولقد بعث بها الي مع جبرائيل مع خمسين ملكاً ، او قال خمسين الف ملك - شك الواقدي - نزل بها وتحفها حتى أقرها في صدري كما يقر الماء في الحوض وقد أعزني الله وايا كم بها عزاً لا يذلنا بعده ابداً فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه . وروي عن كعب الاحبار انه قال : افتتحت التوراة بالحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . وختمت بالحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك الى آخر الآية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمدُ لله الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ وجعلَ الظُّلماتِ والنُّور * ثُمَّ الَّذينَ كفروا بربِّهم يَعْدِلونَ ﴾(١) آية في الكوفي والبصري وآيتان في المدنيين قوله والنور آخر الاولى .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان المستحق للحمد من ﴿ خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ﴾ اي خلقها لما اشتملا عليه من عجائب الخلق ومتقن الصنع .

ثم عجب ممن جعل له شركاء مع ما ترى في السماوات والارض من الدلالة على انه الواحد الذي لا شريك له ، وقد بينا فيما تقدم وجه دلالة ذلك على انه واحد ليس باثنين .

اللغة :

وقوله ﴿ بربهم يعدلون ﴾ اي يجعلون له مثلا يستحق العبادة مأخوذ من قولك : ما اعدل بفلان احداً ، اي لا نظير له عندي ولا احد يستحق ما يستحقه .

قال الكسائي : يقال عدلت الشيء بالشيء اعدله عدولا إذا ساويته . وعدل في الحكم يعدل عدلا .

وقال الحسن ومجاهد : معنى يعدلون يشركون ، وإنما ابتدأ تعالى هذه السورة بالحمد احتجاجاً على مشركي العرب ، وعلى من كذب بالبعث والنشور فابتدأ ، فقال « الحمد لله الذي خلق السماوات والارض » فذكر أعظم الاشياء المخلوقة ، لان السماء بغير عمد ترونها » والارض غير مائدة بنا . ثم ذكر الظلمات والنور ، وذكر ان الليل والنهار ، وهما مما به قوام الخلق . فأعلم الله تعالى ان هذه خلق له ، وان خالقها لا شيء مثله .

وروي عن أبي عبد الله ﴿ ع ﴾ انه قال : ان الأنعام نزلت جملة ، وشيعها سبعون الف ملك حين انزلت على رسول الله ﴿ ص ﴾ فعظموها ، وبجلوها ، فان اسم الله تعالى فيها في سبعين موضعاً . ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى قوله ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ اي أنشأكم ، واخترعكم « من طين » ومعناه خلق أباكم الذي هو آدم وانتم من ذريته ، وهو بمنزلة - الاصل لنا - من طين ، فلما كان اصلنا من الطين جاز ان يقول « خلقكم من طين » .

وقوله ﴿ ثم قضى ﴾ معناه حكم بذلك . والقضاء يكون حكماً ، ويكون اسراً ويكون الاتمام والاكمال .

وقوله « اجلا واجل مسمى عنده » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابو علي : كتب للمرء اجلا في الدنيا ، وحكم بأنه اجل لنا ، وهو الاجل الذي يحي فيه اهل الدنيا إلى ان يموتوا ، وهو اوقات حياتهم ، لان اجل الحياة ، هو وقت الحياة . واجل الموت هو وقت الموت . « واجل مسمى عنده » يعني آجالكم في الآخرة ، وذلك اجل دائم ممدود لا آخر له . وإنما قال له « مسمى عنده » ، لانه مكتوب في اللوح المحفوظ ، في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه .

وقال الزجاج : احد الاجلين اجل الحياة ، وهو الوقت الذي تحدث فيه الحياة ، ويحيون فيه . « واجل مسمى عنده » يعني أمر الساعة والبعث . وبه قال الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال بعضهم : « قضى اجلا » يعني اجل من مضى من الخلق . « واجل مسمى عنده » اجل الباقين .

والذي نقوله : إن الاجل هو الوقت الذي تحدث فيه الحياة اوالموت ، ولايجوز ان يكون المقدر اجلا ، كما لا يجوز ان يكون ملكا . فان سمي - ما يعلم الله تعالى انه لو لم يقتل فيه لعاش اليه - اجلا ، كان ذلك مجازاً . لان الحي لم يعش اليه (١) . ولا يمتنع ان يعلم الله من حال المقتول انه لو لم يقتله القاتل لعاش إلى وقت آخر .

وكذلك ما روي : ان الصدقة وصلة الرحم تزيد في الأجل . وما روي في قصة قوم يونس وأن الله صرف عنهم العذاب ، وزاد في آجالهم ، لا يمتنع منه مانع ، وإنما منع من التسمية لما قلناه .

وقوله : « ثم انتم تمترون » خطاب للكفار الذين يشكون في البعث والنشور . احتج الله بهذه الآية على الذين عدلوا به غيره ، فأعلمهم انه خلقهم من طين ،

(١) فى المخطوطة (لايعيش اليه)

ونقلهم من حال إلى حال ، وقضى عليهم الموت فهم يشاهدون ذلك ، ويقرون بانه لا محيص منه . ثم عجبهم من امترائهم (١) أي من شكهم في أنه الواحد القهار على ما يشاء ، وفي انه لم يعبث (٢) بخلقهم وابقائهم وإماتتهم بعد ذلك ، وانه لابد من جزاء المسيء والمحسن . ومثله قوله : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم »(٣) إن الذي قدر على ذلك قادر على أن يبعثكم بعد ان تكونوا تراباً .

وقوله « وأجل مسمى عنده » رفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله: « ثم قضى اجلا » .

قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ ما تَكْسِبونَ ﴾ (٣) آية إجماعاً .

قوله ﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض ﴾ يحتمل معنيين :

احدهما ـ قال الزجاج والبلخي ، وغيرهما : إنه المعبود في السماوات والارض ، والمتفرد بالتدبير في السماوات وفي الارض ، لان حلوله فيها او شيء منها لا يجوز عليه. ولا يجوز أن تقول هو زيد في البيت ، والدار ، وانت تريد انه يدبرها إلا ان يكون في الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير كقول القائل : فلان الخليفة في الشرق والغرب ، لان المعنى في ذلك انه المدبر فيها .

ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر ، كأنه قال : إنه هو الله وهو في السماوات وفي الارض . ومثل ذلك قوله « وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله » (٤)

---

(١) فى المخطوطة (من افترائهم) (٢) فى المخطوطة (لم يعنت)
(٣) سورة الحج آية ٥ (٤) سورة الزخرف آية ٨٤

والوجه الثاني - قال ابو علي إن قوله « وهو الله » قد تم الكلام ، وقوله « في السماوات وفي الارض » [يكون متعلقاً بقوله « يعلم سركم وجهركم » في السماوات وفي الارض] (١) لأن الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او البشر والجن ، فهم في الارض ، فهو تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه خافية . ويقويه قوله : « ويعلم ما تكسبون » اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر ، فيجازيكم على حسب اعمالكم ، ولا يخفى عليه شيء منها ، وفي ذلك غاية الزجر والتهديد .

وفي الآية دلالة على فساد قول من قال : إنه تعالى في مكان دون مكان تعالى الله عن ذلك .

قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (٤) آية بلا خلاف .

في هذه الآية إخبار من الله تعالى انه لا يأتي هؤلاء الكفار - المذكورين في أول الآية - من آيات من ربهم ، وهي المعجزات التي يظهرها على رسوله وآيات القرآن التي كان ينزلها على نبيه (ص) « إلا كانوا عنها معرضين » لا يقبلونها ، ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله محمد (ص) .

قوله تعالى :

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

في هذه الآية إخبار منه تعالى ان الكفار قد كذبوا بالحق الذي أتاهم به محمد ﴿ ص ﴾ لما جاءهم بالقرآن ، وسائر امور الدين ، وانه سوف يأتيهم خبر العذاب الذى ينزله بهم عقوبة على كفرهم ، وهذا العذاب هو الذي كانوا به يستهزؤن : باخبار رسول الله إياهم به وبنزوله بهم .

فبين ان ذلك سيحل بهم وسيقفون على صحته . ودل ذلك على انهم كانوا يستهزؤن ، وان كان لم يذكره ههنا وذكره في موضع آخر . ومثل ذلك قول القائل للجاني عليه : ستعلم عملك . وإنما يريد ستجازى على عملك .

وقال الزجاج : معنى « انبـــاء ما كانوا به يستهزؤن » اي تأويله . والمعنى سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَجَعَلْنا الأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله ﴿ ألم يروا ﴾ خطاب للغائب وتقديره ألم ير هؤلاء الكفار : ألم يعلموا كم اهلكنا من قبلهم من قرن . ثم قال « مكاناهم في الارض ما لم نمكن لكم » فخاطب خطاب المواجه ، فكأنه اخبر النبي ﴿ ص ﴾ ثم خاطبه معهم ، كما قال : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرينا بهم بريح طيبـــة » (١) فذكر لفظ الغائب بعد خطاب المواجه . ومعنى « من

(١) سورة يونس آية ٢٢

قرن » من امة .

اللغة :

قال الحسن : القرن عشرون سنة . وقال ابراهيم : اربعون سنة . وقال ابو ميسرة : هو عشر سنين .

وحكى الزجاج والفراء : انه ثمانون سنة وقال قوم : هو سبعون سنة . وقال الزجاج عندي ان القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من اهل العلم، قلت السنون او كثرت ، فيسمى ذلك قرناً ، بدلالة قوله ﴿ع﴾: (خيركم قرني) يعني اصحابي (ثم الذين يلونهم) يعني التابعين (ثم الذين يلونهم) يعني تابعي التابعين. قال : وجائز ان يكون القرن جملة الامة ، وهؤلاء قرن فيها .

واشتقاق القرن من الاقتران . وكل طبقة مقترنين في وقت قرن ، والذين يأتوا بعدهم ذووا اقتران (٢) .

وقوله ﴿ مكاناهم في الأرض ﴾ معناه جعلناهم ملوكاً واغنياء ، تقول مكنتك ، ومكنت لك واحد .

وقوله ﴿ وأرسلنا عليهم السماء مدراراً ﴾ معناه أرسلنا عليهم مطراً كثيراً من السماء . يقول القائل اصابتنا هذه السماء ، وما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، يعنون المطر.

وقوله ﴿ مدراراً ﴾ يعني غزيراً دائماً كثيراً . وهو قول ابن عباس ، وابي روق.

و(مفعال) من ألفاظ المبالغة ، يقال ديمة مدراراً اذا كان مطرها غزيراً حاداً ، كقولهم امرأة مذكار : إذا كانت كثيرة الولادة للذكور ، ومئناث في الاناث . ومفعال لا يؤنث ، يقال : امرأة معطار ومئناث ومذكار ، بغير هاء .

---

(١) في بعض النسخ (ذووا قرن آخر)

المعنى والاعراب :

بين الله تعالى ان هؤلاء الذين آتاهم الله هذه المنافع وأجرى من تحتهم الأنهار، ووسع عليهم ، ومكنهم في الارض ، لما كفروا بنعم الله وارتكبوا معاصيه اهلكهم الله بذنوبهم ، وانه أنشأ قوماً آخرين بعدهم . يقال انشأ فلان يفعل كذا اي ابتدأ فيه .

وموضع (كم) نصب بـ (اهلكنا) ، لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله، فلذلك لا يجوز ان يكون منصوباً بـ (يروا) .

فان قيل : كيف قال : « أو لم يروا) والقوم كانوا غير مقرين بما اخبروا به من شأن الامم قبلهم ؟ قيل : كان الكثير منهم مقراً بذلك فانه دعي بهذه الآية إلى النظر والتدبر ليعرف بذلك ما عرفه غيره (١) .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٧) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو نزل على نبيه كتاباً يعني صحيفة مكتوبة في قرطاس حتى يلمسوه بايديهم ويدركوه بحواسهم ، لانهم سألوا النبي ﴿ ص ﴾ ان يأتيهم بكتاب يقرؤونه : من الله الى فلان بن فلان ان آمن بمحمد وانه لو اجابهم الى ذلك لما آمنوا ، ونسبوه الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم ، وعزمهم على ان

---

(١) اختلف الكلام هنا في النسخ . فالمخطوطة : ساقط منها (قيل كان الكثير منهم مقراً بذلك) وموجود فيها باقي الكلام الى آخره . والمطبوعة موجود فيها ما هو ساقط من المخطوطة ، وساقط منها ما هو في المخطوطة والذي اثبتناه هو مؤلف من جميع ما ذكر بهما وهو كما ترى بنقصه شيء من الربط .

لا يؤمنون على كل حال . وعرفه ان التماسهم هذه الآيات ضرب من العنت ومتى فعلوا ذلك اصطلمهم واستأصلهم ، وليس تقتضي المصلحة ذلك ، لما علم في بقائهم من مصلحة للمؤمنين وعلمه بمن يخرج من أصلابهم من المؤمنين وان فيهم من يؤمن فيما بعد فلا يجوز اختزام من هذه صفته عند ابي علي والبلخي .

وقوله « ان هذا الا » معناه ليس هذا الا . واحتج ابو علي بهذه الآية على انه متى كان في معلوم الله تعالى انه لو اتاهم الآيات التي طلبوها [لآمنوا عندها وجب ان يفعلها بهم قال ولو لا ذلك كذلك لم يحتج على العباد في منعه إياهم الآيات التي طلبوها] (١) اي إنما منعتهم اياها لانهم كانوا لا يؤمنون ، ولو آتاهم إياها لكانوا يقولون انها سحر مبين . وبهذا تبين بطلان قول من قال اللطف ليس بواجب ، وانه يجوز ان يمنعهم الله ما طلبوا وان كانوا يؤمنون لو آتاهم ذلك ويكفرون لو منعهم اياه .

قوله تعالى :

﴿ وَقالوا لولا أُنْزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ وَلو أَنْزَلنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرونَ (٨) وَلو جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيهِمْ ما يَلْبِسونَ ﴾ (٩) آيتان بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفار انهم قالوا (لولا) ومعناه : هلا « انزل عليه » يعنون على محمد « ملك » يشاهدونه فيصدقه . ثم اخبر عن عظم عنادهم انه لو انزل عليهم الملك على ما اقترحوه لما آمنوا به ، واقتضت الحكمة

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

استئصالهم وألاّ ينظرهم ولا يمهلهم . وذلك بخلاف ما علم الله تعالى من المصلحة على ما بيناه .

اللغة :

ومعنى « لقضي الامر » اى اتم اهلاكهم وقضي على ضروب كلها ترجع الى معنى تمام الشيء وانقطاعه في قول الزجاج . فمنه « قضى اجلا واجل مسمى عنده »(١) معناه ثم ختم بذلك واتمه ، ومنه الامر [كقوله « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه » (٢) إلا انه امر قاطع ومنه الاعلام] (٣) نحو قوله « وقضينا إلى بني اسرائيل » (٤) اي اعلمناهم اعلاماً قاطعاً . ومنه الفصل فى الحكم نحو قوله « ولولا كلمة سبقت من ربك إلى اجل مسمى لقضي بينهم » (٥) اي لفصل الحكم بينهم . ومنه قولهم قضى القاضي . ومن ذلك قضى فلان دينه ، اي قطع ما لغريمه عليه واداه اليه وقطع ما بينه وبينه وكلما احكم فقد قضي تقول قضيت هذا الثوب وهذه الدار اي عملتها واحكمت عملها ، قال ابو ذؤيب :

وعليها مسرودتان قضاها داود او صنع السوابغ تبع (٦)

المعنى :

وقال مجاهد معنى « وقالوا لولا انزل عليه ملك » يريدون في صورته . قال الله تعالى « ولو انزلنا ملكاً » في صورته « لقضي الامر » اي لقامت الساعة اووجب استئصالهم ثم قال « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه » في صورة رجل ، لان ابصار البشر لا تقدر على النظر الى صورة ملك على هيئته للطف الملك وقلة شعاع ابصارنا وكذلك

(١) سورة الأنعام آية ٢ (٢) سورة الاسراء آية ٢٣
(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة (٤) » » آية ٤
(٥) سورة الشورى آيه ١٤ (٦) مر تخريجه فى ١ : ٤٢٩ .

كان جبرائيل ﴿ع﴾ يأتي النبي ﴿ص﴾ في صورة دحية الكلبي ، وكذلك الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم في صورة الأضياف حتى قدم اليهم عجلا جسداً ، لانه لم يعلم انهم ملائكة ، وكذلك لما تسور المحراب على داود الملكان كانا في صورة رجلين يختصمان اليه .

وقال بعضهم المعنى ولوجعلنا مع النبي ملكاً يشهد بتصديقه « لجعلناه رجلا » والأول أصح .

اللغة والمعنى :

وقوله « وللبسنا عليهم ما يلبسون » يقال لبست الامر على القوم ألبسه إذا شبهته عليه ولبست الثوب البسه ، وكان رؤساء الكفار يلبسون على ضعفائهم امر النبي ﴿ع﴾ ، فيقولون : هو بشر مثلكم ، فقال الله تعالى « ولو انزلنا ملكاً » فرأوا الملك رجلا ولم يعلمهم انه ملك لكان يلحقهم من اللبس ما يلحق ضعفائهم منهم . واللبوس ما يلبس من الثياب . والملباس الذي قد لبس واستعمل .

فان قيل : قوله انه لو جعل الملك رجلا للبس عليهم يدل على ان له ان يلبس بالاضلال والتلبيس ؟ قلنا ليس ذلك في ظاهره ، لانه لم يخبر انه لبس عليهم وإنما قال لو جعلته ملكاً للبست ولم يجعله ملكاً فاذاً ما لبس ، كما قال تعالى « لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء » (١) وليس يجوز عليه اتخاذ الولد ولا الاصطفاء له بحال ، فسقط ما قالوه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا

(١) سورة الزمر آية ٤

مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى انه لو انزل الآيات التي اقترحوها وامتنعوا عند ذلك من الاقرار بالله وتصديق نبيه اقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت المصلحة استئصال من تقدم من الامم الماضية عند نزول الآيات المقترحة كما فعل بقوم صالح وغيرهم من امم الأنبياء، قال ذلك تسلية لنبيه ﴿ ع ﴾ من استمرارهم على الكفر. ومعنى الحيق مايشتمل على الانسان من مكروه فعله كما قال : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » (١) اي لا ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم . والمعنى فحاق بالساخرين منهم : « ما كانوا به يستهزؤن » من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا نحو ما نزل بقوم عاد وثمود وغيرهم من الامم . وقال ابوعلي: حاق وحق بمعنى واحد . والمعنى انه لما نزل بهم العذاب حق بذلك الخبر عندهم: الخبر الذي كان اخبرهم به النبي ﴿ ص ﴾ .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١١) آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه ﴿ ع ﴾ ان يأمر هؤلاء الكفار ان يسيروا في الارض لينظروا إلى آثار تلك الامم فانها مشهورة ومتواتر خبرها معلوم مساكنها واراد بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد ﴿ ع ﴾ والتحذير لهم من ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين للرسل من قبلهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلى

(١) سورة فاطر آية ٤٣

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣) آيتان بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول لهؤلاء الكفار مقرعاً لهم وموبخاً على كفرهم « لمن ما في السماوات والارض » ثم امره ﴿ ع ﴾ ان يقول لهم ان ذلك « لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم » واللام لام القسم وتقديره والله ليجمعنكم ولذلك نصب (لام) ليجمعنكم ، لان معنى كتب اليمين . وقال الزجاج يجوز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسراً لها ، لانه لما قال كتب على نفسه الرحمة ففسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة . وقال الفراء : يجوز ان يكون قوله « كتب على نفسه الرحمة » غاية ثم استأنف قوله : « ليجمعنكم ... لاريب فيه » تمام ، ومعنى كتب على نفسه الرحمة اي كتب على نفسه ألا يستأصلكم ولا يعجل عقوبتكم بل يعذر وينذر ويجمع آخركم إلى اولكم قرناً بعد قرن الى يوم القيامة ، وهو الذي لا ريب فيه .

وفي قوله « ليجمعنكم الى يوم القيامة » احتجاج على من انكر البعث والنشور فقال « ليجمعنكم إلى » اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء ، اي ضممت بينهم في الجمع . وقوله « الذين خسروا انفسهم » قال الاخفش الذين بدل من الكاف والميم . والمعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذى يجحدونه ويكفرون به . وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره «فهم لا يؤمنون» لان ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق على الذين خسروا انفسهم وغيرهم .

وقوله « وله ما سكن في الليل والنهار » اي ما اشتمل عليه الليل والنهار فجعل الليل والنهار كالمسكن لما اشتملا عليه ، لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف ، وهذا من أفصح مايكون من الكلام . وقال النابغة :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع(١)

فجعل الليل مدركا اذا كان مشتملا عليه . وفي هذه الآية وفي التي قبلها احتجاج على الكفار الذين عبدوا من دون الله تعالى ، فقال تعالى : « قل لمن ما في السماوات والارض » وكانوا لا يشركون بالله في خلق السماوات والارض وما بينهما احداً وإنما كانوا يشركون في العبادة ، ويقولون : آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى ، لا انها تخلق شيئاً ، ثم قال : « قل لله » فانهم لا ينكرون ذلك وهو كقوله « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »(٢) فذكرهم ما هم به مقرون ليتنبهوا ويشهدوا بالحق ويتركوا ما هم عليه ، ومعنى « خسروا انفسهم » اهلكوها باستحقاق المصير إلى العذاب الأليم الدائم الذي لا ينتفعون معه بنفوسهم اذ كانوا لا يؤمنون . ومن اهلك نفسه فقد خسرها . وإنما قال « وله ما سكن في الليل والنهار » لان في الحيوان ما يسكن في الليل وفيه ما يسكن بالنهار وخص السكون بالذكر لان الساكن اكثر من المتحرك . ولان الآية العجيبة في قيام الساكن بلا عمد اعظم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

اجمع القراء على ضم الياء وفتح العين من قوله « ولا يطعم » وقرىء في الشواذ بفتح الياء والعين معاً . فمن ضم الياء اراد ان غيره لا يطعمه في مقابلة قوله : « وهو

(١) سمط اللآلي : ٥٧٠ (٢) سورة الزخرف آية ٨٧

يطعم » . ومن فتح الياء اراد انه نفسه لا يطعم .

المعنى واللغة والاعراب :

والمعنى هو يرزق الخلق ولا يرزقه احد . والطعمة والطعم والاطعام الرزق ، قال امرىء القيس :

مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره (١)

وقال علقمة بن عدي (٢)

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمة انى توجه والمحروم محروم (٣)

ألا ترى انه وضع الحرمان في مقابلة الاطعام ، كما يوضع ابداً (٤) مقابلا للرزق . وقيل انه ذكر الاطعام ، لان حاجة العباد اليه أشد ، ولان نفيه عن الله أدل على نفي شبهه بالمخلوقين ، لان الاطعام لا يجوز إلا على الاجسام .

والاختيار فى « فاطر » الخفض لانه من صفة (الله) ، والرفع ، والنصب جائزان على المدح .

فمن رفع فعلى اضمار (هو) ، وتقديره : هو فاطر السماوات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم .

ومن نصب فعلى معنى اذكروا عني .

ومعنى : « فاطر السماوات والارض » خالقها ، كما قال : « ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون »(٥) اي خلقني . قال ابن عباس: ما كنت ادري ما معنى (فاطر)

---

(١) ديوانه : ١٠٤ ، واللسان (طعم) (٢) فى المطبوعة (بن عبده) بدل (بن عدى)
(٣) اللسان : الألف اللينة تفسير (انى) (٤) فى المطبوعة (امل) بدل (أبداً)
(٥) سورة يس آية ٢٢ .

حتى اختصم إلي اعرابيان في بئر ، فقال احدهما : انا فطرتها اي ابتدأتها . وأصل الفطر الشق ، ومنه قوله تعالى : « إذا السماء انفطرت » (١) اي انشقت .

ومعنى ﴿ فطر السماوات والارض ﴾ خلقها خلقاً قاطعاً . والانفطار ، والفطور تقطع وتشقق (٢) .

المعنى :

وفي الآية دلالة وحجة على الكفار ، لأن من خلق السماوات والارض ، وانشأ مافيهما وأحكم تدبيرهما ، وأطعم من فيهما هو الذي ليس كمثله شيء . وان الخلق فقراء إليه وهو الغني القادر القاهر ، فلا يجوز لمن عرف ذلك او جعل له السبيل الى معرفته أن يعبد غيره .

وقوله « وأمرت ان اكون اول من أسلم » معناه ان اكون اول من خضع ، وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك . ومثله قوله « قل ان كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين » (٣) بانه لم يكن للرحمن ولد ، يعني من هذه الامة ، لأنه قد عبد الله النبيون والمؤمنون قبله . ومثله قوله « سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين » (٤) ممن سألك ان تريه نفسك ـ بأنك لا ترى . وقول السحرة « انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين » (٥) بأن هذا ليس بسحر ، وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة .

ومعنى الولي هاهنا الاله الذي اعبده ليتولاني ، ويحفظني .

وقوله : « وامرت ان اكون من اسلم ولا تكونن من المشركين » اي امرت

---

(١) سورة الانفطار آية ١
(٢) في المطبوعة «يقع في تشقق» بدل (تقطع وتشقق)
(٣) سورة الزخرف آية ٨١
(٤) سورة الأعراف آية ١٤٢
(٥) » الشعراء آية ٥٢

بالامرين معاً : ان اكون اول من اسلم من هذه الامة ، وألا اكون من المشركين . والمعنى امرت بذلك ونهيت عن الشرك ، لان الأمر لا يتناول ألاّ يكون الشيء ، لانه لايكون امراً إلا بارادة المأمور ، والارادة لا تتعلق بألاّ يكون الشيء . وانما المراد ما قلناه : انه كره مني الشرك .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ﴿ ص ﴾ بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار انه يخاف - ان عصاه - عذابه وعقوبته في يوم عظيم وهو يوم القيامة . ومعنى العظيم هاهنا انه شديد على العباد ، وعظيم في قلوبهم .

وفي الآية دلالة على ان من زعم ان من علم الله انه لا يعصي فلا يجوز ان يتوعده بالعذاب . وعلى من زعم انه لا يجوز ان يقال فيما قد علم الله انه لا يكون انه لو كان لوجب فيه كيت وكيت لانه كان المعلوم لله تعالى ان النبي ﴿ ع ﴾ لا يعصي معصية يستحق بها العقاب يوم القيامة ومع هذا فقد توعده به .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة الا حفصاً ، ويعقوب « من يصرف » بفتح الياء وكسر الراء . الباقون بضم الياء وفتح الراء .

وفاعل يصرف هو الضمير العائد الى « ربي » من قوله : « اني اخاف إن عصيت ربي » . ويكون حذف الضمير العائد الى العذاب . والمعنى من يصرف الله عنه ، وكذلك هو في قراءة ابي .

قال ابو علي : وليس حذف الضمير بالسهل لانه ليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة إذا عاد الى الموصول ، نحو « أهذا الذي بعث الله رسولا » (١) و « سلام على عباده الذين اصطفى الله » (٢) اي بعثهم الله واصطفاهم . ولا يعود الضمير المحذوف هاهنا الى موصول ولا الى (من) التي للجزاء . وانما يرجع الى العذاب من قوله « ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم » ، وليس هذا بمنزلة قوله « والحافظين فروجهم » (٣) لان هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الاول فيها الى المفعول ، فعلم بتقدير الاول ان الثاني بمنزلته .

والذي يحسن قراءة من قرأ ﴿ يصرف ﴾ بفتح الياء أن ما بعده من قوله « فقد رحمه » فعل مسند الى ضمير اسم الله . فقد اتفق الفعلان في الاسناد الى هذا الضمير ، فيمن قرأ « يصرف » بفتح الياء . ويقويه ايضاً ان الهاء المحذوفة من (يصرفه) لما كان في حيز الجزاء ، وكان ما في حيزه في انه لا يتسلط على الموصول ، حسن حذف الها منه كما حسن حذفها من الصلة .

ومن ضم الياء فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب [المتقدم ذكره ويقوي ذلك قوله « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم » (٤) ألا ترى ان الفعل بني للمفعول وفيه ضمير العذاب] (٥) .

وقال الزجاج : التقدير من يصرف الله عنه العذاب فيمن فتح الياء . ومن ضم

---

(١) سورة الفرقان آية ٤١
(٢) سورة النمل آية ٥٩
(٣) سورة الأحزاب آيه ٣٥
(٤) سورة هود آية ٨
(٥) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

الياء فتقديره من يصرف عنه العذاب .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) آيتان بلاخلاف .

معنى الآية الاولى انه لا يملك النفـــع والضرر إلا الله تعالى او من يملكه الله ذلك .

فبين تعالى انه مالك السوء من جهته « فلا كاشف له إلا هو » ولا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون ولا احد سوى الله . وانه ان ناله بخير فهو على ذلك قادر . وقوله يمسسك بسوء او بخير معناه يمسك ضره او خيره . فجعل المس لله على وجه المجاز وهو في الحقيقة الخير والضر . وهو مجاز في الخير والضر ايضاً ، لانهما عرضان لا تصح عليهما الماسة . واراد تعالى بذلك الترغيب في عبـــادته وحده ، وترك عبادة سواه ، لانه المالك للضرر والنفع دون غيره ، وانه القادر عليهما . والقاهر هو القادر على ان يقهر غيره . فعلى هذا يصح وصفه فيما لم يزل بأنه قاهر . وفي الناس من قال لا يسمى قاهراً إلا بعد ان يقهر غيره . فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بذلك .

ومثل قوله « فوق عباده » قوله « يد الله فوق ايديهم » (١) والمراد انه أقوى منهم ، وانه مقتدر عليهم ، لأن الارتفاع في المكان لا يجوز عليه تعالى لانه من صفات الاجسام . فاذاً المراد بذلك انه مستعل عليهم ، مقتدر عليهم . وكل شيء

(١) سورة الفتح آية ١٠

قهر شيئاً فهو مستعل عليه . ولما كان العباد تحت تسخيره وتذليله وامره، ونهيه ، وصف بأنه فوقهم .

وقوله « وهوالحكيم الخبير » معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ، ولا يفعل ما فيه مفسدة او وجه قبح لكونه عالماً بقبح الاشياء وبأنه غني عنها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (١٩) آية بلا خلاف .

القراءة :

اختلفوا في الهمزتين إذا كانت الاولى مفتوحة ، والثانية مكسورة من كلمة واحدة نحو (أئنك) و (أإذا) و (أإنا) و (أإفكا) . فقرأ ابن عامر واهل الكوفة وروح بتحقيق الهمزتين حيث وقع إلا في قوله « أئنكم لتشهدون » هاهنا . وفي الأعراف « أئنكم لتأتون الرجال » و « أإن لنا لأجراً » و (أإما) حيث وقع . و « أإنك لأنت يوسف » و « أإذا ما مت » وفي العنكبوت « أإنكم لتأتون الفاحشة » و « أإنا لمغرمون » في الواقعة . والاستفهامين في الرعد . وبني اسرائيل . والمؤمن والنحل . وسجدة لقمان . والصافات . والواقعة . والنازعات . وسنذكر الخلاف فيها في مواضعها .

الباقون بتحقيق الاولى وتليين الثانية . وفصل بينهما بألف اهل المدينة . الا ورشاً ، وابو عمرو ، والحلواني عن هشام وافقهم الداجوني عن هشام على الفصل في قوله « أإنا لتاركوا آلهتنا » . و« أإذا متنا » في (ق) .

واما قوله « أئنكم » هاهنا فقرأه ابن عامر وأهل الكوفة الا الكسائي عن ابي بكر وروح بتحقيق الهمزتين الا ان الحلواني عن هشام يفصل بينهما بألف الباقون بتحقيق الاولى وتليين الثانية . وفصل بينهما بألف اهل المدينة إلا ورشا وابو عمرو والكسائي عن ابي بكر . وقد روي عن الكسائي عن ابي بكر انه لا يفصل .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ص ﴾ ان يقول لهؤلاء الكفار « اي شيء اكبر شهادة » لانهم كانوا مقرين بأنه لا شيء اكبر شهادة من الله ، واذا اقروا بأنه الله حينئذ امره ان يقول لهم هو الشهيد بيني وبينكم على ما بلغتكم ونصحتكم وقررت عندكم من ان إلهكم إله واحد ، وعلى براءتي من شركم .

والوقف على قوله « قل الله » وقف تام .

وفي الآية دلالة على من قال : لا يوصف تعالى بانه شيء ، لانه لو كان كما قال لما كان للآية معنى كما انه لا يجوز ان يقول القائل اي الناس اصدق ؟ فيجاب بـ(جبرائيل) لما لم يكن من جملة الناس بل كان من الملائكة .

فان قيل قوله « اي شيء اكبر شهادة » تام ، وقوله « قل الله » ابتداء ، وليس بجواب ، ولو كان جواباً كان ما بعده من قوله « شهيد بيني وبينكم » لا ابتداء له ولا معنى له ؟!

قيل : لسنا ننكر ذلك - الا ان هذا وان كان هكذا لو لا انه متقرراً عند

السائل والمسؤول ـ ان الله شهيد ـ ما كان للكلام معنى ، ولكان قوله : « قل اي شيء اكبر شهادة » لغواً وحشواً ، وذلك منزه عن كلامه تعالى .

وقوله : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وقف تام . اي من بلغه القرآن الذي انذرتكم به ، فقد انذرته كما انذرتكم ، وهو قول الحسن رواه عن النبي ﴿ ص ﴾ : انه قال : (من بلغه أني أدعو إلى لا إله إلا الله ، فقد بلغه) يعني بلغته الحجة ، وقامت عليه . وقال مجاهد « لأنذركم به » يعني اهل مكة . « ومن بلغ » من أسلم من العجم وغيرهم .

وقوله ﴿ آلهة اخرى ﴾ ولم يقل اخر ، لان الآلهة جمع والجمع يقع على التأنيث ، كما قال : « ولله الأسماء الحسنى » (١) وقال « فما بال القرون الاولى » (٢) ولم يقل الاول . والشاهد : هو المبين لدعوى المدعي . قال الحسن : قال المشركون لرسول الله ﴿ ص ﴾ : من يشهد لك ؟ فنزلت هذه الآية . وهي قوله : « واوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به » اي اني اخوفكم به ، لأن الانذار هو الاعلام على وجه التخويف . « ومن بلغ » يعني القرآن . و(من) في موضع نصب بالانذار . ثم قال موبخاً « أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى » ثم قال لنبيه : قل أنت يا محمد : لا أشهد بمثل ذلك بل اشهد انه إله واحد « واني بريء مما تشركون » بعبادته مع الله واتخاذه إلهاً .

قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ رفع بالابتداء . وقوله « يعرفونه » خبر . وقوله

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩ (٢) سورة طه آية ٥١

« الذين خسروا انفسهم » ايضاً رفع ، ويحتمل رفعه وجهين :

احدهما ـ ان يكون نعتاً لـ (الذين) الاولى . ويحتمل ان يكون رفعاً على الابتداء وخبره « فهم لا يؤمنون » فان حملته على النعت كان المعني به اهل الكتاب وان حملته على الابتداء يتناول جميع الكفار .

وقال بعض المفسرين : ما من كافر إلا وله منزلة في الجنة وازواج فان اسلم وسعد صار الى منزله وازواجه ، وان كفر صار منزله وازواجه الى من اسلم ، فذلك قوله « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (١) وقوله : « الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة » وهذه الآية لابد ان تكون مخصوصة بجماعة من اهل الكتاب ، وهم الذين عرفوا التوراة والانجيل فعرفوا صحة نبوة محمد ﴿ ص ﴾ بما كانوا عرفوه من صفاته المذكورة ، ودلائله الموجودة في هذين الكتابين كما عرفوا ابناءهم في انها صحيحة لامرية فيها(٢) ولم يرد انهم عرفوا بنبوته اضطراراً ، كما عرفوا ابناءهم ضرورة على ان احداً لا يعرف ان من ولد على فراشه ابنه على الحقيقة ، لانه يجوز ان يكون من غيره ، وان حكم بانه ولده لكونه مولوداً على فراشه ، فصار معرفتهم بالنبي (ص) آكد من معرفتهم بابنائهم لهـــذا المعنى . ولم يكن جميع اهل الكتاب كذلك ، فلذلك خصصنا الآية .

فان قيل : كيف يصح ـ على مذهبكم في الموافاة ـ ان يكونوا عارفين بالله ، وبنبيه ثم يموتون على الكفر ؟!

قلنا عنه جوابان :

احدهما ـ ان لا يكونوا عارفين بذلك بل يكونوا معتقدين اعتقاد تقليد ، ويعتقدون مع ذلك انهم عالمون به ، فقال الله تعالى « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم »

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١ (٢) في المطبوعة (لامزيد) بدل (لامرية)

في اعتقادهم ، لا انهم يعرفونه على الحقيقة كما قال « ذق انك انت العزيز الكريم »(١) يعني عند نفسك ، وقومك .

الثاني ـ ان يكونوا عرفوا ذلك على وجه لا يستحق به الثواب ، لانهم يكونون نظروا في الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم ، فولد ذلك المعرفة لكن لا يستحق بها الثواب . وقد بينا مثل ذلك في عدة مواضع فيما مضى (٢) فسقط السؤال .

وقوله « الذين خسروا انفسهم » يعني بكفرهم بمحمد ﴿ ص ﴾ على وجه المعاندة « فهم لا يؤمنون » وخسرانهم انفسهم اهلاكهم لها بهذا الكفر ، وتصييرهم (٣) لها الى ان لا ينتفعون بها . ومن جعل نفسه بحيث لا ينتفع بها فقد خسر نفسه .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢١) آية .

أخبر الله تعالى ان من افترى على الله الكذب فوصفه بخلاف صفاته ، واخبر عنه بخلاف ما اخبر به عن نفسه ، وعن افعاله انه لا احد أظلم لنفسه منه اذ كان بهذا الفعل قد اهلك نفسه واوقعها في العذاب الدائم في النار . ثم اخبر ان الظالم لا يفلح اي لا يفوز برحمة الله ، وثوابه ورضوانه ، ولا بالنجاة من النار ، لان الظلم هاهنا هو الكفر بنبوة محمد ﴿ ص ﴾ وذلك لا يغفر بلا خلاف .

قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ

(١) سورة الدخان آية ٤٩ (٢) في ١ : ١٩٢ و ٢ : ٢١ و ٤٩٨ وغيرها

(٣) في المطبوعة « مصيرهم » بدل « تصييرهم »

شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢) آية

قرأ يعقوب « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول » بالياء فيهما . الباقون بالنون فيهما من قرأ بالياء رده الى الله تعالى في قوله « على الله كذباً » وتقديره : يوم يحشرهم الله فيقول .

ومن قرأ بالنون ابتدأ ، وتقدير الآية اذكر يوم نحشرهم جميعاً ، يعني يوم القيامة ، لانهم يحشرون فيه جميعاً من قبورهم الى موضع الحساب . وانه يقول - للذين اشركوا بالله ، وعبدوا معه الهاً غيره - في هذا اليوم : اين الذين كنتم تزعمون انهم شركائي ؟! واين شركائي في زعمكم ؟! . وانما يقول هذا توبيخاً لهم وتبكيتاً على ماكانوا يدعون انهم يعبدونه من الاصنام والاوثان . ويعتقدون انها شركاء لله وانها تشفع لهم ، يوم القيامة ، فاذا لم يجدوا لما كانوا يدعونه صحة : ولم ينتفعوا بهذه الاوثان ، ولا بعبادتهم ، فيعلمون انهم كانوا كاذبين في اقوالهم .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤) آيتان عند الجميع .

القراءة والحجة والاعراب:

قرأ حمزة والكسائي والعليمي ، ويعقوب « ثم لم يكن » بالياء . الباقون بالتاء .

وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وحفص الا ابن شاهين « فتنتهم » بالرفع . الباقون بالنصب . وقرأ حمزة والكسائي وخلف « والله ربنا » بنصب الباء . الباقون بكسرها .

من قرأ بالتاء ورفع الفتنة اثبت علامة التأنيث . وتكون (ان) في موضع نصب . وتقديره ثم لم تكن فتنتهم الا قولهم . وقد روى شبل عن ابن كثير « تكن » بالتاء « فتنتهم » نصباً مثل قراءة نافع وابي عمرو عن عاصم . ووجهه انه انث ان قالوا لما كان الفتنة في المعنى، كما قال ﴿ فله عشر امثالها ﴾ (١) فأنث لما كانت الامثال فى المعنى الحسنات . ومثله كثير في الشعر ، قال ابو علي والأول اجود من حيث كان الكلام محمولاً على اللفظ . ويقوي قراءة من قرأ : (فتنتهم) بالنصب ان قوله (ان قالوا) ان يكون الاسم دون الخبر اولى ، لان (ان) اذا وصلت لم توصف ، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر ، فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان (ان يكون) الاسم احسن . كذلك اذا كانت (ان) مع اسم غيرها كانت (ان يكون) الاسم اولى .

ومن قرأ (والله ربنا) - بكسر الباء - فعلى جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد ، لان قوله (والله) جر بواو القسم . ولو اسقطت لقال: (الله) بالنصب . ومثله قولهم : رأيت زيداً صاحبنا وبكراً جارك ، ويكون قوله (ما كنا مشركين) جواب القسم .

ومن نصب الباء يحتمل امرين : احدهما - ان ينصبه بفعل مقدر ، وتقديره : اعني ربنا . والثانى - على النداء . ويكون قد فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه بالنداء . وذلك غير ممتنع ، لان النداء كثير في الكلام .

[وقد حال الفصل بين الفعل ومفعوله في قوله: (انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) (٢) . والمعنى آتيتهم اموالا ليضلوا ولا يؤمنوا] (٣) وقد جاء الفصل بين الصلة والموصول ، وهو اشدها

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٠ (٢) سورة يونس آية ٨٨

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

قال الشاعر :

ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترّهات الباطل (١)

وقال ابو عبيدة من قرأ بالتاء المعجمة من فوقها ، ونصب « فتنتهم » اضمر في يكن اسماً مؤنثاً ثم يجيء بالتاء . لذلك الاسم . وانما جعله مؤنثاً لتأنيث ﴿ فتنة ﴾ (٢)

قال لبيد :

فمضى وقدّمها وكانت عادة منه اذا هي عودت اقدامها (٣)

فأنث الاقدام لتأنيث عادة .

المعنى :

قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » اي لم تكن بليتهم التي (٤) الزمتهم الحجة وزادتهم لائمة إلا قولهم .

ومعنى الآية : انه تعالى لما ذكر قصص هؤلاء المشركين الذين كانوا مفتتنين بشركهم ، أعلم النبي ﴿ ص ﴾ ان افتتانهم بشركهم ، وإقامتهم عليه لم يكن إلا ان تبرءوا منه ، وقالوا إنهم كانوا مشركين ، كما يقول القائل اذا رأى انساناً يحب غاوياً ، فاذا وقع في هلكة تبرأ منه فيقول له ما كانت محبتك لفلان إلا ان انتفيت منه .

فان قيل : كيف قالوا وحلفوا انهم ما كانوا مشركين - وقد كانوا مشركين - وهل هذا الا كذب ، والكذب قبيح ولا يجوز من اهل الآخرة ان يفعلوا قبيحاً ، لانهم ملجؤن الى ترك القبيح ، لانهم لو صح لم يكونوا ملجئين وكانوا مختارين ،

---

(١) اللسان : (تره) ومجمع البيان ٢ : ٢٨٤

(٢) فى المطبوعة (لتأنيث الضمير كما قال لبيد) وقد اثبتنا ما فى المخطوطة .

(٣) اللسان (قدم) وروايته (عردت) بدل (عودت) ومجمع البيان ٢ : ٢٩٦

(٤) فى المطبوعة (ملتهم التى) بدل (بليتهم التى) .

وجب ان يكونوا مزجورين عن فعل القبيح ، والا ادى الى اغرائهم بالقبيح وذلك لايجوز . ولوزجروا بالوعيد عن القبائح لكانوا مكلفين ولوجب ان يتناولهم الوعد والوعيد ، وذلك خلاف الاجماع . وقد وصفهم الله تعالى ايضاً بأنهم كذبوا على انفسهم ، فلا يمكن جحد انيكونوا كاذبين فكيف يمكن ان يرفع ذلك ؟ وما الوجه فيه ؟

والجواب عن ذلك من وجوه :

احدها ـ ماقاله البلخي ان القوم كذبوا على الحقيقة ، لأنهم كانوا يعتقدون انهم على الحق ، ولا يرون انهم مشركون ، كالنصارى ومن اشبههم ، فقالوا في الموقف ذلك . وقيل ان يقع بهم العذاب فيعلموا بوقوعه انهم كانوا على باطل فيقولوا « والله ربنا ما كنا مشركين » وهم صادقون عند انفسهم وكذبهم الله في ذلك ، لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به ، علم المخبر بذلك او لم يعلم ، فلما كان قولهم « والله ربنا ما كنا مشركين » كذباً في الحقيقية جاز ان يقال لهم « انظر كيف كذبوا على انفسهم » . قال البلخي : ويدل على ذلك قوله « وضل عنهم ما كانوا يفترون » اي ذهب عنهم واغفلوه ، لانهم لم يكونوا نظروا صحيحاً ولم يجاروا في نظرهم الالف والعادة ، فيعلموا في هذا الوقت ان قولهم شرك ولو صاروا الى العذاب لعلموا انهم كانوا مشركين ، واستغنوا بذلك ، لكن هذا القول يكون عند الحشر .

وقيل الجزاء بدلالة اول الآية . وقال مجاهد قوله : « انظر كيف كذبوا على انفسهم » تكذيب من الله إياهم .

وقال الجبائي : قولهم والله ربنا ما كنا مشركين اخباراً منهم انهم لم يكونوا مشركين عند انفسهم في دار الدنيا ، لأنهم كانوا يظنون انهم على الحق ، فقال الله تعالى مكذباً لهم « انظر » يا محمد « كيف كذبوا على انفسهم » في دار الدنيا ، لا انهم كذبوا في الآخرة ، لانهم كانوا مشركين على الحقيقة ، وان اعتقدوا انهم على الحق .

وقوله : « وضل عنهم ما كانوا يفترون » اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم: انها شفعاؤنا عند الله غداً، فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ، ولم ينتفعوا بها .

وقال قوم : انه يجوز ان يكون يكذبوا يوم القيامة للذهول والدهش ، لأنهم يصيرون كالصبيان الذين لا تمييز لهم ولا تحصيل معهم - اختاره احمد بن علي بن الاخشاد . واجاز البحار ان يكفروا في النار فضلا عن وقوعه قبل دخولهم فيها ، وهذا بعيد . والوجهان الأولان اقرب . وقيل فيه وجه آخر ، وهو انهم املوا املا فخاب املهم ولم يقع الامر على ما ارادوا ، لان من عادة الناس انهم إذا عوقبوا بعقوبة فتكلموا واستعانوا وصاحوا فان العذاب يسهل عليهم بعض السهولة ، وظنوا ان عذاب الآخرة كذلك ، فقالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » وقالوا « ربنا ظلمنا انفسنا» (١) وقالوا « ربنا غلبت علينا شقوتنا »(٢) وقالوا « ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا » (٣) فأملوا ان يخف عنهم العذاب بمثل هذا الكلام على عادة الدنيا ، فلم يخف ولم يكن لهم فيه راحة ، فقال الله « انظر كيف كذبوا على انفسهم » اي خابوا فيما املوا من سهولة العذاب وذلك مشهور في كلام العرب ، قال الشاعر :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم (٤)

وقال آخر :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب(٥)

اي كذبكم املكم . وقال ابو داود الازدي :

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٢ (٢) سورة المؤمنون آية ١٠٧

(٣) « حم السجدة آية ٢٩ (٤) مجمع البيان ٢ : ٢٩٠

(٥) قائله الاسدي . اللسان (قرن)

قلت لما نصلا من فتنة كذب العير وان كان برح (٦)

والمعنى انه امل يتخلص بشيء فكذبه امله ، لانه ظن انه اذا مرّ بارحاً وهو ان يأخذ في ناحية الشمال الى ناحية اليمين لم يتهيأ لي طعنه ، فلما قلب رمحه وطعنه قال : كذب العير اي كذب امله .

و(الفتنة) في الآية معناها المعذرة في قول قتادة ، لانها اعتذار عن الفتنة فسميت باسم الفتنة . وقال قوم : هي المحنة . وقال قوم : تقديره عاقبة فتنتهم . وفتنتهم يجوز ان تكون بمعنى اغترارهم اي اغتروا بهذا الكذب وظنوا انه سينجيهم ، وكذبوا على انفسهم لما رجعت مضرته اليهم صار عليهم وإن قصدوا ان يكون لهم .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية ، لأن الله تعالى اخبر عنهم انهم قالوا « والله ربنا ما كنا مشركين » فلا يخلو ان يكونوا صادقين او كاذبين فان كانوا صادقين لانهم كانوا عارفين في دار الدنيا فقد كذبهم الله في ذلك بقوله « انظر كيف كذبوا » وان كانوا كاذبين لانهم كانوا عارفين ، فقد وقع منهم القبيح في الآخرة ، وذلك لا يجوز . ومعنى الآية على ما بيناه من انهم اخبروا انهم لم يكونوا مشركين عند انفسهم في دار الدنيا وإن الله كذبهم وانهم كانوا كاذبين على الحقيقة وإن إعتقدوا خلافه في الدنيا . فأما معارفهم في الآخرة فضرورية عند البصريين ، وعند البلخي ومن وافقه ، حاصلة على وجه هم ملجؤن اليها فعلى الوجهين معاً لا يجوز ان يقع منهم القبيح لا محالة .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ

(١) اللسان « كذب » ومجمع البيان ٢ : ٢٩٠

إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

قال مجاهد قوله « ومنهم من يستمع اليك » يعني قريشاً . وقال البلخي اي من اهل الكتاب والمشركين من يجالسك ويريد الاستماع منك والاصغاء اليك وفي قلوبهم أكنة اي لا يفقهون ، لألفهم الكفر وشدة عداوتهم « حتى إذا [جاؤك يجادلونك » اي حتى اذا] (١) صار الأمر الى الجدال اظهروا الكذب وعاندوا ، فقالوا ان هذا الا اساطير الاولين [اي ليس هذا الا اساطير الاولين . وقال قوم نزلت في النظر بن الحارث بن كلدة . وقال الضحاك : معنى اساطير الاولين] (٢) أحاديث الأولين وكل شيء في القرآن اساطير ، فهو احاديث .

اللغة :

و(الأكنة) جمع كنان بكسر الكاف وهو كالغطاء والأغطية « وفي آذانهم وقراً » اي ثقلا والوقر بكسر الواو الحمل ، يقال وقرت الاذن توقر قال الشاعر:

وكلام سيء قد وقرت اذني منه وما بي من صمم

ونخلة موقرة وموقر ونخيل مواقير . قال يونس سألت رؤبة ، فقال وقرت اذنه بضم الواو وكسر القاف يوقر بفتح الياء والقاف اذا كان فيها الوقر . وقال ابو زيد سمعت العرب، تقول إذن موقرة بضم الميم وفتح القاف . ومن الحمل يقال أوقرت الدابة فهي موقرة . ومن السمع وقرت سمعه بتشديد القاف فهو موقر ، قال الشاعر :

ولي هامة قد وقر الصوت سمعهـــا (٣)

(١ - ٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٣) تفسير الطبري ١١ : ٣٠٦ وروايته (الضرب) بدل (الصوت) .

واساطير واحدها اسطورة واسطارة مأخوذ من سطر الكتاب ، قال الراجز :

اني واسطار سطرن سطراً لقائل يا نصر نصراً نصراً (١)

واسطار جمع سطر . ومن قال في واحده سطر ، قال في الجمع اسطر وجمع الجمع اساطير ، ومعناها الترهات البسابس يعني ليس له نظام . وقال الاخفش : اساطير جمع لا واحد له ، نحو مذاكير وابابيل . وقال بعضهم واحد الأبابيل ابيل بتشديد الباء وكسر الألف .

المعنى :

ومعنى قوله : « وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه » قد مضى نظائره . في قوله : « وجعلنا قلوبهم قاسية » (٢) اي معناهم الالطاف التي تبسط المؤمنين وتبعثهم على الازدياد من الطاعة ، لان الله تعالى لما ازاح علتهم علله بالدعاء والبيان والانذار والترغيب والترهيب فأبوا الا كفراً وعناداً وتمرداً على الله واعراضاً عنه وعما دعاهم اليه ، ثمهم الطاف عقوبة لهم حيث علم انهم لا ينتفعون بذلك ولا ينتهون اليه ، والفوا الكفر وأحبوه حتى صاروا كالصم عن الحق وصارت قلوبهم كأنها في اكنة فجاز ان يقال في اللغة جعل على قلوبهم اكنة وفي آذانهم وقراً ، كما يقول القائل لغيره افسدت سيفك إذا ترك استعماله حتى يصدي ، وجعلت اظافيرك سلاحاً إذا لم يقلمها . ويقال للرجل اذا آيس من عبده او ولده بعد الاجتهاد في تأديبه فخلاه واقصاه قد جعلته بحيث لا يفلح ابداً وتركته اعمى أصما ، وجعلته ثوراً وحماراً ، وان كان لم يفعل به شيئاً من ذلك ولم يرده بل هو مهموم به محب لخلافه ، ولا يجوز ان يكون المراد بذلك انه كلفهم ما لا يطيقونه وذلك لا يليق بحكمته تعالى ، ولكانوا غير ملومين في ترك

---

(١) قائله رؤبة بن العجاج ملحقات ديوانه ١٧٤ واللسان والصحاح (نصر) وسيبويه ١ : ٣٠٤ والخزانة ١ : ٣٢٥ ومجمع البيان ٢ : ٢٨٥ .

(٢) سورة المائدة آية ١٤

الايمان حيث لم يمكنوا منه وكانوا ممنوعين منه وكانت الحجة لهم على الله تعالى دون ان تكون الحجة له ، وذلك باطل ، بل لله الحجة البالغة .

قوله: ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها ﴾ اي كل علامة ومعجزة تدلهم على نبوة النبي ﴿ ص ﴾ لا يؤمنون بها لعنادهم . قال الزجاج (ان يفقهوه) في موضع نصب لانه مفعول له ، والمعنى جعلنا على قلوبهم اكنة لكراهة ان يفقهوه ، فلما حذفت اللام نصب الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى (ان) . قال ابوعلي كانوا اذا اسمعوا القرآن من النبي آذوه ورجموه وشغلوه عن صلاته ، فحال الله بينهم وبين استماع ذلك في تلك الحال التي كانوا عازمين فيها على ما ذكرناه بأن القى عليهم النوم اذا قعدوا يرصدونه فكانوا ينامون فلا يسمعون قراءته ولا يفقهون انه قرآن ، ولا يعرفون مكانه ليسلم النبي ﴿ ص ﴾ من شرهم وأذاهم فجعل منعه إياهم عن استماع القرآن ، وعن التعرف لمكان النبي ﴿ ص ﴾ لئلا يرجموه ولا يؤذوه « اكنة ان يفقهوه » انه قرآن وأن محمداً هو الذي يقرأه . وبين ان كل آية يرددها عليهم النبي ﴿ ص ﴾ من قبل الله لا يؤمنون بها ، فلهذا منعهم الله من استماع القرآن ، لانهم لم يكونوا يسمعونه ليستدلوا به على توحيد الله وصحة نبوة محمد ﴿ ص ﴾ وإنما كانوا يريدون بذلك تعرف مكانه ليؤذوه ويرجموه ، فلهذا منعهم الله من استماع القرآن وفهمه . ولو كانوا ممن يؤمن ويقبل ما يرد عليه من الآيات من قبل الله ويستدلوا بها على نبوة محمد ﴿ص﴾ ما كان الله يمنعهم من سماع ذلك وفهمه .

وقوله ﴿ حتى اذا جاءوك يجادلونك ﴾ يعني انهم اذا دخلوا اليه بالنهار إنما يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادين مكذبين ، ولم يكونوا يجيئون مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه ﴿ ص ﴾ وكانوا يريدون ذلك بأن يقولوا هذا اساطير الاولين ، يعنون انه من كلام الاولين وحوادثهم . وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في بني اسرائيل : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين

الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً. وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً » (١) فمعنى الآيتين واحد وسبب نزولهما واحد ، وإنما انزلت هذه الآيات لئلا يمتنع النبي من قراءة القرآن خوفاً من أذى الكفار فيفوت المؤمنين سماعه فيغتمون لذلك وتفوتهم مصلحته بل حثه الله على قراءته وضمن له المنع من اذاهم .

وقوله : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها » كالتعليل لجعله قلوبهم في اكنة ، والوقر في آذانهم ، فقال انما فعلت هذا لعلمي بأنهم لا يؤمنون وانه ليس في سماعهم ذلك إلا تطرق الأذية عليك منهم ، وقولهم « إن هذا الا اساطير الاولين » .

ويحتمل الآية وجهاً آخر وهو : انه يعاقب الكفار الذين لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم من نحو الضيق الذي ذكر انه يخلقه فيها ويجعل هذه العقوبات دلالة لمن شاهد قلوبهم واسماعهم من الملائكة وشاهد منها هذه العقوبات ، على انهم لا يؤمنون من غير ان يكون ذلك حائلا بينهم وبين الايمان . ثم اخبر انها بمنزلة الأكنة على قلوبهم عن فقه القرآن وبمنزلة الوقر في الآذان على وجه التمثيل له بذلك تجوزاً واستعارة ووجه الشبه بينهما ان من كانت في نفسه هذه العقوبات معلوم انه لا يؤمن كما ان من على قلبه اكنة لا يؤمن ، وكما سمى الكفر عمىً ، سماه باسم العمى على وجه التشبيه .

ويحتمل ايضاً ان يكون الكفر الذي في قلوبهم من جحد توحيد الله وجحد نبوة نبيه ، سماه كناً تشبيهاً ومجازاً وأعراضهم عن تفهم القرآن والاصغاء إليه على وجه الاستعارة وقراً توسعاً ، لان مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما ان مع الكن والوقر لا يحصلان ، ونسب هذا الجعل إلى نفسه ، لأنه الذي شبه احدهما بالآخر وذلك سائغ في اللغة كما يقول القائل لغيره ـ اذا أثنى على انسان وذكر فضائله ومناقبه ـ جعلته فاضلا خيراً عدلا وان كان لم يفعل به ذلك . وبالعكس من ذلك اذا ذكر مقابحه ومخازيه وفسقه يحسن ان يقال له جعلته فاسقاً شريراً ، وإن لم يفعل في الحالين

---

(١) سورة الاسراء آية ٤٥ - ٤٦

شيئاً من ذلك وكل ذلك مجاز . ومنه قولهم جعل القاضي فلاناً عدلا وجعله ثقة وجعله ساقطاً فاسقاً كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والابانة عن حاله كما قال الشاعر :

جعلتني باخلا كلاب ورب مني اني لأسمح كفاً منك في اللزب (١)

اي سمتني باخلا . وقوله « ومنهم من يستمع اليك . . . » فكنى عنها بلفظ الواحد حملا له على اللفظ فلما قال « وجعلنا على قلوبهم اكنة » رده إلى المعنى فعامله معاملة الجمع ، لأن لفظة (من) تقع على الواحد وعلى الجمع حقيقة .

قوله تعالى :

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

النزول :

قوله « وهم » كناية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم عند اكثر المفسرين : الجبائي والبلخي وغيرهم . وقال قوم نزلت في ابي لهب ، لأنه كان يتبعه في المواسم فينهى الناس عن أذاه وينأى عن اتباعه . والاول اشبه بسياق الآية . وقيل : نزلت في ابي طالب ، وهذا باطل عندنا ، لأنه دل الدليل على إيمانه بما ثبت عنه من شعره المعروف وأقاويله المشهورة الدالة على اعترافه بالنبي ﴿ ص ﴾ . وقال مجاهد نزلت في قريش .

المعنى واللغة :

بين الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ذكرهم كانوا ينهون عن اتباع القرآن ،

---

(١) مجمع البيان ٢ : ٢٨٦ . (كلاب) اسم قبيلة . ورب منى : قسم . و(اللزب) الضيق يقال عيش لزب وطريق لزب . وماء لزب : قليل .

وقبوله والتصديق بنبوة نبيه ، ويبعدون عنه ، لان معنى ينأون يبعدون إلى حيث لايسمعونه خوفاً من ان يسبق الى قلوبهم الايمان به والعلم بصحته .

وقوله : « وإن يهلكون إلا انفسهم » معناه ليس يهلكون الا انفسهم « وما يشعرون » انهم ما يهلكون بنهيهم عن قبوله ، وبعدهم عنه « إلا انفسهم » لانهم لايعلمون اهلاكهم [اياها بذلك واهلاكهم إياها هو ما يستحقون به الصيرورة إلى العذاب الأبدي في النار .

والاهلاك] (١) اعظم من ذلك . والنأي : البعد « ينأون » اي يتباعدون عنه ، تقول نأيت عن الشيء انأى نأياً ، إذا بعدت عنه . والنؤي حاجز يجعل حول البيت من الخوف لأن لايدخله الماء من خارج يحفر حفرة حول البيت فيجعل ترابها على شفير الحفيرة فيمنع التراب الماء ان يدخل من خارج ، وهو مأخوذ من النأي ، اي تباعد الماء عن البيت .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال معرفة الله ضرورة ، وان من لايعرف الله ولا يعرف نبيه لا حجة عليه ، لأن الله بين ان هؤلاء الكفار قد أهلكوا انفسهم بنهيهم عن قبول القرآن وتباعدهم عنه وانهم لايشعرون ولا يعلمون باهلاكهم انفسهم بذلك ، فلو كان من لا يعرف الله ولا نبيه ولا دينه لاحجة عليه ، لكانوا هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين وذلك خلاف ما نطق به القرآن .

قوله تعالى :

﴿ وَلَو تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى النارِ فَقالوا يا لَيتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكونَ مِنَ المُؤمِنينَ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

القراءة والحجة :

قرأ حمزة ويعقوب وحفص « ولا نكذب .. ونكون » بالنصب فيهما ، وافقهم ابن عامر في « ونكون » الباقون بالرفع فيهما ، فمن قرأ بالرفع احتملت قراءته امرين :

احدهما ـ ان يكون معطوفاً على نرد ، فيكون قوله : « نرد ولا نكذب ... ونكون » داخلا في التمني ويكون قد تمنى الرد وألا يكذب وان يكون من المؤمنين ، وهو إختيار البلخي والجبائي والزجاج .

والثاني ـ ان يكون مقطوعاً من الاول ويكون تقديره يا ليتنا نرد ولا نكذب كما يقول القائل : دعني ولا أعود ، اي فاني ممن لا يعود فانما يسألك الترك ، وقد أوجب على نفسه ألا يعود ترك او لم يترك . ولم يقصد ان يسأل ان يجمع له الترك وان لا يعود . وهذا الوجه الذي اختاره ابو عمرو في قراءة جميع ذلك بالرفع ، فالأول الذي هو الرد داخل في التمني وما بعده على نحو دعني ، ولا اعود فيكونون قد اخبروا على النيات ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين .

واستدل ابو عمرو على خروجه من التمني بقوله « وانهم لكاذبون » فقال ذلك يدل على انهم أخبروا بذلك عن انفسهم ، ولم يتمنوا ، لأن التمني لا يقع فيه الكذب وإنما يقع في الخبر دون التمني .

ومن نصب « نكذب ... ونكون » أدخلها في التمني ، لان التمني غير موجب ، فهو كالاستفهام والأمر والنهي والعرض ، في إنتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال إذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول ، كأنه قال : يا ليتنا يكون لنا رد ، وانتفاء للتكذيب وكون من المؤمنين .

ومن نصب « ونكون » فحسب ورفع « نرد ولا نكذب » يحتمل أيضاً وجهين :

احدهما ـ ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب .

والثاني ـ انه يخبر على النيات ان لا يكذب ردّ أو لم يرد .

ومن نصب « ولا نكذب ... ونكون » جعلها جميعاً داخلين في التمني ، كما ان من رفع وعطفه على التمني كان كذلك .

المعنى :

فان قيل : كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا عندذلك انهم لا يردون ؟

قيل عن ذلك أجوبة :

احدها ـ قال البلخي : انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة ، وإنما نقول انهم يعرفون الله بصفاته معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات والعلامات الملجئة لهم الى المعارف . واما التوجع والتأوه والتمني للخلاص والدعاء بالفرج يجوز ان يقع منهم وان تدعوهم انفسهم اليه . وقال ابو علي الجبائي والزجاج : يجوز ان يقع منهم التمني للرد ولان يكونوا من المؤمنين ، ولامانع منه . وقال آخرون : التمني قد يجوز لما يعلم انه لا يكون ألا ترى ان المتمني يتمنى ان لا يكون فعل ما قد فعله ومضى وقته ، وهذا لا حيلة فيه ، فعلى هذا قوله في الآية الثانية « وانهم لكاذبون » يكون حكاية حال منهم في دار الدنيا ، كما قال : « وكلبهم باسط ذراعيه » (١) وكما قال « وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » (٢) وإنما هو حكاية للحالة الآتية .

القراءة واللغة :

وقوله « ولو ترى إذ وقفوا على النار » آمال في الموضعين ابو عمرو وغيره وهي حسنة في امثال ذلك ، لان الراء بعده الألف مكسورة وهو حرف كأنه مكرر في اللسان

(١) سورة الكهف آية ١٨ (٢) سورة النحل آية ١٢٤

فصارت الكسرة فيه كالكسرتين ، فحسن لذلك الامالة . وقوله « إذ وقفوا » يحتمل ثلاثة أوجه :

احدها ـ ان يكون عاينوها ووردوها قبل ان يدخلوها . ويجوز ان يكونوا اقيموا عليها نفسها .

والثاني ـ ان يكونوا عليها وهي تحتهم .

وثالثها ـ ان يكون معناه دخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما يقول القائل : قد وقفت على ما عند فلان ، اي فهمته وتبينته . قال الكسائي : يقال وقفت الدابة وغيرها اذا حبستها ـ بغير الف ـ وهي لغة القرآن ، وهو الأفصح ، وكذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة . وقال ابو عمرو ما سمعت احداً من العرب يقول : أوقفت الشيء بالألف إلا أني لو رأيت رجلا بمكان ، فقيل له ما اوقفك هاهنا لرأيته حسناً .

المعنى :

واستدل ابو علي بهذه الآية على ان القدرة قبل الفعل خلافاً للمجبرة بأن قال تمنوا الرد الى دار الدنيا الى مثل الحالة التي كانوا عليها ، ولا يجوز من عاقل ان يتمنى ان يرد الى الدنيا ويخلق فيه القدرة الموجبة للكفر ، لأن ذلك لا يخلصه من العذاب بل يؤديه الى حالته التي كان عليها . وهذا ضعيف ، لأن لقائل ان يقول إنهم تمنوا الرد ورفع التكذيب وحصول الايمان بأن تحصل لهم قدرة الايمان ، ولا تحصل لهم قدرة التكذيب ، وليس في الآية انهم سألوا الرد الى الحالة التي كانوا عليها ، فلا متعلق في ذلك .

واستدل ايضاً على انه إذا كان المعلوم من حال الكافر انه يؤمن وجب تبقيته بأن قال: أخبر الله انه انما لم يردهم لأنهم « لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » وظاهر ذلك يقتضي انه لو علم انه لو ردهم لآمنوا ، لوجب ان يردهم واذا وجب ان يردهم اذا علم

انهم يؤمنون بأن يجب تبقيتهم اذا علم انهم يؤمنون أولى . وهذا ايضاً ضعيف ، لأن الظاهر أفاد انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وليس فيه انهم لو ردوا لآمنوا او ما حكمهم بل هو موقوف على الدلالة ، لأنه دليل الخطاب على ان غاية ما فيه انه يفيد انه لو علم من حالهم انه متى ردهم آمنوا يردهم فمن اين ان ذلك واجب عليه ؟! وهل هذا إلا كقوله « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » في انه لا خلاف بين أهل العدل انه كان يجوز له ان يعذب وإن لم يبعث رسولا بأن لا تقتضي المصلحة بعثته ويقتصر بهم على التكليف العقلي فانهم متى عصوا كان له ان يعذبهم فلا شبهة في الآية .

قوله تعالى :

﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢٨) آية

قوله « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » معناه من عقـــاب الله فعرفوه معرفة من كانوا يسترونه عنه . وقال قوم : بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم . وقيل : معناه بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه ، فأظهره الله وشهدت به جوارحهم . وقال الزجاج : ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه من أمر البعث والنشور ، لان المتصل بهذا قوله « وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » لتجزعلى المعاصي .

وقوله : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » قال بعضهم : لو ردوا ولم يعاينوا العذاب لعادوا كأنه ذهب الى انهم لم يشاهدوا ما يضطرهم الى الارتداع ، وهـــذا ضعيف ، لأن هذا القول يكون منهم بعد ان يبعثوا ويعلموا أمر القيامة ويعاينوا النار بدلالة قوله : « ولو ترى إذ وقفوا على النار » وهذه الآيات كلها في المعاندين ،

لأنه قال في أولها « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » ثم قال بعد ذلك « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها » . وقال ابو علي الجبائي : الآية مخصوصة بالمنافقين وظهر لهم ما كانوا يخفونه من كفرهم الذي كانوا يضمرونه . قال والآية الاولى وان كان ظاهرها يقتضي جميع الكفار والمنافقون داخلون فيهم فيجوز ان يخبر عنهم بهذا الحكم . قال ويحتمل ان يكون اراد بها الكافرين الذين كان النبي يخوفهم بالعذاب على كفرهم فلم يؤمنوا بذلك لكن دخلهم الشك والخوف واخفوه عن ضعفائهم وعوامهم ، فاذا كان يوم القيامة ظهر ذلك وان اخفوه في الدنيا فيتمنون حينئذ الرد الى حال الدنيا . وقيل : « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » معنى « يخفون » يجدونه خافياً . ومعنى (بل انه) ليس تمنيهم الرجعة واظهار الانابة حقاً للايمان الصحيح ، بل لما شاهدوه من العذاب الأليم .

وقوله « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » معناه انهم لو ردوا الى حال التكليف والى مثل ما كانوا عليه في الدنيا من المهلكة والتمكين من الايمان والتوبة والقدرة على ذلك ، لعادوا . لمثل ما كانوا عليه من الكفر الذي نهوا عنه .

وقوله تعالى « وانهم لكاذبون » قد بينا ان المراد به الحكاية عن حالهم في الدنيا وانهم كانوا فيها كاذبين في كفرهم وتكذيبهم رسول الله والقرآن . وقال البلخي هذا الكذب وقع منهم في الحال وان لم يعلموه كذباً ، لأنهم اخبروا عن عزمهم انهم لو ردوا لكانوا مؤمنين . وقد علم الله انهم لو عادوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم ، وكان اخبارهم بذلك كذباً ، وان لم يعلموه كذلك ، لان مخبره على خلاف ما اخبروه وهذا الذي ذكروه ضعيف ، لأنهم اذا اخبروا عن عزمهم على الايمان ان ردوا او كانوا عازمين عليه لا يكونون كاذبين ، لأن مخبر خبرهم العزم ، وهو على ما اخبروا فكيف يكذبون فيه ، والأول أقوى .

فاما الكذب مع العلم بأنه ليس كذلك ، فلا خلاف بين أبي علي وأبي القاسم

انه لايجوز ان يقع منهم في الآخرة ، لأن أهل الآخرة ملجؤون إلى ترك القبيح ، لأنهم لو لم يكونوا ملجئين لوجب ان يكونوا مزجورين من القبيح بالأمر والنهي والثواب والعقاب ، وذلك يوجب ان يكون ذاك التكليف ، ولا خلاف انه ليس هناك تكليف . وان لم يزجروا ولم يلجؤا إلى تركه كانوا مغريين بالقبيح وذلك فاسد . فاذاً لايجوز ان يقع منهم القبيح بحال .

وقال بعض المفسرين سئل النبي ﴿ ص ﴾ فقيل له ما بال اهل النار عملوا في عمر قصير بعمل اهل النار فخلدوا في النار ؟ وأهل الجنة عملوا في عمر قصير بعمل اهل الجنة فخلدوا في الجنة ؟! فقال : (إن الفريقين كان كل واحد منهما عازماً على انه لو عاش ابداً عمل بذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَقالوا إنْ هي إلا حياتُنا الدُّنيا وما نحنُ بمبعوثين (٢٩) ولو ترى إذْ وُقِفوا على ربِّهم قال اليْس هذا بالحقِّ قالوا بلى وربِّنا قال فَذُوقوا العذاب بما كُنْتُم تكفرُون ﴾ (٣٠) آيتان بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الكفار الذين ذكرهم في الآية الاولى ، وبين انهم قالوا لما دعاهم النبي ﴿ ص ﴾ الى الايمان والاقرار بالبعث والنشور وخوفهم من العقاب في خلافه ، وحذرهم عذاب الآخرة والحشر والحساب على سبيل الانكار لقوله والتكذيب له : ما هي الا حياتنا الدنيا ، وعنوا انه لاحياة لنا في الآخرة على ما ذكرت ، وانما هي هذه حياتنا بها التي حيينا بها في الدنيا وانا لسنا بمبعوثين الى الآخرة بعد الموت . ثم خاطب نبيه ﴿ ص ﴾ فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار في الآخرة

والثواب الذي يفعله بالمؤمنين ، وعرفوا صحة ما كان اخبرهم به من الحشر والحساب. وقال لهم ربهم عند مشاهدتهم ووقوفهم عليه « أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى وربنا » مقرين بذلك مذعنين له وان كانوا قبل ذلك في الدنيا ينكرونه ، قال حينئذ « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » بذلك . ويحتمل ان يكون معنى « إذ وقفوا على ربهم » انهم حبسوا ينتظر بهم ما يأمر كقول القائل احبسه على امره به . وقد ظن قوم من المشبهة ان قوله « إذ وقفوا على ربهم » انهم يشاهدونه ، وهذا فاسد ، لأن المشاهدة لاتجوز إلا على الاجسام او على ما هو حال في الاجسام ، وقد ثبت حدوث ذلك اجمع ، فلا يجوز ان يكون تعالى بصفة ما هو محدث .

وقد بينا ان المراد بذلك : وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه ، وعلمهم بصدق ما اخبرهم به في دار الدنيا دون ان يكون المراد به رؤيته تعالى ومشاهدته ، فبطل ما ظنوه . وايضاً فلا خلاف ان الكفار لايرون الله والآية مختصة بالكافرين ، فكيف يجوز ان يكون المراد بها الرؤية ! فلابد للجميع من التأويل الذي بيناه . ويجوز ان يكون المراد بذلك اذا عرفوا ربهم ، لأنه سيعرفهم نفسه ضرورة في الآخرة وتسمى المعرفة بالشيء وقوفاً عليه يقول القائل : وقفت على معنى كلامك ، والمعنى علمته ، واذا كان الكفار لايعرفون الله في الدنيا وينكرونه عرفهم الله نفسه ضرورة ، فذلك يكون وقوفهم عليه ، فاذا عرفوه قال لهم « أليس هذا بالحق » يعني ما وعدهم به ، فيقولون « بلى » لانهم شاهدوا العقاب والثواب ولم يشكوا فيهما .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ

أوزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ ﴿ ٣١ ﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى انه خسر هؤلاء الكفار « الذين كذبوا بلقاء الله » يعني الذين كذبوا بما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازاً ، كما يقول المسلمون لمن مات منهم : قد لقي الله وصار إليه . وانما يعنون : لقي ما يستحقه من الله وصار إلى الموضع الذي لا يملك الأمر فيه سواه ، كما قال « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون » (١) والموت لا يشاهد ، وإنما اراد انكم كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوا اسبابه ، فقد رأيتم اسبابه وانتم تنظرون ، فجعل لقاء اسبابه لقاءه .

اللغة :

وقوله « حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة » كل شيء أتى فجأة ، فقد بغت يقال : قد بغته الأمر يبغته بغتاً وبغتة إذا اتاه فجأة قال الشاعر :

ولكنهم باتوا ولم اخش بغتة وافظع شيء حين يفجؤك البغت (٢)

وقوله « قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » قد علم ان الحسرة لا تدعى وانما دعاؤها تنبيه للمخاطبين . و(الحسرة) شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد . قال الزجاج : العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم يقع فيه جعلته نداء ، فلفظه لفظ ما ينبه ، والمنبه به غيره ، كقوله « يا حسرة على العباد » (٣) وقوله « يا حسرتا على ما فرطت » (٤) و « يا ويلتا » ألد

(١) سورة آل عمران آية ١٤٣

(٢) قائله: يزيد بن ضبة الثقفي . اللسان « بغث » ومجمع البيان ٢ : ٢٩٢ ومجاز القرآن ١ : ١٩٣ وروايته « باتوا » ورواية اللسان « ماتوا » . بدل « باتوا » .

(٣) سورة يس آية ٣٠ (٤) سورة الزمر آية ٥٦

وأنا عجوز » (١) ، « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا » (٢) ، فهذا أبلغ من ان يقول انا انحسر على العباد وابلغ من ان يقول الحسرة علينا في تفريطنا . قال سيبويه: اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر وتعال يا عجب ، فانه من ازمانك .

المعنى واللغة :

وتأويل « يا حسرتنا » انتبهوا على انا قد خسرنا . وقوله « على ما فرطنا فيها» يعني قدمنا العجز . وقيل معناه ما ضيعنا فيها يعني في الساعة . وانما يحسروا على تفريطهم فى الايمان والتأهب لكونها بالأعمال الصالحة . وقوله : « وهم يحملون اوزارهم » يعني ثقل ذنوبهم ، وهذا مثل جائز ان يكون جعل ما يناهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يتحمل ، لأن الثقل قد يستعمل في الوزن وقد يستعمل في الحال تقول في الحال : قد ثقل علي خطاب فلان ، ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي . ويحتمل ان يكون المراد بالأوزار العقوبات التي استحقوها بالذنوب والعقوبات قد تسمى اوزاراً ، فبين انه لثقلها عليهم يحملونها على ظهورهم . وذلك يدل على عظمها . و(الوزر) الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به . ومنه قيل وزير كأنه يعتصم الملك به . ومنه قوله: « واجعل لى وزيراً من أهلي هارون أخي »(٣) وقال « وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً »(٤) . وقوله « ألا ساء مايزرون » يعني بئس الشيء شيئاً يزرونه اي يحملونه ، وقد بينا عمل بئس ونعم فيما مضى . ومثله « ساء مثلا القوم »(٥) ومعناه ساء مثلا مثل القوم . وقال بعضهم : معنى « يحملون أوزارهم على ظهورهم » وصف افتضاحهم في الموقف بما يشاهدونه من حالهم وعجزهم عن عبور الصراط كما

(١) سورة هود آية ٧٢ (٢) سورة يس آية ٥٢
(٣) « طه آية ٢٩ - ٣٠ (٤) « الفرقان آية ٣٥
(٥) « الأعراف آية ١٧٦

يعبره المخفون من المؤمنين . ومعنى قوله « ألاساء » ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم الردية إذ كان ذلك عذاباً ونكالا .

وقوله ﴿ يزرون ﴾ من وزر يزر وزراً اذا أثم . وقيل ايضاً وزر ، فهو موزور اذا فعل به ذلك . ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن : أرجعن موزورات غير مأجورات . والعامة تقول مازورات .

قوله تعالى

﴿ وَما الحياةُ الدُّنيا إلا لَعِبٌ وَلَهوٌ وَللدَّارُ الآخرةُ خيرٌ للذينَ يَتَّقونَ أفلا تَعقِلونَ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والمعنى :

قرأ ابن عامر ﴿ ولدار الآخرة ﴾ بلام واحدة مع تخفيف الدال . وخفض الاخرة على الاضافة . الباقون بلامين وتشديد الدال وضم الآخرة . وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب « تعقلون » بالتاء هاهنا وفي (الأعراف . ويوسف) وافقهم يحي والعليمي في (يوسف) . ومن قرأ بلامين وشدد الدال جعل الآخرة صفة للدار ، واجراها في الاعراب مجراها . واستدل على كونها صفة للذات بقوله: « وللآخرة خير لك من الاولى » (١) فاقامتها مقامها يدل على انها هي وليس غيرها . فيجوز ان يضيف اليها ، وقووا ذلك بقوله « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » (٢) وقوله « تلك الدار الآخرة » (٣) . ومن قرأ بلام واحدة وخفف الدال فانه لم يجعل « الآخرة » صفة للدار ، لأن الشيء لايضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة

(١) سورة الضحى آية ٤ (٢) سورة العنكبوت آية ٦٤
(٣) سورة القصص آية ٨٣

للساعة ، وكأنه قال ولدار الساعة الآخرة . وجاز وصف الساعة بالآخرة ، كما وصف اليوم بالآخرة في قوله : « وارجوا اليوم الآخر » وحسن اضافة (الدار) الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف ، لان الآخرة صارت كالأبطح والأبرق ، ألا ترى انه قد جاء « وللآخرة خير لك من الاولى »(١) واستعملت استعمال الاسماء ولم تكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الآخرة . ومثل الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا ، لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قول الشاعر :

في سعي دنيا طال ما قد مدّت

وقال الفراء جعلت الدار هاهنا اسماً والآخرة صفتها ، واضيفت في غير هذا الموضع . ومثله مما يضاف الى مثله قوله: « حق اليقين » والحق هو اليقين ، ومثله قولهم بارحة الاولى ، ويوم الخميس ، فيضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظ ، واذا اتفق لم يجز ذلك لا يقولون حق الحق ولا يقين اليقين ، لأنهم يتوهمون اذا اختلفا في اللفظ انهما مختلفان في المعنى .

بين الله تعالى في هذه الآية ان ما يتمتع به في الدنيا بمنزلة اللعب واللهو اللذين لاعاقبة لهما في المنفعة ويقتضي زوالهما عن اهلها في أدنى مدة واسرع زمان ، لانه لاثبات لهما ولا بقاء ، فأما الاعمال الصالحات فهي من أعمال الآخرة وليس بلهو ولعب .

وبين ان الدار الآخرة وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله ، لانها باقية دائمة لايزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها .

وقوله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ان ذلك كما وصفت لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة بفعل ما يؤديهم اليه من الاعمال الصالحة .

---

(١) سورة الضحى آية ٣

ومن قرأ بالياء في (يعقلون) فلأنه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله « للذين يتقون » والتقدير افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملوا بما ينالون به من النعيم الدائم .

ومن قرأ بالياء قصد خطاب جميع الخلق المواجهين به .

اللغة :

والعقل هو الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن والحجا ايضاً احتباس وتمكث . قال الشاعر .

فهن يعكفن به اذا حجا (١)

وانشد الاصمعي .

حيث يحجا مطرق بالفالق (٢)

حجا اقام بالمكاره والحجا مصدر كالشبع ومنه الحجيا للغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجها . قال ابو زيد : حج حجياك فجاءت الحجيا مصغرة كالثريا والمجديا ، والنهى يحتمل ان يكون جمعاً بدلالة قوله « لأولي النهى » (٣) لانه اضافة الى الجمع . ويجوز ان يكون مفرداً في موضع الجمع ، وهو في معنى ثبات ، وحصن . ومنه النهي ، والنهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فينتقع فيه لتسفله ويمنعه ارتفاع ما حوله من ان يسيح فيذهب على وجه الارض .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

---

(١) قائله العجاج . اللسان : (حجا) وعجزه : عكف النبيط يلعبون الفنزجا .

(٢) قائله عمار بن أيمن الريانى . اللسان (حجا) وروايته (تحجى) بدل (يحجا)

(٣) سورة طه آية ٥٤ ، ١٢٨

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع والكسائي والاعشى إلا الفضار « لا يكذبوك » بسكون الكاف وتخفيف الدال ، وهو المروي عن علي ﴿ع﴾ وعن ابي عبد الله ﴿ع﴾ . الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب . وقرأ نافع « انه ليحزنك » بضم الياء وكسر الزاي . الباقون بفتحها وضم الزاي .

اللغة :

قال ابو علي الفارسي : فعل وفعلته جاء في حروف ، والاستعمال في حزنته اكثر من احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء . وقال تعالى « اني ليحزنني ان تذهبوا به » (١) ويقال حزن يحزن حزنا وحزناً ، قال تعالى « ولا تحزن عليهم »(٢) ثم قال : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته ، قال وزعم الخليل : انك حيث قلت حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزيناً كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ، ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزناً كما قلت كحلته اي جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهناً ، ولم يرد بـ (فعلته) هـذا تعدية قوله حزن ، ولو اردت ذلك لقلت احزنته . ومثل ذلك ستر الرجل وسترت عليه فاذا اردت تغيير ستر الرجل قلت استرت كما تقول فزع وافزعته .

---

(١) سورة يوسف آية ١٣

(٢) سورة الحجر آية ٨٨ والنحل : ١٢٧ والنمل : ٧٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، والمائدة : ٧٢ والأنعام ٤٨ والأعراف : ٣٤ ويونس : ٦٢ وغيرها .

وحجة نافع انه اراد تغيير حزن فنقله بالهمزة . وقال الخليل : اذا اردت تغيير حزن قلت احزنته فدل ذلك على ان احزن مستعمل وان كان حزنته اكثر . وحكى ابوزيد : احزنني الأمر احزاناً ، وهو يحزنني ، ضموا الياء . وقال سيبويه قال بعض العرب : افنيت الرجل واحزنته وارجعته واعورت عينه ، اي جعلته حزيناً وفانياً ، فغيروا ذلك كما فعلوا بالباب الاول .

وقوله ﴿ قد نعلم انه ﴾ إنما كسرت الهمزة لان في خبرها لاماً للتأكيد .

المعنى :

لما علم الله تعالى ان النبي ﴿ ص ﴾ يحزنه تكذيب الكفار له وجحدهم نبوته سلاه عن ذلك بأن قال « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

ومن قرأ بالتخفيف قال معناه لا يلفونك كاذباً ، كما يقولون سألته فما ابخلته ، وقاتلته فما اجبنته اي ما وجدته بخيلا ولا جباناً وقال ابو عبد الله ﴿ ع ﴾ معنى « لا يكذبونك » لا يأتون بحق يبطلون به حقك . وقال الفراء : معنى التخفيف لا يجعلونك كذاباً ، وإنما يريدون ان ما جئت به باطل ، لأنهم لم يفتروا عليك كذباً ، فيكذبونه لانهم لم يعرفوه ﴿ ص ﴾ ، وإنما قالوا ان ما جئت به باطل لا نعرفه من النبوة ، فأما التكذيب بان يقال له كذبت ، وقال بعض اهل اللغة : هذا المعنى لا يجوز ، لأنه لا يجوز ان يصدقوه ويكذبوا ما جاء به ، وهو ان الله أرسلني اليكم وأنزل علي هذا الكتاب وهو كلام ربي .

ومن قرأ بالتشديد احتمل وجوهاً :

احدها ـ انهم لا يكذبونك بحجة يأتون بها او برهان يدل على كذبك ، لأن النبي ﴿ ص ﴾ إذا كان صادقاً فمحال ان يقوم على كذبه حجة ولم يرد انهم لا يكذبونه سفهاً وجهلا به .

والثاني ـ انه اراد فانهم لا يكذبونك بل يكذبوني لان من كذب النبي ﴿ ص ﴾ فقد كذب الله ، لان الله هو المصدق له كما يقول القائل لصاحبه : فلان ليس يكذبك ، وإنما يكذبني دونك ، يريد ان تكذيبه اياك راجع الى تكذيبي ، لأني انا المخبر لك وانت حاكٍ عني .

وثالثها ـ ان يكون اراد انهم لا ينسبونك الى الكذب لانك كنت معروفاً عندهم بالأمانة والصدق فانه ﴿ ص ﴾ كان يدعى فيهم الأمين قبل الوحي وكان معروفاً بينهم بذلك لكنهم لما أتيتهم بالآيات جحدوها بقصدهم التكذيب بآيات الله وجحدها لا لتكذيبك ، قال أبو طالب :

إن ابن آمنة الأمين محمداً

ورابعها ـ ان تكون الآية مخصوصة بقوم معاندين كانوا عارفين بصدقه ولكنهم يجحدونه عناداً وتمرداً . وقال الحسن معناه : « نعلم انه ليحزنك الذي يقولون » انك ساحر وانك مجنون فانهم لا يكذبونك ، لأن معرفة الله في قلوبهم بأنه واحد « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

وخامسها ـ قال الزجاج لا يكذبونك : لا يقدرون ان يقولوا لك فيما أنبأت به بما في كتبهم كذبت . قال ابو علي يجوز ان يكون المعنى ـ فيمن ثقل ـ قلت له كذبت مثل زنيته وفسقته اذا نسبته الى الزنا والفسق . و(فعلت) جاء على وجوه نحو خطأته اي نسبته الى الخطأ وسقيته ورعيته ، اي قلت له سقاك الله ورعاك ، وقد جاء في هذا المعنى افعلته ، قالوا اسقيته ، اي قلت له سقاك الله ، قال الشاعر :

واسقيته حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه (١)

فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحداً وان اختلف اللفظان ، كما تقول قللت وكثرت وأقللت واكثرت بمعنى واحد حكاه سيبويه ، وقال الكميت :

(١) مجمع البيان ٢ : ٢٩٣ ، ومقاييس اللغة ١ : ١٧٢ .

فطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالت مسيء ومذهب(١)

وحكى الكسائي عن العرب اكذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب بقوله ، اكذبته اذا اخبرت انه جاء بكذب ، كقولهم اكفرته اذا نسبوه الى الكفر وكذبته اخبرته انه كذاب مثل فسقته اذا اخبرت انه فاسق .

قوله ﴿ ولكن الظالمين ﴾ يعني هؤلاء الكفار « بآيات الله » يعني القرآن ، والمعجزات يجحدون ذلك بغير حجة ، سفهاً وجهلا وعناداً .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

سلّى الله تعالى بهذه الآية نبيه ﴿ ص ﴾ بأن أخبره ان الكفار قد كذبوا رسلا من قبلك وصبر الرسل على تكذيبهم وعلى ما نالهم من اذاهم وتكذيب الكفار لهم حتى اذا جاء نصر الله اياهم على المكذبين ، فمنهم من نصرهم عليهم بالحرب ، ومكنهم من الظفر بهم حتى قتلوهم ومنهم من نصرهم عليهم بأن اهلكهم واستأصلهم كما اهلك عاداً وثموداً وقوم نوح ولوط ، وغيرهم .

فأمر الله نبيه ﴿ ص ﴾ بالصبر على كفار قومه واذاهم الى ان يأتيه نصره كما صبرت الأنبياء . وقوله « ولا مبدل لكلمات الله » معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ، ولا على إخلاف وعده فان ما اخبر الله به ان يفعل بالكفار ، فلابد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره ، فلابد من حصوله ، لانه لا يجوز

---

(١) قد مر هذا البيت فى ١ : ١١٦ وهو فى مجمع البيان ٢ : ٢٩٣ .

الكذب في اخباره ، ولا الخلف في وعده . وقيل معناه انه لا مبطل لحججه وبراهينه ولا مفسد لأدلته .

وقوله ﴿ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ معناه انه لا تبديل لخبر الله ولا خلف لذلك ولا تكذيب ، وإن ما اخبر الله به ان ينزله بالكفار فانه سيفعل بهم كما فعل بامم من تقدم من الأنبياء الذين أنزل الله عليهم العذاب واستأصلهم بتكذيبهم أنبياءهم وعرفك اخبارهم على صحتها .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٥) آية .

المعنى :

خاطب الله تعالى بهذه الآية نبيه ﴿ ص ﴾ فقال له ان كان اشتد عليك وعظم عندك اعراض هؤلاء الكفار عما اتيتهم به من القرآن والمعجزات وامتناعهم من اتباعك والتصديق لك وكنت حزيناً لذلك ، وقدرت او تهيأ لك ان تتخذ في جوف الارض مسكناً وهو النفق في الارض اذا كان له منفذ ، وان تصعد الى السماء بسلم فتأتيهم بآية يعني بآية تلجئهم الى الايمان وتجمعهم عليه وعلى ترك الكفر فافعل ذلك . وحذف فافعل لدلالة الكلام عليه ، كما تقول ان رأيت ان تقوم ، ومعناه فقم ، وان اراد غير ذلك لم يجز ان يسكت إلا بعد ان يأتي بالجواب ، لأنه ان اراد ان اردت ان تقوم تصب خيراً فلابد من الجواب ، ولم يرد بذلك آية يؤمنون عندها مختارين ، لأنه تعالى فعل بهم الآيات التي تزاح علتهم بها ويتمكنون معها من فعل الايمان لأنه لو علم تعالى انه اذا

فعل بهم آية من الآيات يؤمنون عندها مختارين وجب ان يفعلها بهم . وبيّن انه فعل بهم جميع ما لا ينافي التكليف لا يؤمنون كما قال « ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة » (١) الآية ، وكما قال « ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك » (٢) وإنما لم يفعل ما يلجئهم إلى الايمان ، لأن ذلك ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف ، وإنما أراد الله تعالى ان يبين لنبيه ﴿ ص ﴾ انه لا يستطيع هذا ولا يقدر عليه ، فلا ينبغي ان يلزم نفسه الغم والجزع لكفرهم واعراضهم عن الايمان والتصديق به وجعل ذلك عزاء لنبيه ﴿ ص ﴾ وتسلية له . ثم اخبر انه لو شاء ان يجمعهم على الايمان على وجه الالجاء ، لكان على ذلك قادراً لكنه ينافي ذلك الغرض بالتكليف ، وجرى ذلك مجرى قوله « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين » (٣) فانه اراد بذلك الاخبار عن قدرته وانه لو شاء إلجأهم الى الايمان لكان عليه قادراً .

ولا يدل ذلك على انه لم يشأ منهم الايمان على وجه الاختيار منهم اولم يشأ ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين ، لأن الله تعالى قد شاء منهم الايمان على هذا الوجه وإنما أفاد نفي المشيئة لما يلجئهم إلى الايمان ، لانه متى ألجأهم اليه لم يكن ذلك ايماناً والغرض بالآية ان يبين تعالى ان الكفار لم يغلبوا الله بكفرهم ولا قهروه بخلافه وانه لو اراد ان يحول بينهم وبينه لفعل ، لكنه يريد ان يكون ايمانهم على وجه يستحقون به الثواب ، ولا ينافي التكليف .

وقوله ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ إنما هو نهي محض عن الجهل ولا يدل ذلك على ان الجهل كان جائزاً منه ﴿ ص ﴾ بل يفيد كونه قادراً عليه ، لأنه تعالى لا يأمر ولا ينهى إلا بما قدر المكلف عليه ، ومثله قوله « لئن اشركت ليحبطن عملك » (٤)

---

(١) سورة الأنعام آية ١١١ (٢) سورة البقرة آية ١٤٥
(٣) « الشعراء آية ٤ (٤) « الزمر آية ٦٥

وان كان الشرك لايجوز عليه لكن لما كان قادراً عليه جاز ان ينهاه عنه . والمراد هاهنا فلاتجزع ولا تتحزن لكفرهم واعراضهم عن الايمان وانهم لم يجمعوا على التصديق بك فتكون في ذلك بمنزلة الجاهلين الذين لا يصبرون على المصائب ، ويأثمون لشدة الجزع .

اللغة :

والنفق : الطريق النافذ في الارض والنافقاء ممدوداً وجر حجر اليربوع يحرفه من باطن الارض الى جلدة الارض فاذا بلغ الجلدة ارقها فاذا رابه ريب وقع برأسه هذا المكان وخرج منه ، ومنه سمي المنافق منافقاً لانه ابطن غير ماظهر. والسلم مشتق من السلامة لانه يسلمك الى مصعدك .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

الوقف عند قوله « الذين يسمعون » ومعنى الآية إنما يستجيب إلى الايمان بالله وما انزل إليك من يسمع كلامك ويصغي اليك ، وإلى ما تقرأ عليه من القرآن وماتبين له من الحجج والآيات ويفكر في ذلك لانه لا يبين الحق من الباطل إلالمن تفكر فيه واستدل عليه بما يستمع او يعرف من الايات والأدلة على صحته ، وجعل من لم يتفكر ولم ينتفع بالآيات بمنزلة من لم يستمع كما قال الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لاحياة لمن تنادي (١)

وكما جعله الشاعر بمنزلة الأصم في قوله :

(١) مر هذا البيت فى ١ : ٦٤ وهو مشهور .

اصم عما ساءه سميع (١)

وقوله ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ معناه ان الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار ولا يسمعون كلامك إن كلمتهم ، ولا يسمعون ما تقرأه عليهم وتبينه لهم من حجج الله وآياته ، وينفرون عنه اذا كلمتهم بمنزلة الموتى ، فكما ان الموتى لا يستجيبون لمن يدعوهم الى الحق والايمان ، فكذلك هؤلاء الكفار لا يستجيبون لك إذا دعوتهم إلى الايمان ، فكما آيست ان يسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله والى ان يرجعوا اليه ، فكذلك فآيس من هؤلاء ان يسمعوا كلامك وان يستجيبوا لك . وبين ان الموتى إذا بعثهم الله ، بمعنى أحياهم انهم يرجعون بعد الحشر والبعث الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه عليهم غير الله تعالى ، ولا يملك محاسبتهم وضرهم ونفعهم غيره ، فجعل رجوعهم الى ذلك الموضع رجوعاً الى الله وذلك مستعمل في اللغة .

وقال مجاهد : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ يعني المؤمنين يسمعون الذكر « والموتى يبعثهم الله » يعني المشركين الصم يبعثهم الله فيحييهم من شركهم حتى يؤمنوا ثم اليه ترجعون يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧)

قرأ ابن كثير : (ينزل) بالتخفيف . الباقون بالتشديد .

ومعنى « وقالوا » إخبار عما قاله الكفار من انهم قالوا « لولا » ومعناه : هلا « انزل عليه آية » يعني الآية التي سألوها واقترحوا ان يأتيهم بها من جنس ماشاءوا لما قالوا « فليأتنا بآية كما ارسل الأولون »(٢) يعنون فلق البحر وإحياء الموتى . وإنما

(١) انظر ٢ : ٨٠ (٢) سورة الانبياء آية ٥

قالوا ذلك حين ايقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن فاستراحوا الى ان التمسوا مثل آيات الاولين ، فقال الله تعالى « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب »(١) وقال هاهنا قل يا محمد « إن الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون » ما في إنزالها من وجوب الاستئصال لهم اذا لم يؤمنوا عند نزولها . وما في الاقتصار بهم على ما اوتوا من الآيات من المصلحة لهم . وبين في آية اخرى انه لو انزل عليهم ما انزل لم يؤمنوا ، وهو قوله « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة » الى قوله : « ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله » (٢) ان يكرههم . وقال « وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولين » (٣) يعني الآيات التي اقترحوها إنما لم نأتهم بها ، لانا لو أتيناهم بها ولم يؤمنوا وجب استئصالهم ، كما وجب استئصال من تقدمهم ممن كذب بآيات الله . وقال في سورة العنكبوت « وقالوا لو لا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب » (٤) الآية . فبين ان الآيات لا يقدر عليها إلا الله وقد اتاهم بما فيه كفاية وأزاحة لعلتهم وهو القرآن ، وغيره مما شاهدوه من المعجزات والآيات ، ولا يلزم إظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين ، لأنه لو لزم ذلك لوجب اظهارها في كل حال ولكل مكلف وذلك فاسد .

وقد طعن قوم من الملحدين ، فقالوا لو كان محمد قد أتى بآية لما قالوا له : « لولا انزل عليه آية » ولما قال « ان الله قادر على ان ينزل آية » .

قيل قد بينا انهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها وان كان الله تعالى قادراً عليها وانما لم يؤتوها لان المصلحة منعت من انزالها وانما أتى بالآيات الاخر التي دلت على نبوته من القرآن وغيره على ما اقتضته المصلحة ، ولذلك قال فيما تلوناه « او لم

---

(١) سورة العنكبوت آية ٥١ (٢) سورة الأنعام آية ١١١
(٣) « الاسرى آية ٥٩ (٤) « العنكبوت آية ٥١

يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب » فبين ان في انزال الكتاب كفاية ودلالة على صدقه وانه لا يحتاج معه الى امر آخر فسقط ما قالوه .

قوله تعالى :

﴿ وَما مِنْ دابةٍ في الأرضِ وَلا طائرٍ يَطيرُ بِجناحَيهِ إلا أُمَم أمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا في الكِتابِ مِنْ شَيءٍ ثُمَّ الى رَبِّهِمْ يُحشَرونَ ﴾ (٣٨) آية .

الوقف عند قوله « امم امثالكم » وقف تام .

ابتدأ الله تعالى بهذه الآية فأخبر بشأن سائر الخلق . وبازاحة علة عباده المكلفين في البيان ليعجب عباده في الآية التي بينها من الكفار وذهابهم عن الله تعالى فقال : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » فجمع جميع الخلق بهذين اللفظين لان جميع الحيوان لا يخلو من ان يكون مما يطير بجناحيه او يدب « الا امم امثالكم » اي هم اجناس واصناف كل صنف يشتمل على العدد الكثير والانواع المختلفة وان الله خالقها ورازقها ، وانه يعدل عليها فيما يفعله ، كما خلقكم ورزقكم وعدل عليكم وان جميعها دالة وشاهدة على مدبرها وخالقها ، وانتم بعد ذلك تموتون والى ربكم تحشرون . فبين بهذه العبارة انه لا ينبغي لهم ان يتعدوا في ظلم شيء منها ، فان الله خالقها وهو الناهي عن ظلمها والمنتصف لها .

وفي قوله : ﴿ يطير بجناحيه ﴾ أقوال : احدها ـ ان قوله بجناحيه تأكيد كما يقولون : رأيت بعيني ، وسمعت باذني ، وربما قالوا : رأت عيني وسمعت اذني ، كل ذلك تأكيد . وقال الفراء : معنى ذلك انه اراد ما يطير بجناحين دون ما يطير بغير جناحين ، لأنهم يقولون قد مر الفرس يطير طيراً وسارت السفينة تطير طيراً ، فلو لم

يقل (بجناحيه) لم يعلم انه قصد الى جنس ما يطير بجناحيه دون سائر ما يطير بغير جناحين . وقال قوم : انما قال « بجناحيه » لأن السمك عند اهل الطبع طائر في الماء ، ولا اجنحة لها ، وانما خرج السمك عن الطائر ، لأنه من دواب البحر ، وانما اراد ما في الارض وما في الجو ، ولا حيوان موجود غيرهما . وقال قوم : انما قال ذلك ليدل على الفرق بين طيران الطيور بأجنحتها وبين الطيران بالاسراع يقولوا طرت في جناحين ، اذا اسرعت ، قال الشاعر :

فلو انها نجري على الارض ادركت ولكنها تهفو بتمثال طائر

وانشد سيبويه :

فطرت بمنصلي في يعملات دوام الايد يخبطن السريحا(١)

وقال المغربي : اراد ان يفرق بين الطائر الذي هو العائز الفالج في القسم ، وقال مزاحم العقيلي :

وطيري بمخراق اشم كأنه سليل جياد لم تنله الزعانف (٢)

اي فوزي واغنمي . وقوله : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » قيل « ما فرطنا » معناه ما تركنا . وقيل ما قصرنا . وفي الكتاب قولان :

احدهما ـ انه أراد الكتاب المحفوظ عنده من اجال الحيوان وأرزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله أولى بالاحصاء والاستقصاء ، ذكره الحسن .

الثاني ـ ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاج اليه في امور الدين والدنيا الا وقد بيناه إما مجملا او مفصلا ، فما هو صريح يفيد لفظاً ، وما هو مجمل بيّنه على لسان نبيه وأمر باتباعه في قوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٣) ودل بالقرآن على صدق نبوته ووجوب اتباعه ، فاذاً لا يبقى امر من امور الدين

(١) مجمع البيان ٢ : ٢٩٧ واللسان (طير) (٢) اللسان « طير » وروايته (رماح) بدل (جياد)
(٣) سورة الحشر آية ٧

والدنيا الا وهو في القرآن . وهذا الوجه اختاره الجبائي .

وقال البلخي : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » اي لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق ويدعو الى الطاعة والمعرفة ويزجر عن الجهل والمعصية ، وتصريف الأمثال وذكر أحوال الملائكة وبني آدم وسائر الخلق من اصناف الحيوان .

وكل جنس من الحيوان امة ، لأن الامة الجماعة ويقال للصبيان : امة وان لم يجب عليهم التكليف .

وقوله تعالى: ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ معناه يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة ، كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض وينتصف لبعضها من بعض ، فاذا عوضها : قال قوم : انها تصير تراباً فحينئذ يتمنى الكافر فيقول « ياليتني كنت تراباً » (١) وقال قوم: يديم الله اعواضها ويخلقها على احسن مايكون من الصور فيسر بها المثابون ويكون ذلك من جملة ما ينعمون به ، ذكره البلخي . وقال قوم : « يحشرون » معناه يموتون ويفنون ، وهذا بعيد ، لأن الحشر في اللغة هو بعث من مكان الى غيره ، وهاهنا لا معنى للحشر الذي هو الفناء وإنما معناه انهم يصيرون الى ربهم ويبعثون اليه .

واستدل قوم من التناسخية بهذه الآية على ان البهائم والطيور مكلفة ، لأنه قال « امم أمثالكم » وهذا باطل ، لأنا قد بينا من اي وجه قال انها « امم امثالكم » ولو وجب حملها على العموم لوجب ان تكون امثالنا في كونها ناساً وفي مثل صورنا وأخلاقنا ، فمتى قالوا لم يقل امثالنا في كل شيء قلنا وكذلك الامتحان والتكليف ، على انهم مقرّون بأن الاطفال غير مكلفين ولا ممتحنين ، فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم . وكيف يصح تكليف البهائم والطيور وهي غير عاقلة ، والتكليف لا يصح إلا لعاقل ، على ان الصبيان أعقل من البهائم ومع هـــذا فليسوا

(١) سورة النبأ آية ٤١

مكلفين ، فكيف يصح تكليف البهائم ؟! واما قوله : « وإن من امة إلا خلا فيها نذير » (١) فانه مخصوص بالمكلفين العقلاء من البشر والجن ، والملائكة بدلالة ان الاطفال امم وليس فيها نذير ، واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان العوض دائم بأن قال بيّن الله تعالى انه يحشر الحيوان كلها ويعوضها ، فلو كان العوض منقطعاً لكان اذا اماتها استحقت اعراضاً اُخر على الموت وذلك يتسلسل ، فدل على انه دائم ، وهذا ليس بشيء ، لانه يجوز ان يميت الله الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الألم ، فلا يستحقون عوضاً ثانياً ، فالأولى ان يقول ان دام دام تفضلا منه تعالى .

وقوله ﴿ ولا طائر ﴾ فانه جر ، عطف على دابة وتقديره ولا من طائر ، وكان يجوز ان يقرأ بالرفع حملا على المعنى ، كما تقول : ما جاءني من رجل ، ولا إمرأة ، وتقديره ماجاءني رجل ولا امرأة ومثله قوله « ولا اصغر من ذلك ولا اكبر » (٢) في موضع النصب وفي موضع آخر بالرفع على ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩) آية بلا خلاف

التمام عند قوله ﴿ في الظلمات ﴾ . قوله « صم وبكم في الظلمات » يحتمل امرين :

احدهما ـ ان يراد ان هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات الله صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقوبة لهم على كفرهم ، لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر .

والثاني ـ ان يكون عنى انهم صم وبكم في الظلمات في الدنيا .

فمتى اريد الأول كان ذلك حقيقة ، لأنه تعالى لا يمتنع ان يجعلهم صما بكما في الظلمات يضلهم بذلك عن الجنة وعن الصراط الذي يسلكه المؤمنون اليها ويصيرهم الى

(١) سورة فاطر آية ٢٤ (٢) سورة يونس آية ٦١ وسورة سبأ آية ٣

النار . وإن اريد به الوجه الثاني فانه يكون مجازاً وتوسعاً . وإنما شبههم بالصم والبكم الذين في الظلمات ، لأن المكذبين بآيات الله لا يهتدون الى شيء مما ناله المؤمنون من منافع الدين ولا يصلون الى ذلك ، كما ان الصم البكم الذين في الظلمات لا يهتدون الى شيء من منافع الدنيا ولا يصلون اليها ، فتشبيههم من هذا الوجه بالصم البكم .

وقال البلخي « صم وبكم في الظلمات » معناه في الجهل والشرك والكفر .

وقوله ﴿ من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم ﴾ لا يجوز ان يكون على عمومه ، لانا قد علمنا ان الله تعالى لا يشاء ان يضل الأنبياء والمؤمنين ولا يهدي الكافرين ، لكن قد بين تعالى في موضع آخر من الذي يشاء ان يضله ، فقال « ومايضل به إلا الفاسقين » (١) وقال « ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء » (٢) وقال « والذين اهتدوا زادهم هدى » (٣) وقال : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » (٤) وقال « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٥) .

وقوله ﴿ ومن يشأ الله يضلله ﴾ هاهنا يحتمل امرين :

احدهما ـ « من يشاء الله يضلله » اي من يشاء يخذله بأن يمنعه لطائفه وفوائده ، وذلك اذا واتر عليه الأدلة وأوضح له البراهين فأعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ، فصار كالأصم الأعمى ، فحينئذ يشاء ان يضله بأن يخذله .

والثاني ـ من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ، ونيل ثوابها يضلله على وجه العقوبة « ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » ومعناه من يشأ ان يرحمه ويهديه إلى الجنة ونيل الثواب يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة ويعدل الكافرين عنه الى النار ولا يلحق الاضلال الا الكفار والفساق المستحقين للعقاب وكذلك

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦ (٢) سورة ابراهيم آية ٢٧
(٣) « محمد آية ١٧ (٤) « المائدة آية ١٨
(٥) « العنكبوت آية ٦٩

لا يفعل الثواب والخلود في الجنة الا بالمؤمنين ، لأنه ثواب لا يستحقه سواهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤١)

آيتان بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ الكسائي وحده « أريتكم » وما جاء منه اذا كان استفهاماً بحذف الهمزة التي بعد الراء . والباقون باثباتها ، وتخفيفها إلا اهل المدينة ، فانهم جعلوها بين بين ، فان كان غير استفهام اتفقوا على اثبات الهمزة وتخفيفها الا ما رواه ورش في تحقيقها في ستة مواضع ذكرت في باب الهمزة في القراءات . من حقق الهمزة ، فلأنه (فعلت) من الرؤية ، فالهمزة عين الفعل ، ومن خفف فانه جعلها بين بين ، وهذا التخفيف على قياس التحقيق ، ومن حذف الهمزة فعلى غير مذهب التخفيف ، لان التخفيف القياس فيها ان تجعل بين بين ، كما فعل نافع ، وهذا حذف ، كما قالوا : ويلمه ، وكما انشد احمد بن يحيى :

ان لم اقاتل فالبسوني برقعاً

وقال ابو الاسود :

يابا المغيرة ربّ امر معضل

وذكر ان عيسى كذلك كان يقرأها ويقوي ذلك قول الراجز :

ارايت ان جاءت به أملودا مرجّـــلا ويلبس البرودا

اللغة والاعراب :

وقال الفراء : العرب لها في أرايت لغتان :

احدهما ـ ان يسأل الرّجل الرجل ارأيت زيداً بعينك ، فهذه مهموزة ، فاذا اوقعتها على الرجل منه قلت : أرايتك على غير هذه الحال تريد هل رأيت نفسك على غير هذه الحال ثم يثنى ويجمع ، فتقول للرجلين أرايتماكما ، وللقوم أرايتموكم ، وللنسوة أرايتنكن ، وللمرأة أرايتك بخفض التاء ولايجوز الا ذلك .

والآخر ـ ان تقول أرايتك وانت تريد اخبرني ، فتهمزها وتنصب التاء منها وتترك الهمز ان شئت ، وهو اكثر كلام العرب ، وتترك التاء مفتوحة للواحد ، والجمع مؤنثه ومذكره تقول للمرأة أرايتك زيداً ، وللنساء أرايتكن زيداً ما فعل . وانما تركت العرب التاء واحدة لانهم لم يريدوا ان يكون الفعل منها واقعاً على نفسهـــا ، فاكتفوا بذكرها في الكاف ووجهوا التاء الى المذكر والتوحيد ، اذا لم يكن الفعل واقعاً على نفسها .

واختلفوا في هذه الكاف ، فقال الفراء : موضعها نصب وتأويلها رفع ، مثل قولك : دونك زيداً ، فموضع الكاف خفض ، ومعناه الرفع ، لأن المعنى خذ زيداً . قال الزجاج : هذا خطأ ولم يقله احد قبله ، قال لان قولك أرايتك زيداً ماشأنه يصير أرايت قد تعدت الى الكاف والى زيد ، فنصب أرايت اسمين ، فيصير المعنى : أرايت نفسك زيداً ماحاله . وهذا محال . قال والصحيح الذي عليه النحويون ان الكاف لا موضع لها والمعنى أرايت زيداً ماحاله ، والكاف زيادة في بيان الخطاب ، وهو المعتمد عليه في الخطاب ولذلك تكون التاء مفتوحة في خطاب المذكر والمؤنث والواحد والجمع . فتقول للرجل أرايتك زيداً ما حاله بفتح التاء والكاف وللمراة ارايتك بفتح التاء وكسر الكاف ،

لأنها صارت آخر ما في الكلمة ، والاثنين ارايتكما ، والجمع ارايتكم ، فيوحد التا ، فكما وجب ان توحدها في التثنية والجمع ، كذلك وجب ان تذكرها مع المؤنث ، فان عديت الفاعل الى المفعول في هـــذا الباب صارت الكاف مفعوله تقول: رايتني عالماً بفلان ، فاذا سألت على هذا الشرط قلت للرجل : ارايتك عالماً . وللاثنين اريتما كما ، وللجمع ارايتموكم ، لأن هذا في تأويل ارايتم انفسكم ، وللمراة ارايتك ، وللثنتين ارايتما كما ، وللجماعة ارايتنكن ، فعلى هذا « قياس هذين البابين » (١) .

قال ابو علي الفارسي : لايخلو ان يكون الكاف للخطاب مجرداً ، ومعنى الاسم مخلوعاً منه اويكون دالا على الاسم مع دلالته على الخطاب ، والدليل على انه للخطاب مجرداً من علامة الاسم انه لوكان اسماً وجب ان يكون الاسم الذي بعده في نحوقوله « ارأيتك هذا الذي كرمت عليّ » (٢) وقولهم : أرايتك زيداً ما صنع هوالكاف في المعنى ،ألاترى ان رأيت يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هوالثاني في المعنى واذا لم يكن المفعول الذي بعده هوالكاف في المعنى ، وانما هوغيره وجب ان يدل ذلك على انه ليس باسم، واذ لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسمية ، كما ان الكاف في (ذلك وهنالك) للخطاب ومثله التاء في انت ، لانه للخطاب معرى من معنى الاسم فاذا ثبت انه للخطاب معرى من معنى الاسماء ثبت ان التاء لايجوز ان تكون بمعنى الخطاب ألاترى انه لاينبغي ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب ، كما لا يلحقها علامتان للتأنيث، ولا علامتان للاستفهام ، فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال لما كان الفعل لابد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين لتخصيص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمـــع ، فلو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمع علامتان للخطاب بما كان يلحق التاء وما يلحق الكاف وذلك يؤدي الى ما لا نظير له فرفض لذلك .

(١) فى المخطوطة « البنائين » بدل « البابين » (٢) سورة الاسرى آية ٦٢

المعنى :

امر الله تعالى ﴿ ع ﴾ بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام أرايتكم ان اتاكم عذاب الله كما اتى الكافرين من قبلكم كعاد وثمود ، وغيرهم اواتتكم الساعة ، وهي القيامة . قال الزجاج : الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذى يبعث فيه ، والمعنى ارايتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء ، لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم ، أتدعون فيها . لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها ؟! او تدعون لكشف ذلك عنكم الله تعالى الذي هو خالقكم ومالككم ومن يملك ضركم ونفعكم ؟ ودلهم بذلك على انه لا ينبغي لهم ان يعبدوا ما لا يملك لهم نفعاً ولا يقدر ان يدفع عنهم ضرّاً وان يعبدوا الله وحده الذي هو خالقهم ومالكهم والقادر على نفعهم وضرهم .

وقوله ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني في ان هذه الاوثان آلهة لكم ، فبين الله لهم بذلك انها ليست آلهة وانهم في هذا القول غير صادقين .

وقوله ﴿ بل إياه تدعون ﴾ معنى (بل) استدراك وايجاب بعد نفي تقول ما جاءني زيد بل عمرو . وأعلمهم الله تعالى انهم لا يدعون في حال الشدائد إلا إياه ، لأنه اذا لحقتهم الشدائد ، والاهوال في البحار والبراري القفار ، التجؤا فيه اليه وتضرعوا لديه ، كما قال « وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين » (١) وفي ذلك أعظم الحجج عليهم ، لانهم عبدوا الاصنام .

وقوله ﴿ فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ﴾ معناه يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ، وهو مجاز كقوله « واسأل القرية » ومعناه واسأل اهل القرية .

وقوله « وتنسون ما تشركون » معنى تنسون يحتمل امرين :

---

(١) سورة يونس آية ٢٢

احدهما - ان يكون بمعنى تتركون ما تشركون بالله .

الثاني - انكم في تركيكم دعائهم بمنزلة من نسيهم ، وهذا الذي احتج الله به على الكفار دلالة على صحة الاحتجاج في الدين على كل من خالف الحق ، لأنه لو كان الاحتجاج لايجوز ولا يفضي إلى الحق لما احتج به على عباده في كتابه . وإنما قال : « ان شاء » لانه ليس كلما يدعون لكشفه يكشفه عنهم بل يكشف ما شاء من ذلك مما تقتضيه المصلحة وصواب التدبر ، وتوجبه الحكمة . والاستثناء راجع الى العذاب دون الساعة ، لأنها لا تكشف ولا محيص عنها .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) آيتان .

أعلم الله تعالى نبيه ﴿ ص ﴾ بهذه الآية انه قد أرسل الرسل قبله الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم ليخضعوا ويذلوا لأمر الله لان القلوب تخشع والنفوس تضرع عند مايكون من أمر الله في البأساء والضراء . وقال قوم البأساء : الجوع ، والضراء النقص في الاموال والأنفس . والبأساء : من البأس والخوف والضراء من الضر ، وقد يكون البأساء من البؤس ، فأعلمه الله انه ارسل الى امم واخذها بالبأساء والضراء ، فلم تخشع ولم تضرع . وقال : « لعلهم يتضرعون » ومعناه لكي يتضرعوا . وقيل : معناها الترجي للعباد ، كما قال : « لعله يتذكر او يخشى » (١) . قال سيبويه : المعنى اذهبا أنتما على رجائكما ، والله عالم بما

(١) سورة طه آية ٤٤

يكون من وراء ذلك .

وقوله « فلولا إذ جائهم بأسنا تضرعوا » معناه هلا إذ جائهم بأسنا تضرعوا « ولكن قست قلوبهم » اي اقاموا على كفرهم . قال الفراء كلما رأيت في الكلام (لولا) ولم تر بعدها اسماً ، فهي بمعنى (هلا) ، كقوله : « لولا أخرتني إلى اجل قريب » (١) « ولولا ان كنتم غير مدينين » (٢) واذا كان بعدها اسم ، فهي بمعنى (لو) التي تكون في جوابها اللام ، و (لو ما) فيها ما في (لو لا) من الاستفهام والخبر .

وقد اخبر الله في هذه الآية ان الشيطان هو الذي يزين الكفر للكافر بخلاف ما يقول المجبرة من ان الله هو المزين لهم ذلك ، وفيها حجة على من قال : ان الله لم يرد من الكافر الايمان ، وانه ارسل الرسل بينة عليهم ، وعلى من زعم ان اخذه الكافرين بالبأساء والضراء في الدين ليس لما اراد من صلاحهم ، لأنه بين الله انما فعل بهم ذلك ليتضرعوا ، وهذه لام الغرض ، لان الشك لايجوز عليه تعالى « ويتضرعون » معناه يتذللون يقال ضرع فلان لفلان اذا بخع له وسأله ان يعطيه ، وفلان ضارع اي نحيف .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥) آيتان .

(١) سورة المنافقون آية ١٠ (٢) سورة الواقعة آية ٨٦

القراءة والحجة :

قرأ ابن عامر وابو جعفر ، وورش « فتحنا » وفي الأعراف « لفتحنا » وفي الأنبياء « فتحت » وفي القمر « ففتحنا ابواب السماء » بالتشديد فيهن ، وافقهم روح في الأنبياء والقمر . الباقون بالتخفيف فيهن .

ومن ثقل اراد التكثير ، ومن خفف اراد الفعل مرة واحدة .

المعنى واللغة :

بين الله تعالى بهذه الآية ان هؤلاء الكفار لما لم ينتفعوا بالبأساء والضراء على ما اقتضت مصلحتهم ، ونسوها اي تركوها فصارت في حكم المنسي ابتلينا هم بالتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الآخرة ، وينبهوا عليه ، فيطيعوا ويرجعوا عما هم عليه ، فلما لم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عن الفرح بما اوتوا ، (١) ولم يتعظوا ولم ينفعهم الزجر بالضراء والسراء ، ولا الترغيب بالتوسعة والرخاء احللنا بهم العقوبة بغتة اي مفاجأة من حيث لا يشعرون « فاذا هم مبلسون » . قال الزجاج : (المبلس) الشديد الحسرة و (البائس) الحزين . وقال البلخي : معنى مبلسون يعني : أذلة خاضعين . وقال الجبائي : معنى (مبلسون) آيسون ، وقال الفراء المبلس : المنقطع الحجة ، قال رؤبة :

وحضرت يوم خميس الاخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس (٢)

وقال مجاهد : الابلاس السكوت مع اكتآب .

وقوله ﴿ كل شيء ﴾ المراد به التكثير دون العموم ، وهو مثل قوله « وأتيت من كل شيء » (٣) وكقول القائل : اكلنا عنده كل شيء ورأينا منه كل خير ، وكما

(١) فى المطبوعة (ولم يزيدوا على الفرح بما اوتوا) وقد أثبتنا ما فى المخطوطة

(٢) مجمع البيان ٢ : ٣٠٠ واللسان (بلس) (٣) سورة النمل آية ٢٣

يقال هذا قول اهل العراق ، واهل الحجاز ، ويراد به قول اكثرهم . وقال تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها » (١) وكل ذلك يراد به الخصوص ، وموضوعه التكثير ، والتفخيم . وإذا علمنا في الجملة بالعقل ان هذه الآيات مخصوصة ، فلا ينبغي ان يعتقد فيها تخصيص شيء بعينه ، وليس علينا اكثر من ان نعتقد انهم اوتوا خيراً كثيراً ، وفتح عليهم ابواب اشياء كثيرة ، كانت متغلقة عليهم ، وليس يلزمنا اكثر من ذلك .

فان قيل الذي يسبق الى القلوب غير ما تأوّلتم عليه وهو ان الله إنما فتح عليهم ابواب كل شيء ليفرحوا ويمرحوا ليستحقوا العقاب .

قلنا : الظاهر وان كان كذلك انصرفنا عنه بدليل ، كما انصرفنا عن قوله : « الرحمن على العرش استوى » (٢) وعن قوله « وجاء ربك » (٣) وعن قوله : « ءأمنتم من في السماء » (٤) فكما يجب ان نترك ظاهر هذه الآيات وان كان ظاهرها التشبيه فكذلك ترك ما ظاهره يوجب اضافة القبيح اليه وينافي عدله ويعدل الى ما يليق بحكمته وعدله .

وقوله « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » معناه اخذهم الذي يدبرهم ويدبرهم ، لغتان ـ بضم الباء وكسرها ـ وهو الذي يكون في اعقابهم .

وروي عن أبي عبد الله ﴿ ع ﴾ انه قال : (من الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرياً ـ بضم الدال ـ يعني في آخر الوقت ، هذا قول اصحاب الحديث . وقال ابو زيد الا دبرياً ـ بفتح الدال ـ والباء . ثم حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل ساقتهم وقطع دابرهم بقوله « والحمد لله رب العالمين » لأنه تعالى ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم واخذهم بالبأساء والضراء والنعمة والرخاء ، فبالغ في الانذار والامهال ، فهو محمود على كل حال .

---

(١) سورة طه آية ٥٦
(٢) سورة طه آية ٥
(٣) « الفجر آية ٢٢
(٤) « الملك آية ١٦ ، ١٧

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

روي عن ورش : « به انظر » بضم الهاء . الباقون بكسرها .

قال ابو علي : من كسر الهاء حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو به انظر ، لالتقاء الساكنين والالف من (انظر) . ومن قرأ بضم الهاء فهو على قول من قال : « فخسفنا بهو وبداره هو » (١) ، فحذف الواو لالتقاء الساكنين ، كما حذف الياء في (بهي) لذلك ، فصار « به انظر » ومما يحسن هذا الوجه ان الضمة فيه مثل الضمة في (ان اقتلوا) او (انقص) ونحو ذلك .

وقوله : ﴿ أرايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم ﴾ ثم قال : « يأتيكم به » قال ابو الحسن هو كناية عن السمع او على ما اخذ منكم . وقال الفراء : الهاء كناية عن الهدى .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول لهؤلاء الكفار « أرايتم ان اخذ الله سمعكم » اي اصمكم ، « وابصاركم » اي اعماكم ، تقول العرب : اخذ الله سمع فلان وبصره ، اي اصمه واعماه « وختم على قلوبكم » بأن سلب ما فيها من العقول التي

(١) سورة القصص آية ٨١

بها يتهيأ لكم ان تؤمنوا بربكم وتتوبوا من ذنوبكم ووسمها بسمة من يكون خاتمة امره المصير الى عذاب النار، فلوفعل بكم ، هل من إله غيره يأتيكم بهذا الذي سلبكم الله اياه ؟! وهل يقدر على ذلك اله غير الله ؟! [فبين بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله] (١) فكذلك يجب ان لا يعبدوا سواه : القادر على جميع ذلك .

وقوله ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ﴾ تنبيه للعباد على هذه الآية وعلى امثالها من الآيات التي بين فيها انه لا يستحق العبادة سواه تعالى . ثم بين انهم مع ظهور هذه الآيات يصدفون اي يعرضون عن تأملها، والتفكر فيها . يقال : صدف عنه ، إذا اعرض .

وفي الآية دليل على ان الله قد مكنهم من الاقبال على ما ورد عليهم من البيان وانه لم يخلق فيهم الاعراض عنه ولا حملهم عليه ، ولا اراده منهم ولا زينه لهم ، لانه لو كان فعل شيئاً من ذلك لم يكن لتعجيبه من ذلك معنى .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٧) آية .

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ أن يخاطب كفار قومه ، ويقول لهم أرايتم « ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة » والبغتة المفاجأة وهو ان يأتيهم العذاب ، وهم غافلون غير متوقعين لذلك « اوجهرة » اي وهم شاهدون له ، ومعاينون نزوله . وقال الحسن: (البغتة) ان يأتيهم ليلا و(جهرة) نهاراً . ثم قال : « هل يهلك » بهذا العذاب « إلا القوم الظالمون » الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الارض . وهل ينجو منه ، إلا المؤمنون العابدون لربهم . ومتى هلك فيهم اطفال اوقوم مؤمنون

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

فانما يملكون امتحاناً ويعوضهم الله على ذلك أعواضاً كثيرة ، يصغر ذلك في جنبها ، فجعل ذلك تحذيراً من الاقدام على الكفر وترغيباً في الايمان والنجاة من العذاب .

قوله تعالى :

﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٨) والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ (٤٩) آيتان بلا خلاف .

بين الله تعالى في هاتين الآيتين انه لا يبعث الرسل أرباباً يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الآيات او يخترعونه بل إنما يرسلهم لما في ذلك من المصلحة لهم ومنبهين على مافي عقولهم من توحيد الله ، وعدله وحكمته مبشرين بثواب الله لمن آمن به وعرفه ، ومخوفين لمن انكره وجحده . ثم اخبر ان المرسل اليهم مختارون غير مجبرين ولا مضطرين ودل على انه غير محدث لشيء من افعالهم فيهم ، وان الافعال لهم ، هم يكتسبونها بما خلق الله فيهم من القدرة ، وانه قد هداهم ، وبين لهم وبشرهم وانذرهم فمن آمن أثابه ومن عصاه عاقبه . ولو كانوا مجبورين على المعاصي مخلوقاً فيهم الكفر ولم يجعل فيهم القدرة على الايمان لما كان للآية معنى .

قوله تعالى :

﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه محمداً ﴿ ص ﴾ ان يقول لعباده : « لا اقول لكم عندي

خزائن الله » اغنيكم منها « ولا اعلم الغيب » الذي يختص بعلم الله تعالى فاعرفكم مصالح دنياكم ، وإنما اعلم قدر ما يعلمني الله من امر البعث والجنة والنار ، وغير ذلك ، ولا ادعي اني ملك ، لأني انسان تعرفون نسبي ، لا اقدر على ما يقدر عليه الملك ، وما أتبع إلا ما يوحي الله به إلي .

وبين لهم ان الملك من عند الله ، والوحي هو البيان الذي ليس بايضاح نحو الاشارة والدلالة ، لأن كلام الملك كان له على هذا الوجه . وإنما امره بأن يقول ذلك لئلا يدّعوا فيه ما ادعت النصارى في المسيح ، ولئلا ينزله منزلة خلاف مايستحقه . ثم امره بأن يقول لهم : « هل يستوي الاعمى والبصير » اي هل يستوي العارف بالله تعالى وبدينه العالم به مع الجاهل به وبدينه ، فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلاً للعارف بالله ونبيه ، هذا قول الحسن والجبائي .

وقال البلخي : معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ، ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق « افلا تتفكرون » فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بوحدانيته تعالى ونفي الشركاء والتشبيه عنه ، وهذا وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به الاخبار اي انهما لا يستويان .

وقال مجاهد : الاعمى الضال والبصير المهتدي . ثم قال : « افلا تتفكرون » تنبيهاً لهم على الفكر فيما يدعوهم إلى معرفته ويدلهم عليه من آياته وأمثاله التي بينها في كتابه ، للفرق بين الحق والباطل ، والكافر والمؤمن .

وقال الحسن : « لا اقول لكم عندي خزائن الله » يعني خزائن الغيب الذي فيه العذاب لقولهم : ائتنا بعذاب الله ، ولا اعلم الغيب متى يأتيكم العذاب « ولا اقول لكم اني ملك » من ملائكة الله . وإنما انا بشر تعرفون نسبي . ولكن رسول الله يوحى إلي ، ولا اتبع إلا ما يوحى إلي ولا أؤدي إلا ما يأمرني بأدائه .

واستدل الجبائي والبلخي وغيرهما بهذه الآية على ان الملائكة افضل من الأنبياء لانه قال « ولا اقول لكم اني ملك » فلو لا ان الملائكة افضل وأعلى منزلة ما جاز ذلك. وهذا ليس بشيء لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هاهنا ، وإنما المراد « ولا اقول اني ملك » فاشاهد من امر الله وغيبته عن العباد ما يشاهده الملائكة المقربون المختصون بملكوت السماوات وان لم يكن في ذلك استحقاق ثواب زائد .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ع) ان ينذر بهذه الآيات اي يخوف بها من هو مقر بالبعث والنشور من المؤمنين ، ومن يقر بذلك من الكفار ويعتقد انه لا معونة عند الشركاء يومئذ ، لأن الأمر هناك له تعالى وحده . وقد كان خلق من مشركي العرب يعتقدون ذلك ، فأمر الله ان يخص هؤلاء بالانذار ، لأن الحجة لهم ألزم وان كانت لازمة للجميع .

وقوله : « يخافون ان يحشروا إلى ربهم » اى يعلمون ذلك ، فهم خائفون منه اي عاملون بما يؤديهم إلى السلام عنده .

وقال الفراء : يخافون الحشر الى ربهم علماً بأنه سيكون فلذلك فسّره المفسرون يخافون بمعنى يعلمون .

وقال الجبائي : امر الله ان يخوف بالعقاب من هو خائف ، لأنه لما اعلمهم ان الله يعذبهم بكفرهم إذا حشروا ، كانوا يخافون الحشر لكونهم شاكين فيما اخبرهم به النبي (ص) من الحشر والعذاب . وكانوا يخافون ذلك لشكهم فيه ، وان كانوا غير مؤمنين . والاول قول البلخي والزجاج .

وقوله : « ليس لهم من دونه ولي » او من يدفع عنهم ما يريد الله إنزاله بهم من عذابه ، وعقوباته ، ولا شفيع يشفع يدفع بشفاعته عنهم ما يريد الله إنزاله بهم من ذلك على ما قالت النصارى انهم ابناء الله واحباؤه .

وقوله : « لعلهم يتقون » اي لكي يتقوا معاصيه . والهاء في قوله « به » قال الزجاج : راجعة إلى القرآن . وقال الجبائي : راجعة إلى العذاب . وقال البلخي : راجعة إلى الانذار .

قوله تعالى :

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر « بالغدوة » هنا وفي الكهف - بضم الغين واسكان الدال واثبات واو بعدها . الباقون بفتح الغين والدال واثبات الف بعد الدال .

النزول :

سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن مسعود وغيره : ان ملأ من قريش - وقال الفراء : من الكفار ، منهم عيينة بن حصين [الغزاي - دخلوا على النبي (ص) وعنده بلال ، وسلمان وصهيب وعمار ، وغيرهم ، فقال عيينة بن حصين] (١) يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك ، لأتاك أشراف قومك ، وأسلموا ، وكان ذلك خديعة منهم له

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

وكان الله تعالى عالماً ببواطنهم .

المعنى والاعراب :

فأمر الله تعالى نبيه ان « لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » يعني انه نهاه عن طردهم لانهم يريدون باسلامهم ودعائهم وجه الله . قال الضحاك : « يدعون ربهم بالغداة والعشي » يعني بذلك الصلاة المفروضة في هذين الوقتين . وقال ابراهيم هم اهل الذكر . وقال قوم : الدعاء هاهنا هو التحميد والتسبيح .

وقوله : « يريدون وجهه » شهادة للمعنيين بالآية بالاخلاص وانهم يريدون بعبادتهم الله خالصاً .

وقال البلخي : قراءة ابن عامر غلط ، لأن العرب اذا ادخلت الألف واللام قالوا الغداة يقولون : رأيتك بالغداة ، ولا يقولون بالغدوة ، فاذا نزعوا الالف واللام قالوا رأيتك غدوة . وانما كتبت بالواو في المصحف ، كما كتبوا الصلاة والزكاة والحياة كذلك .

قال ابو علي الفارسي : الوجه الغداة ، لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام ، فأما غدوة فمعرفة ابداً ، وهو علم صيغ له . قال سيبويه : غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسماً للجنس كما جعلوا ام حنين اسماً لدابة معروفة ، كذلك هذا .

ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان تقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة ، فجعلها بمنزلة ضحوة .

وقوله « فتطردهم » نصب الدال ، لأنه جواب النفي في قوله : « ما عليك من حسابهم » ونصب فيكون لأنه جواب لقوله : « ولا تطرد الذين . . . فتكون من الظالمين . . . ما عليك من حسابهم من شيء » قال قوم يعني من حساب رزقهم في الدنيا ليس رزقهم في يدك ولا رزقك في ايديهم ، بل الله رازق الجميع .

وقال الجبائي وهو الأظهر : ما عليك من اعمالهم ، ولا عليهم من أعمالك ، بل كل واحد يؤاخذ بعمله ، ويجازى على فعله ، لا على فعل غيره . وقوله « فتطردهم فتكون من الظالمين » اخبار منه تعالى انه لو طرد كل هؤلاء تقرباً الى الكبراء منهم كان بذلك ظالماً . والنبي (ص) وان لم يقدم على القبيح جاز ان ينهى عنه ، لأنه قادر عليه وان كان النهي والزجر يمتنع منه ، كما قال تعالى « لئن اشركت ليحبطن عملك » وان كان الشرك مأموناً منه .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (٥٣) آية بلا خلاف .

معنى الآية انه تعالى اخبر انه يمتحن (١) الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فيختبر صبر الفقراء على ما يرون من حال الاغنياء ، واعراضهم عنهم إلى طاعة الرسل ويختبر شكر الاغنياء واقرارهم لمن يسبقهم من الفقراء ، والموالي والعبيد إلى الايمان بالرياسة في الدين والتقدم فيه .

وقوله : « ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا » فليس المراد باللام لام الغرض لأن الله لو قصد ذلك لكان قد قصد بما فعل ان يقولوا هذا القول فيكفروا به ويعصوا ويتعالى الله عن ذلك فكيف يقصده ؟! وقد عابه من قولهم وهو يعاقبهم عليه وعابهم به ، ولكن اللام لام العاقبة .

والمعنى اني فعلت ذلك بهم ليصبروا ويشكروا ، فكان عاقبة امرهم ان قالوا « أهولاء منّ الله عليهم من بيننا » ومثله قوله : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » (٢) وقال الشاعر :

---

(١) في المخطوطة « ابتلي » بدل « يمتحن »

(٢) سورة القصص آية ٨

واما سماك فلا تجزعي فللشكل ما تلد الوالد (١)

والذي قال « أهولاء منّ الله عليهم من بيننا » هو عيينه بن حصين واصحابه.

وقال الزجاج : اي ليقول الكبراء « أهولاء منّ الله عليهم من بيننا » اي ليكون ذلك آية بينة انهم اتبعوا الرسول وصبروا على الشدة في حال شديدة .

وقال الجبائي: معنى قوله « فتنا بعضهم ببعض » اي شددنا التكليف على أشراف العرب وكبرائهم بأن امرناهم بالايمان برسول الله وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان ، وكونهم افضل عند الله . وهذا امر كان شاقاً عليهم ، فلذلك سماه الله فتنة .

وقوله : « ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام منه لا على وجه الانكار « أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » يعني بالايمان إذ رأوا النبي (ص) يقدم هؤلاء عليهم ويفضلهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ، ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكاليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار ، لأن انكارهم ذلك كفر بالله ومعصية له والله تعالى لا يريد ذلك ولا يرضاه ، لأنه لو اراد ذلك منهم ، وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه.

وقوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » معناه إن الله تعالى أعلم بالشاكرين له ولنعمه من خلقه فيجازيهم على ذلك بما يستحقونه من الثواب والتعظيم والاجلال .

والشاكرون المعنيون بالآية هم هؤلاء الضعفاء ويدخل معهم في ذلك سائر المؤمنين .

فان قيل فعلى هذا الوجه الذي ذكرتموه قد وجد من الكفار القول على ما اراده فيجب ان يكونوا مطيعين .

قلنا : ليس في الآية ذلك وانهم على اي وجه قالوه على وجه الانكار او على وجه الاستفهام؟ وإنما بين انه فعل بهم ليقولوا ذلك على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار ،

(١) مر هذا البيت في ٣ : ٦٠ وسيأتي في ٥ ; ٤٣ .

فان كانوا قالوه على ما اراده الله فهم مطيعون وان قالوه منكرين فهم عصاة ، فلما علمنا ان الله تعالى ذمهم بهذا القول علمنا انهم لم يقولوه على وجه المراد منهم إنما قالوه على خلاف ما اريد منهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ ﴾ (٥٤) آية .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب : « انه من عمل . . . فانه غفور رحيم » بفتح الهمزة فيهما وافقهم اهل المدينة في الاولى منهما . الباقون بالكسر فيهما .

قال ابو علي الفارسي من كسر (انه) الاولى جعلها تفسير للرحمة كما ان قوله «لهم مغفرة واجر كريم» تفسير للوعد . واما كسر (ان) في قوله « فانه غفور رحيم » فلأن مابعد الفاء حكمه الابتداء ، ومن ثم حمل قوله « ومن عاد فينتقم الله منه » (١) على ارادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه .

ومن فتح (ان) في قوله « انه » فانه جعل (ان) الاولى بدلا من الرحمة ، كأنه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم . واما فتحها بعد الفاء فانه غفور رحيم ، فعلى انه اضمر له خبراً تقديره ، فله انه غفور رحيم اي فله غفرانه . او اضمر مبتدأ تكون (ان) خبره ، كأنه قال فأمره انه غفور رحيم .

---

(١) سورة المائدة آية ٩٥

واما قراءة نافع : بفتح الاولى وكسر الثانية (١) فالقول فيهما انه ابدل من الرحمة واستأنف مابعد الفاء . قال سيبويه : بلغنا أن الأعرج قرأ « انه من عمل ... فانه غفور رحيم » . ونظيره قول ابن مقبل :

واني اذا ملت ركابي مناخها فاني على حظي من الامر جامح

يريد ان قوله :(واني اذا ملت ركابي) محمول على ماقبله كما ان قوله « انه من عمل » محمول على ما قبله . وقوله : فاني على حظي مستأنف مثل قوله « فانه غفور رحيم » مستأنف به منقطع عما قبله .

قال الفراء : واختاره الزجاج ويجوز ان يحمل (فانه) على التكرار ، قال: لأن الكتاب يحتاج الى (ان) مرة واحدة ولكن الخبر هو موضعها فلما دخلت في ابتداء الكلام اعيدت الى موضعها ، كما قال : « أيعدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون » (٢) فلما كان موضع ان ايعدكم انكم مخرجون اذا متم دخلت في اول الكلام وآخره . ومثله « كتب عليه انه من تولاه فانه يضله » (٣) . ومثله « ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فأن له » (٤) قال ولك ان تكسر (إن) بعد الفاء في هذه الأحرف . قال ابوعلي هذا غير صحيح ، لان (من) لايخلو من ان تكون للجزاء الجازم الذي بني اللفظ عليه او تكون موصولة ، ولايجوز أن يقدر التكرير مع الموصولة فلوكانت موصولة لبقي المبتدأ بلا خبر ، ولا يجوز ذلك في الجزاء الجازم ، لان الشرط يبقى بلا جزاء على اثبات الفاء [في قوله : (فان له) ويمتنع من أن يكون بدلا لانه لايكون بين المبدل والمبدل منه الفاء] (٥) العاطفة ولا

(١) في المطبوعة « كتب انه فانه » بدل عبارة « بفتح الاولى وكسر الثانية » وقد أثبتنا ما في المخطوطة .

(٢) سورة المؤمنون آية ٣٥ (٣) سورة الحج آية ٤

(٤) « التوبة آية ٦٣ (٥) مابين القوسين ساقط من المطبوعة .

التي للجزاء ، فان قيل : هي زائدة بقي الشرط بلا جزاء ، فاذا بطل الامران ثبت ما قدمناه .

واما من كسرها فعلى مذهب الحكاية كأنه لما قال « كتب ربكم على نفسه الرحمة » قال : « انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم » بالكسر ، ودخلت الفاء جواباً للجزاء .

المعنى :

هذه الآية متصلة بالاولى : نهى الله تعالى نبيه (ع) في الاولى عن ان يطردهم ثم امره في هذه الآية ان يقول لمن ورد عليه منهم - اعني المؤمنين المصدقين بآيات الله وحججه وبراهينه عربياً كان او اعجمياً ضعيفاً كان او قوياً - « سلام عليكم » فيبدأهم بالتحية ، ويبشرهم بالرحمة ويقوي قلوبهم ويعرفهم ان من اذنب منهم ثم تاب ، فتوبته مقبولة كل ذلك خلافاً على الكافرين فيما ارادوه عليه من طردهم والغلظة عليهم .

اللغة :

وقال محمد بن يزيد : السلام في اللغة اربعة اشياء : احدها - سلمت سلاماً مصدر . وثانيها - السلام جمع سلامة . وثالثها - السلام من أسماء الله . ورابعها - السلام شجر .

ومعنى السلام الذي هو مصدر سلمت دعاء للانسان ان يسلم في دينه ونفسه ، ومعناه التخلص . والسلام الذي هو اسم الله معناه ذو السلام اي الذي يملك السلام الذي هو تخليص من المكروه . والسلام الذي هو الشجر ، فهو شجر عظيم سمي بذلك لسلامته من الآفات . والسلام حجارة صلبة لسلامتها من الرخاوة ويسمى الصلح : السلام والسلم والسلم ، لان معناه السلامة من الشر . والسلام دنوها مروة واحدة نحو دلو السقائين . والسلم السبب الى الشيء . والسلم الذي يرتقى عليه لانه يسلمك الى حيث تريد

المعنى :

[وقوله « من عمل منكم سوءاً بجهالة » ليس المراد انهم يجهلون انه سوء لانه](١) لو اتى المسلم مايجهل انه سوء لكان كمن لم يتعمد سوءاً. وتحتمل الآية امرين: احدهما ـ انه عمله وهو جاهل بالمكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروه. والآخر ـ انه اقدم مع علمه ان عاقبته مكروهة فآثر العاجل فجعل جاهلا لانه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعاقبة الدائمة.

ويحتمل عندي ان يكون اراد « من عمل منكم سوءاً بجهالة » بمعنى انه لا يعرفها سوءاً لكن لما كان له طريق الى معرفته وجب عليه التوبة منه ، فاذا تاب قبل الله توبته

فان قيل قوله « واصلح » هل فعل الصلاح شرط في قبول التوبة اولا ، فان لم يكن شرطاً فلم علق الغفران بمجموعها ؟

قيل لا خلاف ان التوبة متى حصلت على شرائطها التي قدمنا ذكرها في غير موضع فانه يقبل التوبة ويسقط العقاب . وان لم يعمل بعدها عملا صالحاً غير انه اذا تاب وبقي بعد التوبة فان لم يعمل العمل الصالح عاد الى الاصرار ، لانه لا يخلو في كل حال من واجب عليه او ندب من تجديد معرفة الله ومعرفة نبيه ، وغير ذلك من المعارف وكثير من افعال الجوارح ، فاما ان قدرنا اختراما عقيب التوبة من غير فعل صلاح ، فان الرحمة باسقاط العقاب تلحقه بلا خلاف .

قوله تعالى :

« وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ »

(٥٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ اهل الكوفة الا حفصاً و« ليستبين » بالياء . الباقون بالتاء . وقرأ اهل

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

المدينة « سبيل » بالنصب . الباقون بالرفع .

من قرأ بالتاء ورفع السبيل ، فلأن السبيل يذكر ويؤنث ، فالتذكير لغة تميم ، والتأنيث لغة اهل الحجاز فأنث هاهنا ، كما قال « قل هذه سبيلي » (١) .

ومن قرأ بالياء فانه ذكر السبيل ، لأنه الطريق . وهو يذكر ، كما قال « وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » (٢) .

ومن قرأ بالتاء ، ونصب السبيل اراد ان يكون خطاباً للنبي (ص) كأنه قال: ولتستبين انت يا محمد سبيل المجرمين .

المعنى :

والنبي (ص) وان كان مستبيناً لطريق المجرمين عالماً به فيجوز ان يكون ذلك على وجه التأكيد ، ولأن يستديم ذلك . ويحتمل ان يكون المراد به الامة ، فكأنه قال ليزداد استبانة ، ولم يحتج ان يقول : ولتستبين سبيل المؤمنين ، لان سبيل المجرمين اذا بانت ، فقد بان معها سبيل المؤمنين ، لأنها خلافها . ويجوز ان يكون المراد ، ولتستبين سبيل المجرمين ولتستبين سبيل المؤمنين ، وحذف احدى الجملتين لدلالة الكلام عليه ، كما قال « سرابيل تقيكم الحر » (٣) ولم يقل تقيكم البرد ، لان الساتر يستر من الحر والبرد ، لكن جرى ذكر الحر ، لأنهم كانوا في مكانهم اكثر معاناة له من البرد ، وكذلك سبيل المجرمين ، خص بالذكر ، لأن الكلام في وصفهم ، وترك ذكر المؤمنين لدلالة الكلام عليه . وهذه الآية معطوفة على الآيات التي احتج الله بها على مشركي العرب ، وغيرهم فلذلك قال « وكذلك » اى كما قدمنا « نفصل الآيات » اي نميزها ونبينها ونشرحها لتلزمهم الحجة و« لتستبين سبيل » من عاند بعد البيان

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ (٢) سورة الأعراف آية ١٤٥

(٣) » النحل آية ٨١ .

او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم منهم ، ومن المؤمنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

روي عن يحيى بن وثاب انه قرأ ضللت بكسر اللام . والقراء كلهم على فتحها ، وهما لغتان . فمن كسر اللام فتح الضاد من (يضل) . ومن فتح اللام كسر الضاد . فقال (يضل) وقال ابو عبيد اللغة الغالبة بالفتح .

المعنى :

وروى ابو العالية ان النبي (ص) قرأ هذه الآية عند الكعبة وأظهر لهم المفارقة . وهذه الآية فيها خطاب للنبي (ص) وامر له بأن يقول للكافرين : إن الله قد نهاني ان اعبد هذه الاوثان التي تعبدونها من دون الله وتدعونها آلهة وانها تقربكم الى الله زلفى . وان يقول لهم إني لا اتبع اهواءكم في عبادة الاوثان ، واني لو فعلت ذلك لكنت قد ضللت عن الصواب ، وبعدت عن الرشد ، ولم اكن من المهتدين الى الخير والصلاح . ومعناه معنى الشرط وتقديره قد ضللت ان عبدتها . وقال الزجاج : « وما انا من المهتدين » اي وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة والاعراب :

قرأ اهل الحجاز وعاصم « يقص الحق » من القصص وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد . الباقون - بالضاد المعجمة من فوقها من القضاء . وكان ابو عمرو يقوي القراءة بالضاد بقوله « وهو خير الفاصلين » . ويقول الفصل في القضاء لا في القصص ويقوي ذلك بقوله « والله يقضي الحق وهو يهدي السبيل » .

وحجة من قرأ بالصاد قوله : « نقص عليك أحسن القصص » (١) وقوله : « ان هذا لهو القصص » (٢) .

واما الفصل الذي قوى به ابو عمر وقراءته فقد جاء الفصل في القول كما جاء في الحكم والقضاء في نحو قوله « انه لقول فصل » (٣) وقال : « احكمت آياته ثم فصلت » (٤) وقال « نفصل الآيات » (٥) وقال « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الألباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي» (٦) فذكر في القصص انه تفصيل .

والحق في قوله « يقص الحق » يحتمل امرين :

---

(١) سورة يوسف آية ٣ (٢) سورة آل عمران آية ٦٢
(٣) سورة الطارق آية ١٣ (٤) « هود آية ٢
(٥) سورة يونس آية ٢٤ (٦) « يوسف آية ١١١

احدهما - ان يكون صفة لمصدر محذوف وتقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق .

والثاني - ان يكون مفعولا به مثل يعجل الحق كقول الهذلي :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع (١)

اي صنعها داود .

المعنى والقراءة :

وفي هذه الآية امر من الله لنبيه ان يقول للكفار انه على بينة من ربه اي على امر بين من معرفة الله وصحة نبوته ، لا متبع للهوى .

وقوله « وكذبتم به » الهاء راجعة الى البيان ، لأن البينة والبيان واحد ، وتقديره وكذبتم بالبيان الذي هو القرآن

وقال قوم : بينة من ربي من نبوتي « وكذبتم به » يعني بالله . وعلى الأول يكون تقديره كذبتم بما أتيتكم ، لأنه هو البيان .

وقوله : « ما عندي ما تستعجلون به » (ما) بمعنى ليس . والذي استعجلوا به يحتمل امرين : احدهما - العذاب ، كما قال « ويستعجلونك بالعذاب » . والثاني - ان يكون استعجلوا الآيات التي اقترحوها عليه فأعلمهم الله ان ذلك عند الله وان الحكم له تعالى « يقض الحق وهو خير الفاصلين » وكتبت يقضي بغير ياء ، لأنها اسقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين ، كما كتبوا « سندع الزبانية » بغير واو . (٢)

ومن قرأ : بالصاد من القصص حمله على ان جميع ما أنبأ به وامر به ، فهو من اقاصيص الحق .

---

(١) مر تخريجه في ١ : ٤٢٩ وقد مر أيضاً في ٤ : ٨٨ .

(٢) سورة العلق آية ١٨

وقال الحسن : (البينة) النبوة و(كذبتم به) بالنبوة التي جاءت من عند الله و« ما تستعجلو [ن به » من العذاب جواب لقولهم : « ائتنا بعذاب الله »] (١) وفي قراءة ابن مسعود « يقص بالحق » ولم يقرأ به احد .

وقوله « يقضي بالحق » يدل على بطلان قول من يقول ان الظلم والجور بقضاء الله ، لان ذلك كله ليس بحق .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٥٨) آية .

امر الله تعالى نبيه ان يقول للكفار : « لو كان عندي ما تستعجلون به » من كون العذاب وانزاله بكم برأيي وإرادتي لفعلت ذلك بكم ولأنزلته عليكم ولقضي الامر بيني وبينكم بذلك ولانفصل ولانقطع ولكن ليس ذلك إلي وإنما هو إلى الله « والله اعلم بالظالمين » وبمن ينبغي إمهاله منهم ومن يجب معاجلته بالعقوبة فهو يدبر ذلك بحسب ما يعلم من وجه الحكمة والصواب .

قوله تعالى :

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » (٥٩) آية بلا خلاف وهي تمام السبع المثاني .

---

(١) ما بين القوسين موجود فى المخطوطتين ، وساقط من المطبوعة .

المعنى :

« مفاتح الغيب » معناه الامور التي بها يستدل على الغائب فتعلم حقيقته ، يقال : فتحت على الرجل ، اى عرفته اولا ، ويستدل به على آخر ، وجملة يعرف بها التفصيل . ومنه قولهم افتح علي ، اي عرفني . قال الزجاج : معناه وعنده الوصلة إلى علم الغيب وكل ما لا يعلم إذا استعلم .

وروي عن ابن عمر ان رسول الله (ص) قال : مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت .

ومعنى الآية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدءات الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله أصلح وأصوب ، ويأخر ما تأخيره اصلح واصوب ، وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد اعلامه شيئاً من ذلك من أنبيائه وعباده ، لأنه لا يعلم الغيب سواه ، فلا يتهيأ لاحد ان يعلّم العباد ذلك ، ولا ان يفتح لهم باب العلم به إلا الله ، وبين انه يعلم ما في البر والبحر من الحيوان والجماد . وبين أنه ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها ولا حبة في جوف الارض وفي ظلماتها إلا ويعلمها . ولا رطب ولا يابس جميع اصناف الاجسام ، لأنها أجمع لا تخلو من احدى هاتين الصفتين .

وقوله : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة ، كما تقول : ما يجيئك من احد الا وأنا اعرفه ، معناه الا وانا اعرفه في حال مجيئه .

وقوله : « ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس » خبر على تقدير (من) . ويجوز الرفع فيها على معنى ولا تسقط ورقة ولا حبة . ويجوز ان يرفعه على الابتداء ويقطعه عن الاول ويكون خبره الا في كتاب مبين .

وقوله : « في كتاب مبين » يحتمل امرين : احدهما - ان يكون معناه في علم الله مبين .

وثانيها ـ ان يكون «في كتاب مبين» ان يكون الله تعالى أثبت ذلك في كتاب قبل ان يخلقه ، كما قال « ما اصاب من مصيبة في الارض ، ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها » ويكون الغرض بذلك إعلام الملائكة انه علام الغيوب ليدل على انه عالم بالأشياء قبل كونها . ويجوز ان يكون المراد بذلك انه كتب جميع ما يكون ثم امتحن الملائكة بكتبه وتعبدهم باحصائه ، كما تعبد سائر خلقه بما يشاء مما فيه صلاحهم . وقال البلخي: « في كتاب مبين » اي هو محفوظ غير منسي ولا مغفول كما يقول القائل لصاحبه : ما تصنعه عندي مسطر مكتوب . وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافأته عليه ، قال الشاعر :

ان لسلمى عندنا ديوانا

ويجوز ان يكون المراد بذكر الورقة والحبة والرطب واليابس التوكيد في الزجر عن المعاصي والحث على البر والتخويف لخلقه بأنه إذا كانت هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها محصاة عنده محفوظة مكتوبة ، فأعمالكم التي فيهـــا الثواب والعقاب أولى ، وهو قول الحسن . وقال مجاهد : البر القفار ، والبحار كل قرية فيها ماء . وعن أبي عبد الله : الورقة السقط والحبة الولد . وظلمات الارض الارحام والرطب ما يبقى ويحيا واليابس ما تغيض .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٠) آية بلا خلاف .

قوله : « وهو » كناية عن الله تعالى . « والذي » صفة له « يتوفاكم بالليل» قيل في معناه قولان : احدهما ـ قال الجبائي: يقبضكم ، وقال الزجاج : يفيمكم بالليل

فيقبضكم الله اليه ، كما قال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » (١) وقال البلخي : واختاره الحسين بن علي المغربي « يتوفاكم » بمعنى يحصيكم عند منامكم واستقراركم ، قال الشاعر :

ان بني الادرم ليسوا من احد ليسوا من قيس وليسوا من اسد
ولا توفاهم قريش في العدد (٢)

معناه لا تحصيهم في العدد .

وقوله : « ويعلم ما جرحتم بالنهار » اي كسبتم ، تقول فلان جارحة اهله اي كاسبهم . ومنه قوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » اي من الكواسب التي تكسب على اهلها ، وهو قول مجاهد .

وقوله : « ثم يبعثكم فيه » اي في النهار ، فجعل انتباههم من النوم بعثاً « ليقضي اجل مسمى » ليستوفي الأجل المسمى للحياة الى حين الموت . ثم « اليه مرجعكم » يعني يوم القيامة فيحشرهم الله إلى حيث لا يملك فيه الأمر سواه . « ثم ينبئكم » يعني يخبركم ويعلمكم « بما كنتم تعملون » في الدنيا فيجازيكم على اعمالكم ، وفيها دلالة على خزيهم وحاجتهم ، واحتجاج عليهم انه لا يستحق العبادة سواه اذ هو الفاعل لجميع ما يستحق به العبادة مما عدده والقادر عليه دون من يعبدونه من الاوثان والاصنام .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ وَيُرسِلُ عَلَيكُم حَفَظَةً حَتى

(١) سورة الزمر آية ٤٢

(٢) مقاييس اللغة ٣ : ٢٧٠ وروايته « بني الادرم » واللسان (وفي) وروايته « الادرد » مع حذف البيت الثاني وجعل الثالث بعد الاول وكذلك في الطبري ١١ : ٤٠٥

(٣) سورة المائدة آية ٤

إذا جاءَ أحَدَكُمُ الموتُ تَوفَّتهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إلى اللهِ مولاهُمُ الحقِّ ألا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أسْرَعُ الحاسبينَ ﴾ (٦٢) آيتان عند الجميع .

القراءة والحجة :

كلهم قرأ « توفته رسلنا » بالتاء الا حمزة فانه قرأ « توفاه » . وحجة من قرأ بالتاء قوله « كُذبت رسل من قبلك » (١) وقوله « إذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم » (٢) و « جاءتهم رسلهم بالبينات » (٣) و « قالت رسلهم » (٤) وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقي . وإنما التأنيث للجمع ، فهو مثل قوله « وقال نسوة في المدينة » (٥) وما اشبه ذلك مما يأتيه تأنيث الجمع . قال وليس ذلك خلافاً للمصحف ، لأن الالف الممالة تكتب ياء .

المعنى :

وقوله « وهو القاهر » معناه والله المقتدر المستعلي على عباده الذين هو فوقهم لا على انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم ، لأن ذلك لا يجوز عليه ، لأنه صفة للاجسام . ومثله في اللغة امر فلان فوق امر فلان ، يراد به انه أعلى امراً ، وانفذ قولا . ومثله قوله تعالى « يد الله فوق ايديهم » (٦) والمراد انه أقوى وأقدر منهم وانه القاهر لهم .

وقوله : « ويرسل عليكم حفظة » يعني يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٤ (٢) سورة حم السجدة آية ١٤

(٣) « الأعراف آية ١٠٠ ويونس آية ١٣ وابراهيم آية ٩ والروم آية ٩ وفاطر آية ٢٥ والمؤمن آية ٨٣ .

(٤) سورة ابراهيم آية ١٠ (٥) سورة يوسف آية ٣٠ (٦) سورة الفتح آية ١٠ .

ويحصونها عليكم ويكتبونها ليعملوا بذلك ان عليهم رقيباً من عند الله ومحصياً عليهم فينزجروا عن المعاصي . وبين ان هؤلاء الحفظة هم شهداء عليكم بهذه الأعمال يوم القيامة .

وقوله : « حتى إذا جاء احدكم الموت » يعني وقت الموت « توفته رسلنا » يعني قبضت الملائكة روح المتوفى ، وهم رسل الله الذين عناهم الله بهذه الآية . وقال الحسن : « توفته رسلنا » قال هو ملك الموت وأعوانه وانهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله بقبض ارواح العباد .

وقوله : « توفته رسلنا » اي تقبضه ، والتوفي هوالقبض على ما بيناه . ثم ان هؤلاء الرسل لا يفرطون اي لا يقصرون - في قول الزجاج - ولا يغفلون ، ولا يتوانون .

وقال الجبائي : لا يأخذون روحه قبل اجله ويبادرون إلى ما امروا به عن غير تقصير ، ولا تفريط . والمعني في التوفي ان يعلم العباد انهم يحصون اذا ماتوا فلا يرون انهم يهملون إذا ماتوا وان احداً منهم لا يثبت ذكره ليجزى بعمله . ثم بين ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسلنا يردون بعد الوفاة إلى الله فيردهم الى الموضع الذي لا يملك الحكم عليهم فيه إلا الله ولا يملك نفعهم ولا ضرهم سواه فجعل ردهم الى ذلك الموضع رداً إلى الله ، وبين انه هو مولاهم الحق ، لأنه خالقهم ومالكهم ، والقاهر عليهم القادر على نفعهم وضرهم ، ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة سواه فلذلك كان مولاهم الحق .

وقال البلخي : الحق اسم من أسماء الله وهو خفض ، لأنه نعت لله ، ويجوز الرفع على معنى الله مولاهم الحق ، ويجوز ان ينصب على معنى يعني مولاهم ، والقراءة بالخفض . وقوله : « ألا له الحكم » معناه ألا يعلمون او لا يقرون ان الحكم يوم القيامة هو له وحده ؟، ولا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه ، كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليك الله اياه .

وقوله: « وهو اسرع الحاسبين » روي انه تعالى يحاسب عباده على مقدار حلب شاة وذلك يدل على انه لا يحتاج ان يكلفهم مشقة وآلة على ما يقوله المشبهة، لانه لوكان كذلك لاحتاج ان يتطاول زمان محاسبته او انه يشغله محاسبته عن محاسبة غيره. وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قيل له كيف يحاسب الله الخلق وهم لا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه.

والمعنى في الآية انه تعالى أحصى الحاسبين لما أحصى الملائكة وتوفوا من الانفس لا يخفى عليه من ذلك خافية ولا يحتاج في عده الى فكر ونظر.

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٦٤) آيتان بلا خلاف.

القراءة:

قرأ يعقوب « قل من ينجيكم » مخففاً. الباقون بالتشديد. وقرأ ابو بكر: « وخفية » بكسر الخاء هاهنا، وفي الأعراف. وقرأ اهل الكوفة الا ابن شاهي: « أنجانا » على لفظ الاجبار عن الواحد الغائب وأماله حمزة والكسائي وخلف. الباقون « انجيتنا » على وجه الخطاب.

وقرأ اهل الكوفة الا العبسي وهشام وابو جعفر: « قل الله ينجيكم » بالتشديد. الباقون بالتخفيف.

اللغة والحجة :

يقال نجا زيد ينجو ، قال الشاعر :

* نجا سالم والنفس منه لشدقه * (١)

فاذا نقلت الفعل حسن ان تنقله بالهمزة فتقول انجيته ، ويجوز ان تنقله بتضعيف العين ، فتقول نجيته . ومثله فرحته وأفرحته وعرّضته واعرضته ، قال الله تعالى « فأنجاه الله من النار » (٢) « فأنجيناه والذين معه » (٣) وقال « ونجينا الذين » (٤) فلما استوت اللغتان وجاء التنزيل بهما تساوت القراءتان .

ووجه قراءة من قرأ « لئن أنجانا » انه حمله على الغيبة كقوله « تدعونه . . . لئن انجانا » ، وكذلك ما بعده « قل الله ينجيكم » « قل هو القادر » ، فهذا كله اسماء غيبة فـ (انجانا) أولى من (انجيتنا) لكونه على ما قبله ، وما بعده من لفظ الغيبة ، وموضع يدعونه نصب على الحال ، وتقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين : « لئن انجيتنا » .

ومن قرأ من الكوفيين « لئن انجانا » طلب المشاكلة .

ومن قرأ بالتاء واجه بالخطاب ولم يراع المشاكلة . ويقوي ذلك قوله في اخرى : « لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم » فجاء انجيتنا على الخطاب وبعده اسم غيبة .

واما إمالة حمزة والكسائي فحسنة ، لأن هذا النحو من الفعل اذا كان على اربعة

« ١ » اللسان « نجا » نسبه الى الهذلي وروايته :

نجا عامر والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

« ٢ » سورة العنكبوت آية ٢٤ « ٣ » سورة الأعراف آية ٦٣ ، ٧١ .

« ٤ » « حم السجدة آية ١٨

احرف استمرت فيه الامالة ، لانقلاب الالف ياء في المضارع .

ومن قرأ « خفية » بكسر الخاء فلان ابا عبيدة قال « خفية » تخفون في انفسكم وخفي غيره خفية ، وخفية لغتان . وحكي خفوة وخفوة بالواو ، كما قالوا حل حبوته وحبيته، ولا يقرأ بذلك . فأما قوله « تضرعاً وخيفة » ففعلة من الخوف . وانقلبت الواو ، للكسرة . والمعنى ادعوا خائفين خافيين ، قال الشاعر :

فلا تقعدنّ على زخة وتضمر في القلب وجداً وخيفا(١)

يريد جمع خيفة .

اللغه والمعنى :

امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الخلق ويقول لهم على وجه التقريع لمن يعبد الاصنام منهم - « من ينجيكم من ظلمات البر والبحر » ومعناه شدائد البر والبحر ، تقول العرب لليوم الذي يلقى فيه الشدة يوم مظلم حتى انهم يقولون : يوم ذو كواكب اي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل ، قال الشاعر :

ابني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم ذو كواكب اشهب (٢)

وقال آخر :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوم ذو كواكب اشهب (٣)

فمعنا ظلمات البر والبحر شدائدهما . وقوله: « تدعونه ... وخفية » اي مظهرين الضراعة ، وهي شدة الفقر إلى الشيء والحاجة و « تدعونه ... خفية » اي تدعونه في

« ١ » قائله صخر الغي . اللسان « زخخ » . الزخ والزخه « بتشديد الخاء » : الحقد والغيظ .

« ٢ » لم أجده في مظانه

« ٣ » اللسان « شهب » أنشده سيبويه . في المطبوعة « اشنع » بدل « أشهب »

انفسكم بما تضمرون من حاجاتكم اليه كما تظهرون .

وقوله « لئن انجيتنا من هذه » اي في شدة وقعتهم فيها يقولون « لئن انجيتنا من هذه » لنشكرنك ، نأمر الله ان يسألهم على وجه التوبيخ لهم والتقرير بأنه ينجيهم وانه القادر على نفعهم وضرهم . ثم اعلمهم ان الله الذي اقروا بأنه ينجيهم هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الاصنام التي قد علموا انها من صنعهم وانها لا تضر ولا تنفع وانه تعالى على تعذيبهم قادر .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيكُمْ عذاباً مِنْ فوقِكُمْ أو مِنْ تَحتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذيقَ بَعْضَكُمْ بأسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لعلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٦٥) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار : ان الله قادر على ان يبعث عليهم عذاباً من فوقكم نحو الحجارة التي أمطرها على قوم لوط ، والطوفان الذي غرق به قوم نوح « او من تحت ارجلكم » نحو الخسف الذي نال قارون ومن خسف به « اويلبسكم شيعاً » معنى يلبسكم يخلط امركم خلط اضطراب ، لا خلط اتفاق يقال : لبست عليه الامر البسه اذا لم تبينه ، وخلطت بعضه ببعض ، ومنه قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » (١) ويقال لبست الثوب البسه . ومعنى « شيعاً » اي يجعلكم [فرقاً لا تكونون شيعة واحدة فاذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً وهو] (٢) معنى قوله « ويذيق بعضكم بأس بعض » وانما يلبسهم الله شيعاً بان يكلهم الى انفسهم ولا يلطف لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخليهم من ألطافه بذنوبهم السالفة ، فيلبس

« ١ » سورة الأنعام آية ٩ « ٢ » ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

عند ذلك عليهم امرهم ، فيختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض . ثم اكد الاحتجاج عليهم ، فقال : « انظر كيف نصرف الآيات » لتفقهوا .

وقال الحسن : الآية متناولة ، لأهل الكتابين في التهديد بالخسف ، وإنزال العذاب « اويلبسكم شيعاً » يتناول اهل الصلاة . وقال قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : (سألت ربي ان لا يظهر على امتي اهل دين غيرهم . فأعطاني ، وسألته ألا يهلكم جوعاً فأعطاني ، وسألته ان لا يجمعهم على ضلالة ، فأعطاني ، وسألته ان لا يلبسهم شيعاً ، فمنعني ذلك) .

وفي الاية دلالة على انه تعالى اراد من الكفار الايمان ، لأنه قال فعلت هذا بهم « لعلهم يفقهون » ومعناه لكي يفقهوا ، لان معنى الشك لا يجوز عليه تعالى . واذا ثبت انهـــا دخلت للعرض ثبت انه اراد ان يؤمنوا به ويوحدوه ، ويفقهوا أدلته ويعرفوها .

وروي عن ابي عبد الله ﴿ ع ﴾ انه قال معنى « عذاباً من فوقكم » السلطان الجائر « ومن تحت ارجلكم » السفلة ، ومن لا خير فيه « او يلبسكم شيعاً » قال : العصبية « ويذيق بعضكم بأس بعض » قال سوء الجوار ويكون معنى البعث على هذا الوجه التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل ذلك او يأمر به ، يتعالى الله عن ذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٧) آية في المدنيين والبصري ، وآيتان في الكوفي ، آخر الاولى بوكيل .

قوله تعالى « وكذب به قومك » اي بما صرف من الآيات التي ذكرها في الآية الاولى — في قول البلخي والجبائي . وقال الأزهري : الهاء راجعة إلى القرآن .

ثم اخبر تعالى ، فقال « وهو الحق » وامره ان يقول لقومه « لست عليكم بوكيل » اي لم اؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وان احفظكم من ذلك وان احول بينكم وبينه ، لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه ، والذي يدفع الضرر عنه .

وقال البلخي : هذه نزلت بمكة قبل ان يؤمر بالقتال ثم امر فيما بعد ذلك . وامره ان يخبرهم ان « لكل نبأ » يخبرهم به « مستقر » وهو وقته الذي يعلمون فيه صحة ما وعدهم به وحقيقته ، وذلك عند كون مخبره ، اما في الدنيا ، واما في الآخرة « وسوف تعلمون » فيه تهديد لهم بكون ما اخبرهم به من العذاب النازل بهم في الدنيا والآخرة ، ووقت كون هذا العذاب هو مستقر الخبر . وقال بعضهم : انبأه الله بالوقت الذي يظفره فيه بهم . وقال الزجاج يجوز ان يكون اراد وقت الاذن في محاربتهم حتى يدخلوا في الاسلام او يقبلوا الجزية إن كانوا اهل كتاب .

وقوله : « وكذب به قومك » المراد به الخصوص ، لأن في قومه جماعة صدقوا به ، وهو كما يقول القائل : هؤلاء عشيرتي ، يشير الى جماعة وان لم يكونوا جميع عشيرته .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذا رَأَيتَ الَّذينَ يَخوضونَ في آياتِنا فَأَعرِض عَنهُم حَتى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ وَإِمّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيطانُ فَلا تَقعُد بَعدَ الذِّكرى مَعَ القَومِ الظّالِمينَ ﴾ (٦٨) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر « واما ينسينك » بتشديد السين . الباقون بالتخفيف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) بهذه الآية ، فقال له « إذا رأيت » هؤلاء الكفار « الذين يخوضون في آياتنا » . قال الحسن ، وسعيد بن جبير : معنى « يخوضون »

يكذبون « بآياتنا » ودينا والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب ، وترك التفهم واليقين . ومثله قول القائل : تركت القوم يخوضون ، اي ليسوا على سداد ، فهم يذهبون ويجيئون من غير تحقيق ولا قصد للواجب - امره حينئذ ان يعرض عنهم « حتى يخوضوا في حديث غيره » لان من حاجّ من هذه حاله وأراد التبيين له فقد وضع الشيء في غير موضعه وحطّ من قدر الدعاء ، والبيان والحجاج . ثم قال له (ص) ان انساك الشيطان ذلك « فلا تقعد بعد الذكرى » - والذكرى والذكر واحد - « مع القوم الظالمين » يعني هؤلاء الذين يخوضون في ذكر الله وآياته . ثم رخص للمؤمنين بقوله : « وما على الذين يتقون من حسابهم » (١) بأن يجالسوهم إذا كانوا مظهرين للتكبر عليهم غير خائفين منهم ، ولكن ذكرى يذكرونهم اي ينبهونهم ان ذلك يسؤهم « لعلهم يتقون » ثم نسخ ذلك بقوله « وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها » الى قوله : « انكم اذاً مثلهم » (٢) وبهذا قال سعيد بن جبير والسدي وجعفر بن مبشر ، واختاره البلخي وقال : في اول الاسلام كان ذلك يخص النبي (ص) ورخص المؤمنين فيه ، ثم لما عزّ الاسلام ، وكثر المؤمنون نهوا عن مجالستهم ونسخت الآية .

واستدل الجبائي بهذه الآية على أنه لا يجوز على الأئمة المعصومين على مذهبنا التقية . [وقال : لانهم اذا كانوا الحجة كانوا مثل النبي ، وكما لا يجوز عليه التقية فكذا الامام - على مذهبكم - !

وهذا ليس بصحيح ، لانا لا نجوز على الامام التقية فيما] (٣) لا يعرف إلا من جهته ، كالنبي وإنما تجوز التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم ، لان المكلف علته مزاحة في تكليفه ، وكذلك يجوز في النبي (ص) ان لا يبين في الحال ، لامته مايقوم منه بيان منه اومن الله اوعليه دلالة عقلية ، ولذلك قال النبي (ص)

(١) سورة الأنعام آية ٦٩ (٢) سورة النساء آية ١٣٩

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

لعمر حين سأله عن الكلالة فقال (يكفيك آية الصيف) واحال آخر في تعرف الوضوء على الآية ، فأما ما لا يعرف إلا من جهته ، فهو والامام فيه سواء لا يجوز فيهما التقية في شيء من الأحكام .

واستدل الجبائي ايضاً بالآية على ان الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان قال بخلاف مايقوله الرافضة بزعمهم من انه لايجوز عليهم شيء من ذلك. وهذا ليس بصحيح ايضاً لأنا نقول إنما لايجوز عليهم السهو والنسيان فيما يؤدونه عن الله ، فاما غير ذلك فانه يجوز ان ينسوه اويسهو عنه مما لم يؤد ذلك الى الاخلال بكمال العقل ، وكيف لايجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويغشى عليهم ، والنوم سهو وينسون كثيراً من متصرفاتهم ايضاً وما جرى لهم فيما مضى من الزمان ، والذي ظنه فاسد .

وقال ايضاً في الآية دلالة على وجوب انكار المنكر لأنه تعالى امره بالاعراض عنهم على وجه الانكار والازدراء لفعلهم وكل احد يجب عليه ذلك اقتداء بالنبي .

قوله تعالى :

﴿ وَما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٩) آية .

لهذه الآية تأويلان : احدهما ـ قال الجبائي والزجاج واكثر المفسرين ان المراد ليس على المتقين من حساب الكافرين وما يخوض فيه المشركون ، ولا من مكروه عاقبته شيء « ولكن ذكرى » اي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطأهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم ، وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك .

والثاني ـ قال البلخي : ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم بأنهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم ، فيتقوا

فعلى الأول الهاء والميم كناية عن الكفار وعلى الثاني عن المؤمنين .

و(ذكرى) يحتمل ان يكون في موضع رفع ونصب، فالنصب على تقدير ذكرهم ذكرى والرفع على وجهين : احدهما - ولكن عليكم ان تذكروهم ، كما قال : « ان عليك إلا البلاغ »(١) والثاني - على تقدير ولكن الذي يأمرونهم به ذكرى ليتقوا عذاب الله .

وقال أبو جعفر (ع) : لما نزلت « فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزء المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم ، فلا ندخل إذاً المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام ، فأنزل الله تعالى « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » وامرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا .

قوله تعالى :

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠) آية عند الجميع .

معنى قوله « ذر » دع يقال وذر يذر مثل ودع يدع ، فاذا امرت منه قلت : ذر ، كما قال « ذرهم يأكلوا » .

وقوله « الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم انهم اتخذوا دين الله لعباً ولهواً ، لأنه لا معنى لمحاجة من كانت هذه سبيله ، لأنه لاعب عابث ، لا يصغي لما يقال له ، فالمكلم له والمحتج عليه غير منتفع ولا نافع . وقد قطع الله

(١) سورة الشورى آية ٤٨

عذر هؤلاء الذين يذهبون مذهب اللعب بما ادركوه بعقولهم ، وما شاهدوه من آياته « وغرتهم الحياة الدنيا » . ثم امر نبيه (ص) ان يذكر به ، يعني القرآن . وقيل الحساب ، لكي لا تبسل نفس بما كسبت اي تدفع الى الهلكة على وجه الغفلة وتسلم لعملها غير قادرة على التخلص ، قال الشاعر في الغريب المضيف :

وابسالي بنيّ بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق (١)

اي اسلامي اياهم . بعوناه اجترمناه ، والبعو الجناية . وقيل: معنى تبسل ترهن ويسلم لعمله .

اللغة :

قال الاخفش : معنى « تبسل » تجازى من ابسل ابسالا ، ومنه قوله « اولئك الذين ابسلوا » (٢) قال الكسائي : « تبسل » تجزى يعني في الكلام . وقال الفراء : معناه يسلم ويقال اعط الراقي بسلته اي اجرته على رقيته . ويقال أسد باسل ، معناه ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ، ويقال هذا بسل اي حرام ، وهو بسل اي حلال . وهذا من الأضداد .

« شراب من حميم » قال الضحاك الحميم هو الماء الذي احمي حتى انتهى غليانه .

وقوله : « وان تعدل كل عدل » قال بعضهم ان يفد كل فدية يريد ان يجعلها عدلا لها من قوله « لا يقبل منها عدل » (٣) وقال غيره معناه وان تقسط كل قسط لا يقبل منها في ذلك اليوم ، لان التوبة إنما هي في الحياة الدنيا . ثم اخبر تعالى انه ليس لهؤلاء الكفار « ولي ولا شفيع » اي لا ناصر لهم ، ولا من يسأل فيهم واخبر ايضاً

(١) تفسير الطبري ١١ : ٤٤٥ ومجاز القرآن ١ : ١٤٩ واللسان « بسل » ، « بعا » ونوادر أبي زيد : ١٥١ .

(٢) سورة الأنعام آية ٧٠ (٣) سورة البقرة آية ١٢٣ .

ان هؤلاء في قوله «اولئك الذين ابسلوا» هم الذين يجازون بما كسبوا وان لهم شرابا من حميم وعذابا أليما بما كانوا يكفرون، نعوذ بالله منها . وقيل ما من امة إلا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون ، إلا امة محمد فان اعيادهم صلاة وتكبير ودعاء وعبادة .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة « استهواه الشياطين » بألف ممالة ، الباقون بالتاء المعجمة من فوق . قال ابو عبيدة « كالذي استهوته الشياطين » اي استمالت به ذهبت به ومنه فأزله الشيطان عنها . وكذلك هوى واهوى غيره . قال تعالى «والمؤتفكة اهوى» يقال اهويته واستهويته ، كما قال « فأزلهما الشيطان » وانما استزلهم الشيطان ، فكما ان ازله بمعنى استزله كذلك استهواه بمنزلة اهواه ، وكما ان معنى استجابه اجابه في قول الشاعر :

فلم يستجبه عند ذاك مجيب (٢)

وقرأ حمزة هاهنا مثل قراءته توفاه وكلا المذهبين حسن .

وقوله : « استهواه » إنما هو من قولهم هوى من حالق اذا تردى منه . ويشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم ، كما ان زل انما هو من العباد . والمكان . امر الله نبيه (ص) والمؤمنين ان يقولوا لهؤلاء الذين يدعونهم الى عبادة الاوثان والاصنام « اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا » ان عبدناه ، ولا يضرنا ان تركنا عبادته

---

(١) سورة البقرة آية ٣٦ (٢) انظر ٢ : ١٣١

« ونرد على اعقابنا بعد » الهدى والرشاد وبعد معرفتنا بالله وتصديق رسله. في الضلال وذلك مثل يقال فيمن رجع عن خير الى شر : رجع على عقبيه ، وكذلك اذا خاب من مطلبه ، يقال ردّ على عقبيه ويصير في الحيرة « كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران » لا يهتدي الى طريق ، ولا معرفة « له اصحاب يدعونه » الى الطريق الواضح وهو الهدى ويقولون له « ائتنا » ولا يقبل منهم ، ولا يصير اليهم غير انه لذهاب عقله من فعل الله فيستولي الشيطان حينئذ عليه ، ولا يقبل من احد لحيرته . شبه الله به الكافر الذي يرجع عن ايمانه وهداه الى الضلال . قال ولا يقدر احد من الشياطين على اذهاب عقل احد ، لانهم لو قدروا على ذلك لسلبوا عقول العلماء من حيث انهم اعداؤهم ، فلما لم يقدروا على ذلك دل على انه لا يقدر على ذلك إلا الله . ثم امره الله ان يقول لهؤلاء الكفار « ان هدى الله هو الهدى » اي دلالة الله لنا على توحيده وأمر دينه هو الهدى الذي يؤدي المستدل به إلى الفلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان يعمل عليه ويستدل به دون ما يدل عليه غيره من سوى امور الدين . وقوله : « وامرنا لنسلم لرب العالمين » معناه امرنا ان نسلم امورنا لله رب العالمين وان نفوضها اليه ونتوكل عليه لا على غيره مما يعبده المشركون .

و « حيران » نصب على الحال وتقديره كالذي استهوته الشياطين في حال حيرته وقوله « له اصحاب يدعونه الى الهدى » قيل نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر ، كان ابواه يدعوانه إلى الايمان ويقولان له امنا ، اي تابعنا في ايماننا « وامرنا لنسلم لرب العالمين » تقول العرب : امرتك ان تفعل وامرتك لتتفعل وامرتك بأن تفعل ، فمن قال امرتك بأن تفعل ، فالباء للالصاق . والمعنى وقع الامر بهذا الفعل . ومن قال امرتك ان تفعل حذف الباء ، ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرنا للاسلام . قال الزجاج : يكون اللام لام التعليل والتقدير امرنا كي نسلم قال الشاعر :

اريد لأنسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلي بكل سبيل (١)

اي كي انسى . وقال الطبري : معناه وامرنا لنخضع له بالذلة والطاعة ونخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

(٧٢) آية بلا خلاف .

تحتمل هذه الآية وجهين : احدهما - ان يكون التقدير امرنا ، لأن نسلم ولان نقيم الصلاة . والثاني - ان يكون محمولا على المعنى ، لأن معناه امرنا بالاسلام ، وإقامة الصلاة وموضع ان نصب ، لأن الباء لما اسقطت افضى الفعل فنصب . ويحتمل ان يكون محمولا على قوله « يدعونه الى الهدى ائتنا » وان « اقيموا الصلاة » اي ويدعونه ان اقيموا الصلاة ، وهذه الآية موصولة بالتي قبلها اي « امرنا لنسلم لرب العالمين » وقيل لنا « اقيموا الصلاة واتقوه » اي اتقوا رب العالمين بأن تجتنبوا معاصيه وتتقوا عقابه . ثم بين انه « هو الذي اليه تحشرون » اي تجمعون اليه يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم بعمله وتوفى كل نفس بما كسبت .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ * قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ (٧٣) آيتان في البصري والمدنيين ، وآية في الكوفي .

---

(١) مر هذا البيت فى ٣ : ١٧٤ وهو فى مجمع البيان ٢ : ٣١٩

المعنى والاعراب :

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام ، ويدعون المؤمنين الى عبادتها «وامرنا لنسلم لرب العالمين» الذي خلق السماوات والارض بالحق ، وفي معنى بالحق قولان :

احدهما ـ قال الحسن والبلخي والجبائي والزجاج والطبري : ان معناه خلقها للحق لا للباطل . ومعناه خلقها حقاً وصواباً لا باطلا وخطأً ، كما قال تعالى : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا » وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون: فلان يقول بالحق ، بمعنى انه يقول الحق ، لا ان الحق معنى غير القول بل التقدير ان خلق الله السماوات والارض حكمة ، وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة في خلقها وخلق ما سواها من جميع خلقه لا ان هناك حقاً سوى خلقها خلقها به ، وذلك يدل على بطلان ما يقوله المجبرة : ان كله باطل وسفه . وما يخالف الحكمة من فعل الله ، تعالى الله عن ذلك .

والثاني ـ قال قوم : معنى ذلك انه خلق السماوات والارض بكلامه ، وهو قوله « ائتيا طوعاً او كرهاً » (١) قالوا فالحق هو كلامه واستشهدوا على ذلك بقوله « ويوم يقول كن فيكون قوله الحق » ان الحق هو قوله (٢) وكلامه . قالوا والله خالق الاشياء بكلامه ، وذلك يوجب ان يكون كلامه قديماً غير مخلوق ، وقد بينا فساد هذا الوجه فيما تقدم والمعتمد الاول .

وقوله « ويوم يقول كن فيكون » نصب يوم على وجوه :

احدها ـ على معنى واتقوا « يوم يقول كن فيكون » نسقاً على الهاء كما قال : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً »

---

(١) سورة حم السجدة آية ١١ (٢) في المخطوطة « ان هو » بدون كلمة « الحق » بعد « ان »

والثاني ـ ان يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لان بعده « وإذ قال ابراهيم » والمعنى واذكر « يوم يقول كن فيكون » و اذكر « إذ قال ابراهيم » وهو الذي اختاره الزجاج .

والثالث ـ ان يكون معطوفاً على « السماوات والارض بالحق » وخلق « يوم يقول كن فيكون » .

فان قيل : ان يوم القيامة لم يخلق بعد ؟ قيل ما اخبر الله بكونه فحقيقة واقع لا محالة .

وقال قوم : التمام عند قوله « كن » وقوله « فيكون قوله الحق » ابتدأ اي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب كائن حق قوله بذلك .

وقوله : « كن فيكون » قال قوم هو خطاب للصور . والمعنى ويوم يقول للصور كن فيكون . وقد بينا فيما مضى ان ذلك عبارة عن سرعة الفعل وتيسيره وانه لا يتعذر عليه شيء بمنزلة ان يقول كن فيكون ، لا ان هناك امر على الحقيقة ، وكيف يكون هناك امر والامر لا يتوجه الا الى الحي القادر . والمعدومات والجمادات لا يحسن امرها ولا خطابها ، والغرض بالآية الدلالة على سرعة امر البعث والساعة كأنه قال ويوم يقول للخلق : موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون اي لا يتعذر عليه ولا يتأخر عن وقت ارادته . وقيل « يوم يقول كن فيكون قوله الحق » اي يأمر فيقع امره . والحق من صفة قوله . كما يقول القائل قد قلت ، فكان قولك . والمعنى ليس انك قلت فكان الكلام . وإنما المعنى انه كان ما دل عليه القول . وعلى القول الاول يرفع (قوله) بالابتداء و(الحق) خبر الابتداء .

وحكي عن قوم من السلف « فيكون » بالنصب باضمار (ان) . وتقديره كن فان يكون ، وهذا ضعيف .

وقوله « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » يحتمل نصب « يوم ينفخ

ثلاثة أوجه :

احدها - ان يكون متعلقاً بـ (له الملك والتقدير الملك له يوم ينفخ في الصور وإنما خص ذلك اليوم بأن الملك له كما خصه في قوله «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» . وقرأ بعضهم « ينفخ » بفتح الياء . و « عالم الغيب والشهادة » فاعل ينفخ وهو شاذ، روي عن ابن عباس ذلك ، والوجه انه لا يبقى ملك من ملّكه الله في الدنيا او يغلب عليه بل ينفرد هو تعالى بالملك .

والثاني - ان يكون يوم ينفخ مبنياً على قوله « يوم يقول كن فيكون » .

الثالث - ان يكون منصوباً بـ(قوله الحق) . والمعنى وقوله الحق يوم ينفخ في الصور . والوجه في اختصاص ذلك اليوم بالذكر ما بيناه في الوجه الاول ، لأن قوله حق في جميع الأوقات . وفي معنى الصور قولان :

احدها - هو ما عليه اكثر المفسرين من انه اسم لقرن ينفخ فيه الملك فيكون منه الصوت الذي يصعق له اهل السماوات واهل الارض ، ثم ينفخ فيه نفخة اخرى للنشور ، وهو الذي اختاره البلخي والجبائي والزجاج والطبري واكثر المفسرين .

والثاني - انه جمع صورة مثل قولهم سورة وسور اختاره ابوعبيدة .

وقرا بعضهم في الشواذ في الصور بفتح الواو وذلك يقوي ما قاله ابوعبيدة ، ويكون تقديره يوم ينفخ في الاموات . ويقوي الأول قوله تعالى « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات » ثم قال « ثم نفخ فيه اخرى » ولم يقل فيها اخرى اوفيهن وذلك يدل على انه واحد .

وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : كيف انعم وقد التقم صاحب القرن وحنا جبينه وأصغا سمعه ينتظر ان يؤمر ، فينفخ ؟! قالوا فكيف نقول يارسول الله ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

اللغة والاعراب :

والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور ، قال الشاعر :

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندركم ولا خراسان حتى ينفخ الصور(١)

وروي عن ابن عباس ان الصور يعني به النفخة الاولى . ثم بين انه عالم الغيب والشهادة اي مايشاهده الخلق ومالا يشاهدونه ومايعلمونه ومالا يعلمونه ، ولا يخفى عليه شيء من ذلك . وبين انه الحكيم في أفعاله الخبير العالم بعباده وبأفعالهم ، ورفع عالم الغيب لأنه نعت للذي في قوله « وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق عالم الغيب والشهادة » ويحتمل ان يكون اسم ما لم يسم فاعله كما يقولون اكل طعامك عبد الله ، فيظهر اسم فاعل الاكل بعد ان قد جرى الخبر بما لم يسم فاعله ، والاول أجود ، فأما من فتح الياء في ينفخ فانه جعل عالم الغيب فاعله مرتفعاً به .

قوله تعالى

﴿ وَإِذ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ آزَرَ أتتخِذُ أصناماً آلهةً إني أراكَ وَقومَكَ في ضلالٍ مُبينٍ ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ اكثر القراء (آزر) بنصب الراء . وقرأ ابو بريد المدني والحسن البصري

---

(١) تفسير الطبري ١١ : ٤٦٣ ، ومجمع البيان ٢ : ٣٢١ ومعاني القرآن ١ : ٣٤١ ونسب قريش : ٣٤٥ واللسان « صور » .

و « ابن جعد » هو عبد الله بن جعد بن هبيرة المخزومي وجعد أبوه ، ولاه علي بن أبي طالب (ع) على خراسان . و « قهندر » الحصى او القلعة ـ بلغة أهل خراسان .

ويعقوب بالضم .

فمن قرأ بالنصب جعل (آزر) في موضع خفض بدلاً من ابيه .

ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا آزر . وقال الزجاج لا خلاف بين اهل النسب ان اسم ابي ابراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه (آزر) وقيل (آزر) ذم في لغتهم كأنه قال : وإذ قال ابراهيم لأبيه يا مخطىء اتتخذ اصناما فعلى هذا قال الزجاج الاختيار الرفع . قال: ويجوز ان يكون وصفاً له كأنه قال وإذ قال ابراهيم لأبيه المخطيء . قال الزجاج : وقيل (آزر) اسم صنم ، فوضعه نصب على اضمار الفعل ، كأنه قال : وإذ قال ابراهيم لابيه أتتخذ آزر ، وجعل (اصناما) بدلاً من آزر وأشباهه . فقال بعد ان قال اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناماً آلهة . والذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جده لامه او كان عمه ، لان اباه كان مؤمناً من حيث ثبت عندهم ان آباء النبي ﴿ ص ﴾ إلى آدم كلهم كانوا موحّدين لم يكن فيهم كافر ، وحجتهم في ذلك اجماع الفرقة المحقة . وقد ثبت ان اجماعها حجة لدخول المعصوم فيها ، ولا خلاف بينهم في هذه المسألة ، وايضاً روي عن النبي ﴿ص﴾ انه قال : نقلني الله من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية وهذا خبر لا خلاف في صحته فبين النبي ﴿ ص ﴾ ان الله نقله من أصلاب الطاهرين فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأنهم طاهرون ، لان الله وصف المشركين بأنهم انجاس ، فقال « انما المشركون نجس »(١) ولهم في ذلك ادلة لا نطول بذكرها الكتاب لئلا يخرج عن الغرض . واختلفوا في معنى آزر هل هو اسم او صفة ، فقال السدي ومحمد بن اسحاق وسعيد بن عبد العزيز والجبائي والبلخي انه اسم ابي ابراهيم ، وهو تارخ كما قيل ليعقوب اسرائيل ، قالوا : ويجوز ان يكون لقباً غلب عليه . وقال مجاهد ليس آزر ابا ابراهيم وإنما هو اسم صنم . وقال قوم هو سب وعيب بكلامهم ،

(١) سورة التوبة آية ٢٩

ومعناه معوجّ . و(إذ) في الآية متعلقة بقوله واذكر « إذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناماً آلهة » والالف الف انكار لا إستفهام وان كان قد خرج مخرج الاستفهام .

وقوله ﴿ اني اراك في ضلال مبين ﴾ يعني في ضلال عن الصواب وقوله ﴿مبين﴾ يدل على انه قال ذلك منكراً والمبين هو البين الظاهر ، والغرض بالآية حث النبي ﴿ص﴾ على محاجة قومه الذين يدعونه الى عبادة الاصنام والازدراء على فعلهم والاقتداء في ذلك بأبيه ابراهيم ﴿ع﴾ وصبره على محاجة قومه العابدين للاصنام ليتسلى بذلك ويقوى دواعيه الى ذلك . والاصنام جمع صنم وهو مثال من حجر اوخشب او من غير ذلك في صورة انسان وهو الوثن . وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الانسان في الحائط وغيره صنم ووثن .

قوله تعالى :

﴿وكذلك نُري إبراهيم مَلكوتَ السماواتِ والأرضِ وليكونَ من المُوقنينَ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

معنى قوله ﴿ وكذلك نري ابراهيم ملكوت ﴾ اي مثل ماوصفنا من قصة ابراهيم من قوله لأبيه ما قال نريه ﴿ ملكوت السماوات ﴾ اي انا كما اريناه ان قومه في عبادة الاصنام ضالون كذلك نريه ملكوت السماوات والأرض .

وقيل في معنى الملكوت اقوال : قال الزجاج ، والفراء والبلخي والجبائي والطبري وهو قول عكرمة : إن الملكوت بمنزلة الملك غير ان هذه اللفظة أبلغ من الملك ، لأن الواو والتاء يزادان للمبالغة . ومثل الملكوت الرغبوت والرّهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل (رهبوت خير من رغبوت) ومن روى (رهبوتي خير من رحموتي) معناه ان يكون له هيبة يرهب بها خير من ان يرحم .

وقال مجاهد ﴿ ملكوت السماوات والارض ﴾ ملكها بالنبطية .

وقال الضحاك يعني خلقها ، وبه قال ابن عباس ، وقتادة . وروي عن مجاهد ايضاً ان معناه آيات السماوات والارض . وروي عن مجاهد وابن عباس ايضاً انه اراد بذلك ما اخبر الله عنه انه أراه من النجوم والشمس والقمر ، حين خرج من المغارة . وبه قال قتادة .

وقال الجبائي : المعنى انا كنا نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض والحوادث الدالة على ان الله مالك لها ، ولكل شيء بنفسه ، لا يملكه سواه ، فاجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والارض مجازاً .

وقوله ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ اي اريناه ملكوت السماوات ليستدل به على الله وليكون من الموقنين ان الله هو خالق ذلك والمالك له. والموقن هو العالم الذي يتيقن الشيء بعد ان لم يكن متيقناً ، ولهذا لا يوصف تعالى بأنه متيقن كما يوصف بأنه عالم، لأنه تعالى عالم بها فيما لم يزل . وقال أبو جعفر ﴿ ع ﴾ : كشط الله له الارض حتى رآهن وما عليهن من الملائكة وحملة العرش ، وذلك قوله : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض » .

فان قيل كيف يجوز ان يرى ما تحت الارضين والارض حجاب لما تحتها وكذلك السماء لما فوقها ؟

قلنا : لا يمتنع ان يجعل الله تعالى منها خروقاً ومنافذ ويقوي شعاعه حتى ينفذ فيها فيرى ما فوقها وما تحتها ولا يمنع من ذلك مانع ، ومثل هذا روي عن مجاهد والسدي وسعيد بن جبير وسلمان .

قوله تعالى :

﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب

الآفلين (٧٦) فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رأ الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٨) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ (٧٩) أربع آيات بلا خلاف.

القراءة والحجة :

قرأ ابن ذكوان ، وحمزة والكسائي وخلف ، ويحي والكسائي عن ابي بكر (رأى) بكسر الراء وإمالة الهمزة منه ومن قوله « رأى ايديهم » (١) في هود ، و « رآى قميصه » و « رأى برهان ربه » في يوسف . و « رأى ناراً » في طه و « لقد رأى » في النجم سبعة مواضع . وهو ما لم يلقه ساكن ولم يتصل بمكنى ، وافقهم العليمي في « رأى كوكباً » حسب .

وقرأ ابو عمرو بفتح الراء واماله الهمزة فيهن . الباقون بفتح الراء والهمزة . فان لقي (رأى) ساكناً ، وهوستة مواضع هاهنا : « رأى القمر » و « رأى الشمس » وفي النحل « وإذ رأى الذين ظلموا » و « إذ رأى الذين اشركوا » وفي الكهف « ورأى المجرمون » وفي الاحزاب « ولما رأى المؤمنون » ـ بكسر الراء وكسر الهمزة فيهن حمزة وخلف وبصير وابو بكر إلا الاعشى والبرجمي . الباقون بفتح الراء والهمزة فان اتصل رأى بمكنى نحو (رآه ورآك ورآها) فكسر الراء واماله الهمزة حيث وقع حمزة والكسائي وخلف ويحي والكسائي عن ابي بكر .

وقرأ ابو عمرو والداجوني عن ابن ذكوان بفتح الراء وإمالة الهمزة . الباقون بفتحهما.

(١) سورة هود آيه ٧٠.

قال ابو علي الفارسي وجه قراءة من لم يملها انه ترك الامالة كما تركوا الامالة في قولهم: دعا ، ورمى . فلما لم يمل الالف لم يمل الالف التي قبلها ، كما أمالها من يرى الامالة لتميل الالف نحو الياء .

ومن قرأ بين الفتح والكسر كما قرا نافع ، فلا يخلو ان يريد الفتحتين اللتين على الراء والهزة او الفتحة التي على الهمزة وحدها ، فان كان يريد فتحة الهمزة فانما اماله نحو الكسرة لتميل الالف التي في « رأى » نحو الياء كما اميل الفتحة التي على الدال من (هدى) والميم من (رمى) . وان كان يريد انه اميل الفتحتين جميعاً التي على الراء والتي على الهمزة فامالة فتحة الهمزة على ما تقدم ذكره ، واما إمالة الفتحة التي على الراء فانما اماله لاتباعه إياها امالة فتحة الهمزة كأنه اميل الفتحة [كما اميل الالف في قوله رأيت عماداً ، إذ الفتحة الممالة بمنزلة الكسرة فكما اميلت الفتحة] (١) في قولك: من عامر لكسرة الراء كذلك اميلت فتحة الراء من (رأى) لامالة الفتحة التي على الهمزة . والتقديم والتأخير في ذلك سواء .

ومن كسر الراء والهمزة فالوجه فيه انه كسر الراء من (راى) لان المضارع منه على (يفعل) واذا كان المضارع منه على يفعل كان الماضي على (فعل) ألا ترى ان المضارع في الامر العام اذا كان على يفعل كان الماضي على فعل . وعلى هذا قالوا (إيت بيتنا) فكسروا حرف المضارعة . كما كسروا في نحو يحيى ويعلم ويفهم وكسروا الياء ايضاً في هذه الحروف ، فقالوا ايتنا ولم يكسروها في يعلم ويفهم ، واذا كان الماضي على فعل فيما يترك كسر الراء التي هي (فاء) لان العين همزة . وحروف الحلق إذا جاءت في كلمة على زنة (فعل) كسرت فيها الفاء لكسر العين في الاسم والفعل ، نحو قولهم : عير قمر ، ورجل حبر وخل وفي الفعل نحو شهد ولعب ونعم ، فكسرة الياء على هذا ، كسرة مخلصة محضة وليست بفتحة ممالة واما كسرة الهمزة فانه يراد به إمالة فتحها الى الكسرة ، لتميل الالف نحو الياء .

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

ومن ترك الامالة اذا لقيها ساكن فانهم كانوا يميلون الفتحة لميل الالف نحو الياء فلما سقطت الالف [بطلت امالتها بسقوطها وبطلت بذلك امالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الالف] (١) التي كانت الفتحة المالة لميلها نحو الياء في مثل « رأى الشمس » و « رأى القمر » ونحوهما في جميع القرآن . ومن وافق في بعض ذلك دون بعض احب الاخذ باللبس .

ووجه قراءة ابي بكر وحمزة في « رأى الشمس » و « رأى القمر » بكسر الراء وفتح الهمزة في جميع القرآن ، ان كسر الراء انما هو للتنزيل الذي ذكرناه ، وهو معنى منفصل من امالة فتحة الهمزة . ألا ترى انه يجوز ان يعمل هذا المعنى من لا يرى الامالة كما يجوز ان يعمله من يراها . واذا كان كذلك كان انفصال احدهما من الآخر سائغاً غير ممتنع . فأما رواية يحيى عن ابي بكر بكسر الراء والهمزة معاً فانما يريد بكسرة الهمزة امالة فتحتها ، فوجه كسر الراء قد ذكروا امالة فتحها مع زوال ما كان يوجب امالتها من حذف الالف فلأن الالف محذوفة لالتقاء الساكنين . وما يحذف لالتقاء الساكنين ينزل تنزيل المثبت . ألا ترى انهم انشدوا :

ولا ذاكر الله الا قليلا (٢)

فنصب الاسم بعد (ذاكر) وان كانت النون محذوفة لما كان الحذف لالتقاء الساكنين . والحذف لذلك في تقدير الاثبات من حيث كان التقاؤهما غير لازم . ولذلك لم تزد الالف في نحو رمت المرأة ، ويشهد لذلك انهم قالوا شهد ، فكسروا الفاء لكسر العين ثم اسكنوا فقالوا شهد ، فبقوا الكسرة في الفاء مع زوال ما كان اصلها وانشد قول الاخطل .

اذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهد اجدى فضله وجداوله (٣)

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة (٢) مر تخريجه في ٢ : ٧٦

(٣) ديوانه : ٦٤ أجدى : اغنى ، في المخطوطة « ب » : « قرة أعينن » بدل « فراتنا »

وقالوا صعق ثم نسبوا اليه فقالوا صعقي ، فأقروا كسرة الفاء مع زوال كسرة العين التي لها كسرت الفاء . وزعم ابو الحسن ان ذلك لغة مع ما فيه من وجوه التلبيس وانها قراءة

اللغة :

يقال : جن عليه الليل وجنه الليل وأجنه وجن عليه ، ومع حذف (على) وأجنه بالألف افصح من جنه الليل . وكل ذلك مسموع ، فلغة اسد جنه الليل ولغة تميم اجنه ، والمصدر من جن عليه جناً وجنوناً وجناناً وأجن اجناناً . ويقال : أتانا فلان في جن الليل . والجن مشتق من ذلك ، لانهم استجنوا عن اعين الناس ، فلا يرون وكلما توارى عن ابصار الناس فان العرب تقول قد جن . ومنه قول الهذلي :

وماء وردت قبيل الكرى وقد جنه الصدف الادهم (١)

وقال عبيد :

وخرق يصح اليوم فيه مع الصدى مخوف اذا ما جنة الليل مرهوب(٢)

وتقول اجننت الميت اذا واريته في اللحد وجننته وهو مثل جنون الليل في معنى غطيته وسمي الترس مجناً لانه يجن اي يغطي ، وقال الشاعر :

فلما اجن الليل بتنا كاننا على كثرة الاعداء محترسان

قوله « فلما جن علية الليل » اي اظلم . وقوله « فلما افل » معناه غاب يقال افل يأفل افولا ، وتقول اين افلت عناواين غبت عنا، قال ذو الرمة .

---

(١) هكذا في المطبوعة والمخطوطتين وتفسير الطبري ١١ : ٤٧٩ وروى « وماء وردت على خيفة » و« على جفنه » و« قبل الصباح » . ديوان الهذليين ٣ : ٥٦ واللسان « سدف » « جنن » .

(٢) ديوانه ٣٣ والطبري ١١ : ٤٧٩

مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدّوالك (١)

وقوله « رأى القمر » بازغاً اي طالعاً ، يقال بزغت الشمس بزوغا اذا طلعت وكذلك القمر ، وقوله للشمس « هذا ربي » وهي مؤنثة معناه هذا الشيء الطالع ربي او على انه حين ظهرت الشمس وقد كانوا يذكرون الرب في كلامهم ، فقال لهم هذا ربي.

المعنى :

وقيل في معنى هذه الآية وجوه اربعة :

١ ـ احدها ـ ما قاله الجبائي ان ما حكي الله عن ابراهيم في هذه الآيات كان قبل بلوغه ، وقبل كمال عقله ولزوم التكليف له غير انه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر وحركته الشبهات والدواعي على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث ، فلما رأى الكوكب . وقيل انه الزهرة وبان نوره مع تنبهه بالخواطر على الفكر فيه وفي غيره ظن انه ربه وانه هو المحدث لما شاهده من الاجسام وغيرها « فلمـــا افل قال لا احب الآفلين » لأنه صار منتقلا من حال الى حال وذلك مناف لصفات القديم « فلما رأى القمر بازغاً » عند طلوعه رأى كبره واشراق ما انبسط من نوره في الدنيا « قال هذا ربي » فلما راعاه وجده يزول ويأفل ، فصار عنده بحكم الكوكب الذي لا يجوز ان يكون بصفة الآله لتغييره وانتقاله من حال الى حال ، « فلما رأى الشمس بازغة » اي طالعة قد ملأت الدنيا نوراً ورأى عظمها وكبرها « قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت » وزالت وغابت ، فكانت شبيهة بالكوكب والقمر قال حينئذ لقومه « انى بري مما تشركون » فلما اكمل الله عقله ضبط بفكره النظر في حدوث الاجسام بأن وجودها غير منفكة من المعاني المحدثة وانه لابد لها من محدث قال حينئذ لقومه « إني وجهت

(١) ديوانه : ٢٤٥ ومجاز القرآن ١ : ١٩٩ واللسان والتاج « دلك » والطبري ١١ : ٤٨٥ والازمنة ٢ : ٤٩ وكتاب القرطين ١ : ٢٦ ، يصف الابل بانها مصابيح أى تصبح فى مبركها فلا تقف في الطريق

وجهي للذي فطر السماوات والارض . . . » الى آخرها .

٢ والثاني ـ ما قاله البلخي وغيره : من ان هذا القول كان من ابراهيم في زمان مهلة النظر لان مهلة النظر مدة ، الله العالم بمقدارها ، وهي اكثر من ساعة . وقال البلخي : واقل من شهر ولا يدري ما بينهما إلا الله ، فلما اكمل الله عقله وخطر بباله ما يوجب عليه النظر وحركته الدواعي على الفكر والتأمل له . قال ما حكاه الله ، لان ابراهيم ﴿ ع ﴾ لم يخلق عارفاً بالله ، وإنما اكتسب المعرفة لما اكمل الله عقله وخوفه من ترك النظر بالخواطر ، فلما رأى الكوكب - وقيل هي الزهرة - رأى عظمها واشراقها وما هي عليه من عجيب الخلق وكان قومه يعبدون الكواكب ويزعمون انها آلهة ـ قال هذا ربي على سبيل الفكر والتأمل لذلك ، فلما غابت وأفلت علم ان الافول لا يجوز على الله علم انها محدثة متغيرة لتنقلها ، وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس ، وانه لما رأى افولها قطع على حدوثها واستحالة الهيتها ، وقال في آخر كلامه « اني بري مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين » وكان هـــذا القول منه عقيب معرفته بالله وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه .

فان قيل كيف يجوز ان يقول هذا ربي مخبراً وهو يجوز ان يكون مخبره لا على ما اخبر ، لأنه غير عالم بذلك ، وذلك قبيح في العقول ومع كمال عقله لابد ان يلزمه التحرز من الكذب .

قلنا عن ذلك جوابان : احدهما ـ انه قال ذلك فارضاً مقدراً ، لا مخبراً بل على سبيل الفكر والتأمل ، كما يقول الواحد منا لغيره اذا كان ناظراً في شيء ومحتملا بين كونه على احدى صفتيه : انا نفرضه على احدهما لننظر فيما يؤدي ذلك الفرض اليه من صحة اوفساد لايكون بذلك مخبراً ولهذا يصح من احدنا اذا نظر في حدوث الاجسام وقدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه ذلك الفرض من الفساد .

والثاني ـ انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يكون المفكر المتأمل ظاناً في حال نظره وفكره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالأدلة والعلم ولا يكون ذلك منه قبيحا .

فان قيل ظاهر هذه الآيات يدل على ان ابراهيم ما كان رأى هذه الكواكب قبل ذلك لان تعجبه منها تعجب من لم يكن رآها فكيف يجوز ان يكون الى مدة كمال عقله لم يشاهد السماء وما فيها من النجوم ؟

قلنا : لا يمتنع ان يكون ما رأى السماء إلا في ذلك الوقت ، لأنه روي ان امه ولدته في مغارة لا يرى السماء ، فلما قارب البلوغ و بلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وفكر فيها . وقد يجوز ايضاً ان يكون رآها غير انه لم يفكر فيها ولا نظر في دلائلها ، لأن الفكر لم يكن واجباً عليه فلما كمل عقله وحركته الخواطر فكر في الشيء الذي كان يراه قبل ذلك ولم يكن مفكراً فيه .

٣- والثالث ـ ان ابراهيم لم يقل ما تضمنة الآيات على وجه الشك ولا في زمان مهلة النظر بل كان في تلك الحال عالماً بالله وبما يجوز عليه ، فانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب ، وإنما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على ان ما يغيب وينتقل من حال الى حال لا يجوز ان يكون إلهاً معبوداً ، لثبوت دلالة الحدث فيه . ويكون قوله « هذا ربي » محمولا على احد وجهين :

احدهما ـ اي هو كذلك عندكم وعلى مذهبكم كما يقول احدنا للمشبه على وجه الانكار عليه : هـــذا ربي جسم يتحرك ويسكن وان كان عالماً بفساد ذلك .

والثاني ـ ان يكون ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه ، كما قال الاخطل :

كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا (١)

وقال آخر :

(١) ديوانه ٤١ ، وقد مر في ١ : ٤٠٣ ، ٤٧٥

لعمرك ما ادري وان كنت دارياً بسبع رمين الجمرام بثمان (١)

وقال ابن ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب (٢)

وقال اوس بن حجر :

لعمرك ما ادري وان كنت دارياً شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر (٣)

وإنما اراد اشعيب بن سهم ام اشعيب بن منقر . فان قيل : حذف حرف الاستفهام انما يجوز اذا كان في الكلام عوضاً منه نحو ام الدلالة عليه ، ولا يستعمل مع فقد العوض . وفي الأبيات عوض عن حرف الاستفهام ، وليس ذلك في الآية .

قلنا قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبوت العوض تارة واخرى مع فقده إذا زال اللبس وبيت ابن ابي ربيعة ليس فيه عوض ولا فيه حرف الاستفهام ، وانشد الطبري :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم (٤)

اى اهم هم . وروي عن ابن عباس في قوله « فلا اقتحم العقبة » انه قال معناه أفلا اقتحم العقبة ، وحذف حرف الاستفهام . وإذا جاز ان يحذفوا حرف الاستفهام لدلالة الخطاب جاز ان يحذفوه لدلالة العقل لان دلالة العقل اقوى من غيرها .

٤ ـ والرابع ـ ان ابراهيم قال ذلك على وجه المحاجة لقومه بالنظر كما يقول القائل : اذا قلنا ان لله ولداً لزمنا ان نقول له زوجة وان يطأ النساء واشباه ذلك ، وليس هذا

---

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٢٧ وغيره كثير

(٢) ديوانه : ١١٧ (طبعة بيروت سنة ١٣١١ هـ) وروايته (النجم) بدل (القطر)

(٣) شواهد المغني : ١٥ والكامل للمبرد ١ : ٣٨٤ ، ٢ : ١١٥ والبيان والتبيين ٤ : ٤٠ وسيبويه ١ : ٨٤٥ وتفسير الطبري ١١ : ٤٨٤ وغيرها .

(٤) قائله أبو خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ واللسان (رفـأ) ، (رفو) وخزانه الأدب ١ : ٢١١ والقرطبي ٧ : ٢٦ و(رفوني) أي أسكنوني من الرعب

على وجه الاقرار والاخبار والاعتقاد بذلك بل على وجه المحاجة فيجعلها مذهباً ليرى خصمه المعتقد لها فسادها .

وكل هذه الآيات فيها تنبيه لمشركي العرب وزجر لهم عن عبادة الاصنام وحث على الاخذ بدين ابراهيم ابيهم وسلوك سبيله في النظر والفكر والتدين ، لانهم كانوا قوماً يعظمون اسلافهم وآباءهم فأعلمهم الله تعالى ان اتباع الحق من دين ابيهم الذي يقرون بفضله اوجب عليهم ان كان بهم تعظيم الآباء والكراهة لمخالفتهم .

وفي الآية دلالة على ان معرفة الله ليست ضرورية لانها لو كانت ضرورية لما احتاج ابراهيم الى الاستدلال على ذلك ولكان يقول لقومه : كيف تعبدون الكواكب وانتم تعلمون حدوثها وحدوث الاجسام ضرورة وتعلمون ان لها محدثاً على صفات مخصوصة ضرورة وماكان يحتاج الى تكلف الاستدلال والتنبيه على هذا.

وقوله « لئن لم يهدني ربي » معناه لئن لم يلطف بي ويسددني ويوفقني لاصابة الحق في توحيده « لاكونن من القوم الضالين » الذين ضلوا عن الحق واخطؤا طريقه فلم يصيبوا الهدى . وليس الهداية هاهنا الأدلة ، لان الأدلة كانت سبقت حال زمان النظر ، فان التكليف لايحسن من دونها ولا يصح مع فقدها .

وقوله في الشمس « هذا اكبر » يعني من الكواكب وحذف لدلالة الكلام عليه.

وقوله « اني وجهت وجهي » معناه أخلصت عبادتي وقصدت بها إلى الله الذي خلق السماوات والارض . وفيه اخبار عن ابراهيم وإقرار منه واعتراف منه بأنه (ع) خالف قومه اهل الشرك ولم يأخذه في الله لومة لائم ولم يستوحش من قول الحق لقلة تابعيه . وقال لهم « انى بريء مما تشركون » مع الله الذي خلقني وخلقكم - في عبادته من آلهتكم بل « وجهت وجهي » في عبادتي الى الذي « خلق السماوات والارض » الذى يبقى ولا يفنى ، الحي الذي لا يموت . واخبر انه يوجه عبادته ويخلصها له تعالى . والاستقامة في ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه

الذي توجه له من حيث ليس بحنيف . ومعنى الحنيف هو المائل الى الاستقامة على وجه الرجوع فيه . وقوله « وما انا من المشركين » اني لست منكم ، ولا ممن يدين بدينكم ، ويتبع ملتكم ايها المشركون .

قوله تعالى :

﴿ وحاجّهُ قَوْمُهُ قال أتُحاجُّوني في اللهِ وقد هداني ولا أخافُ ما تُشرِكونَ بهِ إلا أنْ يَشاءَ ربّي شيئاً وسِعَ ربّي كلَّ شيءٍ علماً أفلا تتذكّرونَ ﴾ (٨٠) آية عند الجميع .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ اهل المدينة وابن ذكوان « أتحاجوني » بتخفيف النون . الباقون بتشديدها وقرأ الكسائي والعبسي « وقد هداني » بالامالة . الباقون بالتفخيم .

قال ابو علي من شدد فلا نظر في قوله . ومن خفف فانه حذف النون الثانية لالتقاء الساكنين . والتضعيف يكره ، فيتوصل الى ازالته تارة بالحذف نحو علم اني فلان . وتارة بالابدال نحو لا املاه عني تفارقاً . ونحو ديوان وقيراط ، فحذفوا الثانية منها كراهية التضعيف . ولا يجوز ان تكون المحذوفة الاولى ، لأن الاستثقال يقع بالتكرير في الامر الأعم وفي الاولى ايضاً انها دلالة الاعراب ولذا حذفت الثانية كما حذف الشاعر في قوله :

لبتي اصادفه وافقد بعض مالي (١)

وقال بعضهم حذف هذه النون لغة غطفان . وحكى سيبويه هذه القراءة

(١) قائله زيد الخيل ، اللسان (ليت) وروايته :

كمنية جابر إذ قال ليتى اصادفه وأتلف جل مالى

مستشهداً بها في حذف النونات كراهية التضعيف . واما امالة هداني فحسنة ، لانه من هدى يهتدي ، فهو من الياء . وإذا كانوا اما لو غزا ودعا ، لأنه قد يصير الى الياء في غزي ودعي . فهذا لا اشكال في حسنه .

المعنى :

قوله « وحاجه قومه » يعني في وجوب عبادة الله وترك عبادة آلهتهم وخوفوه من تركها وان لا يأمن ان تخبله آلهتهم من الاصنام ، وغيرها فقال لهم ابراهيم (ع) « أتحاجوني في الله وقد هداني » بأن وفقني لمعرفته ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وإخلاص العبادة له « ولا اخاف ماتشركون به » اي لا اخاف منه ضرراً ان كفرت به ولا ارجو نفعاً ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه اونجم دل إفوله على حدوثه ، فكيف تحاجوني وتدعونني الى عبادة من لايخاف ضرره ولا يرجا نفعه « إلا ان يشاء ربي شيئاً » فيه قولان :

احدهما - الا ان يقلبها الله فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع ، فيكون ضررها ونفعها إذ ذاك دليلا على حدوثها ايضاً ، وعلى توحيد الله وانه المستحق للعبادة دون غيره وانه لاشريك له في ملكه ثم أثنى عليه تعالى فأخبر بأنه عالم بكل شيء وأمرهم بالتذكر والتدبر لما اورده عليهم مما لا يدفعونه ولا يقدرون على انكاره ان انصفوا .

الثاني - قال الحسن : قوله : « ولا اخاف ما تشركون به » اي لا اخاف الاوثان « إلا ان يشاء ربي شيئاً » استوجبه على الله تعالى . او يشاء الله ان يدخلني في ملتكم بالكفر . والاول هو الاجود .

اتحاجوني اصله اتحاجونني بنونين احداهما للجمع والاخرى لاسمه ، فادغمت احداهما في الاخرى فشددت ومثله (تأمرونى) وقد يخفف مثل هـــذا في بعض المواضع ، قال الشاعر :

اما الموت الذي لابد اني ملاق لا اباك تخوفيني (١)

فجاء بنون واحدة وخففها والأول أجود واكثر في العربية .

قوله تعالى :

﴿ وكيف أخافُ ما اشركتُمْ ولا تخافونَ أنَّكمْ أشركتُمْ باللهِ ما لمْ يُنزِّلْ بهِ عليكمْ سلطاناً فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إنْ كنتمْ تعلمونَ ﴾ (٨١) آية بلا خلاف .

في هذه الآية احتجاج من ابراهيم ﴿ ع ﴾ على قومه وتأكيد لما قدم من الحجاج لأنه قال لهم : وكيف تلزمونني ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم وانهم لا يضرون ولا ينفعون ، وانتم لا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تتجرؤن عليه وتتقدمون بين يديه بان تجعلوا له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه ، فأي الفريقين أحق بالأمن : نحن المؤمنون الذين عرفنا الله بأدلته ووجهنا العبادة نحوه ام انتم المشركون بعبادته غيره من الاصنام والاوثان ، ولو أطرحتم الميل والحمية والعصبية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعاً .

وقوله « ما لم ينزل به سلطاناً » اي حجة لأن السلطان هو الحجة في اكثر القرآن ، وذلك يدل على ان كل من قال قولا واعتقد مذهباً بغير حجة مبطل .

وقوله « ان كنتم تعلمون » معناه ان كنتم تستعملون عقولكم وعلومكم وتحكمونها على ما تهوونه وتميل اليه انفسكم .

وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد وتحريم النظر والحجاج ، لأن الله تعالى مدح ابراهيم لمحاجته لقومه وامر نبيه بالاقتداء به في ذلك فقال « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » . ثم قال بعد ذلك : « اولئك الذين هدى الله

(١) لم أجده في مظانه فما حضرني في المصادر .

فبهداهم اقتده » اي بأدلتهم اقتده .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) آية عند الجميع .

المعنى :

تحتمل هذه الآية ان تكون اخباراً عن الله تعالى دون الحكاية عن ابراهيم بأنه قال تعالى إن من عرف الله تعالى وصدق به وبما أوجب عليه ولم يخلط ذلك بظلم فان له الأمن من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب وهو المحكوم له بالاهتداء - وهو قول ابن اسحاق وابن زيد والطبري والجبائي وابن جريج - وقال البلخي : إن ذلك من قول ابراهيم ، لانه لما قطع خصمه وألزمه الحجة اخبر ان الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فانهم الآمنون المهتدون . قال : وكذلك يفعل من وضحت حجته وانقطع بعد البيان خصمه .

والظلم المذكور في الآية هو الشرك عند اكثر المفسرين : ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وحماد بن زيد وابي بن كعب وسلمان (رحمة الله عليه) قال أبي ألم تسمع قوله « ان الشرك لظلم عظيم » (١) وهو قول حذيفة .

وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس ، وقالوا يا رسول الله وأينا لايظلم نفسه ، فقال : انه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح « يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » (٢) .

وقال الجبائى والبلخي واكثر المعتزلة انه يدخل فيه كل كبيرة تحبط ثواب

(١ ، ٢) سورة لقمان آيه ١٣

الطاعة ، قال فان من هذه صورته لا يكون آمناً ولا مهتدياً. قال البلخي: ولو كان الامر على ما قالوه انه يختص بالشرك لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمناً يكون آمناً وذلك خلاف القول بالارجاء .

وهذا الذي ذكروه خلاف اقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين . وما قاله البلخي لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب لان المشرك غير آمن بل هو مقطوع على عقابه بظاهر الآية ومرتكب الكبيرة غير آمن لأنه يجوز العفو ، ويجوز المؤاخذة وان كان ذلك معلوماً بدليل ، وظاهر قوله « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » وان كان عاماً في كل ظلم فلنا ان نخصه بدليل أقوال المفسرين وغير ذلك من الأدلة الدالة على انه يجوز العفو من غير توبة .

وروي عن علي ﴿ع﴾ : ان الآية مخصوصة بابراهيم . وقال عكرمة مختصة بالمهاجرين .

اللغة :

واما الظلم في اصل اللغة فقد قال الاصمعي هو وضع الشيء في غير موضعه ، قال الشاعر يمدح قوماً [ويذم آخرين] :

هرت الشقاشق ظلامون للجزر (١)

فوصفهم انهم ظلامون للجزر ، لأنهم عرقبوها فوضعوا النحر في غير موضعه ، وكذلك الارض المظلومة سميت بذلك لأنه صرف عنها المطر ، ومنه قول الشاعر :

والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد (٢)

---

(١) مقاييس اللغة ٣ : ٤٦٩ وصدره :

عاد الاذلة في دار وكان بها

(٢) اللسان « بين » ، « ظلم » وصدره :

إلا الأواري لأيا ما أبينها

سماها مظلومة لانهم كانوا في سفر فتحوضوا حوضاً لم يحكموا صنعته ولم يضعوه في موضعه .

قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة ويعقوب « درجات من نشاء » [الباقون بالاضافة ، من اضاف ذهب الى ان المرفوعة هي الدرجات لمن نشاء] (١) ومن نوّن اراد ان المرفوع صاحب الدرجات وتقديره نرفع من نشاء درجات ، والدرجات معناها المراتب . وفي اصل اللغة هي المراقي فشبه علو المنازل بها .

اخبر الله تعالى ان الحجج التي ذكرها ابراهيم لقومه آتاه الله اياها وأعطاها اياه ، بمعنى انه هداه لها فانه احتج بها بأمر الله ورضيها منه وصوّبه فيها ، ولهذا جعلها حجة على الكفار .

وقوله ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ من المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويطيعونه ويبلغون من الايمان والدعاء الى الله منزلة عظيمة وأعلا درجة ممن لم يبلغ من الايمان مثل منزلتهم ، وبين انه حكيم فيما يدبره من امور عباده عليم بهم وبأعمالهم وفي ذلك دلالة على صحة المحاجة والمناظرة في الدين والدعاء إلى توحيد الله والاحتجاج على الكافرين ، لأنه تعالى مدح ذلك واستصوبه . ومن حرم الحجاج فقد ردّ صريح القرآن .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

قوله تعالى :

﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين (٨٩) أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ (٩٠) سبع آيات .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ حمزة والكسائي وخلف (اليسع) بتشديد اللام ، وفتحها وسكون الياء هاهنا ، وفي (ص) . الباقون بسكون اللام وفتح الياء . قال الزجاج التشديد والتخفيف لغتان . وقال ابو علي الألف واللام ليستا للتعريف بل هما زائدتان وكان الكسائي يستصوب القراءة بلامين ويخطيء من قرأ بغيرهما كان الاسم عنده (ليسع) ثم يدخل الالف واللام . قال ولو كانت يسع لم يجز ان يدخل الالف ، واللام كما لا يدخل في يزيد ويحيى . قال الاصمعي فقلت له ، فليرصع من الحجارة واليعمل من

الابل واليحمد حي من اليمن ، فكأنما القمته حجراً ، وبعدها فانا قد سمعناهم يسمون بيسع ولم نرهم يسمون بليسع . وقال الفراء القراءة بالتشديد اشبه بالاسماء العجمية من التخفيف . قال لانهم لا يكادون يدخلون الالف واللام فيما لا يجر مثل يزيد ويعمر إلا في الشعر انشدني بعضهم :

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً باعتباء الخلافة كاهله (١)

قال وإنما ادخلوا الالف واللام في يزيد لدخولها في الوليد ، فاذا فعلوا ذلك فقد امسوا الحرف مدحاً .

الاعراب والمعنى :

قوله ﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ﴾ الهاء في (له) كناية عن ابراهيم ﴿ع﴾ « كلا هدينا » نصب كلا بـ (هدينا) و ﴿ نوحاً هدينا من قبل ﴾ معناه هديناه قبل ابراهيم . وقوله ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ تقديره وهدينا داود وسليمان نسقاً على نوح . ويحتمل ان يكون قوله « ومن ذريته » الهاء راجعة الى نوح لأن الأنبياء المذكورين كلهم من ذريته . قال الزجاج ويجوز ان يكون من ذريته ابراهيم لأن ذكرهما جميعاً قد جرى وأسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله « ونوحاً هدينا من قبل » نسق على نوح نصب كلها ، ولو رفعت على الابتداء كان صواباً . قال ابو علي الجبائي : الهاء لا يجوز ان تكون كناية عن ابراهيم ، لأن فيمن عدد من الأنبياء لوطاً وهو كان ابن اخته وقيل ابن اخيه ، ولم يكن من ذريته .

وهذا الذي قاله ليس بشيء ، لأنه لا يمنع ان يكون غلب الاكثر . وجميع من

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٤٢ وشواهد المغني : ٦٠ وخزانة الأدب ١ : ٣٢٧ وتفسير الطبري ١١ : ٥١١ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ١٥٤ ، ٢ : ٢٥٢ ، ٣٤٢ . من شعر يمدح به الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .

ذكر من نسل ابراهيم ،على انه قال فيما روى عنه ابن مسعود ان الياس: ادريس ، وهو جد نوح ، ولم يكن من ذريته ، ومع هذا لم يطعن على قول من قال : انها كناية عن نوح . وقال ابن اسحاق : الياس هو ابن اخي موسى ، ويجوز ان تكون الها كناية عن ابراهيم ويكون من سماهم الى قوله « وكل من الصالحين من ذريته » . ثم قال « واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً » فعطفهم على قوله « ونوحاً هدينا » .

المعنى :

وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين من ولد رسول الله ﴿ ص ﴾ ، لأن عيسى جعله الله من ذرية ابراهيم او نوح ، وإنما كانت امه من ذريتها . والوجه في الآيات ان الله تعالى اخبر انه رفع درجة ابراهيم بما جعل في ذريته من الأنبياء وجزاه بما وصل اليه من السرور والابتهاج عند ما أعلمه عن ذلك وبما ابقى له من الذكر الرفيع في الاعقاب ، والجزاء على الاحسان لذة وسرور من اعظم السرور واكثر اللذات ، اذا علم الانسان بأنه يكون من عقبه وولده المنسوبين اليه أنبياء يدعون إلى الله ويجاهدون في سبيله ويكونون ملوكاً وخلفاء يطيعون الله ويحكمون بالحق في عباد الله .

ثم اخبر انه جزى نوحاً بمثل ذلك على قيامه في الدعاء إليه والجهاد في سبيله . والهداية في الآيات كلها هو الارشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلة ، لأنه تعالى قال في آخر الآيات : « وكذلك نجزي المحسنين » فبين ان ذلك جزاء ولا يليق إلا بالثواب الذى يختص به المحسنون دون الهداية التي هي الدلالة ويشترك فيها المؤمن والكافر ، وهو قول ابي علي الجبائي والبلخي .

وقوله : « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » اشارة إلى من تقدم ذكره من الأنبياء .

وقوله « فان يكفر بها هؤلاء » يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي ﴿ ص ﴾

في ذلك الوقت ، « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » معنى وكلنا بها اي وكلنا بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والأخذ بهدى الأنبياء قوماً ليسوا بها بكافرين . وانما أضاف ذلك إلى المؤمنين وإن كان قد فعل بالكافرين ايضاً ازاحة العلة في التكليف من حيث إن المؤمنين هم الذين قاموا بذلك وعملوا به فأضافه اليهم ، كما اضاف قوله « هدىً للمتقين » وان كان هداية لغيرهم .

وقيل في المعنيين بقوله « ليسوا بها بكافرين » ثلاثة اقوال : احدها - انه عنى بذلك الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي ﴿ ص ﴾ في وقت مبعثهم وهو قول الحسن والزجاج ، والطبري والجبائي . قال الزجاج لقوله تعالى « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وذلك اشارة الى الأنبياء الذين ذكرهم ووصفهم وامر النبي ﴿ ص ﴾ بالاقتداء بهداهم .

والثاني - انه عنى به الملائكة ، ذهب اليه ابو رجاء العطاردي .

وقال قوم عنى به من آمن من أصحاب النبي ﴿ ص ﴾ في وقت مبعثه .

وقال الفراء والضحاك قوله : « فان يكفر بها هؤلاء » يعني اهل مكة « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » يعني اهل المدينة ، والأول أقوى .

وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يتوعد من يعلم انه لا يشرك ولا يفسق وان الوعد والوعيد قد يكونان بشرط .

وقوله : « اولئك الذين هدى الله » معناه اولئك الذين حكم الله لهم بالهدى والرشاد ، وزادهم هدى حين اهتدوا . والمراد به الأنبياء الذين تقدم ذكرهم الثمانية عشر . وامر النبي ﴿ ص ﴾ بأن يسلك سبيلهم ويأخذ بهداهم في تبليغ الرسالة والصبر على المحن وان يقول لقومه « لا اسألكم عليه اجراً » يعني على الأداء والابلاغ ، ولكنه يذكر به العالمين وينبههم على ما يلزمهم من عبادة الله والقيام بشكره .

القراءة والحجة :

وقوله ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب والكسائي عن ابي بكر بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف . الباقون باثباتها في الوصل والوقف ، وسكونها ، إلا ابن ذكوان فانه كسرها ، ووصلها بياء في اللفظة وإلاهشاماً فانه كسرها من غير صلة بتاء ، ولا خلاف في الوقف انها بالهاء ساكنة .

قال ابو علي الفارسي الوجه الوقف بالهاء لاجتماع الكثرة ، والجمهور على اثباته ، ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة ، لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن ، فكما لا تثبت الهمزة في الصلة كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء .

الاعراب :

قال ابو علي وقراءة ابن عامر بكسر الهاء واشمام الهاء الكسرة من غير بلوغ ياء ليس بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر ولا التي تلحق للوقف . وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه . ومثل ذلك قول الشاعر :

فجال على وحشية وتخاله على ظهره سبأ حديداً يمانياً (١)

كأنه قال تخال خيلا على ظهره سبأ حديداً ، ومثل ذلك قول الشاعر :

هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرؤ عند الرشا ان يلقها ذئب (٢)

فالهاء كناية عن المصدر ، ويدل يدرسه على الدروس ، ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن ، لان الفعل قد تعدى اليه باللام ، فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره كما انك اذا قلت ازيداً ضربته لم ينصب زيداً بضربت لتعديه الى الضمير وقياسه إذا

(١) لم أجده فى مضانه (٢) اللسان « سرق »

وقف عليه ان يقول اقتده فيكسر (هاء) الضمير ، كما تقول اشتره في الوقف . وفي الوصل اشتريه لنا يا هذا .

المعنى:

واستدل قوم بقوله ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ على ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان متعبداً بشريعة من قبله من الأنبياء وهذا لا دلالة فيه ، لان قوله ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ معناه فبأدلتهم اقتده . والدلالة ما اوجبت العلم ويجب الاقتداء بها ، لكونها موجبة للعلم ، لا غير ولذلك قال تعالى ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ فنسب الهدى الى نفسه ، فعلم بذلك انه اراد ما قلناه . وقوله ﴿ ولو اشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون ﴾ يدل على ان الهدى في قوله ﴿ واجتبيناهم وهديناهم ﴾ هداية الثواب على الاعمال الصالحة ، لأن الثواب على الاعمال هو الذي يحبط تارة ويثبت اخرى دون الهداية التي هي الأدلة الحاصلة للمؤمن والكافر . وقوله ﴿ وكلا فضلنا على العالمين ﴾ يعني على عالمي زمانهم الذين ليسوا انبياء وإنما دخلت (من) في قوله « من آبائهم وذرياتهم » للتبعيض كأنه قال : وبعض آبائهم وبعض ذرياتهم وبعض اخوانهم هديناهم ولو لم تدخل (من) لاقتضى انه هدى جميعهم الهداية التي هي الثواب ، والامر بخلافه.

وقوله « اجتبيناهم » معناه اخترناهم .

وقوله ﴿ ولو اشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون ﴾ لا يدل على صحة ثواب طاعاتهم التي اشركوا في توجيهها الى غير الله لانهم أوقعوها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب فأما ما تقدم فليس في الآية ما يقتضي بطلانه غير أنا قد علمنا انه اذا اشرك لا ثواب معه أصلا ، لاجماع الامة على ان المشرك لا يستحق الثواب ، فلو كان معه ثواب وقد ثبت ان الاحباط باطل ، لكان يؤدى الى ان معه ثواباً وعقاباً ، لأنا قد بينا بطلان القول بالتحابط في غير موضع وذلك خلاف الاجماع .

قوله تعالى :

﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾(٩١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير وابو عمرو « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » بالتاء فيهن . الباقون بالياء فيهن . ومن قرأ بالياء حمله على انه للغيبة بدلالة قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى يجعلونه » فيحمله على الغيبة لأن ما قبله غيبة . ومن قرأ بالتاء [حمله على الخطاب يعني قل لهم : « وتجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » ويقوي القراءة بالتاء](١) قوله « وعلمتم مالم تعلموا » فجاء على الخطاب ، وكذلك ماقبله .

المعنى والاعراب :

ومعنى « تجعلونه قراطيس » تجعلونه ذوي قراطيس اي تودعونه إياها « وتخفون » اى تكتمونه وموضع قوله « تبدونها وتخفون كثيراً » يحتمل امرين :

احدهما - ان يكون صفة القراطيس ، لأن النكرة توصف بالجمل .

والآخر - ان نجعله حالا من ضمير الكتاب من قوله « تجعلونه قراطيس » على ان تجعل القراطيس الكتاب في المعنى ، لأنه مكتوب فيها .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

النزول :

روي ان سبب نزول هذه الآية ان النبي ﴿ ص ﴾ رأى حبراً من احبار اليهود سميناً يقال له مالك بن الضيف وقيل فنحاص ، فقال له النبي ﴿ ص ﴾ : أليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين ؟ فغضب ، وقال ما انزل الله على بشر من شيء ، فلعنته اليهود وتبرأت منه ، فنزلت هذه الآية ، ذكر ذلك عكرمة وقتادة وقال محمد بن كعب القرظي : نزلت في جماعة من اليهود . وروي مثل ذلك عن ابن عباس . وقال مجاهد نزلت في مشركي قريش . وروي ذلك عن ابن عباس ايضاً وهو اشبه بسياق الآية ، لأنهم الذين انكروا ان يكون الله أنزل كتاباً على بشر ، دون اليهود والنصارى .

المعنى :

ومعنى قوله « وما قدروا الله حق قدره » اي ما عرفوه حق معرفته وماوصفوه بما هو أهل ان يوصف به « إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء » اي ما أرسل الله رسولا ولم ينزل على بشر من شيء ، مع ان المصلحة والحكمة يقتضيان ذلك ودلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم . ثم امر الله نبيه ان يقول لهم « من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس » فانهم يقرون بذلك وان الله أنزله وبعث موسى ﴿ ع ﴾ نبياً وان لم يقرّوا بذلك فقد خرجوا من اليهودية الى قول من ينكر النبوات . والكلام على من انكر ذلك اصلا مذكور في النبوات مستوفى لا نطول بذكره هاهنا .

وعلى ما قلناه من ان الآية متوجهة الى مشركي قريش من حيث ان الله تعالى من أول السورة إلى هاهنا في الاخبار عن اوصاف المشركين وعن أحوالهم وكذلك اول الآية في قوله « وما قدروا الله حق قدره » لانهم كانوا لا يعتقدون التوحيد ويعبدون مع الله الاصنام واهل الكتاب كانوا بخلاف ذلك ، لانهم كانوا يعتقدون

التوحيد فلا يليق بهم ذلك وان كان اليهود عندنا ايضاً غير عارفين بالله على وجه يستحقون به الثواب . والقول الآخر ايضاً محتمل .

فعلى ما اخترنا يكون قوله « قل من أنزل الكتاب » متوجهاً الى اليهود والنصارى ، لانهم المقرون بذلك دون قريش ومشركي العرب ، ويجوز ان يكون متناولا للمشركين ايضاً ويكون على وجه الاحتجاج عليهم ، والتنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى وظهور نبوته وهذا الذي اخترناه قول مجاهد واختاره الطبري والجبائي .

وقوله « تجعلونه قراطيس » اي تقطعونه فتجعلونه كتباً متفرقة وصحفاً تبدون بعضها وتخفون بعضها ، يعني ما في الكتب من صفات النبي ﴿ ص ﴾ والبشارة به . ثم عطف على ما ابتدأ به من وصف الكتاب الذي جاء به موسى وانه نور وهدى ، فقال « وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم » على لسان النبي (ص) ، ثم أجاب عن الكلام الأول ، فقال « قل الله » وهذا معروف في كلام العرب لان الانسان اذا اراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقرّ به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك . ثم تولا الجواب عنه بما قد علم ان لا جواب له غيره .

وقوله « ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » يقال مثل هذا لمن قامت عليه الحجة الواضحة التي لا يمكنه دفعها ، وليس على اباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من الوعيد والتهديد ، كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم . ويجوز ان يكون اراد ، ودعهم فلا تقاتلهم ، ولا تعمل على قهرهم على قبول قولك الى ان يؤذن لك في ذلك ، فيكون إنما أباح ترك قتالهم لا ترك الدعاء والتحذير وترك البيان والاحتجاج « ويلعبون » رفعه لانه لم يجعله جواباً لقوله « ذرهم » ولو جعله جواباً لجزمه ، كما قال « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » (١) وكان ذلك جواباً وموضع « يلعبون » نصب على الحال ، وتقديره

(١) سورة الحجر آية ٣

ذرهم لاعبين في خوضهم . وقال قوم ان هذه الآية مدنية مع الآيتين اللتين ذكرناهما في اول السورة ، ويجوز ان يكون ذلك بمكة ايضاً .

قوله تعالى :

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابوبكر وحده « ولينذر » بالياء والباقون بالتاء .

ومن قرأ بالتاء ، فلقوله « إنما أنت منذر من يخشاها » (١) وقوله « وانذر به الذين يخافون » (٢) .

ومن قرأ بالياء جعل الكتاب هو المنذر ، لأن فيه انذاراً لانه قد خوف به في قوله « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » (٣) . وقوله « إنما انذركم بالوحي » (٤) فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع .

المعنى :

قوله « وهذا كتاب » اشارة إلى القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد (ص) فعطف هذه الآية على ذكره الكتاب الذي جاء به موسى (ع) فلما وصفه قال تعالى « وهذا كتاب انزلناه مبارك » وانه مصدق لما بين يديه يعني مامضى من كتب الأنبياء

(١) سورة النازعات آية ٤٥ (٢) سورة الأنعام آية ٥١
(٣) « ابراهيم آية ٥٢ (٤) « الأنبياء آية ٤٥

كالتوراة والانجيل وغيرهما ، وبين انه إنما انزله لتنذر به اهل مكة وهي ام القرى ، ومن حولها .

قال ابن عباس وقتادة وغيرهما : ام القرى مكة ، ومن حولها اهل الارض كلهم وإنما خص اهل مكة بذلك لانها اعظم قدراً لان فيها الكعبة ولأن الناس يقصدونها بالحج والعمرة من جميع الآفاق . وإنذاره بالقرآن هو تخويفه إياهم بألوان عذاب الله وعقابه ان اقاموا على كفرهم بالله ولم يؤمنوا به وبرسوله .

وقوله : « والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به » يعني بالقرآن . ويحتمل ان يكون كناية عن محمد ﴿ ص ﴾ لدلالة الكلام عليه ، وهذا يقوي مذهبنا في انه لا يجوز ان يكون مؤمناً ببعض ما أوجب الله عليه دون بعض . وبين انهم «على صلاتهم » يعني على أوقات صلاتهم « يحافظون » بمعنى يراعون أوقاتها ليؤدّوها في الأوقات ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها وجميع فرائضها .

وقيل سميت مكة ام القرى لأنها اول موضع سكن في الارض ، وقيل ان الارض كلها دحيت من تحتها فكانت امّاً لها . وقال الزجاج سميت بذلك لانها أعظم القرى شأناً .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٩٣) آية بلا خلاف .

النزول :

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال اكثر المفسرين ان قوله « ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً » نزلت في مسيلمة الكذاب حيث ادعى النبوة . وقال انه يوحى اليه ،وان قوله « من قال سأنزل مثل ما انزل الله » نزلت في عبد الله بن سعد ابن ابي سرح ، فانه كان يكتب الوحي للنبي ﴿ ص ﴾ وكان إذا قال له : اكتب عليما حكيما ، كتب غفوراً رحيما . وإذا قال : اكتب غفوراً رحيما ، كتب عليما حكيما ، وارتد ولحق بمكة . وقال إني انزل مثل ما انزل الله ، ذهب اليه عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي والجبائي والفراء والزجاج وغيرهم .

وقال قوم : نزلت في مسيلمة خاصة .

وقال آخرون: نزلت في ابن ابي سرح . خاصـــة والاول هو المروي عن أبي جعفر ﴿ع﴾ .

المعنى :

وقال البلخي : قوله : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحي إلي» هم الذين ادعوا النبوة بغير برهان وكذبوا على الله « ومن قال سانزل مثل ما انزل الله » هم الذين قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين »(١) فادعوا بما لم يفعلوا واعرضوا وبذلوا الانفس والاموال واستعملوا في اطفاء نور من جاء بالكتاب سائر الحيل . ثم اخبر تعالى عن حال من فعل ذلك ، فقال : « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت » [وحذف جواب (لو) وتقديره : ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت] (٢) لرأيت عذاباً عظيما وكل من كان في شيء كثير يقال له: غمر فلاناً ذلك . ويقال قد غمر فلاناً الدَين ، معناه كثر ، فصار فيما يعلم بمنزلة ما يبصر قد غمر

(١) سورة الأنفال آية ٣١　　(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

وغطى من كثرته [وقوله « والملائكة باسطوا أيديهم » معناه باسطوا ايديهم بالعذاب وقيل بقبض ارواح الكفار] (١) .

اللغة والمعنى:

وقوله : « اخرجوا انفسكم اليوم » يحتمل امرين :

احدهما - ان يكون تقديره يقولون اخرجوا انفسكم ، كما تقول للذي تعذبه لازهقن نفسك ولاخرجن نفسك ، فهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم على معنى الوعيد والتهديد ، كما يدفع الرجل في ظهر صاحبه ويكرهه على المضي بأن يجره او بغير ذلك ، وهو في ذلك يقول امض الآن لترى ما يحل بك .

والغمرات جمع غمرة ، وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه ، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها . وقال ابن عباس غمرات الموت سكراته وبسط الملائكة ايديها فهو مدها ، وقال ابن عباس ايضاً : البسط الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم . وملك الموت يتوفاهم ، وقال الضحاك : بسطها ايديها بالعذاب .

والثاني - ان يكون معناه خلصوا انفسكم اي لستم تقدرون على الخلاص « اليوم تجزون عذاب الهون » اي العذاب الذي يقع به الهوان الشديد ، والهون - بفتح الهاء وسكون الواو - من الرفق والدعة ، كقوله « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً » (٢) وقال الشاعر :

هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن اسفاً في اثر من ماتا (٣)

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة (٢) سورة الفرقان آية ٦٣

(٣) قائله ذو جدن الحميري . معجم البلدان (بينون) وروايته :

لا تهلكن جزعاً فى أثر من ماتا فانه لا يرد الدهر ما فاتا

وهو فى اللسان (هون) والاغانى ١٦ : ٧٠ وسيرة ابن هشام ١ : ٣٩ وتاريخ الطبرى ٢ : ١٨٠ وتفسير الطبرى ١١ : ٥٤١ وغيرها .

وقد روي فتح الهاء في معنى الهوان ، قال عامر بن جوين :

يهين النفوس وهون النفو س عند الكريهة اغلى لها (١)

والمعروف ضم الهاء اذا كان بمعنى الهوان . قال ذو الاصبع العدواني

اذهب اليك فما امي براعيـة ترعى المخاض ولا اغضي على الهون (٢)

يعني على الهوان . وعن أبي جعفر ﴿ ع ﴾ عذاب الهون يعني العطش .

وقوله : « ومن قال سانزل مثل ما انزل الله » في موضع جرّ كأنه قال: ومن اظلم ممن قال ذلك .

قوله تعالى:

﴿ ولقدْ جِئتُمونا فُرادى كما خَلقناكمْ أوَّلَ مرةٍ وتَركْتمْ ما خَوَّلناكمْ وراءَ ظُهورِكمْ وما نرى معكمْ شُفعاءَكمُ الذينَ زَعَمتمْ أنَّهمْ فيكمْ شُركاءُ لقدْ تقطَّعَ بينكمْ وضلَّ عنكمْ ما كنتمْ تزْعُمونَ ﴾ (٩٤)

آية بلا خلاف .

قرأ اهل المدينة والكسائي وحفص « بينكم » بنصب النون . الباقون برفعها .

اللغة والاعراب :

البين مصدر بان يبين اذا فارق قال الشاعر :

---

(١) وقيل أنه للخنساء . ديوان الخنساء : ٢١٥ والاغاني ١٣ : ١٣٦ واللسان « هون » وروايتهم « يوم الكريهة أبقى لها » والطبري ١١ : ٥٤٢ وروايته موافقة للشيخ.

(٢) أمالي القالي ١ : ٣٦٦ واللسان « هون » وشرح المفضليات : ٣٢٣ وتفسير الطبري ١١ : ٥٤٢ والطبري واللسان يوافقا الشيخ بروايته والباقون « عني » بدل « اذهب » و (ولا رأي يمغبون) .

بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجزع (١)

وقال ابو زيد : بان الحي بينونة و بيناً اذا ظعنوا ، وتباينوا تباينا اذا كانوا جميعاً فتفرقوا ، قال والبين ما ينتهي اليه بصرك من حائط او غيره واستعمل هذا الاسم على ضربين : احدهما - ان يكون اسماً منصرفاً كالافتراق . والآخر - ان يكون ظرفاً فمن رفعه رفع ما كان ظرفاً استعمله اسماً ويدل على جواز كونه اسماً قوله: « هذا فراق بيني و بينك » (٢) وقوله « من بيننا و بينك حجاب » (٣) فلما استعمل اسماً في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قراءة من رفع . ويدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً انه لا يخلو من ان يكون الذي هو ظرف اتسع فيه او يكون الذي هو مصدر ولا يجوز ان يكون الذى هو مصدر ، لان التقدير يصير لقد تقطع افتراقكم ، وهذا خلاف المعنى المراد ، لان المراد لقد تقطع وصلكم ، وما كنتم تتألفون عليه .

فان قيل كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل واصله الافتراق والتباين وعلى هذا قالوا : بان الخليط اذا فارق ، وفى الحديث ما بان من الحي فهو ميتة ؟! .

قيل : انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين نحو بيني وبينك شركة ، وبيني وبينه صداقة ورحم صار لذلك بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلذلك صار « لقد تقطع بينكم » بمعنى لقد تقطع وصلكم ومثل بين في انه يجري [في الكلام] (٤) ظرفاً ثم يستعمل إسماً وسط ساكن العين ألا ترى انهم يقولون جلست وسط القوم ، فيجعلونه ظرفاً لا يكون إلا كذلك ، وقد استعملوه اسما كما قال الشاعر :

من وسط جمع بني قريظة بعدما هتفت ربيعة يا بني خوات (٥)

---

(١) لم أجده بهذه الرواية وفى اللسان (خلط) أبيات كثيرة تشبهه .

(٢) سورة الكهف آية ٧٩ (٣) سورة حم السجدة آية ٥

(٤) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة . (٥) لم أجده فى مضانه

وحكي سيبويه هو احمر بين العينين . واما من نصب بينكم ففيه وجهان :

احدهما - انه اضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله : « وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء » لان هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع والتهاجر وذلك المضمر هو الأصل ، كأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم .

والثاني - ان يكون على مذهب ابي الحسن ان يكون لفظه منصوباً ومعناه مرفوعاً ، فلما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في اكثر الكلام وكذلك تقول في قوله « يوم القيامة يفصل بينكم » (١) وكذلك قوله : « وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك » (٢) فدون في موضع رفع عنده وان كان منصوب اللفظ، كما تقول منا الصالح ومنا الطالح فترفع .

وقال الزجاج : الرفع أجود وتقديره لقد تقطع وصلكم . والنصب جائز على تقديره لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بيتكم .

وقال الفراء في قراءة عبد الله « لقد تقطع ما بينكم » : وهو وجه الكلام اذا جعل الفعل لـ (بين) ترك نصباً في موضع رفع ، لأنه صفة ، فاذا قالوا هـذا دون من الرجال ، فلم يضيفوه رفعوه في موضع الرفع . وكذلك تقول بين الرجلين بين بعيد وبون بعيد اذا افردته اجريته في العربية وأعطيته الاعراب . قال مهلهل :

كأن رماحهم اشطان بئر بعيد بين حاليها جرور (٣)

فرفع بين حيث كانت اسماً . وقال مجاهد : معنى تقطع بينكم اي تواصلكم ، وبه قال قتادة وابن عباس ، فمعنى الآية الحكاية عن خطاب الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء

---

(١) سورة الممتحنة آية ٣ (٢) سورة الجن آية ١١

(٣) اللسان « بين » وأمالي القالي ٢ : ١٣٢ وتفسير الطبري ١١ : ٥٤٩ . « الاشطان » هي الحبال المحكمة الفتل وحبال البئر جوانبها . و« جرور » صفة للبئر البعيدة القعر .

الكفار الذين اتخذوا مع الله انداداً وشركاء ، وأنه يقول لهم عند ورودهم : « لقد جئتمونا فرادى » وهو جمع فرد ، وفريد ، وفرد ، وفردان قال الازهري لا يجوز فرد على هذا المعنى . والعرب تقول : فرادى وفراد فلا يصرفونها يشبهونها بثلاث ورباع قال الشاعر :

ترى النعرات الزرق تحت لبانه فرادى ومثنى أضعفتها صواهله (١)

وقال نابغة بني ذبيان :

من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (٢)

وكان يونس يقول : فرادى جمع فرد كما قيل توأم وتؤم . ومثل الفرادى الردافى والعرابى ، ورجل افرد وامرأة فرداء : إذا لم يكن لها اخ . وقد فرد الرجل فهو يفرد فروداً يراد به تفرّد فهو فارد .

المعنى :

فمعنى قوله « جئتمونا فرادى » اي وحداناً لا مال لكم ولا أثاث ولا رقيق ولا شيء مما كان الله خولكم في الدنيا « كما خلقناكم اول مرة » .

وروي عن النبي ﷺ انه قال : (يحشرون حفاة عراة عزلا) والعزل هم الغلف . وروي ان عايشة قالت لرسول الله حين سمعت ذلك وا سوأتاه ينظر بعضهم الى سوءة بعض من الرجال والنساء ، فقال رسول الله : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (٣) فيشغل بعضهم عن بعض .

(١) مر تخريجه فى ٣ : ١٠٦ تعليقة ٢

(٢) ديوانه : ٢٦ واللسان « فرد » . و(وجرة) اسم مكان بين مكة والبصرة قال الاصمعى : هى أربعون ميلا ليس فيها منزل فهى مرتع للوحوش وقد اكثر الشعراء ذكرها . و(موشى اكارعه) فيها سواد و(طاوى المصير) ضامر البطن . و(المصير) جمع مصران .

(٣) سورة عبس آية ٣٧

قال الزجاج : يحتمل ان يكون المعنى كما بدأكم اول مرة ، اى كان بعثكم كخلقكم من غير كلفة ولا مشقة .

وقال الجبائي : معناه جئتم فرادى واحداً واحداً « كما خلقناكم اول مرة » اى بلا ناصر ولا معين كما خلقكم في بطون امهاتكم ، ولا احد معكم .

وقوله : « وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم » يعني ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به في الدنيا وهذا تعيير من الله لهم لمباهاتهم التي كانوا يتباهون في الدنيا باموالهم ، يقال خولته اي اعطيته . ويقال خال الرجل يخال أشد الخيال بكسر الخاء وهو خائل ومنه قول ابي النجم :

اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول (١)

« وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء » يقول تعالى لهؤلاء الكفار : ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة .

وقال عكرمة : ان الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال سوف يشفع فيّ اللات والعزى ، فنزلت الآية .

وقوله « لقد تقطع بينكم » اي وصلكم « وضل عنكم ما كنتم تزعمون » اي جار عن طريقتكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم انه شريك لله تعالى وانه يشفع لكم عند ربكم فلا شفيع لكم اليوم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

(١) تفسير الطبري ١١ : ٥٤٥

في هذه الآية تنبيه لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله آلهة عبدوها وحجة عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه من عبادة الاصنام بأن قال: إن الذي له العبادة ومستحقها هو الله الذي فلق الحب يعني شقه من كل ما ينبت عن النبات، فأخرج منه الزرع على اختلافها، والنوى من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر، والحب هو جمع حبة . والنوى جمع نواة وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى القادر بنفسه، لأن القادر بقدرة لا يقدر على شق ذلك إلا بآلة ولا يقدر على انبات شيء واخراج شيء منها، فعلم انه من فعل ذلك هو الله الذي لا يشبه شيئاً من الاجسام ولا يشبهه شيء، القادر على اختراع الاعيان بلا معاناة ولا مزاولة .

ثم اخبر انه « يخرج الحي من الميت » لان الله تعالى يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي، وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم .

وقال الضحاك وابن عباس معنى « فالق الحب والنوى » خالقهما .

وقال مجاهد وابو مالك : هو الشق الذي في الحبة والنوى . والأول اقوى الأقوال .

وقال قوم : اراد باخراج الحي من الميت اخراج السنبل وهي حي من الحب وهو ميت، ومخرج الحي الميت من السنبل الحي، والشجر الحي من النوى الميت، والنوى الميت من الشجر الحي . والعرب تسمي الشجر ما دام غضاً قائماً بانه حي فاذا يبس او قطع من اصله او قلع سموه ميتاً ذهب اليه السدي والطبري والجبائي . وماذكرناه اولا قول ابن عباس، وهو الأقوى، لأنه الحقيقة . وما ذكروه مجاز، وان كان جائزاً محتملا .

وقوله : « ذلكم الله فأنى تؤفكون » معناه ان فاعل ذلك كله الله تعالى فأنى وجوه الصد عن الحق ايها الجاهلون تصدون، وعن العذاب تصدفون، أفلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن أنعم عليكم - فخلق الحب والنوى وأخرج من الحي

الميت ومن الميت الحي ومن الحب الزرع ومن النوى الشجر - شريك في عبادته مالا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : ان الله تعالى يحول بين العبد وبين ما دعاه اليه إذ يخلق فيه ما نهاه عنه ، لأنه قال : فأنى تؤفكون، ولو كان شيئاً من ذلك لكان هو المؤفك لهم والصارف . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومعنى قوله « فأنى تؤفكون » اي تصرفون عقولكم ، وهو قول الحسن وغيره . والافك هو الكذب .

قوله تعالى :

﴿ فالِقُ الاِصْباحِ وجَعَلَ الليلَ سَكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليم ﴾ (٩٦) آية بلاخلاف .

قرأ اهل الكوفة « جعل الليل » على الفعل . الباقون « جاعل » على الفاعل .

من قرأ « جاعل » على وزن فاعل فلأن قبله اسم فاعل ، وهو قوله : « فالق الحب والنوى ... » و« فالق الاصباح » فقرأ « وجاعل الليل » ليكون فاعل المعطوف على فاعل المعطوف عليه ، فيكون متشاكلاً ، لان من حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله ، لانه به اشبه من الفعل بالاسم ، وهذه المشاكلة مراعاة في كلام العرب ، ومثله « فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » (١) وقوله « يدخل من يشاء في رحمته والظالمين » (٢) وقوله « وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيراً » (٣) نصبوا

(١) سورة الأعراف آيه ٢٩

(٢) » الشورى آيه ٨ وسورة الدهر آية ٣١

(٣) » الفرقان آية ٣٩

هـذا كله ليكون القارىء بنصبها كالعاطف جملة من فعل وفاعل على جملة من فعل وفاعل ، فكما ان الفعل بالفعل اشبه من المبتدأ بالفعل كذلك الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قول الشاعر :

للبس عباءة وتقر عيني احب إلي من لبس الشفوف (١)

ومن قرأ « وجعل » ، فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي ، فلما كان فاعل بمعنى (فعل) في المعنى عطف عليه بالفعل لموافقته له في المعنى ، ويدلك على انه بمنزلة (فعل) انه نزل منزلته فيما عطف عليه ، وهو قوله « والشمس والقمر حسبانا » ألا ترى انه لما كان المعنى (فعل) حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على (فعل) لما كان فاعل كفعل . ويقوي ذلك قولهم : هذا معطي زيد درهماً امس فالدرهم محمول على (اعطى) ، لأن اسم الفاعل اذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل ، [فاذا جعل معطي بمنزلة اعطى كذلك جعل فالق بمنزلة (فلق) لان اسم الفاعل لما مضى فعطف على (فعل) لما كان بمنزلته ولا يجوز حمل جاعل على الليل ، لان اسم الفاعل اذا كان لما مضى لا يعمل على الفعل] (٢) وقد اجازه بعض الكوفيين .

معنى قوله « فالق الاصباح » اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وذلك دال على القدرة العجيبة التي لا يقدر عليها غير الله . ويحتمل ان يكون معناه خالقه على ما حكيناه عن الضحاك وذكره الزجاج [ورفع « فالق » لانه خبر عن الله تعالى بعد خبر كأنه قال ان الله فالق الحب والنوى] (٣) فالق الاصباح .

ويحتمل ان يكون خبر ابتدأ محذوف ، فكأنه قال : هو فالق الاصباح .

---

(١) حاشية الصبان على الاشموني ٣ : ٣١٣ الشاهد ٨٢٧ ويرى « ولبس » بدل « للبس » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

والاصباح مصدر أصبحنا اصباحاً والمراد اصبح كل يوم ، فهو في معنى الاصباح . وروي عن الحسن انه قرأ « فالق الاصباح » بفتح الالف [وما قرأ به غيره . ومعنى « وجاعل الليل سكناً » اي تسكنون فيه وتتودعون فيه] (١) وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وابن عباس واكثر المفسرين . وروي عن ابن عباس ان معناه : خالق الليل والنهار.

وقوله « والشمس والقمر حسباناً » نصبها عطفاً على موضع الليل ، لأن موضعه النصب بأنه مفعول جاعل .

واختلفوا في معناه فقال ابن عباس والسدي والربيع وقتادة ، ومجاهد والجبائي إنهما يجريان في أفلاكهما بحساب تقطع الشمس الفلك في سنة ويقطعه القمر في شهر قدّره الله تعالى به ، فهو قوله : « والشمس والقمر بحسبان » (٢) وقوله : « وكل في فلك يسبحون » (٣) .

وقال قتادة معناه انه جعل الشمس والقمر ضياء . والاول أجود لان الله تعالى ذكر بمثل هذا من أياديه عند خلقه وعظيم سلطانه بفلقه الاصباح لهم واخراج النبات والغراس من الحب ، والنوى . وعقب ذلك بذكر خلق النجوم للاهتداء بها في البر والبحر . وكان وصفه اجراء الشمس والقمر بمنافعهم اشبه . وانها تجري بحسبان ما يحتاج الخلق اليه في معائشهم ومعاملاتهم . اما الشمس فللزرع والحرث . واما القمر فللمواعيد وآجال الديون في المعاملات ، وفيها منافع لا يعرف تفصيلها إلا الله تعالى لانه قال « فالق الاصباح » ذكر الضياء ولا معنى لتكريره دفعه ثانية .

والحسبان جمع حساب على وزن شهبان وشهاب .

وقيل في هذا الموضع انه مصدر حسبت الحساب احسبه حساباً . وحكي عن

---

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

(٢) سورة الرحمان آية ٥

(٣) سورة يس آية ٤٠ وسورة الأنبياء آية ٣٣

بعض العرب على ذلك حسبان فلان وحسبته أي حسابه .

والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانه وهي وسادة صغيرة .

ونصب حسباناً على تقدير بحسبان فلما حذف الباء نصبه . وقال قوم هو نصب لقوله « وجعل » .

وقوله : « ذلك تقدير العزيز العليم » اي هذا الذي وصفه بأنه فعله من فلقه الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً تقدير الذي عز سلطانه فلا يقدر احد اراده بسوء اوعقاب او انتقام على الامتناع منه ، العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الاصنام والاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيئاً ولا تعقله .

قوله تعالى:

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (٩٧) آية .

هذه الآية موصولة بالتي قبلها ومعناها متقارب ، وهو ان الله تعالى عدد نعمه على خلقه وان من جملتها انه جعل لهم النجوم بمعنى خلقها ليهتدوا بها في اسفارهم في ظلمات البر والبحر ، وانه قد فصل آياته لقوم يعلمون . وإنما أضاف الآيات الى الذين يعلمون وإن كانت آيات لغيرهم ، لأنهم المنتفعون بها ، كما قال « هدى للمتقين » وليس في قوله انه خلقها ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك . قال البلخي بل يشهد انه خلقها لامور جليلة عظيمة . ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير ، واختلاف مواقعها ومجاريها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الامر كذلك . ولو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان يخلقها صغاراً وكباراً . ولما كان لاختلاف سيرها معنى . قال الحسين بن علي المغربي هذا من البلخي أشارة منه الى دلالتها على الاحكام .

قوله تعالى:

﴿ وهو الّذي أنشأكُمْ من نَفسٍ واحدةٍ فَمستَقرٌ ومُستودَعٌ قَدْ فَصّلنا الآياتِ لقومٍ يفقهونَ ﴾ (٩٨) آية بلاخلاف .

قرأ ابن كثير وابوعمرو، وروح « فمستقر » بكسر القاف . الباقون بفتحها .

قال ابو علي النحوي قال سيبويه قالوا : قرّ في مكانه واستقر ، كما قالوا جلب وأجلب يراد بهما شيء واحد فكما بني هذا على (افعلت) بني هذا على (استفعلت) فمن كسر القاف كان المستقر بمعنى القار . والخبر مضمر وتقديره منكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اي مستقر في الارحام . وقال « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق » (١) كما قال « وقد خلقكم اطواراً » (٢) ومن فتح فليس على انه مفعول لان استقر لا يتعدى . واذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول ، فاذا لم يكن مفعولا كان اسم الفاعل مكانه فالمستقر بمنزلة المقرّ كما ان المستقر بمعنى القار ، وعلى هـــذا ، لايجوز ان يكون خبره المضمر (منكم) كما جاز في قول من كسر القاف ، واذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر لكم وتقديره لكم مقر ومستودع ، فان استودع (فعل) يتعدى الى مفعولين تقول : استودعت زيداً ألفاً واودعت زيداً الفاً ، فاستودع مثل اودع ومثل استجاب واجاب ، فالمستودع يجوز ان يكون الانسان الذي استودع ذلك المكان ، ويجوز ان يكون المكان نفسه . فمن فتح القاف في مستقر جعل المستودع مكاناً ليكون مثل المعطوف عليه اي فلكم مكان استقرار ومكان استيداع . ومن كسر القاف ، فالمعنى منكم مستقر في الارحام ومنكم مستقر في الاصلاب ، فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر في انه اسم لغير المكان .

وقال الزجاج : ويحتمل ان يكون مستقراً في الدنيا موجوداً ومستودعاً في

(١) سورة الزمر آية ٦ (٢) سورة نوح آيه ١٤

الأصلاب لم يخلق بعد . ويحتمل مستقر - بكسر القاف - في الأحياء ومنكم مستودع [في الثرى . ورفع مستقر ومستودع على معنى فلكم مستقر ومستودع . ومن كسر فمعناه فمنكم مستقر ومنكم مستودع] (١) .

وقال الفراء : تقديره ثم مستقر ومستودع .

واختلف المفسرون في قوله « فمستقر ومستودع » فقال عبد الله بن مسعود : المستقر ما في الرحم ، والمستودع حيث يموت . وبه قال ابراهيم ومجاهد . وقال سعيد ابن جبير : مستودعون ما كان في اصلاب الرجال ، فاذا قروا في ارحام النساء ، وعلى ظهر الارض وفي بطونها ، فقد استقروا به . وقال ابن عباس ، وروي عن مجاهد - في رواية اخرى - المستقر الارض ، والمستودع عند ربك .

وروي عن ابن مسعود - في رواية - ان مستقرها في الآخرة ومستودعها في الصلب .

وقال عكرمة : مستقر في الآخرة ومستودع في صلب لم يخلق سيخلق . وبه قال قتادة والضحاك والسدي وابن زيد .

وقال الحسن : المستقر في القبر والمستودع في الدنيا .

[ومعنى الآية ان الله تعالى هو الذى انشأ الخلق ابتداء من نفس واحدة يعني آدم ، منهم مستقر ومستودع ، واذا حمل على العموم فانه يتناول كل احد على تأويل من قال المستقر في القبر والمستودع في الحشر] (٢) وعلى تأويل من قال المستودع من كان في الاصلاب والمستقر من كان في الارحام لان كل الخلائق داخلون فيه فالاولى حمل الآية على عمومها وهو اختيار الطبري .

وقوله « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » معناه قد بينا الحجج وميزنا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٢) » » » » » »

الآيات والأدلة والاعلام ، وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحج ومواضع العبر ويعرفون الآيات والذكر ، وهو قول قتادة والمفسرين .

قوله تعالى :

﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (٩٩) آية .

روى الاعشى والبرجمي « وجنات » بالرفع . الباقون « جنات » على النصب . وقرأ حمزة والكسائي وخلف « ثمره » و « كلوا من ثمره » وفي يس « لتأكلوا من ثمره » بضم الثاء والميم فيهن . الباقون بفتحها . من كسر الثاء فلأنها تاء جمع المؤنث في موضع النصب عطفاً على قوله « فأخرجنا به نبات من كل شيء » . « فأخرجنا به جنات » ومن رفع عطفها على القنوان في الاعراب وان لم يكن من جنسها كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً (١)

اي وحاملا رمحاً . ومن قرأ « ثمره » بالفتح فيها فوجهه ان سيبويه يرى ان الثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر وخرزة وخرز ، ويقويه قوله ايضاً : « ومن ثمرات النخيل والأعناب » (٢) وقد كسّر على فعال فقالوا اثمار كما قالوا أكمة

---

(١) مر هذا البيت فى ١ : ٦ ؛ ٢٤٢ ؛ ٣ : ٤٦٥ وهو فى تفسير الطبرى ١ : ١٤ ، ٦ : ٤٣٣ ؛ ١٠ : ٤٠٨ ، ١١ : ٥٧٧ . وغيره وهو على شهرته لم يعرف قائله .

(٢) سورة النحل آيه ٦٧

وآكام وجذبة وجذاب ورقبة ورقاب . ومن جمعها احتمل امرين :

أحدهما - ان يكون جمع ثمرة على ثمر مثل خشبة وخشب في قوله « كأنهم خشب مسندة » (١) واكمة واكم في قول الشاعر :

ترى الاكم منه سجدا للحوافر (٢)

ومن المعتل ساحة وسوح وقارة وقور ولابة ولوب وناقة ونوق .

والثاني - ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع وجمعوه على (فعل) كما جمعوه على (فعايل) في قولهم جمال وجمايل .

ومعنى الآية أن الذي يستحق العبادة خالصة لاشريك له فيها سواه هو الذي انزل من السماء ماء . وأصل الماء ماه الا ان الهمزة ابدلت من الهاء بدلالة قولهم أمواه في الجمع ومويه في التصغير .

وقوله « فاخرجنا به نبات كل شيء » معناه اخرج بالماء الذي انزله من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش وارزاق بني آدم واقواتهم مايتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويكون معنى قوله « فاخرجنا به نبات كل شيء » اخرجنا به ماينبت كل شيء وينمو عليه ويصلح ويحتمل ان يكون المراد اخرجنا به جميع انواع النبات ، فيكون كل شيء هو اصناف النبات . والاول احسن .

وقوله « فاخرجنا به » يعني من الماء « خضراً » يعني اخضر رطباً من الزرع .

والخضر والاخضر واحد يقال خضرت الأرض خضراً وخضارة . والخضرة رطب البقول يقال نخلة خضرة اذا كانت ترمي ببسرها اخضر قبل ان ينضج ، وقد اختضر الرجل واغتضر اذا مات شاباً مصححاً ويقال : هو لك خضراً مضراً اي هنيئاً مريئاً .

وقوله « يخرج منه حباً متراكباً » يعني يخرج من الخضر حباً يعني مافي السنبل من الحنطة والشعير والارز وغيرها من السنابل لان حبها يركب بعضه بعضاً .

(١) سورة المنافقون آية ٤ (٢) انظرا : ١١ تعليقه ٥

وقوله « ومن النخل من طلعها » انما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع العجيبة والاغذية الشريفة التي ليست في شيء من كمام الثمار .

قوله « قنوان دانية » تقديره ومن النخل من طلعها ماقنوانه دانية ولذلك رفع القنوان . والقنوان جمع قنو كصنوان وصنو ، وهو العذب يقال لواحده قنو وقنو وقني ويثنى قنوان على لفظ الجمع وقنيان وإنما يميز بينهما بأعراب النون، ويجمع قنوان وقنوان وفي الجمع القليل ثلاثة اقناء فالقنوان لغة اهل الحجاز والقنوان لغة قيس قال امرؤا القيس :

فاثت اعاليه وآدت اصوله ومال بقنوان من البسر احمرا (١)

وقنيان وقنوان لغة تميم وقوله « دانية » معناه قريبة متهدلة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك . وقال الجبائي دانية اي متدانية في حلوق النخل متكور بها .

وقوله « وجنات » يعني واخرجنا به ايضاً جنات من اعناب يعني بساتين من اعناب .

وقوله « والزيتون والرمان » عطف الزيتون على الجنات على تقدير واخرجنا الزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه قال قتادة متشابه ورقه مختلف ثمره . ويحتمل ان يكون المراد مشتبهاً في الخلق مختلفاً في الطعم . وقال الجبائي مشتبهاً ما كان من جنس واحد ، وغير متشابه اذا اختلف جنسه . والمعنى وشجر الرمان والزيتون فاكتفى بذكر ثمره عن ذكر شجره ، كما قال « واسأل القرية » فاكتفى بذكر القرية عن ذكر اهلها لدلالة الحال عليه .

---

(١) ديوانه : ٨٤ واللسان (قنا) وتفسير الطبري ١١ : ٥٧٥
ورواية الديوان :

سواحق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر أحمرا

وقوله « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه » الثمر جمع ثمرة وهو ما انعقد على الشجر يقال ثمر الثمر اذا نضج والمراد اذا اطلع ثمره .

وقوله « وينعه » قال بعضهم اذا فتحت ياؤه فهو جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر . وقال آخرون هو مصدر قولهم ينع الثمر فهو ينع ينعاً . ويحكى في مصدره ثلاث لغات ينع وينع وينع وكذلك نضج ونضج ونضج قال الشاعر :

في قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا (١)

وسمع ايضاً اينعت الثمرة تونع ايناعاً بمعنى وينعه نضجه وبلوغه حين يبلغ وفي ينعه لغتان فتح الياء وضمها فالفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة نجد .

وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك والطبري والزجاج وغيرهم : معنى وينعه ونضجه .

وقوله « ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون » يعني في انزال الله الماء من السماء الذي اخرج به نبات كل شيء والخضر الذي اخرج منه الحب المتراكب وسائر ماعدد في الآية « لآيات » أي دلالات أيها الناس اذا نظرتم فيها ادّاكم الى التصديق بتوحيده وخلع الانداد دونه ، وانه لايستحق العبادة سواه لان في ذلك بياناً وحججاً وبرهاناً لقوم يؤمنون ، فتصدقون بوحدانية الله وقدرته على مايشاء وإنما خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بذلك والمعتبرون به ، كما قال « هدى للمتقين » وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول بالطبع ، لأن من الماء الواحد والتربة الواحدة يخرج الله ثمارا مختلفة وأشجاراً متباينة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى .

---

(١) قيل انه ليزيد بن معاوية . ونسبه المبرد الى الأحوص ونسبه الجاحظ الى أبي دهبل وبعضهم نسبه الى الأخطل .

الحيوان للجاحظ ٤ : ٦ (طبع بيروت) والكامل للمبرد ١ : ٢٢٦ ومجاز القرآن ١ : ٢٠٢ وتفسير الطبري ١١ : ٥٨٠ واللسان والتاج (ينع) ، (دسكر) وتفسير القرطبي ٧ : ٦٧ وقد روي (قد وقعا) بدل (قد ينعا) .

قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٠٠) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة « خرقوا » بتشديد الراء . الباقون بتخفيفها قال أبو عبيدة « وخرقوا له بنين وبنات » أي جعلوا له واشركوه . يقال خرق واخترق واختلق بمعنى اذا افتعل وافترا وكذب قال أحمد بن يحيى خرّق واخترق . وقال ابو الحسن الخفيفة أحب الى لانها اكثر .

وقيل ان المعنى ان المشركين ادعوا الملائكة بنات الله والنصارى المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله ومن شدد كأنه ذهب الى التكثير .

أخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار العادلين عن الحق المتخذين معه آلهة جعلوا له أنداداً وشركاء الجن ، كما قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » (١) وقال « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثاً » . (٢) وقال « ويجعلون لله البنات » (٣) ووصفهم بالجن لخفائهم عن الأبصار وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن » أراد به الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله والنصارى الذين جعلوا المسيح ابن الله واليهود الذين جعلوا عزيراً ابن الله ولذلك قال « وخرقوا له بنين وبنات » ففصل أقوالهم .

وقيل ان معنى « شركاء الجن » في استعاذتهم بهم .

وقيل ان المعنى ان المجوس تنسب الشر الى ابليس وتجعله بذلك شريكا .

---

(١) سورة الصافات آية ١٥٨ (٢) سورة الزخرف آية ١٧

(٣) سورة النحل آية ٥٧

والهاء والميم في قوله « وخلقهم » يحتمل ان تكون عائدة الى الكفار الذين جعلوا لله الجن شركاء . ويحتمل ان تكون عائدة على الجن ، ويكون المعنى « وجعلوا لله شركاء الجن » والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له .

وفي نصب الجن وجهان أحدهما - ان يكون تفسيراً للشركاء وبدلا منه . والآخر ـ ان يكون مفعولا به ومعناه وجعلوا لله الجن شركاء وهو خالقهم .

وروي عن يحيى بن يعمر انه قرأ « وخلقهم » بسكون اللام بمعنى أن الجن شركاء لله في خلقه ايانا وهذه القراءة ضعيفة . والقراءة المعروفة اجود لان المعنى وخلقهم بمعنى ان الله خلقهم متفرداً بخلقه اياهم .

وقوله « وخرقوا له بنين وبنات » معناه تخرصوا ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده والسدي وابن زيد وغيرهم فيتلخص الكلام ان هؤلاء الكفار جعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم اياه مع انه المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير « وخرقوا له بنين وبنات » معناه تخرصوا له كذبا بنين وبنات « بغير علم » اي بغير حجة . ويحتمل ان يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا وآجلا . ويحتمل ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة ما يقولون لكن جهلا منهم بالله وبعظمته لانه لا ينبغي لمن كان إلها ان يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا ان يشركه في خلقه شريك ثم نزه نفسه تعالى وامرنا بتنزيهه عما اضافوه اليه ، وانه يجل عن ذلك ويتعالى عنه ، فقال « سبحانه وتعالى عما يصفون » من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات لأن ذلك لا يليق بصفته ولا بوحدانيته .

قوله تعالى :

﴿ بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف

البديع هو المبدع وهي صفة معدولة عن (مفعل) الى (فعيل) ولذلك تعدى (فعيل) لأنه يعمل عمل ماعدل عنه فاذا لم يكن معدولا للمبالغة لم يتعد نحو طويل وقصير ، وارتفع بديع لانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو بديع السموات والارض . ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء وخبره (أنى يكون له ولد) .

والفرق بين الابتداع والاختراع ان الابتداع فعل مالم يسبق الى مثله ، والاختراع فعل مالم يوجد سبب له . ولذلك يقال البدعة والسنة فالبدعة احداث مالم يسبق اليه مما خالف السنة ، ولا يوصف بالاختراع غير الله لان حدما ابتدىء في غير محل القدرة عليه ، ولا يقدر على ذلك الا القادر للنفس لان القادر بقدرة اما ان يفعل مباشراً وحده مالابتدىء في محل القدرة عليه أو متولد وحده ماوقع بحسب غيره ، وهو على ضربين احدهما تولده في محل القدرة عليه والآخر انه يتعداه بسبب هو الاعتماد لاغير ولا يقدر غير الله على الاختراع اصلا . فاما الابتداع فقد يقع منه لانه قد يفعل فعلا لم يسبق اليه . وأما « بديع السماوات والارض » فلا يوصف به غير الله لانه خالقها على غير مثال سبق .

وقوله « انى يكون له ولد » معناه وكيف يكون له ولد . وقيل معناه من أين يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة فالولد هو الحيوان المتكون من حيوان ، فعلى هذا آدم ليس بولد ، لأنه لم يتكون عن والد ، والمسيح (ع) ولد ، لأن مريم ولدته فهو متكون عنها وان لم يكن عن ذكر ، والصاحب هو القرين اللازم ولذلك يقال أصحاب الصحراء ، وفي القرآن أصحاب النار ، واصحاب الجنة . ومعناه المقارنون لها . وقد يكون المقارن لما هو من جنسه ، ومالیس من جنسه فيوصف بأنه صاحب إلا انه لا بد من مشاكلته ويقال صاحب القرآن أي حافظه ، وصاحب الدار مالكها .

وقوله : « وخلق كل شيء » يحتمل أمرين :

أحدهما ـ ان يكون اراد بـ (خلق) قدر ، فعلى هذا تكون الآية عامة ،

لانه تعالى مقدر كل شيء .

ويحتمل أن يكون احدث كل شيء ، فعلى هذا يكون مخصوصاً ، لانه لم يحدث اشياء كثيرة من مقدورات غيره ، وماهو معدوم لم يوجد على مذهب من يسميها اشياء . وكقديم آخر ، لانه يستحيل .

وقوله : « وهو بكل شيء عليم » عام ، لان الله تعالى يعلم الاشياء كلها قديمها ومحدثها ، موجودها ومعدومها ، لاتخفى عليه خافية .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) آية بلاخلاف .

المعنى ، واللغة :

« ذلك » اشارة الى ماتقدم ذكره من وصف الله بانه « بديع السماوات والارض » وغير ذلك من صفاته تعالى . وانما ادخل فيه الميم ، لانه خطاب لجميع الخلق . « الله ربكم » صفة بعد صفة .

وقوله : « لاإله إلا هو » اخبار بأنه لامعبود سواه تحق له العبادة . وبين انه « خالق كل شيء » من أصناف الخلق . وحذف اختصارا - في المبالغة - لقيام الدلالة على أنه لايدخل فيه مالم يخلقه من أصناف الاشياء من المعدوم ، وافعال العباد ، والقبائح ، ومثله في المبالغة قوله : « تدمر كل شيء بأمر ربها » (١) . وقوله : « واوتيت من كل شيء » (٢) . ثم أمر الخلق بعبادة من كان خالق الأشياء كلها ، والمنعم على خلقه بما يستحق به العبادة : من خلق الحياة والقدرة والشهوة والبقاء ،

(١) سورة الاحقاق آية ٢٥ (٢) سورة النمل آية ٢٣

وغير ذلك .

واخبر أنه تعالى « على كل شيء وكيل » اي حافظ . والوكيل على الشيء هو الحافظ الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه . وانما وصف بانه وكيل مع انه مالك الاشياء، لانه لما كانت منافعه لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار ، صحة الصفة له من هذه الجهة بأنه وكيل ، وكان فيها تذكير بالنعمة مع كونه مالكا من جهة انه قادر عليه له ان يصرف أتم التصريف مما يريده بمنزلة مايريده الوكيل في ان منافعه تعود على غيره ولا يلزم على هذا ان يقال : هو وكيل على القبائح والفواحش ، لانه يوهم انها عرض وانما تدخل في الجملة على طريق التبع ، لانه يجازي عليها بالعذاب المستحق بها .

الاعراب

ورفع « خالق كل شيء » بأنه خبر ابتداء محذوف كأنه قيل هو خالق كل شيء لأنه تقدم ذكره فاستغني عن ذكره . ولا يجوز رفعه على ان خبره « فاعبدوه » لدخول الفاء . وكان يجوز نصبه على الحال لانه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام .

قوله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) آية بلا خلاف .

في هذه الآية دلالة واضحة على انه تعالى لا يرى بالابصار ، لانه تمدح بنفي الادراك عن نفسه . وكلما كان نفيه مدحا غير متفضل به فاثباته لا يكون إلا نقصا والنقص لا يليق به تعالى . فاذا ثبت انه لا يجوز ادراكه ، ولا رؤيته ، وهذه الجملة تحتاج الى بيان أشياء :

أحدها - أنه تعالى تمدح بالآية .

والثاني - أن الادراك هو الرؤية .

والثالث - ان كلما كان نفيه مدحاً لا يكون اثباته الا نقصاً .

والذي يدل على تمدحه شيآن :

احدهما - اجماع الامة ، فانه لا خلاف بينهم في انه تعالى تمدح بهذه الآية ، فقولنا تمدح بنفي الادراك عن نفسه لاستحالته عليه .

وقال المخالف : تمدح لأنه قادر على منع الابصار من رؤيته ، فالاجماع حاصل على ان فيها مدحة .

والثاني - ان جميع الاوصاف التي وصف بها نفسه قبل هذه الآية وبعدها مدحة فلا يجوز ان يتخلل ذلك ما ليس بمدحة . والذي يدل على ان الادراك يفيد الرؤية ان اهل اللغة لا يفرقون بين قولهم أدركت ببصري شخصاً ، وآنست ، واحسست ببصري . وانه يراد بذلك اجمع الرؤية . فلو جاز الخلاف في الادراك ، لجاز الخلاف فيما عداها من الاقسام (١) .

فاما الادراك في اللغة ، فقد يكون بمعنى اللحوق ، كقولهم : ادرك قتادة الحسن . ويكون بمعنى النضج ، كقولهم ادركت الثمرة ، وادركت القدر ، وادرك الغلام اذا بلغ حال الرجال .

وايضاً فان الادراك اذا اضيف الي واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه ألا ترى أنهم يقولون : أدركته بأذني يريدون سمعته ، وأدركته بأنفي يريدون شممته وأدركته بفمي يريدون ذقته . وكذلك اذا قالوا : أدركته ببصري يريدون رأيته . واما قولهم ادركت حرارة الميل ببصري فغير معروف ولا مسموع ومع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد ، لأن قولهم حرارة الميل تقييد لأن الحرارة تدرك بكل محل فيه حياة ، ولو قال ادركت الميل ببصري لما استفيد به الا الرؤية . وقولهم

---

(١) من صفحة ٢٣٨ سطر ١٥ الى هنا ساقط من المطبوعة وقد نقلناه عن المخطوطتين

ان الادراك هو الاحاطة باطل ، لأنه لو كان كذلك لقالوا أدرك الجراب بالدقيق وادرك الحب بالماء وادرك السور بالمدينة لاحاطة جميع ذلك بما فيه ، والأمر بخلاف ذلك . وقوله « حتى اذا ادركه الغرق » (١) فليس المراد به الاحاطة بل المعنى حتى اذا لحقه الغرق كما يقولون أدركت فلاناً اذا لحقته ، ومثله « فلما تراء الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون » (٢) أي لملحقون والذي يدل على ان المدح اذا كان متعلقاً بنفي فاثباته لا يكون الا نقصاً قوله « لا تأخذه سنة ولا نوم (٣) وقوله « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » (٤) لما كان مدحاً متعلقاً بنفي فلو ثبت في حال لكان نقصاً .

فان قيل كيف يتمدح بنفي الرؤية ومع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات والضمائر ؟

قلنا : انما كان ذلك مدحاً بشرط كونه مدركاً للأبصار وبذلك يميز من جميع الموجودات لأنه ليس في الموجودات مايدرك ولا يدرك

فان قيل ولم اذا كان يدرك ولا يدرك يجب أن يكون ممدوحاً ؟ ؟

قلنا قد ثبت أن الآية مدحة بما دللنا عليه ولا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: إما ان يكون وجه المدحة انه يستحيل رؤيته مع كونه رائياً او ما قالوه من انه يقدر على منع الابصار من رؤيته بأن لا يفعل فيها الادراك وما قالوه باطل لقيام الدلالة على ان الادراك ليس بمعنى الاحالة، فاذا بطل ذلك لم يبق الا ما قلناه ، والا خرجت الآية من كونها مدحة .

وقد قيل ان وجه المدحة في ذلك ان من حق المرئي ان يكون مقابلا او في حكم المقابل وذلك يدل على مدحته وهذا دليل من اصل المسألة لا يمكن ان يكون

---

(١) سورة يونس آية ٩٠ (٢) سورة الشعراء آية ٦٢

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦ (٤) سورة المؤمنون آية ٩٢

جواباً في الآية .

فان قيل : انه تعالى نفى ان تكون الابصار تدركه فمن اين ان المبصرين لا يدركونه ؟

قلنا الابصار لا تدرك شيئاً البتة فلا اختصاص لها به دون غيره ، وايضاً فان العادة ان يضاف الادراك الى الابصار ويراد به ذوو الابصار كما يقولون بطشت يدي وسمعت اذني وتكلم لساني ويراد به اجمع ذوو الجارحة .

فان قيل انه تعالى نفى ان جميع المبصرين لا يدركونه فمن اين ان البعض لا يدركونه وهم المؤمنون ؟

قلنا اذا كان تمدحه في استحالة الرؤية عليه لما قدمناه فلا اختصاص لذلك براء دون رائى ولك ان تستدل بأن تقول هو تعالى نفى الادراك عن نفسه نفياً عاماً كما انه اثبت لنفسه ذلك عاماً فلو جاز أن يخص ذلك بوقت دون وقت لجاز مثله في كونه مدركاً . واذا ثبت نفي ادراكه على كل حال فكل من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه . ومن أجاز الرؤية لم ينفها نفيا عاما فالقول بنفيها عموماً مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الاجماع . فان عورضت هذه الآية بقوله « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (١) فانا نبين أنه لا تعارض بينهما وانه ليس في هذه الآية ما يدل على جواز الرؤية اذا انتهينا اليها ان شاء الله .

وقوله « وهو اللطيف الخبير » قيل في معنى « اللطيف » قولان :

أحدهما - انه اللاطف لعباده بسبوغ الانعام، غير أنه عدل من وزن (فاعل) الى (فعيل) للمبالغة .

الثاني - انه لطيف التدبير ، وحذف لدلالة الكلام عليه .

(١) سورة القيامة آية ٢٣

والخبير هو العالم بالأشياء المتبين لها وما ذكرناه من أن معنى الآية نفي الرؤية عن نفسه على كل حال قول جماعة منهم عائشة ، روى مسروق عن عائشة انها قالت : من حدثك ان رسول الله رأى ربه فقد كذب «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار» و « ماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب (١) ولكن رأى جبرائيل في صورته مرتين . وفي رواية اخرى ان مسروقاً لما قال لها هل رأى محمد ربه قالت سبحان الله لقد وقف شعري مما قلت ثم قرأت الآية . وقال الشعبي قالت عائشة من قال ان احداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، وقرأت الآية ، وهو قول السدى وجماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن والبلخي والجبائي والرماني وغيرهم .

وقال اهل الحشو والمجبرة بجواز الرؤية على الله تعالى في الآخر وتأولوا الآية على الاحاطة وقد بينا فساد ذلك .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَما أَنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (١٠٤) آية بلا خلاف.

البصائر جمع بصيرة وهي الدلالة التي توجب العلم الذي يبصر به نفس الشيء على ما هو به والمراد ههنا قد جاءكم القرآن الذي فيه الحجج والبراهين ، قال الشاعر :

جاؤا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي (٢)

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٢) اللسان (بصر) ، (عتد) ، (وأى) ومجمع البيان ٢ : ٣٤٥ والاصمعيات ٢٣ وتفسير الطبرى ١٢ : ٢٤ . والبصيرة الدم ، والشاعر يعير اخوته لأبيه لعدم أخذهم .

ونعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة . واما الابصار فهو الادراك ولذلك يوصف تعالى بأنه مبصر كما يوصف بأنه مدرك ويسمى بأنه بصير لانه يجب ان يدرك المبصرات اذا وجدت وانما وصفت الدلالة بأنها جائية وان كان لا يجوز أن يقال جاءت الحركة ولا جاء السكون ولا الاعتماد وغير ذلك من الاعراض لتفخيم شأن الدلالة حيث كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس ، كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض واقبل السعد وأدبر النحس .

وقوله « فمن أبصر فلنفسه » يعني من تبين بهذه الحجج بأن نظر فيها حتى اوجبت له العلم وتبين بها ، فمنفعة ذلك تعود عليه ولنفسه بما نظر . ومن عمي فلم ينظر فيها وصدف عنها حتى جهل فعلى نفسه لان عقاب تفريطه لازم له وحال به فعمي العلم والتبيين ابصارا مجازاً . وسمي الجهل عمى توسعاً .

وفي ذلك دلالة على ان الخلق غير مجبرين بل هم مخيرون في افعالهم .

ثم خاطب الله تعالى نبيه (ص) وامره بأن يقول لهم « وما انا عليكم بحفيظ » يعني برقيب على اعمال العباد حتى يجازيهم بها ، في قول الحسن بل هو شهيد عليهم ، لانه يرجع الى الحال الظاهرة التي تقع عليها المشاهدة . قال الزجاج هذا قبل ان يؤمر بالقتال . ثم امر ان يمنعهم بالسيف عن عبادة الاوثان .

وهذه الآية فيها أمر من الله لنبيه ان يقول لهؤلاء الكفار وقد جاءكم حجج من الله وهو ما ذكره في قوله «فالق الحب والنوى» الى هاهنا وما يبصرون به الهدى من الضلال ، فمن نظر وعلم فلنفسه نفع ومن جهل وعمي فلنفسه ضر . ولست امنعكم منه ولا احول بينكم وما تختارون وهو قول قتادة وابن زيد .

ـ بثار أبيهم ، وقد اخذ هو بدم أبيه ، ويروى (حملوا بصائرهم) و (راحو بصائرهم) و (العتد) الحاضر المعد للركوب

قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠٥) آية بلا خلاف

قرأ ابن كثير وابو عمرو (دارست) بألف وفتح التاء . الباقون بلا الف « درست » بفتح التاء الا ابن عامر فانه قرأ «درست» بسكون التاء وفتح السين(١) بمعنى (امحت) وذكر الأخفش (درست) وهو اشد مبالغة في الامحاء وقيل (درست) على ما لم يسم فاعله . والمعاني متقاربة غير ان هذين لم يقرأ بهما احد من المعروفين . وفي قراءة عبد الله (درس) اي ليقولوا درس محمد . قال ابو زيد : درست ادرس دراسة وهي القراءة . وانما يقال ذلك اذا قرأت على غيرك . قال الأصمعي انشدني ابن ميادة :

يكفيك من بعض ازديار الآفاق سمراء مما درس ابن مخراق (١)

يقال درس يدرس مثل داس يدوس . قال وقال بعضهم سمراء ناقته ودرسها رياضها قال ودرس السورة من هذا اي يدرسها لتخف على لسانه والدريس الثوب الخلق واصل الدرس استمرار التلاوة .

وقال ابو علي النحوي من قرأ «دارست» معناه اهل الكتاب وذاكرتهم ، قال وقد يحذف الألف في مثل هذا في المصحف . قال ويقوي ذلك قوله « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » (٢) وقالوا « ان هذا الا افك افتراه واعانه

---

(١) فى المخطوطة الراء بدل التاء فى الثلاث مواضع

(٢) اللسان « سمر » قيل السمراء الحنطة درسها دارس . وقيل السمراء ناقة . ودرس : راض

(٣) سورة الفرقان آية ٥

عليه قوم آخرون » (١) ومن قرأ درست قال لان ابياً وابن مسعود قرأا به فاسندا الفعل فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب ومعناه درست فتعلمت من اهل الكتاب . وقال المغربي درست معناه علمت كما قال « ودرسوا ما فيه » (٢) اي علموه فعلى هذا يكون اللام لام الغرض كأنه قال فعلنا ذلك ليقولوا علمت .

ووجه قراءة ابن عامر انه ذهب الى الدرس الذي هو تعفية الأثر وامحاء الرسم . واللام من قوله « وليقولوا درست » على ضربن :

من قال درست بلا الف ، فالمعنى لكراهة ان يقولوا او لئلا يقولوا درست ، كما قال « يبين الله لكم ان تضلوا » (٣) ومعناه لئلا تضلوا وكراهة ان تضلوا والمعنى انى فصلت الآيات واحكمتها لئلا يقولوا انها اخبار قد تقدمت وطال العهد بها وباد من كان يعرفها ، كما قالوا « اساطير الاولين » لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فاذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن موضع طعن .

والثـــاني - ليقولوا درست ذلك بحضرتنا اي ليقرؤا بورود الآية عليهم فتقوم الحجة عليهم .

وقال الزجاج اللام لام العاقبة ومن قرأ دارسـت فاللام على قوله كالتي في قوله « ليكون لهم عدواً وحزناً » (٤) ولم يلتقطوه لذلك لكن كان عاقبته كذلك كما انه تعالى لم يفصل الآيات ليقولوا دارسـت ودرست . لكن لما قالوا ذلك اطـلق ذلك عليه اتساعاً .

وموضع الكاف في وكذلك نصب لان المعنى نصرف الآيات في غير هذه السورة مثل التصريف في هذه السورة فهو في موضع صفة المصدر كأنه قال تصريفاً مثل

---

(١) سورة الفرقان آية ٤
(٢) سورة الاعراف آية ١٦٨
(٣) سورة النساء آية ١٧٥
(٤) سورة القصص آية ٨

هذا التصريف . قال الرماني والتصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة .

وقال الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس وسعيد بن جبير (دارست) اي ذاكرت اهل الكتابين وقارأتهم ، وقوله « ولنبينه لقوم يعلمون » معناه لنبين الذي هذه الآيات دالة عليه لقوم يعلمون ما نورده عليهم من هذه الآيات ويعقلون ذلك وهم الذين يلزمهم الاستدلال بذلك على الله وعلى صحة دينه

وقال قوم « ليقولوا درست » معناه التهديد كما يقول القائل قل لفلان يوفينا حقنا وليصنع ما شاء وقل للناس الحق وليقولوا ما شاؤا اي ذلك لا يضرك ولان ضرره يعود عليهم من العقاب والذم .

قوله تعالى :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٦)

امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يتبع ما اوحى اليه من ربه ، والاتباع هو ان يتصرف الثاني بتصريف الاول ، والنبي (ص) كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فلذلك كان متبعاً وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس من جهة يخفى وانما اعاد قول « لا إله الا هو » لان المعنى ادعهم الى انه لا إله الا هو ، فعلى هذا ليس بتكرار ، هذا قول الحسن وقال الجبائي لانه بمعنى الزمه وحده وقال غيره لان معناه اتبع ما اوحي اليك من أنه لا إله الا هو .

وقوله « واعرض عن المشركين » امر للنبي (ص) بالاعراض عن المشركين ، ولا

ينافي ذلك امره اياه بدعائهم الى الحق وقتالهم على مخالفتهم لامرين :

احدهما - انه أمره بالاعراض عنهم على وجه الاستجهال لهم فيما اعتقدوه من الاشراك بربهم .

الثاني - قال ابن عباس : نسخ ذلك بقوله « اقتلوا المشركين » واصل الاعراض هو الانصراف بالوجه الى جهة العرض . والعرض خلاف الطول ومنه واعرضت اليمامة اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه العارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشيء بحاجز عنه عرضاً ، ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض. ثم لا يلبث . وحد ايضاً بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر

قوله تعالى :

﴿ ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل ﴾ (١٠٧) آية

ان قيل كيف قال تعالى « ولو شاء الله ما اشركوا » والمشيئة لا تتعلق إلا بفعل يصح حدوثه ولا تتعلق بأن لا يكون الشيء ؟

قلنا : التقدير لو شاء الله ان يكونوا على غير الشرك قسراً ما اشركوا فتعلق المشيئة محذوف ، فمراد هذه المشيئة حالهم التي تنافي الشرك قسراً بالاقتطاع عن الشرك عجزاً أو منعاً او الجاء . وانما لا يشاء الله هذه الحال ، ، لأنها تنافي التكليف . وانما لم يمنع العاصي من المعصية لأنه انما اتى بها من قبل نفسه ، والله تعالى فعل به جميع ما فعل بالمطيع من ازاحة العلة ، فاذا لم يطع وعصى كانت الحجة عليه . وربما كان في بقائه لطف لمؤمن فيجب تبقيته . وليس لأحد ان يقول الآية دالة على انه تعالى لم يرد هدايتهم لأنه لو اراد ذلك لاهتدوا ، وذلك انه لو لم يرد أن يهتدوا لم يكونوا عصاة بمخالفة

الاهتداء لأن العاصي هو الذي خالف ما اريد منه ، ولما صح أمرهم ايضاً بالاهتداء.

والفرق بين الحفيظ والوكيل هو ان الحفيظ يحفظهم من ان يزلوا عنه لهم ، والوكيل القيم بأمورهم في مصالحهم لدينهم او دنياهم حتى يلطف لهم في تناول ما يجب عليهم ، فليس بحفيظ في ذاك ولا وكيل في هذا ، فلذلك قال تعالى انه لم يجعل نبيه حفيظاً ولا جعله وكيلاً عليهم ، بل الله تعالى هو الرقيب الحافظ عليهم والمتكفل بأرزاقهم. وانما النبي (ص) مبلغ منذر ومخوف . وقيل ان ذلك كان بمكة قبل ان يؤمر بالقتال .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٨) آية بلاخلاف .

القراءة واللغة :

قرأ الحسن ويعقوب « عدوّاً » بضم العين والدال وتشديد الواو . الباقون بفتح العين وسكون الدال . واصل ذلك من العدوان . وعدواً مخففاً وعدواً لغتان ، يقال عدا علي عدواً وعدواناً وعداءاً اذا ظلم مثل : ضرب ضرباً . وعدا فلان على فلان اي ظلمه . والاعتداء افتعال من عدا .

المعنى والنزول :

نهى الله تعالى المؤمنين ان يسبوا الذين يدعون من دون الله . والسب الذكر بالقبيح ومثله الشتم والذم وهو الطعن فيه بمعنى قبيح ، كما يطعن فيه بالسنان ، واصله السبب فهو تسبب الى ذكره بالعيب .

والمعنى في الآية لا تخرجوا فى مجادلتهم ودعائهم الى الايمان ومحاجتهم الى ان [تسبوا ما يعبدونه من دون الله فان ذلك ليس من الحجاج في شيء وهو ايضا يدعوهم الى ان يعارضوكم ويسبوا](١) الله بجهلهم وحميتهم [فانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون وهم ايضاً لا يتقونكم لان الدار](٢) دارهم ولم يؤذن لكم في القتال

وكان سبب نزول الآية - في قول الحسن - ان المسلمين كانوا يسبون آلهة المشركين من الاوثان ، فاذا سبوها يسب المشركون الله تعالى ، فانزل الله تعالى الآية وقال ابو جهل والله يا محمد لتتركوا سب آلهتنا او لنسبن إلهك الذي بعثك ، فنزلت الآية ، وفي ذلك دلالة على ان المحق يلزمه الكف عن سب السفهاء الذين يسرعون الى سبه مقابلة له ، لانه بمنزلة البعث على المعصية والمعسدة فيها . وانما قال « يدعون من دون الله » بمعنى يعبدون لأن معناه يدعونه إلها فلما قال « من دون الله » وهو من صفة الكفار دل على هذا المعنى فحذف اختصاراً . وانما قال من دون الله مع انهم كانوا يشركون في العبادة بين الله وبين الاصنام لأمرين :

احدهما - ان ما وجهوه من العبادة الى الاوثان انما هو عبادة لها لا لله وليس كالتوجه الى القبلة عبادة لله .

والثاني - ان ذلك غير معتد به ، لانهم اوقعوا العبادة على خلاف الوجه المأمور به فما اطاعوا الله بحال .

وقوله « كذلك زينا لكل أمة عملهم » قيل في معناه أربعة أقوال :

احدها - قال الحسن والجبائي والطبري والرماني : انا كما أمرناكم بحسن الدعاء الى الله تعالى وتزيين الحق في قلوب المدعوين كذلك زينا للأمم المتقدمين أعمالهم التي أمرناهم بها ودعوناهم اليها بأن رغبناهم في الثواب وحذرناهم من العقاب ويسمى

(١ - ٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

ما يجب على الانسان ان يعمله بأنه عمله كما يقول القائل لولده او غلامه اعمل عملك يريد به ما ينبغي له ان يفعله لان ما وجد وتقضى لا يصح الامر بأن يفعله .

الثاني – زينا الحجة الداعية اليها والشبهة التي من كمال العقل ان يكون المكلف عليها ، لانه متى لم يفعل معنى الشبهة لم يكن عاقلا

الثالث – التزيين المراد به ميل الطبع الى الشيء فهو الى الحسن ليفعل والى القبيح ليجتنب .

والرابع – ذكره البلخي أيضاً وهو ان المعنى إن الله زين لكل أمة عملهم من تعظيم من خلقهم ورزقهم وانعم عليهم والمحامات عنه وعداوة من عاداه طاعة له فلما كان المشركون يظنون شركاءهم هم الذين يفعلون ذلك اوانهم يقربونهم الى الله زلفى ، حاموا عنهم وتعصبوا لهم وعارضوا من شتمهم بشتم من يعز عليهم ، فهم لم يعدوا فيما صنعوا ما زينه الله لهم في الجملة لكن غلطوا وقصدوا بذلك من لم يجب ان يقصدوه فكفروا وضلوا .

وقوله « عدوا » نصب على المصدر وقرئ « عدوا » والمعنى جماعة يعني اعداء وعلى هذا يكون نصباً على الحال

قوله تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٩)

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وابو بكر إلا يحيى ونصير وخلف « وما يشعركم أنها » بكسر الهمزة . الباقون بفتحها

وقرأ ابن عامر وحمزة « لا تؤمنون » بالتاء . الباقون بالياء .

(ما) في قوله « وما يشعركم » استفهام وفاعل يشعركم ضمير (ما) ولا يجوز أن يكون نفياً لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل ، ولا يجوز أن يكون نصباً ويكون الفاعل ضمير اسم الله ، لان التقدير يصير ومايشعركم الله انتفاء ايمانهم ، وهذا ليس بصحيح ، لان الله قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله « ولو انزلنا اليهم الملائكة ... » فالمعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت الآيات فحذف المفعول وتقديره ومايدريكم ايمانهم اذا جاءت اي هم لا يؤمنون مع مجيء الآية ، ومن كسر الالف فلأنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ، ولو فتحت بـ (يشعركم) كان عدواً لهم ، ويجوز فتحها على وجهين : الاول قال الخليل بمعنى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون كما يقول القائل إئت السوق انك تشتري لنا شيئاً معناه لعلك . قال عدي بن زيد :

أعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم اوفي ضحى الغد (١)

وقال دريد بن الصمة :

ذريني اطوف في البلاد لانني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا (٢)

وقال آخر :

هل انتم عائجون بنا لانا نرى العرصات او اثر الخيام (٣)

---

(١) جمهرة اشعار العرب ١٠٣ واللسان (أنن) وتفسير الطبري ١٢ : ٤١

(٢) وينسب هذا البيت الى اخي الاسود بن يعفر من بني نهشل كما في الطبري ٣ : ٧٨ . وغيره . وهو في الشعر والشعراء ٢٠١ ، ٢١١ ومجاز القرآن ١ : ٥٥ وخزانة الأدب ١ : ١٩٥ وقد نسبه الطبري في ١٢ : ٤٢ الى دريد بن الصمة . وقد نسب ايضا لحاتم الطائي ، ولمعن بن اوس وغيرهم ، وهو في اللسان (انن)

(٣) قائله جرير ، مجمع البيان (صيدا) ٢ : ٣٤٨ واللسان (انن)

وقال الفراء إنهم يقولون : لعلك ولعنك ورعنك وعلك ورأنك ولأنك بمعنى واحد .

وقال ابو النجم :

قلت لشيبان ادن من لقائه انا نغدى اليوم من شوائه (١)

الثاني ـ قال الفراء (لا) ههنا صلة كقوله « ما منعك ان لا تسجد اذ أمرتك » (٢) والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . والمعنى على هذا لو جاءت لم يؤمنوا ومثل زيادة (لا) قول الشاعر :

ابا جوده لا النجل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود فاعله (٣)

بنصب النجل وجره فمن نصب جعلها زيادة ، وتقديره أبا جوده النجل ومن جره اضاف (لا) الى النجل ومثله قوله تعالى « وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون » (٤) وهو يحتمل إمرين :

احدهما — ان تكون (لا) زائدة و (أن) في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو (حرام) وتقديره وحرام على قرية مهلكة رجوعهم ، كما قال «فلا يستطعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون » (٥)

والثاني — ان تكون (لا) غير زائدة بل تكون متصلة بأهلكنا، والتقدير بأنهم لا يرجعون اي اهلكناهم بالاستئصال لانهم لا يرجعون الى اهليهم للاستئصال الواقع

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة ٣٩٣ وخزانة الادب ٣ : ٩٥١ وروايتهما (كما) بدل (انا) والطبرى ١٢ : ٤٣

(٢) سورة الاعراف آية

(٣) مجمع البيان (صيدا) ٣٤٩٢

(٤) سورة الانبياء آية ٩٥ (٥) سورة يس آية ٥٠

بهم . وخبر الابتدا محذوف وتقديره وحرام على قرية اهلكناها بالاستئصال بقاؤهم أو حياتهم ونحو ذلك

ومن قرأ (يؤمنون) بالياء فلان قوله « واقسموا » انما يراد به قوم مخصوصون بدلالة « ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة . . . » الآيه وليس كل الناس بهذا الوصف ، فالمعنى وما يشعركم ايها المؤمنون لعلهم اذا جاءت الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا .

ومن قرأ بالتاء فانه انصرف من الغيبة الى الخطاب ويكون المراد بالمخاطبين في « يؤمنون » هم القوم المقسمون الذين اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون ، ومثله قوله « الحمد لله » ثم قال « اياك نعبد » ونحو ذلك مما ينصرف فيه الى خطاب بعد الغيبة .

وقوله « جهد ايمانهم » اي اجتهدوا في اليمين وبالغوا فيه

والآية التي سألوا النبي (ص) اظهارها قيل فيها قولان :

احدهما - ان سألوا تحول الصفا ذهباً .

الثاني - ما ذكره في موضع آخر من قوله « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً » الى قوله « كتاباً نقرؤه » (١) والمعنى ان هؤلاء الكفار اقسموا متحكمين على النبي (ص) وبالغوا في ايمانهم انهم اذا جاءتهم الآية التي اقترحوها ليؤمنن بها اي عندها فأمر الله نبيه (ص) أن يقول لهم انما الآيات عند الله .

فان قيل كيف قال « الآيات عند الله » وذلك معلوم ؟

قيل : معناه من اجل ان الآيات عند الله ليس لكم ان تتحكموا في طلبها ، لانه لا يجوز ان يتخلف عنكم ولا عن غيركم ما فيه المصلحة في الدين ، لانه تعالى لا يخل بذلك .

---

(١) سورة الاسرى آية ٩ — ٩٤

قوله « وما يشعركم » فيه تنبيه على موضع الحجة عليهم من انه ليس لهم ان يدعوا ما لاسبيل لهم الى علمه . وقال مجاهد وابن زيد الخطاب متوجه الى المشركين وقال الفراء وغيره : هو متوجه الى المؤمنين ، لأنهم قالوا ظناً منهم انهم لو اجيبوا الى الآيات لآمنوا .

قوله تعالى :

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١٠) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى انه يقلب الله افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قيل قولان :

قال ابو علي الجبائي : انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر ، وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة ، كما قال « هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية » (١) لان قوله « وجوه يومئذ خاشعة » يعني في الآخرة ، و « عاملة ناصبة » في الدنيا .

الثاني ـ انه يقلبها بالحسرة التي تغم وتزعج النفس .

وقوله « كما لم يؤمنوا به اول مرة » قيل فيه قولان :

احدهما — اول مرة انزلت الايات ، فهم لا يؤمنوا ثاني مرة بما طلبوا من الآيات كما لم يؤمنوا اول مرة بما انزل من الآيات وهو قول ابن عباس وابن زيد ومجاهد .

الثاني — روي ايضاً عن ابن عباس يعني اول مرة في الدنيا وكذلك لو اعيدوا ثانية ، كما قال تعالى « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » (٢)

(١) سورة الغاشية آية ١ - ٤ (٢) سورة الانعام آية ٢٨

و الكاف في قوله « كما لم يؤمنوا به أول مرة » قيل فيه قولان :

أحدهما - انها دخلت على محذوف كأنه قيل فلا يؤمنون به ثاني مرة كما لم يؤمنوا به أول مرة .

والثاني - انها دخلت على معنى الجزاء كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١)

والهاء في قوله « به » يحتمل أن تكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات. ويحتمل أن تكون عائدة على النبي (ص) وقال بعضهم انها عائدة على التقليب لانه الحائل بينهم وبين الايمان .

وهذا خطأ لانه لو حيل بينهم وبين الايمان لما كانوا مأمورين به و لأن تقليب الابصار لا يمنع من الايمان كما لا يمنع الاعمى عماه من الايمان .

وقوله « ونذرهم في طغيانهم يعمهون » لا يدل على أنه تركهم فيه ليطغوا، لانه انما أراد أنه خلى بينهم وبين اختيارهم و ان لم يرد منهم الطغيان كما أن الأئمة والصالحين اذا خلوا بين اليهود و النصارى في دخولهم كنائسهم لا يدل على أنهم خلوهم ليكفروا .

وقال الحسين بن علي المغربي قوله « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » معنـــاه انا نحيط علماً بذات الصدور ، وخائنة الاعين - وهو حشو بين الجملتين - وهو أن يختبر قلوبهم فيجد باطنها بخلاف الظاهر .

قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

(١) سورة الشورى آية ٤٠.

الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ (١١١) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر ونافع وابو جعفر « قبلا » بكسر القاف و فتح الباء . الباقون بضمها ، قال ابو زيد : يقال لقيت فلاناً قبلا وقبلا وقبلا وقبيلا ومقابلة كله بمعنى المواجهة فعلى هذا المعنى واحد في اختلاف القراءات .

وقال ابوعبيدة « قِبلا » اي معاينة فعلى هذا من كسر القاف و فتح الباء اراد معناه عياناً ومن قرأ بالضم فيها قيل في معناه ثلاثة أقوال :

احدها - قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : معنا ه مقابلة .

الثاني - قال مجاهد وعبد الله بن زيد : ان معناه قبيلا قبيلا اي جماعة جماعة فيكون جمع قبيل . وقبيل جمع قبيلة نحو سفين وسفينة ويجمع أيضاً سفناً .

الثالث - قال الفراء انه جمع قبيل بمعنى كفيل نحو رغيف ورغف لقوله « او تأتي بالله والملائكة قبيلا » أي يضمنون ذلك .

قال أبو علي الفارسي وهذا الوجه ضعيف لأنهم اذا لم يؤمنوا مع إنزال الملائكة عليهم وكلام الموتى لهم مع ظهوره وبهوره ومشـــاهدته والضرورة اليه فألاّ يؤمنوا بالمقالة التي هي قول لا يبهر ولا يضطر احد اللهم الا أن يقال موضع الآية الباهرة أنه جمع القبيل الذي هو الكفيل هو حشر كل شيء ، وفي الاشياء المحشورة ما ينطق وما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة من لا ينطق كان ذلك موضع بهر الآية ، وكان ذلك قوياً .

فأما اذا حملت قوله « قبلا » على جمع القبيل الذي هو الصنف فان موضع الآيات هو حشر جميع الاشياء جنساً جنساً وليس في العادة أن يحشر جميع الاشياء الى موضع واحد فاذا اجتمعت كذلك كان ذلك باهراً واذا حملت قبلا بمعنى مواجهة

فانه يكون حالا من المفعول به والمعنى حشرناه معاينة ومواجهة ، فيكون في معنى قراءة نافع قبلا اي معاينة.

فأما قوله « العذاب قبلا » فمعناه مواجهة أو جمع قبيل . والمعنى يأتيهم العذاب صنفاً صنفاً .

وقيل فيمن نزلت هذه الآية قولان :

احدهما - قال ابن عباس : نزلت في الكفار أهل الشقاء الذين علم الله أنهم لا يؤمنون على حال .

الثاني - قال ابن جريج نزلت في المستهزئين الذين سألوا الآيات .

أخبر الله تعالى بهذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين سألوا الآيات وعلم من حالهم أنهم لا يؤمنون ولوفعل بهم ما فعل حتى لو أنزل عليهم الملائكة وكلمهم الموتى بأن يحييهم الله حتى يكلموهم وحشر عليهم كل شيء قبلا على المعنى الذي فسرناه مع ظهور خرق العادة فيه والمعجزة الباهرة فيه لم يؤمنوا لشدة عنادهم وعتوهم في كفرهم . ثم قال « إلا أن يشاء الله » ومعناه احد امرين :

احدهما - قال الحسن الا أن يشاء الله أن يجبرهم على الايمان بأن يمنعهم من اضداد الايمان كلها فيقع منهم الايمان .

الثاني - قال ابو علي الجبائي الا ان يشاء الله أن يلجئهم بأن يخلق فيهم العلم الضروري بانهم ان راموا خلافه منعوا منه كما ان الانسان ملجأ الى ترك قتل بعض الملوك بمثل هذا العلم . وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قد شاء منهم الايمان على وجه الاختيار لانه امرهم به و كلفهم إياه وذلك لا يتم الا بأن يشاء منهم الايمان ولو اراد الله من الكافر الكفر للزم ان يكونوا مطيعين اذا كفروا لأن الطاعة هي فعل ما أريد من المكلف . وللزم ايضاً ان يصح ان يأمرهم به . ولجاز ان يأمرنا بأن نريد

منهم الكفر كما اراده هو تعالى .

وفي الآية دلالة على أن ارادة الله محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك لانها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء كما لا يجوز أن يقول القائل لا يدخل زيد الدار الا ان يقدر الله أو الا ان يعلم الله لحصول هذه الصفات فيما لم يزل .

وقوله « ولكن اكثرهم يجهلون » انما وصف اكثرهم بالجهل مع ان الجهل يعمهم لأن المعنى يجهلون أنه لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعاً . وفي الآية دلالة على انه لو علم الله انه لو فعل بهم من الآيات ما اقترحوها لآمنوا انه كان يفعل ذلك بهم و انه يجب في حكمته ذلك لانه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج معنى . وتعليله بأنه انما لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا ، وذلك يبين ايضاً فساد قول من يقول : يجوز ان يكون في معلوم الله ما اذا فعله بالكافر آمن لانه لو كان ذلك معلوماً لفعله ولآمنوا والأمر بخلافه .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢) آية.

التشبيه في قوله « وكذلك » يحتمل ان يرجع الى احد امرين :

احدهما – ان يكون تقديره جعلنا لك عدوّاً كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء.

الثاني – جعلنا تمكين من يعادي الأنبياء وتخليتنا بينهم وبين اختيارهم كتمكين غيرهم من السفهاء .

وإنما جعلهم اعداء على احد معنيين :

أحدهما - بأن حكم بأنهم اعداء ، وهو قول ابى علي

الثاني - بأن خلى بينهم وبين اختيارهم ولم يمنعهم من العداوة .

ويجوز ان يكون المراد بذلك أن الله تعالى لما أنعم على انبيائه بضروب النعم وبعثهم الى خلقه وشرفهم بذلك حسدهم على ذلك خلق وعادوهم عليه فجاز أن يقال على مجاز القول بأن الله جعل لهم اعداء كما يقول القائل اذا أنعم على غيره بنعم جزيلة فحسده عليها قوم وعادوه لأجلها جعلت لك اعداء .

وقيل المعنى أمرنا الانبياء بمعاداتهم فكأنا جعلناهم اعداء الانبياء .

وهذا القول من الله تعالى تسلية للنبي (عليه السلام) في أنه اجراه مجرى غيره من الانبياء ، ولا يجوز على قياس ذلك أن يقول جعلنا للكافر كفراً لان فيه ايهاماً .

وقوله « شياطين الانس والجن » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه أراد مردة الكفار من الفريقين الانس والجن ، وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد .

الثاني - قال السدي وعكرمة : شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد إبليس .

ويحتمل نصب (عدواً) وجهين : أحدهما - على انه مفعول (جعلنا) وشياطين الانس بدل منه . الثاني - على انه خبر (جعلنا) في الاصل و يكون هنا مفعول (جعلنا) كأنه قال جعلنا شياطين الانس والجن عدواً .

و قوله « يوحي بعضهم الى بعض » معناه يلقي اليه بكلام خفي و هو

الدعاء والوسوسة.

وقوله « زخرف القول » معناه هو المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه « غروراً » نصب على المصدر .

ثم اخبر الله تعالى انه لوشاء ربك أن يمنعهم من ذلك ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك لكن ذلك ينافي التكليف ، ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه. ثم أمر نبيه (ص) ان يتركهم وما يفترون اي وما يكذبون بأن يخلي بينهم وبين ما يختارونه ولا يمنعهم منه بالقهر ، فان الله تعالى سيجازيهم على ذلك . وهو تهديد لهم كقوله «اعملوا ما شئتم» دون أن يكون ذلك أمراً واجباً اوندباً او إباحة كما يقول القائل لصاحبه دعني وإياه وبريد بذلك التهديد لا غير .

وروي عن ابي جعفر (ع) في معنى قوله « يوحي بعضهم الى بعض » ان الشياطين يلقي بعضهم بعضاً فيلقى اليه مايغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض.

قوله تعالى :

﴿ وَلِتَصغىٰ إِلَيهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرضَوهُ وَلِيَقتَرِفُوا ما هُم مُقتَرِفُونَ ﴾ (١١٣) آية بلا خلاف .

العامل في قوله « ولتصغي » قوله « يوحي » وهي لام الغرض و تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم ولتصغى إليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وتكون الهاء في قوله « اليه » عائدة الى القول المزخرف و لا يجوز ان يكون العامل فيها جعلنا ، لأن الله تعالى لا يجوز ان يريد منهم ان تصغى قلوبهم الى الكفر ووحي الشياطين اللهم إلا ان يجعلها لام العاقبة ، كما قال « فالتقطه آل فرعون

ليكون لهم عدوّاً وحزناً » (١) غير أن هذا غير معلوم أن كل من ارادوا منه الصغو صغى ولم يصح ذلك ايضاً في قوله « وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » لانه غير معلوم حصول جميع ذلك .

وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفاً بعضه على بعض ويكون مراداً كله للشياطين. وقال الجبائي ان هذه لام الامر، والمراد بها التهديد ، كما قال « واستفزز » (٢) وقال « اعملوا ما شئتم » (٣) قال لان علامة النصب والجزم تتفق في سقوط النون في قوله « وليرضوه وليقترفوا » وهذا غير صحيح ، لأنها لو كانت لام الامر لقال ولتصغ بحذف الالف وماقاله إنما يمكن ان يقال في قوله « وليرضوه وليقترفوا » فأما في قوله « ولتصغى » فلا يمكن فبان بذلك انها لام كي .

وقال الزجاج والبلخي : اللام في « ولتصغى » لام العاقبة وما بعده لام الامر الذي يراد به التهديد ، وهذا جائز غير ان فيه تعسفاً . ومعنى صغا مال و« لتصغى » اي لتميل وهو قول ابن عباس وابن زيد تقول : صغوت اليه اصغى صغواً وصغواً وصغيت اصغي بالياء ايضاً واصغيت اليه اصغاء بمعنى قول الشاعر :

ترى الصفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه إصغاء (٤)

ويقال اصغيت الاناء اذا أملته لتجمع ما فيه فاصله الميل لغرض من الاغراض.

وقوله « وليقترفوا » عطف على « ولتصغى » و الاقتراف اكتساب الاثم ، ومعناه وليكتسبوا الاثم في قول ابن عباس وابن زيد والسدي و يقال خرج يقترف لأهله اي يكتسب لهم . وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفتني بما ادعيت علي اي رميتني بالريبة وقرف القرحة اي اقشر منها واقترف كذباً قال رؤبة :

---

(١) سورة القصص آية ٨ . (٢) سورة الأسرى آية ٦٤

(٣) سورة حم السجدة آية ٤٠

(٤) اللسان (صغا) وتفسير القرطبى ٧ : ٦٩ وتفسير الطبرى ١٢ : ٥٨

اعيا اقتراف الكذب المقروف يقوي البغي وعفة العفيف (١)

واصله اقتطاع قطعة من الشيء ولام كي تنصب باضمار (ان) مثل حتى غير انها قد تظهر مع اللام ولا تظهر مع حتى لأن حتى محمولة على التأويل و معناها (الى ان) لما في (حتى) من الاشتراك . وليس في اللام حمل على تأويل حرف آخر . وقال البلخي : الافتراف الادعاء و التهمة يقول الرجل لغيره انت قرفتني اي نسبتني الى التهم .

قوله تعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١١٤)

آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحفص «نزل» بتشديد الزاي الباقون بالتخفيف .

من شدد حمله على التكرير بدلالة قوله « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم »

ومن خفف فلقوله « إنا انزلناه في ليلة مباركة » وما اشبهها .

امر الله تعالى نبيه ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم « أفغير الله أبتغي حكماً » اي اطلب سوى الله حاكماً ، ونصب افغير الله بفعل مقدر يفسره ابتغي تقديره أأبتغي غير الله ابتغي حكماً و الحكم و الحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم هو من كان اهلا ان يتحاكم اليه فهو امدح من الحاكم . والحاكم جار على الفعل و قد يحكم الحاكم بغير الحق . والحكم لا يقضي الا بالحق لانه صفة مدح وتعظيم .

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٠٥ وتفسير الطبري ١٢ : ٥٩ .

والمعنى هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله رغبة عنه لانه لا يرضى به أو هل يجوز مع حكم الله حكم يساويه في حكمه ؟!

وقوله « وهو الذي » يعني الله الذي « أنزل اليكم الكتاب مفصلا » وإنما مدح الكتاب بأنه مفصل ، لان التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى ، وينفي أيضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد . وانما فصل القرآن بالآيات التي تفصل المعاني بعضها من بعض وتخليص الدلائل في كل فن .

وقيل معنى (مفصلا) اي بما يفصل بين الصادق والكاذب من أمور الدين.

وقيل فصل فيه الحرام من الحلال والكفر من الايمان والهدى من الضلال — في قول الحسن —

وقوله « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق » لايجوز أن يكون على عمومه ، لأن كثيرا من أهل الكتاب ، بل أكثرهم جهال لا يعرفون .

وقوله « اهل الكتاب » قد يستعمل تارة بمعنى العلم ، وبمعنى الاقرار أخرى ، كما يقال للعلماء بالقرآن أهل القرآن . ويقال لجميع المسلمين : أهل القرآن بمعنى أنهم مقرون به .

وقوله « يعلمون انه منزل من ربك بالحق » قيل في معناه قولان :

احدهما - يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك مما فيه كله بهذه الصفة .

والثاني - ان معنى « بالحق » البرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به .

فان قيل كيف يصح على اصلكم في الموافاة ونفي الاحباط وصف الكفار بأنهم يعلمون الحق وذلك مما يستحق به الثواب ولا خلاف ان الكافر لا ثواب معه ؟! .

قلنا عنه جوابان : احدهما - ان تكون الآية مخصوصة بمن آمن منهم في المستقبل ، فانا نجوز ان يكونوا في الحال عالمين بالله وبأن القرآن حق ثم يظهرون

الاسلام فيما بعد فيتكامل الايمان ، لان الايمان لا يحصل دفعة واحدة بل يحصل جزءاً فجزءاً لان اوله العلم بحدوث الاجسام . ثم ان لها محدثاً . ثم العلم بصفاته ولا يجوز عليه وما لا يجوز ثم العلم بالثواب والعقاب وما يتبعها وذلك يحصل في أوقات كثيرة .

والثاني — ان يكونوا علموه على وجه لا يستحقون به الثواب لانهم يكونون نظروا فى الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم بل لغير ذلك فحصل لهم العلم وإن لم يستحقوا به ثواباً .

ويحتمل ان يكون المراد بذلك انهم يعلمون عندا نفسهم ، لانهم اذا كانوا معتقدين بصحة التوراة وانها من عند الله ، وفيها دلالة على صحة نبوة النبي (ص) وهم يدعون ان أعتقادهم علم ، فهم إذاً على قولهم عالمون بان القرآن منزل من ربك بالحق.

ويحتمل ان يكون المراد بقوله « الذين آتيناهم الكتاب » المؤمنين المسلمين دون أهل الكتاب ويكون المراد بالكتاب القرآن لأنا قد بينا ان الله سماه كتابا بقوله « الركتاب احكمت » (١) وبقوله « هو الذي انزل عليك الكتاب » (٢) فعلى هذا سقط السؤال لان هذه صفة المؤمنين المستحقين للثواب .

وقوله « فلا تكونن من الممترين » معناه لاتكونن من الشاكين . والامتراء الشك وكذلك المرية ويكون الخطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة .

وقيل المراد بذلك « فلا تكونن من الممترين » يامحمد في أنهم يعلمون ان ذلك من ربك بالحق .

قوله تعالى :

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ

(١) سورة هود آية ١ (٢) سورة آل عمران آية ٧

السَّميعُ الْعليمُ ﴾ (١١٥) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة ويعقوب « كلمة » على التوحيد . الباقون « كلمات » جمع كلمة والكلمة والكلمات ماذكره الله من وعده ووعيده وثوابه وعقابه، فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال « مايبدل القول لدي » (١) ، وقال « لا تبديل لكلمات الله » (٢) وكان التقدير وتمت ذوات الكلمات ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرائع ههنا كما عنى بقوله « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن (٣) وقوله « وصدقت بكلمات ربها » (٤) لأنه قال لامبدل لكلماته . والشرائع يدخلها النسخ . وقوله « صدقا وعدلا » مصدران ينتصبان في موضع الحال من الكلمة وتقديره صادقة عادلة ، وقال قوم هما نصبا على التمييز فمن قرأ (كلمات) فلانه لما كان جمعاً في المعنى جمعه .

ومن أفرد فلأن الكلمة قد يعنى بها الكثرة ، كما قالوا : قال : زهير فى كلمته يعني في قصيدته وقال قس في كلمته يعني في خطبته ، فالمفرد يقع على الكثرة فاغنى عن الجمع ومثله « وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل (٥) .

وقيل انه اراد به بقوله « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا » الى آخر الآية (٦) فسمى هذا القصص كلمة .

وقال مجاهد في قوله « كلمة التقوى » (٧) قول لا إله الا الله . ومعنى « وتمت كلمات ربك » انها بتمامها موافقة لما توجبه المصلحة من غير زيادة ولا نقصان .

والتمام والكمال والاستيفاء نظائر . وان جميعه صدق لا كذب فيه ، كما يقال كمل فلان إذا تمت محاسنه .

---

(١) سورة ق آية ٢٩ (٢) سورة يونس آية ٦٤ (٣) سورة البقرة آية ١٢٤
(٤) سورة التحريم آية ١٢ (٥) سورة الاعراف آية ١٣٦
(٦) سورة القصص آية ٥ (٧) سورة الفتح آية ٢٦

وفي الآية دلالة على أن كلام الله محدث لأنه وصفه بالتمام والعدل وذلك لا يكون الا حادثا . والتبديل وضع شيء مكان شيء فلا أحد يقدر أن يضع حقاً مكان كلمة الله يناقضها به .

وقال قتادة : لا مبدل لها فيما حكم به ، لأنه وان أمكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بدل أهل الكتاب التوراة والانجيل ، فانه لا يعتد بذلك لانه لا يقلبه بحق ينقضه ويجوز ان يكون المراد بقوله «وتمت كلمات ربك» انها اتتك شيئاً بعد شيء حتى كملت.

وقوله « وهو السميع العليم » معناه انه على صفة يجب أن يسمع المسموعات اذا وجدت عالم بما يكون ظاهراً وباطناً ، فلا يظن ظان أن شيئاً من ذلك يخفى عليه تعالى .

قوله تعالى

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ ﴿ ١١٦ ﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله لنبيه ولجميع المؤمنين انه (١) (من) يطع أكثر من في الارض من الكفار ويتبع ما يريدونه يضلوه عن سبيل الله ، لأنه كان في ذلك الوقت أكثر أهل الارض كفاراً .

والطاعة هي امتثال الأمر واجابة ما أريد منه اذا كان المريد فوقه ، والفرق بينه وبين الاجابة أن الاجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا تكون اجابة الا بان يفعل لموافقة الدعاء بالأمر ومن أجله لا يراعى فيها الرتبة .

والفرق بين الاكثر والاعظم أن الأعظم قد يوصف به واحد ، ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ، ولهذا يقال في الله تعالى أنه عظيم وأعظم من كل شيء ، ولا يقال أكثر . وإنما يقال أكبر بمعنى أعظم .

(١) في المطبوعة ﴿ إن ﴾ بدل « من »

وإنما قال ان تطعهم يضلوك وان كانت البدأة بالأغواء منهم لامرين :

احدهما - ان المطيع يبتدأ باستشعار الطاعة فاذا كان من الداعي امر بشيء من الاشياء كان اطاعة وصدق بانه مطيع .

والثاني - ان دعاءهم لايوصف بأنه اضلال لمن دعوه الا بعد الاجابة ، فكأنه قال ان تجبهم تستحق الصفة بأنهم قد أضلوك . ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم لايتبعون الا الظن الذي يخطيء ويصيب « وانهم لايخرصون » ومعناه وماهم الا كاذبين . والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصاً وخروصاً وتخرص تخرصاً واخترص اختراصاً وأصله القطع قال الشاعر :

ترى قصد المران تلقى كأنها تذرع خرصان بأيدي الشواطب (١)

يعني جريدا يقطع طويلا ويتخذ منه الحصر ، وهو جمع الخرص . ومنه خرص النخل يخرصه خرصاً إذا جزره ، والخريص الخليج ينقطع اليه الماء . والخريص حبة القرط إذا كانت منفردة ، والخرص العود ، لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه .

وقيل معنى « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » يعني في اكل الميتة ، لأنهم قالوا للمسلمين أتاكلون ماقتلتم ولا تاكلون ماقتل ربكم فهذا إضلالهم .

وقال بعضهم قوله « ان يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » مثل قوله « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (٢) يعني المتعمدين المترددين .

وفي الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف ، وبطلان قولهم إن الله تعالى لايتوعد من لايعلم الحق ، لأن الله بين في هذه الآية انهم يتبعون الظن ولا يعرفونه وتوعدهم على ذلك . وذلك بخلاف مذهبهم .

---

(١) قائله قيس بن الخطيم اللسان (شطب) (٢) سورة الانعام آية ١١٢

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١١٧) آيه بلا خلاف .

خاطب الله تعالى بهذه الآية نبيه (ص) وإن عنى به جميع الأمة أنه تعالى «أعلم من يضل عن سبيله» بمعنى أعرف ، والمعنى أنه أعلم به ممن يعلمه لانه يعلمه من وجوه تخفى على غيره، لأنه تعالى يعلم ماكان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة، وعلى جميع الوجوه التي يصح أن تعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره ، لأن غيره لا يعلم جميع الاشياء ، ومايعلمه لايعلمه من جميع وجوهه . واما من هو غير عالم أصلا ، فلا يقال الله اعلم منه ، لان لفظة أعلم تقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه أعلم ، وهذا لايصلح في من ليس بعالم اصلا الا مجازاً ، ولا يصح ان يقال هو تعالى أعلم بأن الجسم حادث من كل من يعلم كونه حادثا ، لان هذا قد ذكر الوجه الذي يعلم منه وهو أنه حادث فان اريد بذلك المبالغة في الصفة ، وان هذه الصفة فيه أثبت من غيره فجازان يقال ذلك

وذكروا في موضع (من) وجهين من الاعراب :

قال بعضهم : موضعه نصب على حذف الياء وتقديره أعلم بمن يضل ليكون مقابلا لقوله « وهو اعلم بالمهتدين . »

وقال الفراء والزجاج : موضعها الرفع لأنها بمعنى (أي) كقوله « لنعلم اي الحزبين » (١) وصفة أفعل من كذا لاتتعدى لأنها غير جارية على الفعل ، ولا معدولة عن الجارية كعدل ضروب عن ضارب ومنحار عن ناحر .

وقال قوم : ان (اعلم) ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي :

---

(١) سورة الكهف آية ١٢

فخالفت طيّ من دونا خلفاً والله اعلم ما كنا لهم خولا (١)

وقالت الخنساء :

القوم اعلم ان جفنته تغدو غداة الريح او تسري (٢)

قال الرماني : هذا لا يجوز لأنه لا يطابق قوله « وهو أعلم بالمهتدين » فمعنى الآية ان الله تعالى اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك بالعقاب ومن سلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب .

قوله تعالى :

﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ (١١٨)

آيه بلا خلاف .

قيل في دخول الفاء في قوله « فكلوا » قولان :

احدهما - انه جواب لقول المشركين لما قالوا للمسلمين : انأكلون ماقتلتم ولا تاكلون ماقتل ربكم ، فكأنه قيل اعرضوا عن جهلكم فكلوا .

والثاني - ان يكون عطفاً على مادل عليه اول الكلام ، كأنه قال : كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه .

وقوله « فكلوا » ، وان كان لفظه لفظ الأمر ، فالمراد به الاباحة ، لأن الاكل ليس بواجب ولا مندوب ، اللهم إلا ان يكون في الاكل استعانة على طاعة الله ، فانه يكون الاكل مرغباً فيه ، وربما كان واجباً ، فاما مايمسك الرمق فخارج عن ذلك ، لانه عند ذلك يكون الانسان ملجأ الى تناوله . ومثل هذه الآية في

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٧٢ وتفسير الطبري ١٢ : ٦٦

(٢) ديوانها : ١٠٤ وتفسير الطبري ٢ : ٦٦

لفظ الامر والمراد به الاباحة قوله « واذا حللتم فاصطادوا » (١) وقوله « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض » (٢) والاصطياد والانتشار مباحان بلا خلاف .

وقوله « مما ذكر اسم الله عليه » فالذكر المسنون هو قول بسم الله . وقيل كل اسم يختص الله تعالى به أو صفة مختصة كقوله بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم القدير أو بسم القادر لنفسه أو العالم لنفسه ، وما يجري مجرى ذلك . والأول مجمع على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره ، ولقوله « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى . » (٣)

وقوله « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » خطاب للمؤمنين وفيه دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة ، لأن الظاهر يقتضي ان مالا يسمى عليه لايجوز اكله بدلالة قوله « ان كنتم بآياته مؤمنين لان هذا يقتضي مخالفة المشركين في اكلهم مالم يذكر اسم الله عليه ، فأما مالم يذكر اسم الله عليه سهواً أونسياناً فانه يجوز اكله على كل حال .

والآية تدل على ان ذبائح الكفار لايجوز اكلها ، لأنهم لايسمون الله عليها . ومن سمى منهم لانه لايعتقد وجوب ذلك بل يعتقد ان الذي يسميه هو الذى ايد شرع موسى اوعيسى وكذب محمد بن عبدالله ، وذلك لايكون [الله فاذنهم ذاكرون اسم شيطان واسم انما يكون] (٤) المسمي مخصوص بالقصد . وذلك مفتقر الى معرفته واعتقاده ، والكفار على مذهبنا لايعرفون الله تعالى ، فكيف يصح منهم تسميته تعالى ؟ وفي ذلك دلالة واضحة على ماقلناه .

ومعنى قوله « إن كنتم بآياته مؤمنين » ان كنتم عرفتم الله وعرفتم رسوله

---

(١) سورة المائدة آية ٣ (٢) سورة الجمعة آية ١٠

(٣) سورة الاسرى آية ١١٠ (٤) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

وصحة ما اتاكم به من عند الله وهذا التحليل عام لجميع الخلق وإن خص به المؤمنين بقوله «ان كنتم بآياته مؤمنين» لان ماحلل الله للمؤمنين فهو حلال لجميع المكلفين وما حرم عليهم حرام على الجميع .

قوله تعالى :

﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ (١١٩) آيه بلاخلاف

القراءة والحجه

قرأ نافع وحفص عن عاصم « وقد فصل لكم ماحرم » بفتح الفاء والصاد والحاء والراء . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ، وابن عامر (فصل) و(حرم) بضم الفاء والحاء . وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (فصل) بفتح الفاء و(حرم) بضم الحاء . وقرا اهل الكوفة (ليضلون) بضم الياء وكسر الضاد . الباقون بفتح الياء .

من ضم الفاء والحاء، فلقوله « حرمت عليكم الميتة والدم . . » الآية (١) فهنا تفصيل هذا العام بقوله (حرم) وكذلك (فصل) لأن هذا المفصل هو ذلك المحرم الذي حل في هذه الآية .

ومن فتحهما فلقوله « أتل ماحرم ربكم » (٢) وقوله « فصلنا الايات » (٣) وكذلك قوله « الذين يشهدون ان الله حرم هذا » (٤) ولانه قال « وما لكم

---

(١) سورة المائدة آية ٤ (٢) سورة الانعام آية ١٥٣
(٣) سورة الانعام آية ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٦ (٤) سورة الانعام آية ١٥٠

ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل » فينبغي ان يكون الفعل مبنيا للفاعل لتقدم ذكر اسم الله .

ومن فتح الفاء وضم الحاء ،فلقوله « فصلنا الآيات » وقوله « حرمت عليكم الميتة والدم »

المعنى :

قوله « وما لكم » خطاب للمؤمنين الذين ذكرهم في الآية الاولى ومعناه لم لا تأكلوا وقيل بينهما فرق ، لان (لم لا تفعل) اعم من حيث انه قد يكون لحال يرجع اليه وقد يكون لحال يرجع الى غيره ، فأما (مالك ان لا تفعل) فلحال يرجع اليه .

وقيل في معنى (لا) في قوله (ان لا تأكلوا)قولان :

احدهما - انها للجحد ، وتقديره اي شيء لكم في ان لا تأكلوا ، اختاره الزجاج وغيره من البصريين .

والثاني -ان يكون صلة، والمعنى مامنعكم ان تأكلوا، لان (مالك ان لا تفعل) (ومالك لا تفعل)بمعنى واحد .وقال قوم معناه ليس لكم ان لا تأكلوا [مما امرناكم بأكله على الوصف الذي امرناكم بفعله ويجوز خذف (في) من « مالكم الا تأكلوا »](١) ولا يجوز حذفها من مالكم في ترك الاكل لأن (ان) تلزمها الصلة فهي احق بالاستحقاق من المصدر لان المصدر لا تلزمه الصلة ، كما حسن حذف الهاء من صلة (الذي) ولم يحسن من الصفة .

وقوله « وقد فصل لكم ماحرم عليكم » يعني ماذكره في مواضع من قوله

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

« حرمت عليكم الميتة » (١) الآية وغيرها .

وقوله « الا ما اضطررتم اليه » معناه الا إذا خفتم على انفسكم الهلاك من الجوع وترك التناول فحينئذ يجوز لكم تناول ما حرمه الله في قوله « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير (٢) وما حرمه في هذه الآية .

واختلفوا في مقدار مايسوغ له حينئذ تناوله ، فعندنا لايجوز له ان يتناول الا ما يمسك الرمق . وفي الناس من قال : يجوز له ان يشبع منه اذا اضطر اليه وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكله . وقال الجبائي : في الآية دلالة على ان مايكره عليه من اكل هذه الاجناس انه يجوز له اكله ، لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر .

ومن قرا « ليضلون » بفتح الياء ذهب الى ان المعنى ليضلون بأهوائهم اي يضلون باتباع اهوائهم ، كما قال « واتبع هواه » (٣) اي يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم . بامتناعهم من اكل ماذكر اسم الله عليه وغير ذلك .

ومن قرا بضم الياء اراد انهم يضلون اشياعهم ، فحذف المفعول به ، وحذف المفعول كثير ويقوي ذلك قوله « وما اضلنا الا المجرمون » (٤) وقوله « ربنا هؤلاء اضلونا » (٥)

وقوله « وان كثيراً » أوقع (ان) على النكرة ، لأن الكلام اذا طال احتمل ودل بعضه على بعض .

(١ ، ٢) سورة المائدة آية ٤ (٣) سورة الاعراف آية ١٧٥ ، سورة الكهف ، آية ٢٨ ، سورة طه آية ١٦ ، سورة القصص آية ٥٠

(٤) سورة الشعراء آية ٩٩ (٥) سورة الاعراف آية ٣٧

قوله تعالى :

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ (١٢٠) آية بلا خلاف .

الواو في قوله « وذروا ، واو العطف ولا يستعمل « وذر » لما مضى ، ولا « واذر » لاسم الفاعل واستغني عنه بـ (ترك) وإنما يستعمل منه يذر و(ذر)وامثاله ومثله يدع لم يستعمل منه (فعل)ولا (فاعل) استغنوا ايضاً بـ (ترك)و(تارك) واشعروا بذلك كراهية الواو في الابتداء حتى لم يزيدوها هناك اصلا مع زيادتهم اخواتها .

والظاهر هو الكائن على وجه يمكن ادراكه . والباطن هو الكائن على وجه يتعذر ادراكه

امر الله تعالى في هذه الآية بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه إثماً ونهى عن ارتكابه سراً وعلانية ، وهو قول قتادة والربيع بن انس ومجاهد ، لأن الجاهلية كانت ترى ان الزنا إذا اظهر واعلن كان فيه إثم ، فاذا استسر به صاحبه لم يكن إثماً ذكره الضحاك . وقال الجبائي الظاهر : افعال الجوارح والباطن افعال القلوب . وقال غيره : الظاهر الطواف بالبيت عرياناً ، والباطن الزنا . والأول اعم على ماقلناه ذكره ابن زيد . وقال قوم : ظاهر الاثم الزنا وباطنه اتخاذ الاخدان ، ذكره السدى والضحاك . وقال سعيد بن جبير ظاهر الاثم امرأة الاب وباطنه الزنا .

امر الله تعالى باجتناب الاثم على كل حال ثم اخبر ان الذين يكسبون الاثم يعني المعاصي والقبائح ويرتكبونه سيجازيهم الله يوم القيامة بما كانوا يرتكبونه . وقد بينا ان معنى الاقتراف هو معنى الاكتساب . والكسب هو فعل مايجتلب به نفع الى نفسه أو يدفع به ضرر ، ولذلك يوصف الواحد منا بانه مكتسب ولا يوصف الله تعالى به ، والكواسب الجوارح من الطير لأنها تكسب ماينتفع به .

قوله تعالى :

﴿ وَلا تَأكلوا مِمَّا لَمْ يُذكرِ اسمُ اللهِ عَلَيهِ وإنَّه لَفسقٌ وإنَّ الشَّياطينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلوكُمْ وإنْ أطَعتموهُمْ إنَّكُمْ لَمشرِكونَ ﴾ .(١٢١)آية بلا خلاف

نهى الله تعالى في هذه الآية عن اكل مالم يذكر اسم الله عليه وذلك صريح في وجوب التسمية على الذبيحة ،لانها لولم تكن واجبة ، لكان ترك التسمية غير محرم لهـــا .

فاما من ترك التسمية ناسياً فمذهبنا انه يجوز ان تؤكل ذبيحته بعد ان يكون معتقداً لوجوبها .

وكان الحسن يقول يجوز له ان يأكل منها . وقال ابن سيرين لايجوز ان يأكل منها . وبه قال الجبائي .

فاما اذا تركها متعمداًفعندنا لايجوز اكله بحال . وفيه خلاف بين الفقهاء .

فقال قوم: إذا كان تارك التسمية متعمداً من المسلمين جاز اكل ذبيحته .

وقال آخرون لايجوز اكلها كما قلناه .

وذلك يدل على أن مايذبحه اهل الكتاب لايجوز اكله لانهم لايعتقدون وجوب التسمية ولا يذكرونها ، ومن ذكر اسم الله منهم فانما يقصد به إسم من ابدى شرعهم،ولم يبعث محمداً صلى الله عليه وآله ،بل كذبه ،وذلك ليس هو الله ، فلا يجوز اكل ذبيحتهم . ولأنهم لايعرفون الله ، فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه .

فاما من عدا أهل الكتابين فلا خلاف في تحريم مايذبحونه .

وليست الآية منسوخة ولا شيء منها ، ومن ادعى نسخ شيء منها فعليه الدلالة

وقال الحسن وعكرمة نسخ منها ذبائح الذين أوتوا الكتاب بقوله « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم »(١) وعندنا إن ذلك مخصوص بالحبوب دون الذبائح .

وقال قوم ليس أهل الكتاب داخلين في جملة من يذكر اسم الله على ذبيحته وليس واحد من هؤلاء معنياً بالآية فلا يحتاج الى النسخ .

وقوله « وانه لفسق » يعني مالم يذكر اسم الله عليه أي أكله فسق . وحذف لدلالة الكلام عليه .

وقوله « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » يعني بالشياطين علماءهم ورؤساءهم المتمردين في كفرهم يوحون ويشيرون الى أوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار بأن يجادلوا المسلمين في استحلال الميتة .

قال الحسن يجادلونهم بقولهم : ان ماقتل الله اولى بأن يؤكل مما قتله الناس .

وقال عكرمة : المراد بالشياطين مردة الكفار من مجوس فارس «الى أوليائهم» من مشركي قريش . وقال ابن عباس : المراد بالشياطين ههنا ابليس وجنوده بأن يوسوسوا اليهم ويوحون الى أهل الشرك بذلك ، وبه قال قتادة .

وقال قوم الذين جادلوا بذلك كانوا قوماً من اليهود جادلوا رسول الله (ص) بأن ماقتله الله أولى بالأكل مما قتله الناس . ثم قال تعالى «وان اطعتموهم» أيها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال اكل الميتة وغيره « إنكم لمشركون » لأن من استحل الميتة كافر بالاجماع . ومن اكلها محرماً لها مختاراً فهو فاسق ، وهو قول الحسن وجماعة من المفسرين .

والتقدير في قوله « انكم » فانكم لمشركون ، لأن جواب الشرط لايكون بـ(أن) بلا فاء . وإنما يكون ذلك جواب القسم .

---

(١) سورة المائدة آية ٦

واختلفوا في ماعناه الله تعالى بقوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فقال عطاء : ذلك يختص بذبائح كانت في الجاهلية على الاوثان كانت العرب تذبحها وقريش . وقال ابن عباس ذلك الميتة . وقال قوم : عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها . وهذا الوجه اقوى على مابيناه . ومن حمل الآية على الميتة فقد أبعد ، لان أحداً من العرب ماكان يستحل الميتة . وإنما ذلك مذهب قوم من المجوس فالآية اما ان تكون مختصة بما كانت تذبح للاصنام على ماقاله عطاء اوعامة في كل مالم يذكر اسم الله عليه إلا ما أخرجه الدليل . وقد بينا ان ذلك اعم وأولى بحمل الآية عليه .

قوله تعالى :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢) آية بلاخلاف

قرأ اهل المدينة ويعقوب (ميتاً) بالتشديد . الباقون بالتخفيف . قال ابو عبيدة الميتة مخففة ومثقلة معناهما واحد وانما خفف استثقالا قال ابن الرعلاء الغساني :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الاحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفاً باله قليل الرجاء (١)

وقد وصف الله الكفار بأنهم أموات بقوله « أموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون » (٢) وكذلك « أومن كان ميتا فاحييناه » والمعنى من كان ميتا

(١) مر تخريجه في ٢ : ٤٣٢ ، ٨٤ ، ٣ : ٤٢٨ (٢) سورة المائدة آية ٦

بالكفر فصار حياً بالاسلام بعد الكفر ، كالمصر على كفره ؟!

وقوله « وجعلناله نورا يمشي به في الناس » يحتمل أمرين :

احدهما - ان يراد به النور المذكور في قوله يسعى « نورهم بين ايديهم »(١) وقوله « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم » (٢)

الثاني - ان يراد بالنور الاحكام التي يؤتاها المسلم باسلامه ، لانه إذا جعل الكافر بكفره في الظلمات فالمؤمن بخلافه .

ومن خفف حذف الياء الثانية المنقلبة عن الواو ، أعلت بالحذف كما أعلت بالقلب.

النزول :

اختلفوا في من نزلت هذه الآية ، فقال ابن عباس والحسن وغيرهما من المفسرين : نزلت فى كل مؤمن وكافر . وقال عكرمة : نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل ، وهو قول ابي جعفر (ع) . وقال الضحاك : نزلت في عمر بن الخطاب . وقال الزجاج : نزلت في النبي (ص) وابي جهل . والأول أعم فائدة ، لأنه يدخل فيه جميع ماقالوه .

المعنى :

بين الله تعالى ان «من كان ميتاً » يعني كافراً « فاحييناه» يعني وفقناه للايمان ، فآمن أوصادفناه مؤمناً بأن آمن ، لان الاحياء بعد الاماتة ههنا هو الاخراج من الكفر الى الايمان عند جميع أهل العلم : كابن عباس والحسن ومجاهد والبلخي والجبائي وغيرهم .

وقوله «وجعلناله نوراً يمشي به في الناس» يعني جعلنا له علماً، فسمى العلم نوراً وحياة ، والجهل ظلمة ومونا ، لان العلم يهتدى به الى الرشاد ، كما يهتدى بالنور في

(١ ، ٢) سورة الحديد آية ١٢ — ١٣

الظلمات ، وتدرك به الامور كما تدرك بالحياة . والظلمة كالجهل لأنه يؤدي الى الحيرة والهلكة ، والموت كالجهل في انه لا تدرك به حقيقة . وانما قال « كمن مثله في الظلمات » ولم يقل كمن هو في الظلمات ، لان التقدير كمن مثله مثل من في الظلمات ويجوز ان يدل بأن مثله في الظلمات على انه في الظلمات إلا انه يزيد فائدة أنه ممن يضرب به المثل في ذلك .

وقيل في المراد بالنور الذي يمشي به في الناس قولان :

احدهما - قال الحسن وهو القرآن .

وقال غيره هو الايمان الذي لطف له به .

ووجه التشبيه في قوله « كذلك زين للكافرين » أي زين لهؤلاء الكفر فعملوه كما زين لأولئك الايمان فعملوه فشبهت حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه ، كما قال « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) وإنما زين الله تعالى الايمان عند المؤمنين وزين الغواة من الشياطين وغيرهم الكفر عند الكافرين ، وهو قول الحسن وابي علي والرماني والبلخي وغيرهم .

وفي الآية دلالة على وجوب طلب العلم لانه تعالى رغب فيه بأن جعله كالحياة في الادراك بها والنور في الاهتداء به .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ اَكابِرَ مُجْرِميها لِيَمْكُروا فيها وما يَمْكُرونَ اِلّا بِأَنْفُسِهِمْ وما يَشْعُرونَ ﴾ (١٢٣) آية بلا خلاف

معنى قوله « كذلك جعلنا » أي جعلنا ذا المكر من المجرمين ، كما جعلنا ذا

(١) سورة المؤمنون آية ٥٤ و سورة الروم آية ٣٢

النور من المؤمنين ، فكلما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك إلا أن أولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم ، لان كل واحد منهما جعل بمعنى صار به كذا إلا أن الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكر ، فصار كأنه جعل كذا .

وموضع الكاف في « وكذلك » نصب بالعطف على قوله « كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » والمعنى مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم . ومثل ذلك « جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها » وإنما خص اكابر المجرمين بهذا المعنى دون الاصاغر ، لانه أحسن في الاقتدار على الجميع ، لان الاكابر اذا كانو في قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر .

والاكابر جمع الاسماء والكبر جمع الصفات تقول كبير وأكابر ويجوز أن يكون جمع اكبر على أكابر . وقد قالوا : الاكابرة والاصاغرة ، كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر :

إن الاحامرة الثلاثة اهلكت ... مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين احبه ... والزعفران فقد ابيت مودعا (١)

وقوله « ليمكروا فيها » اللام لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة ، كما قال « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » (٢) وقال الشاعر :

فاقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حية راصدة

وام سماك فلا تجزعي ... فللموت ماتلد الوالدة (٣)

---

(١) قائله الاعشى . ديوان الاعشيين : ٢٤٧ واللسان « حمر » وتفسير الطبرى ١٢ : ٩٤ وفيه اختلاف كثير فى الرواية وقد اثبتناه مافى مخطوطة التبيان . « الخمر واللحم والزعفران » عطف بيان او بدل من « الاحمرة الثلاثة » . وفى الديوان (مع الطلى) بدل « احبه » .

« ٢ » سورة القصص آية ٨

(٣) مر تخريجه فى ٣ : ٦٠ وسيأتى فى ٥ : ٤٣ .

وليس المراد بها لام الغرض ، لأنه تعالى لا يريد ان يمكروا ، وقد قال « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) وإرادة القبيح قبيحة . والتقدير وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليطيعوني ويمتثلوا امري وكان عاقبتهم ان مكروا بالمؤمنين وخدعوهم ، فقال الله تعالى « وما يمكرون الا بأنفسهم » لان عقاب ذلك يحل بهم .

والمكر هو فتل الشيء الى خلاف الرشد على وجه الحيلة في الامر . والمكر والختل والغدر نظائر . واصل المكر الفتل . ومنه جارية ممكورة أي مفتولة البدن . ووجه مكر الانسان بنفسه ان وبال مكره يعود عليه ، كأنه قال وما يضرون بذلك المكر الا انفسهم ، وما يشعرون أنهم يمكرون بها ، ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة ، لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى مايحتال به عليها ويصح أن يخفي ذلك عن غيره .

وفائدة الآية ان اكابر المجرمين لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة لله إذ كانه جعلهم ليمكروا مبالغة في انتفاء صفة المغالبة .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾

(١٢٤) آية بلا خلاف

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦

قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء الباقون على الجمع ، ومن وحد ، فلأن الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدراً ، ومن جمع ، فلما تكرر من رسل الله وتحميله اياهم رسالة بعد اخرى فأتى بلفظ الجمع .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انه إذا جاءتهم آية ودلالة من عند الله تدل على توحيد الله وصدق انبيائه ورسله « قالوا لن نؤمن » اي لا نصدق بها « حتى نؤتى » اي نعطي آية مثل ما اعطى رسل الله حسداً منهم للانبياء (عليهم السلام) ثم اخبر تعالى على وجه الانكار عليهم بانه تعالى اعلم منهم ومن جميع الخلق حيث يجعل رسالاته ، لأن الرسالة تابعة للمصلحة ، ولا يبعث الله تعالى الا من يعلم ان مصلحة الخلق تتعلق ببعثه دون من لا يتعلق ذلك به . ومن يعلم انه يقوم باعباء الرسالة دون من لا يقوم بها . وتوعدهم ، فقال « سيصيب الذين اجرموا » اي سينال الذين انقطعوا الى القبيح واقدموا عليه « صغار عند الله » والصغار الذل [الذي يصغر الى الانسان نفسه يقال صغر يصغر صغاراً وصغراً وقيل في معنى الصغار عند الله ثلاثة اقوال] (١)

اولها ـ صغار اي ذلة من عند الله ، ولا يجوز على هذا ان يقال زيد عند عمر بمعنى من عنده ، لأن حذف (من) تلبيس ههنا .

الثاني ـ قال الفراء اكتسب من ترك اتباع الحق صغاراً عند الله .

الثالث ـ قال الزجاج يعني صغار في الاخرة ، وهو اقواها ، لقوله « وعذاب شديد بما كانوا يمكرون » في دار الدنيا . وعند الله يتعلق بقوله « سيصيب الذين اجرموا صغاراً » [ويجوز ان يكون متعلقا بصغار وتقديره سيصيب الذين اجرموا] (٢) صغار ثابت لهم عند الله .

(١ ، ٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

ومعنى الآية الانكار لما طلبوا الاحتجاج عليهم فيما جهلوا والوعيد على مافعلوا

وقوله « رسل الله » اللام مفخمة في (الله) ولا تفخم من قوله « الله اعلم » لأن ماوقع بعد فتح وضم صح تفخيمه ، كقولك من الله ، لأنه بمنزلة تفخيم الألف مع هاتين الحركتين في نحو كامل وعالم وترك التفخيم في الثاني كما ترك في الألف مع الكسرة في نحو عائد وانما فخمت اللام في تلك المواضع لتعظيم الاسم من غير اخلال بالخروج عن نظيره .

قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشرَحْ صَدْرَهُ لِلاِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذٰلِكَ يَجعَلُ اللهُ الرِّجسَ عَلى الَّذِينَ لا يُؤمِنونَ ﴾ (١٢٥) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير « ضيقاً » بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان . الباقون بتشديدها وكسرها .

وقرأ اهل المدينة وابو بكر « حرجا » بكسر الراء . الباقون بفتحها .

وقرا ابن كثير « يصعد » بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد من غير الف [ورواه ابو بكر بتشديد الصاد والف بعدها وتخفيف العين . الباقون بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد من غير الف] (١)

قال ابو علي النحوي الضّيق والضيق مثل الميّت والميت في ان معناها واحد . والياء

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

والواو يشتركان في الحذف ، وان لم تعل الياء بالقلب كما أعلت الواو به فاتبعت الياء الواو في هذا ، كما اتبعتها في قولهم ايسر ، قالوا في ايسار الجزور اتسر فجعلت بمنزلة اتعد . وقال غيره يجوز أن يكون من ضاق الامر بضيق ضيقاً . وقد قرأه من قرأ « ولاتك في ضيق » .

ومن فتح الراء من (حرج) جعلها وصفاً للمصدر ، لأن المصادر قد توصف بمثل ذلك ، كقولهم : رجل دنف أي ذو دنف ولا يكون كبطل لأن اسم الفاعل في الاكثر من فعل إنما يجيء على فعل .

ومن كسر الراء فهو مثل دنف ، وفرق . قال ابو زيد ، وحرج عليه الصحور والسحر اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرج عليه حرجاوها واحد وحرجت على المرأة الصلاة تحرج حرجا وحرمت عليها الصلاة تحرم حرماً بمعنى واحد ، ويقال حرج فلان يحرج إذا هاب أن يتقدم على الامر أو قاتل فصبر وهو كاره .

وقال غيره هما بمعنى واحد كالدنف والدنف ، والواحد والواحد والفرد والفرد وقيل الحرج الاثم والحرج الضيق الشديد .

ومن قرأ « يصعد » من الصعود ، فالمعنى انه في نفوره عن الاسلام ، وثقله عليه بمنزلة من تكلف مالا يطيقه ، كما أن صعود السماء لايستطاع .

ومن قرأ « يصعد » بتشديد الصاد والعين بلا الف اراد يتصعد فادغم . والمعنى كأنه يتكلف مايثقل عليه . وكأنه تكلف شيئاً بعد شيء ﴿ كقولك يتصرف ويتحرج وغير ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء ﴾ (١) ويصاعد مثل يصعد ومثل ضاعف وضعف وناعم ونعم .

والضمير في قوله « يشرح صدره للاسلام » يحتمل ان يكون راجعا الى (من)

(١) مابين القوسين ساقط من المطبوعة

وتقديره إن الهدي يشرح صدر نفسه ، وهو جيد ويكون تقديره : من اراد الله ان يثيبه ويهديه الى طريق الجنة فليطعه . ومن اراد ان يعاقبه فليعصه ، فالارادة واقعة على فعل العبد بقلبه بالاحراج والضيق . ويقوي ذلك قوله « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا [فعليهم غضب من الله » (١) فان] (٢) الطمأنينة الى الايمان فعلهم لامحالة ، لأنه ايمان . ثم نسب تعالى شرح صدورهم بالكفر اليهم .

والثاني ان يكون الضمير فيه عائداً ابدا الى اسم الله تعالى وهو الاقوى ، لقوله « أفمن شرح الله صدره للاسلام » [وقوله : « الم نشرح لك صدرك » وكذلك يكون الضمير في قوله يشرح صدره للاسلام عائداً] (٣) لاسم الله تعالى . والمعنى ان الفعل مستند الى اسم الله في اللفظ وفي المعنى للمشروح صدره ، وانما نسبه الى ضمير اسم الله لأنه بقدرته كان وتوفيقه ، كما قال « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (٤) ويدل على ان المعنى لفاعل الايمان اسناد هذا الفعل الى الكافر في قوله « ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله » فكما اسند الفعل الى فاعل الكفر كذلك يكون اسناده في المعنى الى فاعل الايمان . ومعنى شرح الصدر اتساعه للايمان او الكفر وانقياده له وسهولته عليه بدلالة وصف خلاف المؤمن بخلاف الشرح الذي هو اتساع . وقوله « ومن يرد ان يضله » يعني يعاقبه أو يعدل به عن طريق الجنة يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يفعل مايعجز عنه ولا يستطيعه لثقله عليه وتكاؤده عليه

وقوله « يصعد » ويصاعد من المشقة وصعوبة الشيء . ومن ذلك قوله « يسلكه

﴿١ ، ٣﴾ مابين القوسين ساقط من المطبوعة

(٢) سورة النحل آية ١٠٦ (٤) سورة الانفال آية ١٧

عذابا صعدا » (١) وقوله « سأرهقه صعوداً » (٢) اي ساغشيه عذابا صعوداً اي شاقا . ومن ذلك قول عمر : مايصعدني شيء كما يصعدني خطبة النكاح اي مايشق علي مشقتها ، فكان معنى يصعد يتكلف مشقة في ارتقاء صعودا . وعلى هذا قالو : عقبة عنوت وعنتوت وعقبة كؤد ، ولا يكون السماء في هذا الموضع - على هذا القول - هي المظلة للارض لكن كما قال سيبويه : القيدود الطويل في غير سمائه يريد في غير ارتفاع صعداً ، ومثله « قد نرى تقلب وجهك في السماء (٣) واما قوله « يجعل صدره ضيقاً حرجا » فانه يحتمل امرين .

احدهما - التسمية كقوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » (٤) اى سموهم بذلك فلذلك يسمى القلب ضيقاً لمحاولته الايمان وحرجا عنه .

والآخر - الحكم كقولهم اجعل البصرة بغداد ، وجعلت حسني قبيحاً اي حكمت بذلك ولا يكون هذا من الجعل الذي يراد به الخلق ولا الذي يراد به الالقاء كقولك جعلت متاعك بعضه على بعض . وقوله « ويجعل الخبيث بعضه على بعض » (٥)

وقيل في معني الهداية والاضلال في الآية قولان :

احدهما ان يريد بالهدى تسهيل السبيل الى الاسلام بالدلائل التي يشرح بها الصدر والاضلال تصعيب السبيل اليه بالدلائل التي يضيق بها الصدر لان حاله اوجبت تغليظ المحنة عليه من غير ان يكون هناك مانع له ولا تدبير غيره أولى منه ، وانما هو حض على الاجتهاد في طلب الحق حتى ينشرح بالدلائل الصدر ولا يضيق بدعائها

(١) سورة الجن آية ١٧ (٢) سورة المدثر آية ١٧
(٣) سورة البقرة آية ١٤٤ (٤) سورة الزخرف آية ١٩
(٥) سورة الانفال آية ٣٧

الى خلاف ما سبق من العقد ، والهدى الى ما طلبه طالب الحق ، والاضلال عما طلبه طالب تاكيد الكفر .

والثاني - أن يراد بالهداية الهداية الى الثواب وبالاضلال الاضلال عن الثواب والسلوك به الى العقاب ، ويكون التقدير من يرد الله أن يهديه للثواب في الاخرة فيشرح صدره للاسلام في الدنيا بان يفعل له اللطف الذي يختار عنده الاسلام ، ومن يرد ان يعاقبه ويعدل به عن الثواب الى النار يجعل صدره ضيقاً حرجاً بما سبق من سوء اختياره للكفر جزاء على فعله ويخذله ويخلي بينه وبين ما يريده من الكفر او يحكم على قلبه بالضيق والحرج او يسميه بذلك على ما فسرناه . وهذا الاضلال لا يكون إلا مستحقاً كما ان تلك الهداية لا تكون إلا مستحقة . وقد سمى الله تعالى الثواب هداية في قوله « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » (١) وقال « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم » (٢) والهداية بعد القتل إنما هي الثواب في الجنة . وقال تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى » (٣) وقال « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٤) وقال « يهدي به الله من اتبع رضوانه » (٥) وقال « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٦) وكل ذلك يراد به الثواب وقد سمي العقاب ضلالا في قوله « ويضل الله الظالمين » (٧) وقوله « وما يضل به إلا الفاسقين » (٨) وهذه الجملة معنى قول ابي علي الجبائي والبلخي ، والأول قول الرماني وقيل [ايضاً انما يشرح قلب المؤمن بالآيات والدلائل لكونه طالب للحق ولم يفعل ذلك بالكافر لكونه طالباً لتاكيد الكفر وفي هذا الوجه حض على

(١) سورة الاعراف آية ٤٢ (٢) سورة محمد آية ٤ - ٥
(٣) سورة محمد آية ١٧ ٤) سورة التغابن آية ١١
(٥) سورة المائدة آية ١٨ (٦) سورة العنكبوت آية ٦٩
(٧) سورة ابراهيم آية ٢٧ (٨) سورة البقرة آية ٢٦

طالب الحق .

والحرج الضيق الشديد ، وقال ابن عباس اصله الحرجة وهي الشجرة الملتفة بالشجرة حولها ، فلا يصل اليها الراعي فكذلك قلب هذا لا يصل اليه خير في قول عمر ، وقال ابن عباس لا يصل اليه حكمة .

وقوله « كانما يصعد في السماء » قيل في معناه قولان :

احدهما - كانما كلف الصعود الى السماء بالدليل الذي يدعوه الى خلاف مذهبه . وقال سعيد بن جبير كأنه لا يجد مسلكا الا صعدا .

والثاني - كانما ينزع قلبه الى السماء نبوّا عن الحق بان يتباعد في الهرب .

وفى معنى الرجس قولان :

احدهما - قال مجاهد كلما لاخير فيه . وقال ابن زيد وغيره من أهل اللغة هو العذاب .

ويقال الرجس والنجس لما كان رجساً ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة .

ووجه التشبيه في قوله « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب اولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق . ولا يجوز ان يكون المراد بالآية ان الله تعالى يجعل سبب الايمان الذي يكون به الايمان وسبب الكفر الذي يكون به الكفر وانها جميعاً من فعل الله على ما يقوله المجبرة ، وذلك ان الله تعالى انزل القرآن حجة له على عباده لا حجة للعباد عليه ، فلو كان كما قالوه لكانت الحجة عليه دلالة على انه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى مناقضة ، وقد ذكره الله تعالى في مواضع أنه هدى للكفار نحو قوله « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (١) وقال « وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة » (٢) وقال « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى » (٣)

(١) سورة حم السجدة آية ١٧ (٢) سورة البلد آية ١٠ - ١١

(٣) سورة الاسرى آية ٩٤ وسورة الكهف آيه ٥٦

وقال « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها »(١) فبين بجميع ذلك انه تعالى هدى الكفار كما هدى المؤمنين ، فكيف ينفي ذلك في موضع آخر ، وهل ذلك إلا مناقضة وكلام الله منزه عنها ؟! ومتى حملنا الآيات على ما قلناه ووفقنا بينها لم يؤد الى المناقضة ولا التضاد ، ويقوي ذلك ان الله اخبر انه يجعل قلب الكافر ضيقاً حرجاً ونحن نجد كثيراً من الكفار غير ضيق الصدر بما هم فيه من الكفر بل هم في غاية السرور والفرح بذلك ، فكيف يقال ان الله تعالى ضيق صدورهم بالكفر؟! ولا يلزمنا ذلك إذا قلنا ان الله يفعل ذلك بهم على وجه العقوبة لانه تعالى اذا كان يفعل بهم ذلك عقوبة] (٢) يجوز ان يفعل بهم ذلك اذا اراد عقابهم لا في جميع الاحوال ، ولا يلزم ان يجدوا نفوسهم على ذلك في كل وقت . وايضاً فان سبب القبيح لا يكون إلا قبيحاً فعلى هذا سبب الكفر يجب ان يكون قبيحاً ، لانه موجب له لا يصلح لضده من الايمان ، لانه لو صلح لذلك لم يكن سبباً ، والله تعالى لا يفعل القبيح . وانما ذكر الله ضيق صدر الكافر ، وهو مما يصح ان يدعا به الى الايمان في بعض الاحوال كما يصح أن يدعا بانشراحه في غير تلك الحال . ويقوي ما قلناه قوله « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » وإنما أريد بذلك ما يفعله بهم من العقاب والبراءة واللعنة والشتم والاسماء القبيحة مع ما أعدلهم من العقاب . وقال الحسن معناه انه يكون مقبول الايمان منشرح الصدر ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ومعناه أنه يثقل عليه ما يدعا اليه من الايمان كأنما يصعد الى السماء فبذلك صار ضيق الصدر عن الايمان . ويجعل الله الرجس يعني رجاسة الكفر على الذين لا يؤمنون .

ووجه آخر في الاية وهو أن نحملها على التقديم والتاخير كأنه قال من يشرح

(١) سورة الانعام آية ١٠٦

(٢) ما بين القوسين غير موجود فى المخطوطتين وهو من صفحة ٢٨٩ سطر ١٧ ، الى هنا

الله صدره للاسلام يرد الله ان يهديه ، ومن يجعل صدره ضيقاً حرجاً يرد الله ان يضله .

ووجه اخر وهو ان يكون الله تعالى لما دعاهم الى الايمان وأمرهم ففعلوه انشرحت صدورهم فنسب شرح ذلك الى الله تعالى ، ولما ضاقت صدور الكفار عند دعاء الله وإقامة الحجج عليهم وامره اياهم بذلك فضلوا عند ذلك ، صح أن ينسب اضلالهم اليه ، كما يقولون أضل فلان بعيره إذا ضل عنه . وهو لم يرد ذلك .

واللام في قوله « للاسلام » يحتمل امرين :

احدهما - ان يكون الله تعالى هداه بالالطاف التي ينشرح بها صدره للتمسك بالاسلام والاستبصار فيه ولا يكون فعل ذلك بالكفار وان لم يخل بينهم وبين الايمان ولا منعهم منه لأنه تعالى قد اعطى الكافر الصحة والسلامة والقوة وجميع ما يتمكن به من فعل ماامره به ، وانما لم يفعل بهم اللطف الذي يؤمنون عنده ، لانهم لما عدلوا عن النظر فى آيات الله وحججه خرجوا من أن يكون لهم لطف يختارون عنده الايمان وصاروا مخذولين ، فخلى الله تعالى بينهم وبين اختيارهم ،فعبر عن ذلك بانه جعل صدر الكافر ضيقاً حرجاً .

والثاني - أن يكون اللام بمعنى لأجل الشيء وبسببه [كما يقول القائل انما قلت هذا الكلام لزيد ولمراعات عمرو ، المعنى من اجله وبسببه] (١) فيكون المعنى انه شرح صدره من اجل الاسلام لانه فعل اسلاماً استحق به شرح الصدر .

قولة تعالى :

﴿ وَهَـٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

يعملون ﴾(١٢٧) آيتان بلا خلاف.

الاشارة بقوله « وهذا صراط ربك مستقيماً » يمكن ان تكون الى احد شيئين :

احدهما - ما قال ابن عباس انه راجع الى الاسلام .

والثاني - ان تكون اشارة الى البيان الذي في القرآن واضيف الصراط الى الله في قوله « صراط ربك مستقيماً » لانه لما كانت الاضافة فيها انما هي على انه الذي نصبه ودل به ، وغلب عليه الاستعمال . ولم يجر قياسا على ذلك ان يقال هذا طريق ربك ، لانه لم تجر العادة باستعماله كما انهم استعملوا قولهم : هذا في سبيل الله ، ولم يقولوا في طريق الله ، لما قلناه .

وقوله « مستقيما » نصب على الحال ومعناه الذي لا اعوجاج فيه .

فان قيل كيف يقال : أنه مستقيم مع اختلاف وجوه الادلة ؟

قلنا : لأنها مع اختلافها يؤدي كل واحد منها الى الحق ، وكأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد، وكلها تؤدي من تمسك بها الى الثواب .

وقوله « قد فصلنا الآيات » أي بيناها « لقوم يذكرون » وانما أعيد ذكر تفصيل الآيات للاشعار بأن هذا الذي تقدم من الآيات التي فصلها الله عز وجل للعباد . وقوله « يذكرون » اصله يتذكرون فقلبت التاء ذالا وادغمت الاولى في الثانية ، ولم يجز قلب الذال الى الدال كما جاز في « فهل من مدكر » (١) لانهم لما لم يجيزوا ادغام التاء في الدال لانها افضل منها بالجهر قلبت الى الدال لتعديل الحروف وليس كذلك ادغام التاء في الذال . وانما خص الآيات . بقوم يتذكرون لانهم المنتفعون بها وان كانت آيات لغيرهم ، كما قال « هدى للمتقين » .

وفي الاية دلالة على بطلان قول من قال : المعارف ضرورية لانها لو كانت ضرورية

(١) سورة القمر آية ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

لم يكن لتفصيل الآيات ليتذكر بها فائدة .

وقوله « لهم دار السلام » هذه لام الاضافة وانما فتحت مع المضمر وكسرت مع الظاهر لامرين:

احدهما - طلبا للتخفيف لان الاضمار موضع تخفيف وفتحت في الاستغاثة في (يالبكر) تشبيها بالكناية ولانه موضع تخفيف بالترخيم وحذف التنوين .

والثاني - ان اصلها الفتح وانما كسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين لام الابتداء

وقيل في معنا (السلام) ههنا قولان:

احدهما - قال الحسن والسدي : انه الله وداره الجنة .

والثاني - قال الزجاج والجبائي : انها دار السلامة الدائمة من كل آفة وبلية .

وقوله « عند ربهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - مضمون عند ربهم حتى يوصله اليهم .

الثاني - في الآخرة يعطيهم اياه .

وقوله - « وهو وليهم » يعني الله . وفي معنى (الولي) قولان :

احدهما - انه يتولى ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم .

الثاني - ناصرهم على اعدائهم .

وقوله « بما كانوا يعملون » يعني جزاء باعمالهم وهو وان كان مطلقاً فالمراد بما كانوا يعملونه من الطاعات ، لان من المعلوم ان ما لم يكن طاعة فلا ثواب عليه ويجوز ايضا ان يكون مقيداً لدلالة قوله « يذكرون » عليه . والموعود بهذا الوعد المتذكر لآيات الله بحقها ، وهو العامل بها .

قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ

الْاِنْسِ وَقَالَ اَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْاِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا اَجَلَنَا الَّذِي اَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف .

قرأ حفص وروح « ويوم يحشرهم » بالياء . الباقون بالنون .

من قرأ بالياء فلقوله « لهم دار السلام عند ربهم . ويوم يحشرهم » والنون كالياء في المعنى ، ويقوي النون قوله « وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً » (١) وقوله « ونحشره يوم القيامة اعمى » (٢) والذي يتعلق به اليوم هذا القول المضمر . والمعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول « يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس » اي قد استكثرتم ممن اضللتموه من الانس بالاغواء والاضلال قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد : معناه إستكثرتم من اغوائهم واضلالهم « وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض » . وقيل في وجه الاستمتاع من بعضهم ببعض قولان :

احدهما - بتزيين الامور التي يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها .

والثاني - قال الحسن وابن جريج والزجاج والفراء وغيرهم انه : اذا كان الرجل اراد ان يسافر فيخاف سلوك طريق من الجن فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف ، كما قال تعالى « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (٣) .

ووجه استمتاع الجن بالانس انهم اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم او انهم يقبلون منهم اذا اغووهم كان في ذلك تعظيم لهم وسرور ونفع ، ذكر ذلك الزجاج والبلخي والرماني . وقال البلخي : ويحتمل ان يكون قوله

(١) سورة الكهف آية ٤٨ (٢) سورة طه آية ١٢٤

(٣) سورة الجن آية ٦

«استمتع بعضنا ببعض» مقصوراً على الانس فكأن الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن

وقوله « بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الحسن والسدي : انه الموت .

الثاني - الحشر ، لان كل واحد منهما اجل في الحكم فالموت اجل استدراك ما مضى ، والحشر اجل الجزاء . وقال ابو علي : في الاية دلالة على انه لا اجل الا واحد . قال لانه لو كان له اجلان فكان اذا اقتطع دونه بان قتل ظلما لم يكن بلغ اجله . والآية تتضمن انهم اجمع يقولون بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا . وقال الرماني وغيره من البغداديين : لا تدل على ذلك بل لا يمتنع ان يكون له اجلان احدهما ما يقع فيه الموت والآخر ما يقع فيه الحشر وما كان يجوز ان يعيش اليه .

وقوله « قال النار مثواكم » جواب من الله تعالى لهم بان النار مثواهم وهو المقام يقال ثوى يثوى ثواء قال الشاعر :

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم(١)

ومعنى الآية التقريع للغواة من الجن والانس مع اعترافهم بالخطيئة في وقت لا ينفعهم الندم على ما سلف وخاصة إذا كان الجواب لهم بأن مثواهم النار « خالدين فيها » أي مؤبدين فيها ، وهو نصب على الحال .

وقوله « إلا ما شاء الله » قيل في معنى هذا الاستثناء ثلاثة اقوال :

احدها - « إلا ما شاء الله » من الفائت قبل ذلك من الاستحقاق من وقت الحشر الى زمان المعاقبة ، وتقديره خالدين فيها على مقادير الاستحقاق إلا ما شاء الله من الفائت قبل ذلك ، لان ما فات لا يجوز اسقاطه بالعفو عنه . والفائت من الثواب لا يجوز تركه ، لانه بخس لحقه ، ذكره الرماني والبلخي والطبري والزجاج والجبائي .

(١) قائله الاعشى ديوانه : ٥٦ القصيدة ٩ . وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٩ وسيبويه ١ : ١٢٣ .

الثاني - « إلا ما شاء الله » من تجديد الخلود بعد احتراقهم وتصريفهم في انواع العذاب فيها والتقدير خالدين فيها على صفة واحدة الا ما شاء الله من هذه الامور .

الثالث - ما حكي عن ابن عباس حكاه الرماني والطبري عنه انه قال : هذه الآية توجب الوقف في جميع الكفار فانه ذهب الى أن وعيدهم بالقطع بدل عليه فيما بعد [وهو قوله « ان الله لا يغفر أن يشرك به »] (١) وقال قوم معنى (ما) (من) وتقديره الا من شاء الله اخراجه من النار من المؤمنين الذين لهم ثواب بعد استيفاء عقابهم .

وقوله « ان ربك حكيم عليم » اي هو حكيم فيما يفعله من جزائهم وعالم بذلك وبغيره من المعلومات لا يخفى عليه شيء منها .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١٢٩)

آية بلا خلاف .

قيل في معنى قوله « نولي بعض الظالمين بعضاً » قولان :

احدهما - انا نكل بعضهم الى بعض في النصرة والمعونة في الحاجة ، ولا نحول بينهم .

الثاني - نجعل بعضهم يتولى القيام بأمر بعض .

وقيل في كيفية تولية الله الظالمين بعضهم بعضاً اقوال :

احدها - بان حكم ان بعضهم يتولى بعضاً فيما يعود عليه بالوبال من الاعمال التي يتفقون عليها .

(١) ما بين القوسين موجود فى بعض النسخ وساقط من بعضها

الثاني ـ بان يخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم .

وثالثها ـ ما قال قتادة انه من الموالات والتتابع في النار اي يدخل بعضهم عقيب بعض .

ووجه التشبيه في قوله « وكذلك » قال الرماني : اي كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال بجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق . وقال الجبائي : المعنى انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم كذلك نكل الظالمين بعضهم الى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع الى المتبوعين ، وتقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب . والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئاً من العذاب . وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الاخرة قال الله لهم : النار مثواكم . ثم قال « وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً » أي كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا وجعل بعضهم اولي ببعض نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم به

والفرق بين (ذلك) و (ذاك) ان زيادة اللام في (ذلك) قامت مقام هاء التنبيه التي تدخل في ذاك فتقول هذاك ولا تقول هذلك . ولا يجوز إمالة (ذاك) لان (ذا) بمنزلة الحرف والأصل في الحروف الاتمال ، لان التصريف إنما هو للافعال والاسماء

وقوله « بما كانوا يكسبون » معناه بما كانوا يكسبونه من المعاصي ، وان ما يفعله بهم من العقاب جزاء على اعمالهم القبيحة .

قوله تعالى :

﴿ يا مَعشرَ الْجنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا

وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (١٣٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه يخاطب الجن والانس يوم القيامة بأن يقول « يا معشر الجن والانس » والمعشر الجماعة . والفرق بينه وبين المجمع : ان المعشر يقع عليهم هذا الاسم مجتمعين كانوا او مفترقين كالعشيرة ، وليس كذلك المجمع لانه مأخوذ من الجمع . والجن مشتق من الاجتنان عن العيون وهو اسم علم لجنس مما يعقل متميز من جنس الانسان والملك . والانس هم البشر .

وقوله « الم ياتكم رسل منكم » احتجاج عليهم بأن الله بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتأكيداً للحجة عليهم ، ولا بد ان يكون خطاباً لمن بعث الله اليهم الرسل فاما اول الرسل فلا يمكن ان يكونوا داخلين فيه ، لانه كان يؤدي الى مالا نهاية لهم من الرسل وذلك محال .

وقوله « منكم » وان كان خطاباً لجميعهم والرسل من الانس خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الآخر ، كما يغلب المذكر على المؤنث ، وكما قال « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » بعد قوله « مرج البحرين يلتقيان » (١) وانما يخرج اللؤلؤ من الملح دون العذب . وكقولهم أكلت خبزاً ولبنا وانما شرب اللبن . وكما يقولون في هذه الدار سرو ، وانما هو في بعضها . وهذا قول اكثر المفسرين ، منهم ابن جريج والفراء والزجاج والرماني والبلخي والطبري . وروي عن ابن عباس قال : هم رسل الانس الى غيرهم من الجن كما قال تعالى « ولوا الى قومهم منذرين » (٢) . وقال الضحاك ذلك يدل على انه تعالى ارسل رسلا من الجن . وبه قال الطبري واختاره البلخي ايضا وهو الاقوى وقال الجبائي والحسين بن علي المغربي : المعنى « الم ياتكم »

(١) سورة الرحمن آية ١٩ (٢) سورة الاحقاف آية ٢٩

يعني معشر المكلفين والمخلوقين « رسل منكم » يعني من المكلفين .

وهذا اخبار وحكاية عما يقال لهم في وقت حضورهم في الآخرة وليس بخطاب لهم في دار الدنيا ، وهم غير حضور ، فيكون قبيحا ، بل هو حكاية على ما قلناه .

وقوله « يقصون عليكم آياتي » مثل يتلون عليكم دلائلي و بيناتي « وينذرونكم » يعني يخوفونكم « لقاء يومكم هذا » يعني لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه . ثم اخبر تعالى عنهم انهم يشهدون على انفسهم بالاعتراف بذلك والاقرار بأن الحياة الدنيا غرتهم ويشهدون ايضا بانهم كانوا كافرين في دار الدنيا فلذلك كرر الشهادة .

ومعنى غرتهم الحياة الدنيا اي غرتهم زينة الدنيا ولذتها وما يرون من زخرفها وبهجتها

واستدل بهذه الآية قوم على ان الله لا يجوز ان يعاقب إلا بعد ان يرسل الرسل وان التكليف لا يصح من دون ذلك وهذا ينتقض بما قلناه من اول الرسل وانه صح تكليفهم وإن لم يكن لهم رسل ، فالظاهر مخصوص بمن علم الله ان الشرع مصلحة له ، فان الله لا يعاقبهم الا بعد ان يرسل اليهم الرسل ويقيم عليهم الحجة بتعريفهم مصالحهم فاذا خالفوا بعد ذلك استحقوا العقاب .

قوله تعالى :

﴿ ذٰلِكَ اَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَاَهْلُهَا غٰفِلُونَ ﴾ (١٣١) آية بلا خلاف .

موضع (ذلك) من الاعراب يحتمل أمرين :

احدهما - أن يكون رفعا كأنه قال الامر ذلك لانه لم يكن (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من العقاب ، والجواب بأن مثواهم النار .

والثاني - ان يكون نصبا وتقديره فعلنا ذلك لهذا .

وانما جازت الاشارة بذلك الى غير حاضر لان ماضى صفة حاضرة للنفس فقام مقام حضوره ، ويجوز الاشارة الى هذا الذي تقدم ذكره .

وقوله « ان لم يكن » فـ (أن) هي المخففة من الثقيلة . والمعنى لانه لم يكن ومثلها التي في قول الشاعر :

في فتيه كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل (١)

فان المفتوحة لابد فيها من اضمار الهاء لانه لامعنى لها في الابتداء وانما هي بمعنى المصدر المبني على غيره

والمكسورة لاتحتاج الى ذلك لانها تصح ان تكون حرفاً من حروف الابتداء فلا تحتاج الى اضمار .

وقوله « بظلم » قيل في معناه قولان :

أحدهما - ماذكره الفراء والجبائي أنه بظلم منه على غفلة من غير تنبيه وتذكير ومثله قوله « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

الثاني — بظلم منهم حتى يبعث اليهم رسلا يزجرونهم ويذكرونهم على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبـــاً لانهم بما فعلوه من الظلم قد استحقوا العقاب .

ومن استدل ذلك على انه لايحسن العقاب الا بعد انفاذ الرسل فقد اجبنا عن قوله فى الآية الاولى .

قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

(١) قائله الاعشى ديوانه : ٤٥ القصيدة ٦ وروايتها :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذوى الحيلة الحيل

(١٣٢) آية بلا خلاف

قرأ ابن عامر « عما تعملون » بالتاء . الباقون بالياء .

ومن قرأ بالياء حمله على الغيبة . ومن قرأ بالتاء حمله على الخطاب للمواجهة . وفي الآية حذف وتقديرها ولكل عامل بطاعة الله او معصيته منازل من عمله حتى يجازيه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . وما تقدم من ذكر الغافلين يدل على هذا الحذف . و (قبل . وبعد) بنيتا عند حذف المضاف في مثل قوله « لله الامر من قبل ومن بعد » (١) لانهما في حال الاعراب لم يكونا على التمكن التام لانه لا يدخلها الرفع في تلك الحال ، فلما انضاف الى هذا النقصان من التمكن بحذف المضاف اليه اخرجا الى البناء ، وليس كذلك (كل) فانه متمكن على كل حال ولذلك لم يبن .

و (الدرجات) يحتمل امرين : احدهما - الجزاء . والثاني - الاعمال فاذا وجهت الى الجزاء كان تقديره ولكل درجات جزاء من اجل ما عملوا واذا حمل على الاعمال كان تقديره ولكل درجات اعمال من اعمالهم . وانما مثل الاعمال بالدرجات ليبين انه وان عم أحد قسميها صفة الحسن وعم الآخر صفة القبيح وليست في المراتب سواء ، وانه بحسب ذلك يقع الجزاء ، فالاعظم من العقاب للاعظم من المعاصي ، والاعظم من الثواب للأعظم من الطاعات .

وقوله « وما ربك بغافل عما يعملون » إنما ذكره ليعلموا انه لا يفوته شيء منها ولا من مراتبها حتى يجازي عليه بما يستحق من الجزاء ، وفيه تنبيه وتذكير للخلق في كل امورهم .

---

(١) سورة الروم آية ٤

والغفلة ذهاب المعنى عمن يصح ان يدركه . والغفلة عن المعنى والسهو عنه والغروب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر . وضد الغروب الحضور .

قوله تعالى :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (١٣٣) آية بلا خلاف

أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه الغني . والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج والغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة في انه لا يلحقه صفة نقص . وذو الرحمة يعني صاحب الرحمة وهو تعالى بهذه الصفة لرحمته بعباده . ثم اخبره عن قدرته وأنه لو شاء ان يذهب الخلق بأن يميتهم ويهلكهم ويستخلف من بعدهم مايشاء بأن ينشيء بعد هلاكهم كما انشأهم في الأول من ذرية من تقدمهم . وكذلك ينشيء قوماً آخرين من نسلهم وذريتهم . والجواب محذوف والكاف في (كما) في موضع نصب وتقديره ويستخلف من بعدكم مايشاء مثل ما استخلفكم ، وفي ذلك دلالة على انه يصح القدرة على ماعلم انه لا يكون لأنه بين انه لو شاء لذهب بهم واتى بقوم آخرين ولم يفعل ذلك ، فدل ذلك على انه يقدر على مايعلم انه لا يفعله . و (من) في قوله « ويستخلف من بعدكم » للبدل كقولك : أعطيتك من دينارك ثوباً اي مكان دينارك وبدله ومعنى (من) في قوله « كما انشاكم من ذرية قوم آخرين » ابتداء الغاية لأن التقدير ، ان ابتداء غايتكم من قوم آخرين .

وقيل في وزن ذرية ثلاثة اقوال : اولها فعلية من الذر . الثاني فعيلة على وزن خليفة من ذرأ الخلق يذرأهم . الثالث فعولة من ذروة إلا ان الهمزة ابدلت

واواً ثم قلبت ياء فيكون بمنزلة علية من علوة . وقريء في الشواذ ذرية بكسر الذال وهما لغتان .

وانشأ الله الخلق اذا خلقه وابتدأه وكل من ابتدأ شيئاً فقد انشأه . ومنه قولهم أنشأ فلان قصيدة والنشأة الأحداث من الاولاد واحدها ناشيء مثل خادم وخدم ، ويقال للجواري أنشاء ، وللذكور نشاء ، قال نصيب :

ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار (١)

ويقال لهذا السحاب نشؤ حسن وهو اول ظهوره في السماء .

قوله تعالى

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٣٤) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذي اوعد الخلق به من عقابه على معاصيه والكفر به واقع بهم لان (ما) في قوله « إنما » بمعنى الذي وليست كافة مثل قولك انما قام زيد لأن خبرها جاء بعدها وهو قوله « لآت » وهي في موضع نصب والجنس في موضع رفع والكافة لاجبر لها ، واللام في قوله (للآت) لام الابتداء ولا يجوز ان تكون لام القسم لان لام القسم لاتدخل على الاسماء ، ولا الافعال المضارعة الا ان تكون معها النون الثقيلة ولا تعلق الفعل في (قد علمت ان زيداً ليقومن) .

ومعنى « توعدون » من الايعاد بالعقاب يقال اوعدته أوعده ايعاداً ، وقال الحسن انما توعدون من مجيء الساعة لانهم كانوا يكذبون بالبعث ، فعلى هذا يجوز ان يكون المصدر الوعد لاختلاط الخير والشر فيكون على التغليب اذ مجيء الساعة خير للمؤمنين وشر على الكافرين .

---

(١) اللسان (نشأ) النشأ : الشباب أو الشابات

وقال الجبائي : ان معناه ان ما توعدون من الثواب والعقاب ، فان الله يأتي به .

وقوله « وما انتم بمعجزين » اي لستم معجزين الله عن الاتيان بالبعث والعقاب وانما قيل ذلك لان من يعبد الوثن يتوهم أنه ينفعه في صرف المكروه عنه جهلا منه ووضعاً للامر في غير موضعه . وايضاً فانهم يعملون عمل من كان يفوته العقاب لتأخره عنه وطول السلامة بالامهال فيه .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١٣٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرا ابو بكر « مكاناتكم » على الجمع . الباقون على التوحيد ، وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء . الباقون بالتاء المعجمة من فوق . ومن قرأ بالياء فلان المصدر المؤنث يجوز تأنيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى . ومن قرا بالتاء فعلى اللفظ ، فما جاء منها على اللفظ قوله « فاخذتهم الصيحة » (١) وقوله « قد جاءتكم موعظة من ربكم » (٢) وعلى المعنى قوله « واخذ الذين ظلموا الصيحة » (٣) وقوله « فمن جاءه موعظة » (٤) ومن وحد « مكانتكم » فلانه مصدر والمصادر في الاكثر لا تجمع . ومن جمع فلانها قد تجمع كقولهم الحلوم والاحلام .

---

(١) سورة الحجر آية ٧٣ ، ٨٣ وسورة المؤمنون آية ٤١

(٢) سورة يونس آية ٥٧ (٣) سورة هود آية ٦٧

(٤) سورة البقرة آية ٢٧٥

المعنى :

قال ابو عبيده « مكانتكم » اي على حيالكم . وقال ابو زيد رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة كأنه قال اعملوا على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ، فانكم لن تضرونا بذلك شيئاً .

امر الله تعالى نبيه (عليه السلام) ان يخاطب المكلفين من قومه ويأمرهم بأن يعملوا على مكانتهم ، والمكانة الطريقة يقال هو يعمل على مكانته ومكينته اي طريقته وجهته . وقال ابن عباس والحسن : على ناحيتكم . وقال الجبائى على حالتكم . وقال الزجاج : يجوز ان يكون المراد على تمكنكم ، وهذا وان كان صيغته صيغة الامر فالمراد به التهديد كما قال « اعملوا ما شئتم » (١) وانما جاء التهديد بصيغة الامر لشدة التحذير اى لو امر بهذا لكان يجوز قبول امره . ووجه آخر هو ان التقدير « اعملوا على مكانتكم » ان رضيتم بالعقاب اي انكم في منزلة من يؤمر به ان رضيتم بالعقاب ، فهذا على التبعيد ان يقيموا عليه ، كالتبعيد ان يرضوا . ووجه ثالث هو ان الضرر يخص المقيم على المنكر لان غيره بمنزلة الآمن في انه لا يأمره بما يضره .

وقوله « انى عامل » اخبار من الرسول انه عامل بما امر الله تعالى به .

وقوله « فسوف تعلمون » فيه تهديد ومعناه فسوف تعلمون جزاء اعمالكم .

وقوله « من تكون » يحتمل موضع (من) امرين من الاعراب احدهما - الرفع وتقديره أينا يكون له عاقبة الدار ، والثانى - النصب بقوله يعلمون ويكون بمعنى الذي . وانما قال ان عاقبة الدار للمؤمنين دون الكافرين وان كان الكفار ايضاً لهم عاقبة من حيث [يصيرون الى العقاب المؤبد وهي للمؤمنين من حيث] (٢) يصيرون الى النعيم الدائم ، كما يقول العرب لهم الكرة ، ولهم الحملة لانه اذا نصل ، قيل : لهم وعلى

(١) سورة حم السجدة آية ٤٠ (٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

اعدائهم .

وقوله « انه لا يفلح الظالمون » اي لا يفوز الظالمون بشيء من الثواب والمنافع، وانما لم يقل (الكافرون) وان كان الكلام في ذكرهم لانه اعم واكثر فائدة ، ولانه اذا لم يفلح الظالم ، فالكافر بذلك اولى على ان الكافر يسمى ظالماً فيجوز ان يكون عنى به انه لا يفلح الظالمون الذين هم الكافرون ، كما قال « والكافرون هم الظالمون » (١) وقال « ان الشرك لظلم عظيم » (٢) .

قوله تعالى :

﴿ وَجعلوا لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحرْثِ والْانعامِ نَصيباً فقالوا هٰذا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إلى اللّهِ وَما كانَ لِلّهِ فَهوَ يَصِلُ الى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يحكمونَ ﴾ (١٣٦) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قراء الكسائي « بزعمهم » بضم الزاي في الموضعين . الباقون بفتحها . وفي الزعم ثلاث لغات : الفتح ، والضم ، والكسر مثل فتك وفتك وفتك وقبل وقبل وقبل . وودّ وودّ وودّ . ولم يقرأ بالكسر أحد . فالفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم والكسر لغة بعض بني قيس .

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم أنهم يجعلون شيئاً من أموالهم لله وشيئاً لشركائهم تقرباً اليها ، من جملة ما خلقه الله وأخترعه لان الذرأ هو الخلق على

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤ (٢) سورة لقمان آية ١٣ .

وجه الاختراع . وأصله الظهور ، ومنه ملح ذرآني وذرآني ، لظهور بياضة . والذرأة ظهور الشيب . قال الراجز :

وقد علتني ذرأة بادي بدي ورثية تنهض في تشددي (١)

يقال : ذرأ الله الخلق يذرأهم ذرءاً وذروءاً . ويقال ذرئت لحيته ذرءاً اذا شابت . ومنه طعنه فا ذراه - غير مهموز - اذا القاه ، وذرت الريح التراب تذروه ذروءاً اذا ابادته ، وذروة كل شيء اعلاه . و (الحرث) الزرع و (الحرث) الارض التي تثار للزرع . ومنه حرثها يحرثها حرثاً ، ومنه قوله « نساؤكم حرث لكم » (٢) لان المرأة للولد كالارض للزرع و (الانعام) المواشي من الابل والبقر والغنم ماخوذ من نعمة الوطيء ، ولا يقال لذوات الحافر انعام .

وانما جعلوا الاوثان شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيباً من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم .

وقوله « فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس وقتادة : انه اذا اختلط شيء مما جعلوه لاوثانهم بشيء مما جعلوه لله ردوه الى ما لأوثانهم ، واذا اختلط بشيء مما جعلوه لله لم يردوه الى ما لله .

الثاني قال الحسن والسدي : كان اذا هلك الذي لاوثانهم اخذوا بدله مما لله ، ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله عز وجل .

الثالث - قال ابو علي : انهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على اوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه للاوثان .

وقوله « ساء ما يحكمون » فيه قولان : احدها - قال الزجاج : تقديره ساء

(١) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ١٧ واللسان والتاج (ذرأ) (بدا) ؛ ورواية اللسان (بالتشدد) بدل (في تشدد) (٢) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

الحكم حكمهم ، فيكون على هذا موضع (ما) رفعاً . وقال الرماني : يجوز ان يكون موضع (ما) نصباً وتقديره ساء حكما حكمهم .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن عامر وحده « زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم » بضم الزاي ، ونصب (الأولاد) وخفض (شركائهم) . الباقون بفتح الزاي ، (قتل) مفتوح اللام (اولادهم) بجر الدال (شركاؤهم » بالرفع بالتزيين .

فوجه قراءة ابن عامر انه فرق بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول والتقدير : قتل شركائهم اولادهم ، وشركاؤهم فاعل القتل . وانما جر بالاضافة . ومن اضاف القتل الى الاولاد في القراءة الاخرى يكون الاولاد في موضع النصب وهو مفعول به بالقتل وانشدوا فيه بيتاً على الشذوذ انشده بعض الحجازيين ذكره ابو الحسن :

فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده (١) .

وذلك لا يجوز عند اكثر النحويين لان القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح ، ولانه اذا ضعف الفصل بالظرف حتى لم يجز الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر :

---

(١) معاني القرآن ١ : ٣٥٨ والانصاف : ١٧٩ وتفسير الطبري ٢ : ١٣٨ وخزانة الادب ٢ : ٢٥١ ورواية الطبري :

فزججته متمكنا زج القلوص ابي مزادة

كما خط الكتاب بكف يوما يهودي (١)

فان لا يجوز في المفعول به اجدر ولم يكن بعد الضعف الا الامتناع . وقيل انما حمل ابن عامر على هذه القراءة انه وجد (شركائهم) في مصاحف اهل الشام بالياء لا بالواو وهذا يجوز فيه قتل اولادهم شركائهم على ايقاع الشرك للاولاد يعني شركائهم في النعم وفي النسب وفي الاولاد ، ولو قيل ايضاً زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على ذكر الفاعل بعد ما ذكر الفعل على طريقة ما لم يسم فاعله جاز كما قال الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح (٢)

اي ليبكه ضارع ، ومثله « يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال » (٣) وتقديره كأنه لما قال « زين لكثير من المشركين قتل اولادهم » قال قائل من زينه ؟ قيل زينه شركاؤهم . وقال الفراء تكون (شركائهم) على لغة من قال في عشاء عشاي كما قال الشاعر :

إذا الثريا طلعت عشايا فبع لراعي غنم كسايا (٤)

وابو العباس يأبى هذا البيت ويقول الرواية الصحيحة بالهمزة .

المعنى :

ووجه التشبيه في قوله « وكذلك زين » انه كما جعل اولئك في الآية الاولى

(١) قائله ايوحية النمرى ألفية ابن عقيل ٢ : ٦٨ الشاهد ٢٤ وتفسير القرطبى ٧ : ١١١ وتمامه

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزول

(٢) قائله نهشل بن حرى النهشلى ، وقيل الحارث بن نهيك النهشلى . وقيل ضرار النهشلى وقيل مرزرد . وقيل المهلهل . وقيل غير ذلك . شواهد العينى على الاشمونى فى حاشية الصبيان ٢ : ٤٩ الشاهد ٢٧٥ وغيره .

(٣) سورة النور آية ٣٦ (٤) لم اجد فيما حضرنى من المصادر

ما ليس لهم كذلك زين هؤلاء ما ليس لهم ان يزينوه . والشركاء الذين زينوا قتل الاولاد قيل فيهم خمسة اقوال :

احدها - قال الحسن ومجاهد والسدي : هم الشياطين زينوا لهم وأد البنات احياء خوف الفقر والعار .

والثاني - قال الفراء والزجاج : هم قوم كانوا يخدمون الأوثان .

والثالث انهم الغواة من الناس .

والرابع - قيل : شركاؤهم في نعمهم .

والخامس شركاؤهم في الاشراك .

وقوله « ليردوهم » فالارداء الاهلاك تقول : أرداه يرديه إرداء وردي يردى ردى إذا هلك ، وتردى تردياً . ومنه قوله « وما يغني عنه ماله اذا تردى » (١) والمراد به الحجر يتردى من رأس جبل .

واللام في قوله « ليردوهم » قال قوم هي لام العاقبة ، كما قال « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » (٢) لانهم لم يكونوا معاندين فيقصدوا أن يردوهم ويلبسوا عليهم دينهم ، هذا قول ابى علي . وقال غيره يجوز أن يكون فيهم المعاند ، ويكون ذلك على التغليب .

وقوله « ولو شاء الله ما فعلوه » معناه لو شاء أن يضطرهم الى تركه او لو شاء أن يمنعهم منه لفعل ، ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ، لكن ذلك ينافي التكليف . ثم أمر نبيه (ص) ان يذرهم اي يتركهم ولا يمنعهم ويخلي بينهم وبين ما يكذبون وذلك غاية التهديد كما يقول القائل دعني واياه .

---

(١) سورة الليل آية ١١

(٢) سورة القصص آية ٨

قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٨) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم « قالوا هذه انعام وحرث » يعني الانعام والزرع الذي جعلوها لآلهتهم واوثانهم . وقوله « بزعمهم » يدل على انهم فعلوا ذلك بغير حجة بل بقولهم العاري عن برهان .

وقيل في الانعام الأولى قولان : احدهما - قال الجبائي التي ذكرها اولا فهو ما جعلوه لأوثانهم كما جعلوا الحرث للنفقة عليها في خدامها وما ينوب من امرها . وقيل قرباناً للاوثان واما الانعام التي ذكرت ثانياً ، فهي السائبة والبحيرة والحام ، وهو الفحل الذي يحلونه ويقولون حمى ظهره ، وهو قول الحسن ومجاهد . واما التي ذكرت ثالثا - قيل فيه قولان احدهما التي اذا ولدوها او ذبحوها او ركبوها لم يذكروا اسم الله عليها ، وهو قول السدي وغيره . والثاني قال ابو وائل هي التي لا يحجون عليها .

وقوله « حجر » معناه حرام تقول : حجرت على فلان كذا اي منعته منه بالتحريم ، ومنه قوله « حجراً محجوراً » (١) والحجر لامتناعه بالصلابة والحجر العقل للامتناع به من القبيح قال المتلمس :

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٢ ، ٥٣

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس (١)

وقال رؤبه :

وجارة البيت لها حجريّ (٢)

وقال الاخر :

فبت مرتفقـــا والعين ساهرة كأن نومي على الليل محجور (٣)

وقيل حجر وحرج مثل جـــذب وجبذ ، وبه قرأ ابن عباس . وبضم الحاء قراءة الحسن وقتادة . ويقال : حجر وحجر وحجر بمعنى المنع بالتحريم ، وحجر الانسان وحجره بالكسر والفتح . وانما اعيبوا بتحريم ظهور الانعام والواجب تحريمها عقلا حتى يرد سمع باباحته ، لانهم حرموا ذلك على وجه الكذب على الله ، وانه اوجب ذلك إذا كانت على صفة مخصوصة . وانما اعيبوا بأكلها بعد ذبحها وهي حينئذ تجرى مجرى الميتة وذلك لا يعلم تحريمه عقلا ، لأنهم ادعوا انه على وجه التذكية إفتراء على الله ، فقصدوا به هذا القصد ، ولذلك اعيبوا بتملكها وان كانوا سبقوا اليها ، وانما وجب تحريم الانتفاع باستهلال الانعام ، لأن الايلام لا يحسن إلا مع تضمن العوض الموافى عليه ، وذلك مفتقر الى السمع .

---

(١) قائله جرير بن عبد المسيح وهو الملتمس فى قصيدته التى قالها عند هربه الى الشام من عمر بن هند ديوانه القصيدة ٤ ومجاز القرآن ١ : ٢٠٧ واللسان (دهرس) ومعجم البلدان (نخلة القصوى) وتفسير الطبرى ١٢ : ١٤٠ و﴿ الدهاريس ﴾ الدواهى وقد أختلفت روايته فقد روى ﴿ الاثم ﴾ بدلا من (ألا تلك) وروى ﴿ بسل عليك ﴾ بدل ﴿ حجر حرام ﴾ .

(٢) وقيل انه للعجاج . ديوان العجاج : ٦٨ واللسان ﴿ حجر ﴾ وغيرهما .

(٣) نسبه ابن منظور فى اللسان ﴿ رفق ﴾ الى ﴿ اعشى ﴾ باهله . وهو فى الطبرى ١٢ : ١٤١ غير منسوب . ومعنى ﴿ مرتفقا ﴾ أى متكئا على يده .

وقوله « افتراء » يعني كذبا ، وفي نصبه قولان : احدهما - قالوا افتراء على الله الثاني - لا يذكرون اسم الله افتراء على الله ، كأنه قيل افتروا بتركهم التسمية الذي اضافوه الى الله افتراء عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير « وإن يكن » بالياء (ميتة) رفع . وقرأ ابن عامر إلا الداجوني عن هشام ، وابو جعفر (تكون) بالتاء (ميتة) رفع . وقرأ ابو بكر عن عاصم إلا الكسائي (يكن) بالياء (ميتة) نصب . الباقون بالتاء (ميتة) نصب . وجه قراءة الاكثر ان يحمل على (ما) وتقديره وان يكون ما في بطون الانعام ميتة . ووجه قراءة ابن عامر ان يضيف الفعل الى الميتة فيرتفع الميتة به فلذلك انث الفعل . ووجه قراءة ابى بكر ان ما في بطون الانعام مؤنث ، لانها من الانعام . ويجوز ان يكون اراد ان تكون الاجنة ميتة . ووجه قراءة ابن كثير ان يضيف الفعل الى الميتة لكن لما لم يكن تأنيث الميتة تانيث ذوات الفروج ، وتقدم الفعل جاز ان يذكر كما قال « فمن جاءه موعظة » (١) و « اخذ الذين ظلموا الصيحة » (٢) وتكون كان تامة . ومعناه وان وقع ميتة .

﴿١﴾ سورة البقرة آية ٢٧٥ ﴿٢﴾ سورة هود آية ٦٧

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم انهم « قالوا ما في بطون هذه الانعام » التي تقدم ذكرها احياء فهو خالص لذكورهم ، ومحرم على ازواجهم الاناث وبناتهم . وقال بعضهم انه يختص بالزوجات ، والاولى عموم النساء تفضيلا للذكور على الأناث . وقيل ان الذكور كانوا القوّام بخدمة الاوثان .

والمراد بما في بطون الانعام قيل فيه ثلاثة اقوال : احدها ـ قال قتادة المراد به الالبان . وقال مجاهد والسدي : انه الاجنة . الثالث ـ ان المراد به الجميع ، وهو اعم

وقوله « خالصة لذكورنا » معناه لا يشركهم فيها احد من الاناث وليس المراد به تسوية تصفية شيء عن شيء كالذهب الخالص والفضة الخالصة . ومن ذلك اخلاص التوحيد واخلاص العمل لله .

والهاء في قوله « خالصة » قيل فيها ثلاثة اقوال : احدها ـ انها للمبالغة في الصفة كالعلامة والراوية . الثاني ـ على تأنيث المصدر كالعاقبة والعافية . ومنه قوله « بخالصة ذكرى الدار » (١) الثالث ـ لتأنيث ما في بطونها من الانعام . ويقال فلان خالصة فلان ومن خلصائه . وحكى الزجاج والفراء انه قرئ خالصة لذكورنا ، والمعنى ما خلص منها . وقيل اصل (الذكور) من الذكر سمي الذكر بذلك لانه انبه واذكر من الانثى .

وقوله « وان يكن ميتة » معناه ان كان جنين الانعام ميتة فالذكور والاناث فيه سواء ، فقال الله تعالى « سيجزيهم وصفهم » يعني سيجزيهم جزاء وصفهم ، وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه .

وقوله « انه حكيم عليم » معناه انه تعالى حكيم فيما يفعل بهم من العقاب آجلا ،

(١) سورة ص آية ٤٦

وفي امهالهم عاجلا « عليم » بما يفعلون لايخفي عليه شيء منها .

وقوله « خالصة » رفع بانه خبر الابتداء والمبتدأ قوله « مافي بطون » ولا يجوز عند البصريين النصب ، لان العامل فيه لا يتصرف ، فلا يتقدم عليه ، واجازه الفراء مع قوله انهم لا يكادون يتكلمون به ، لايقولون زيد قائماً فيها ، ولكنه قياس .

وقد عاب الله على الكفار في هذه الاية من اربعة اوجه .

اولها - ذبحهم الانعام بغير اذن الله .

وثانيها - اكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله .

وثالثها - تحليلهم للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم من الله .

ورابعها تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق .

قوله تعالى :

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (١٤٠) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير وابن عامر « قتلوا » بتشديد التاء . الباقون بالتخفيف . من شدد حمله على التكرار ، كقوله « جنات عدن مفتحة » (١) . ومن خفف فلانه يدل على الكثرة .

المعنى :

(١) سورة ص آية ٥٠

اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا اولادهم الاناث خوفاً من الفقر وهرباً من العار قد خسروا ، ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عذاب الابد . والخسران هلاك رأس المال .

وقوله « سفهاً بغير علم » نصب على انه مفعول له ويجوز أن يكون نصباً على المصدر ، وتقديره سفهوا بما فعلوه سفهاً خوفاً من الفقر وهرباً من العار . والسفه خفة الحلم بالعجلة الى مالا ينبغي ان يعجل اليه . واصله الخفة . وضد السفيه الحليم . والفرق بين السفه والنزق ان السفه عجلة يدعوا اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ .

وقوله « وحرموا ما رزقهم الله » يعني ما حرموه على نفوسهم من الحرث بزعمهم انه حجر . وقال الحسن انه راجع الى الانعام . وقال الرماني : لا يجوز ذلك لانها محرمة عليهم بحجة العقل حتى يأتي بسمع . والقتل نقض البنية التي تحتاج الحياة اليها والموت - عند من أثبته معنى - ضد الحياة .

وقوله « افتراء على الله » يعني كذبا . ونصبه على المصدر والعامل فيه قوله « وحرموا » لان ذلك قول منهم اضافوه الى الله . ثم اخبر تعالى انهم قد ضلوا بما فعلوه وجازوا عن طريق الحق وانهم لم يكونوا مهتدين الى طريق الرشاد والحق .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ اهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده - بفتح الحاء الباقون بكسرها. وهما لغتان . وقال سيبويه جاءوا بالمصادر حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال نحو الضرام والجزاز ، والجداد والقطاف والحصاد. وربما دخلت اللغتان في بعض هذا ، وكان فيه فعال وفعال .

المعنى واللغة :

لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار وعن عظيم ما ابتدعوه وافتروا به على الله وشرعوا من الدين ما لم يأذن الله فيه [عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ، ولا تحليله ولا تحريمه إلا باذنه] (١) فقال « وهو الذي انشأ جنات معروشات » والانشا هو احداث الافعال ابتداء لا على مثال سبق ، وهو كالابتداع ، والاختراع هو احداث الافعال في الغير من غير سبب ، والخلق هو التقدير والترتيب . والجنات جمع جنة وهي البساتين التي تجنها الشجر من النخل ، وغيره . والروضة هي الخضرة بالنبات والزهور المشرقة باختلاف الألوان الحسنة

وقوله « معروشات وغير معروشات » قيل في معناه قولان :

احدهما - ماقال ابن عباس والسدي : المعروشات هو ماعرش الناس من الكروم ونحوها ، وهو رفع بعض اغصانها على بعض « وغير معروشات » ما يكون من قبل نفسه في البراري والجبال .

والثاني -- قال ابو علي يعرشه اي يرفع له حظائر كالحائط . واصله الرفع ، ومنه قوله تعالى « خاوية على عروشها » (٢) يعني على اعاليها ، وما ارتفع منهالم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من بعض النسخ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٩ وسورة الكهف آية ٤٣ وسورة الحج آية ٤٥

تندك فتستوي بالارض ، ومنه العرش للسرير لارتفاعه .

(ومعروشات) في موضع النصب ، لأنها صفة لجنات . والنخل والزرع معناه وانشاء النخل والزرع « مختلفا اكله » يعني طعمه ، ونصب مختلفا على الحال وانما نصبه على الحال ، وهو يؤكل بعد ذلك بزمان ، لأمرين : احدهما — ان معناه مقدراً اختلاف اكله كقولهم : مررت برجل معه صقر صايداً به غداً اي مقدراً الصيد به غداً . الثاني - ان يكون معنى (اكله) ثمره الذي يصلح ان يؤكل منه . « والزيتون والرمان » اي وانشاء الزيتون والرمان . وانما قرن الزيتون الى الرمان ، لأنه لما ذكر الكرم والنخل والزرع اقتضى ذكر ما خرج عن ذلك فقرنا ، لفضلهما بعدما ذكر . وقيل يشتبهالأنهان باكتناف الاوراق في اغصانها « متشابها وغير متشابه » معناه متماثلا وغير متماثل . وقيل « متشابها » في النظر « وغير متشابه » في الطعم بل الطعم مختلف

وقوله « كلوا من ثمره اذا أثمر » المراد به الاباحة لا الامر . وقال الجبائي وجماعة ان ذلك يدل على جواز الأكل من ثمره ، وان كان فيه حق للفقراء .

وقوله « وآتوا حقه يوم حصاده » أمر ايجاب بايتاء الحق يوم الحصاد على طريق الجملة ، والحق الذى يجب أخراجه يوم الحصاد فيه قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن أسلم والحسن وسعيد بن المسيب وطاووس وجابر بن عبد الله وبريد وقتادة والضحاك : انه الزكاة العشر ، او نصف العشر .

الثاني - روى عن جعفر عن ابيه وعطاء ومجاهد وابن عامر وسعيد بن جبير والربيع بن أنس : انه ما ينثر مما يعطي المساكين .

وروى - اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة .

وقال ابراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر ، قالوا : لان الزكاة لا تخرج يوم الحصاد ، وقالوا لان هذه الآية مكية وفرض الزكاة نزل بالمدينة .

ولما روي بأن فرض الزكاة نسخ كل صدقة .

قال الرماني : وهذا غلط ، لان يوم حصاده ظرف لحقه ، وليس بظرف الايتاء المأمور به .

وقوله « ولا تسرفوا » قيل في المخاطبين به ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابو العالية وابن جريج انه يتوجه الى ارباب الاموال ، لأنهم كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة يسرفون فيه ، فروى عن ثابت بن شماس انه كان له خمس مئة رأس نخلا فصرمها وتصدق بها ولم يترك لأهله منها شيئاً فنهى الله عن ذلك ، وبين انه مسرف ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله) ابدأ بمن تعول .

الثاني - قال ابن زيد إنه خطاب للسلطان .

الثالث - انه خطاب للجميع وهو أعم فائدة .

وقيل ان السرف يكون في التقصير ، كما يكون في الزيادة قال الشاعر :

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف (١)

معناه ولا تقصير . وقيل ولا إفراط ، لانه لا يستكثر كثيرهم . والاسراف هو مجاوزة حد الحق وهو افراط وغلو . وضده تقصير واقتار . ومسرف صفة ذم في العادة .

وينبغي أن يؤدي الحق الذي في الغلات إلى امام المسلمين ليصرفه الى أهل الصدقات ولهم أن يخرجوه الى المساكين إذا لم يأخذهم الامام بذلك فأما مقدار ما يجب من الزكاة ، والنصاب الذي يتعلق به وصفة الارض الزكوية فقد بيناه في كتب الفقه

---

(١) قائله جرير ديوانه ٣٨٩ وطبقات فحول الشعراء : ٣٥٩ واللسان (هند) ، (سرف) وتفسير الطبري ٧ : ٥٧٩ ، ١٢ : ١٧٧ وتفسير القرطبي ٧ : ١١١ ، ومجمع البيان ٢ : ٣٧٤ . وهنيدة : اسم لكل مئة من الابل ، وهو ممنوع من الصرف . و (ثمانية) أي من العبيد .

مستوفى لا نطول بذكره الكتاب .

قوله تعالى :

﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (١٤٢) آية بلا خلاف

العامل في قوله « حمولة وفرشا » قوله « انشأ » المتقدم كأنه قال وانشأ لكم من الانعام « حمولة وفرشا » . وقيل في معنى : « حمولة وفرشا » ثلاثة اقوال :

احدها - ما روي عن ابن مسعود ، وابن عباس في احدى الروايتين ، والحسن في رواية ومجاهد : ان الحمولة كبار الابل . والفرش الصغار .

الثانى - ما روي عن الحسن في رواية وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد : ان الحمولة ما حمل من الابل والبقر . والفرش الغنم .

الثالث - ما روى عن ابن عباس في رواية أن الحمولة كل ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير . والفرش الغنم ، كأنه ذهب الى انه يدخل في الانعام ذوالحافر على الاتباع .

و (الحمولة) لا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة . و (الحمولة) بضم الحاء هي الأحمال ، وهى الحمول . وإنما قيل للصغار : فرش ، لأمرين :

احدها — لاستواء أسنانها في الصغر والانحطاط ، كاستواء مايفترش .

الثانى — من الفرش وهى الارض المستوية التي يتوطأها الناس .

وقال الجبائى في التفسير وابو بكر الرازي في أحكام القرآن : إن الفرش مما يفترش من البسط ، والزرابي . وهذا غلط قبيح جداً في اللغة .

وقوله « خطوات » يجوز فيه ثلاثة اوجه - بضم الخاء والطاء ، وضم الخاء وسكون الطاء ، وضم الخاء وفتح الطاء - وفى معناه قولان :

احدهما - ما يتخطى بكم الشيطان اليه من تحليل الى تحريم ومن تحريم الى تحليل .

الثاني - طرق الشيطان ، فانه لا يسعى إلا في عصيان .

وقوله « انه » الهاء كناية عن الشيطان « لكم عدو مبين » فيه اخبار من الله أن الشيطان عدو للبشر « مبين » أي ظاهر . وقيل في معنى « مبين » قولان :

احدهما - انه أبان عداوته لكم بما كان منه الى ابيكم آدم حين اخرجه من الجنة .

الثاني - بين العداوة اي لأظهاره ذلك في حزبه ، واوليائه من الشياطين هذا قول الحسن .

قوله تعالى :

﴿ ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ (١٤٣) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير إلا ابن فليح وابن عامر إلا الداجوني عن هشام وأهل البصرة (المعز) بفتح العين . الباقون بسكونها . قال أبو علي من قرأ بالفتح أراد الجمع بدلالة قوله « من الضأن اثنين » ولو كان واحداً لم يسغ فيه هذا ، ونصب اثنين على تقدير وانشأ ثمانية أزواج انشأ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، ونظير (معز) جمع ماعز ، خادم وخدم وطالب وطلب ، وحارس وحرس ، وقال ابو الحسن : هو جمع على غير واحد ، وكذلك المعزى ، وحكى ابو زيد الامعوز وانشد :

* كالتيس في امعوزه المربل *

وقالوا المعيز كالكليب ، ومن سكن العين ، فهو ايضاً جمع ما عز كصاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب . وابو الحسن : يرى هـذا الجمع مستمرا ومن يرده في التصغير الى الواحد ، فيقول في تحقير ركب رويكبون ، وفي تجر : تويجرون ، وسيبويه يراه اسما من اسماء الجمع وانشد ابو عثمان حجة لقول سيبويه :

بنيته بعصبة من ماليا اخشى ركيباً او رجيلا عاديا (١)

- بالعين والغين - عن غير ابي علي فتحقيره له على لفظه من غير ان يرده إلى الواحد الذي هو فاعل . والحاق الواو والنون اوالياء والنون ، يدل على انه اسم للجمع وانشد ابو زيد :

واين ركيب واضعون رحالهم الى اهل نار من اناس باسود (٢) .

وقال ابو عثمان البقرة عند العرب نعجة ، والظبية عندهم ما عزة ، الدليل على ذلك قول ذي الرمة :

إذا مارآها راكب الضيف لم يزل يرى نعجة في مرتع فيثيرها

مولعة خنساء ليست بنعجة يدّ من اجواف المياه وقيرها (٣)

قوله لم يزل يرى نعجة يريد بقرة ، الا ترى انه قال مولعة خنساء ، والخنس والتوليع إنما يكونان في البقر دون الظباء . وقوله ليست بنعجة معناه انها ليست بنعجة اهلية ، لانه لا يخلو من ان يريد انها ليست بنعجة اهلية او ليست بنعجة ، ولا يجوز ان يريد انها ليست بنعجة لانك إن حملته على هذا فقد نفيت ما اوجبه من قوله لم يزل

(١) البيت لـ (احيحة بن الجلاح) وقد انشده ابو عثمان شاهداً على البيت الذى ياتى بعده من انه يقال فى تصغير (ركب) ركيب - بضم الراء وفتح الكاف وتسكين الياء

(٢) انشده شاهدا على ما تقدم على انه يقال فى تصغير (راكب) ركيب وذلك يدل على ان ركبا مفرد ، وليس جمعا لراكب .

(٣) اللسان (نعج)

يرى نعجة ، وإذا لم يجز ذلك علمت انه اراد ليست بنعجة اهلية والدليل على ان الظبية ما عزة قول ابى ذؤيب .

وعادية تلقى الثياب كأنها تيوس ظباء محصها وانبتارها (١)

فقوله تيوس ظباء كقوله : تيوس معز ، ولو كانت عندهم ضائنية لقال كأنها كباش ظباء ، والوقير الشاة يكون فيها كلب وحمار في قوله الاصمعي .

قوله « ثمانية ازواج » منصوب ، لانه بدل من « حمولة وفرشا » لدخوله فى الانشاء وتقديره وانشأ حمولة وفرشا ثمانية ازواج « من الضأن اثنين » نصب (اثنين) بتقدير انشأ من الضأن اثنين ، ولو رفع على تقدير منها ما عز اثنان كما تقول رأيت القوم منهم قائم وقاعد كان جائزاً وانما اجمل ما فصله في الاثنين للتقدير على شيء منه لانه اشد في التوبيخ من ان يكون دفعة واحدة .

وقوله « ثمانية ازواج » يريد ثمانية افراد لان كل واحد من ذلك يسمى زوجاً ، والانثى زوج ، وانما سمي بذلك لانه لا يكون زوج إلا ومعه آخر له مثل اسمه ، فلما دل على الاثنين من اقرب الوجوه وقع على طريقه ومنه قول لبيد .

من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها (٢)

ومثل ذلك قولهم : خصم للواحد والاثنين ، وقوله « من الضان اثنين يعني ذكر وانثى فالضان الغنم ذوات الاصواف والاوبار ، والمعز الغنم ذوات الاشعار والاذناب القصار ، وواحد الضان ضائن ، كقولهم تاجر وتجر في قول الزجاج . والانثى ضائنة . وقال غيره : هو جمع لا واحد له ويجمع ضئين كقولهم : عبد وعبيد ، ويقال فيه ضئين كما يقولون في شعر شعير ، وكذلك ما عز ومعز إلا انه يجوز فتحه لدخول حرف الحلق فيه ويجمع مواعز .

---

(١) اللسان (ليس) (٢) تفسير الطبرى ١١ : ١٤٣ وهو من معلقته المشهورة يصف هو ادح ظعن الحى .

وروي عن أبي عبدالله (ع) ان المراد بقوله « من الضان اثنين » أهلي ووحشي وكذلك المعز والبقر « ومن الابل اثنين » العرابي والبخاتي .

وانما خص هذه الثمانية أزواج ، لانها جميع الانعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه مما تقدم ذكره .

فان قيل إذا كان ما حرموه معلوماً فلم عدل بهم في السؤال الى غيره ؟

قيل على وجه المعارضة لهم على طريقة الحجاج أي انكم بمنزلة من قال هذا ، ولذلك وقع السؤال اعلى كذا ام كذا وإن لم يتقدم دعوى ان احدهما كذا ، لانهم في حكم هذا المدعى .

وقوله « آلذكرين حرم ام » منصوب بـ (حرم) ، والمعنى في قوله « آلذكرين حرم ام الانثيين » اجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من الذكرين ام من الانثيين فالالف الف استفهام والمراد به التوبيخ ، فلو قالوا من قبل الذكر حرم عليهم كل ذكر ، ولو قالوا من قبل الانثى حرمت عليهم كل انثى . ثم قال « اما اشتملت عليه ارحام الانثيين » فلو قالوا ذلك حرم عليهم الذكر والانثى لان الرحم يشتمل عليهما ، قال الحسن معناه ما حملت الرحم .

وقوله « نبئوني بعلم ان كنتم صادقين » في ذلك .

وقوله « آلذكرين » دخلت الف الاستفهام على الف الوصل لئلا يلتبس بالخبر ، ولو اسقطت جاز لان (ام) تدخل على الاستفهام ، وعلى هذا اجاز سيبويه قول الشاعر ان يكون استفهاما :

فو الله ما ادري وان كنت دارياً شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر (١)

اجاز تقديره اشعيب . و (ما) في قوله « اما اشتملت » في موضع نصب عطفا على الانثيين ، وانما قال الانثيين مثنى لانه اراد من الضان والمعز .

(١) مر تخريجه في ٤ : ١٩٩

قوله تعالى

﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٤) آية بلا خلاف.

قوله «ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين» تفصيل لتمام الثمانيـــة ازواج التي اجملها في الآية الاولى وقد بينا معنى قوله « آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين » واصل الاشتمال الشمول تقول شملهم الامر يشملهم شمولا فهو شامل ، ومنه الشمال لشمولهـــا على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها والشمول الخمر لاشتمالها على العقل . وقيل : لان لها عصفة كعصفة الشمال .

وقوله «ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا » ف (أم) معادلة لقوله «آلذكرين» وانما قام ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا لان طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقل في ادراك الحق بها او المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض ، فاذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب . والمعنى اعلمتم ذلك بالسمع والكتب المنزلة فانتم لا تقرون بذلك ام شافهكم الله به فعلتموه ، فاذا لم يكن واحد منهما علم بطلان ما تذهبون اليه والوصية مقدمة مؤكدة فيما يفعل او يترك ، يقال : وصاه يوصيه توصية ، واوصاه يوصيه ايصاء والوصي الموصي اليه .

وقوله « فمن اظلم ممن افترى على الله » يعني من اظلم لنفسه ممن يكذب عليه فيضيف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله « ليضل الناس بغير علم » اي عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه الى مايشك بصحته مما لا يؤمن ان يكون فيه

هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ، فلذلك قال « ليضل الناس بغير علم » .

ثم اخبر « ان الله لا يهدى » الى الثواب « القوم الظالمين » لانهم مستحقون للعقاب الدائم بكفرهم وضلالهم .

قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ ابن كثير وحمزة « تكون » بالتاء « ميتة » بالنصب . وقرأ ابن عامر بالتاء والرفع . الباقون بالياء والنصب .

من قرأ بالياء ونصب الميتة جعل في « تكون » ضميراً ونصب الميتة بأنه خبر كان وتقديره : إلا ان يكون ذلك او الموجود ميتة .

ومن قرأ بالتاء ورفع الميته رفعها بـ (يكون) ويكون من كان التامة دون الناقصة التي تدخل على المبتداء والخبر ، وهذه القراءة ضعيفة لان ما بعده او دما مسفوحا او لحم خنزير بالعطف عليه فلو كان مرفوعا لضعف ذلك ومن قرا بالتا ونصب الميتة جعل في يكون ضمير العين أو النفس ، وتقديره إلا ان تكون النفس ميتة ، ونصب الميتة بأنه خبر كان .

المعنى واللغة:

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار انه لا يجد في ما اوحي اليه

شيئاً محرماً الا نحو ماذكره في المائدة (١) كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة وفي حكمها ، فبين هناك على التفصيل ، وههنا على الجملة واجود من ذلك ان يقال ان الله تعالى خص هذه الثلاثة اشياء تعظيما لتحريمها وبين ماعداها في موضع آخر وقيل انه خص هذه الاشياء بنص القرآن وماعداه بوحي غير القرآن . وقيل ان ماعدا محرم فيما بعد بالمدينة والسورة مكية ، والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية والدم المسفوح هو المصبوب . يقال سفحت الدمع وغيره أسفحه سفحا اذا صببته ومنه السفاح الزنا لصب الماء صب ماء والسفح والصب والاراقة بمعنى وانما خص المسفوح بالذكر لان ما يختلط بالدم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح ، وهو قول ابي مجلز ، وعكرمة وقتادة وقوله «او لحم خنزير» فانه وان خص لحم الخنزير بالذكر ، فان جميع ما يكون منه من الجلد والشعر والشحم وغير ذلك محرم

وقوله « فانه رجس » يعني ما تقدم ذكره ، فلذلك كنا عنه بكناية المذكر ، والرجس العذاب ايضاً .

وقوله « او فسقاً » عطف على قوله « أو لحم خنزير » فلذلك نصبه ، والمراد بالفسق « ما أهل لغير الله به » يعني « مالم يذكر اسم الله عليه » أو تذكر الاصنام والاوثان ، وسمى ما ذكر عليه اسم الوثن فسقاً لخروجه عن أمر الله .

وأصل الاهلال رفع الصوت بالشيء ، ومنه أهل الصبي إذا صاح عند ولادته

وقوله « فمن اضطر غير باغ ولاعاد » قيل فيه قولان :

احدهما - غير طالب بأكله التلذذ .

والثاني - غير قاصد (٢) لتحليل ماحرم الله . وروى أصحابنا في قوله « غير باغ » أن معناه أن لا يكون خارجاً على إمام عادل اي لا يتعدى بتجاوز ذلك الى ماحرمه الله . وروى اصحابنا ان المراد به قطاع الطريق ، فانهم غير مرخصين بذلك على حال

(١) آية ٣ من سورة المائدة م : ٤٢٨ (٢) في المطبوعة (واجد)

والضرورة التي تبيح اكل الميتة هي خوف التلف على النفس من الجوع . وانما قال عند التحليل للمضطر « ان ربك غفور رحيم » لأن هذه الرخصة لانه « غفور رحيم » اي حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة . وفي ذلك بيان عن عظم موقع النعمة . وقد استدل قوم بهذه الاية على اباحة ما عدا هذه الاشياء المذكورة . وهذا ليس بصحيح ، لأن ههنا محرمات كثيرة غيرها كالسباع وكل ذي ناب وكل ذي مخلب وغير ذلك . وكذلك اشياء كثيرة اختص اصحابنا بتحريمها ، كالجري والمارماهي ، وغير ذلك ، فلا يمكن التعلق بذلك .

ويمكن ان يستدل بهذه الاية على تحريم الانتفاع بجلد الميتة فانه داخل تحت قوله « ان يكون ميتة » ويقويه قوله (عليه السلام) لا ينتفع من الميتة بأهاب ولا عصب . فأما دلالته على ان الشعر والصوف والريش منها والناب والعظم محرم ، فلا يدل عليه لان مالم تحله الحياة لا يسمى ميتة على ما مضى القول فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١٤٦)

آية اجماعا .

اخبر الله تعالى انه حرم على اليهود في ايام موسى كل ذي ظفر . واختلفوا في معنى « كل ذي ظفر » فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي : انه كلما ليس بمنفرج الاصابع ، كالابل والنعام ، والأوز والبط . وقال ابو علي الجبائي يدخل في ذلك جميع انواع السباع والكلاب والسنانير وسائر ما يصطاد بظفره من الطير . وقال

البلخي: هو كل ذي مخلب من الطائر وكل ذي حافر من الدواب . ويسمى الحافر ظفراً مجازاً ، كما قال الشاعر :

فما رقد الولدان حتى رأيته　　على البكر يمريه بساق وحافر(١)

فجعل الحافر موضع القدم . واخبر تعالى انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى ، وغير ذلك مما في اجوافها ، واستثنى من ذلك بقوله «الا ما حملت ظهورها» ما حملته ظهورها فانه لم يحرمه ، واستثنى ايضاً ما على الحوايا من الشحم ، فانه لم يحرمه .

واختلفوا في معنى الحوايا ، فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي : هي المباعر . وقال ابن زيد : هن بنات اللبن . وقال الجبائي : الحوايا الامعاء التي عليها الشحم من داخلها .

اللغة :

وحوايا جمع حوية وحاوية . وقيل في واحده حاوياء في قول الزجاج على وزن راضمات ورواضع وضاربة وضوارب ومن قال حوية قال وزنه فعائل مثل سفينة وسفائن في الصحيح وهي ما يجري في البطن فاجتمع واستدار ، ويسمى بنات اللبن والمباعر والمرابض ومافيها الامعاء بذلك .

واستثنى أيضاً من جملة ما حرم « ما اختلط بعظم » وهو شحم الجنب والالية ، لأنه على العصعص في قول ابن جريج والسدي . وقال الجبائي الالية تدخل في ذلك ، لأنها لم تستثن وما اعتد بعظم العصعص .

الاعراب :

وموضع الحوايا من الاعراب يحتمل أمرين :

(١) قائله جبيها الاسدى . اللسان (حفر)

احدهما - قول اكثر اهل العلم انه رفع عطفاً على الظهور على تقدير : وما حملت الحوايا .

الثانى - نصب عطفاً على ما في قوله « إلا ما حملت » . فاما قوله « أو ما اختلط بعظم » نسقاً على ما حرم ، لا على الاستثناء . والتقدير - على هذا القول - حرمنا عليهم شحومها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور ، فانه غير محرم . و (أو) دخلت على طريق الاباحة كقوله « ولا تطع منهم آثما او كفوراً » (١) والمعنى اعص هذا واعص هذا ، فان جميعهم اهل ان يعصى ، ومثله جالس الحسن او ابن سيرين أي جالس ايهما شئت .

المعنى :

وهذه الاشياء و ان كان الله تعالى حرمها على اليهود في شرع موسى ، فقد نسخ تحريمها على لسان محمد صلى الله عليه وآله وأباحها ، وتدعى النصارى ان ذلك نسخ في شرع عيسى (عليه السلام) ولسنا نعلم صحة ما يقولونه .

وقوله « ذلك جزيناهم ببغيهم » معناه انا حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم على بغيهم .

فان قيل : كيف يكون التكليف عقابا وهو تابع للمصلحة ومع ذلك فهو تعريض للثواب ؟؟

قلنا : انما سماه عقوبة ، لأن عظيم ما اتوه من الاجرام والمعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغير المصلحة وحصول اللطف فيه ، فلذلك سماه عقوبة ، ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك .

وقوله « وانا لصادقون » يعني فيما اخبرنا به من تحريم ذلك على اليهود فيما مضى .

---

(١) سورة الدهر آية ٢٤

وان ذلك عقوبة لاوائلهم ومصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ . وحكي عن ابن علية انه كان يقول : ان ما يذبحه اليهود لايجوز اكل شحمه وان جاز اكل لحمه لان الشحوم كانت حراماً عليهم . وعندنا ان ما يذبحه اليهود لا يجوز استباحة شيء منه ، وهو بمنزلة الميتة غير ان الذي ذكره غير صحيح ، لانه يلزم عليه انه لو نحر اليهود جملا ان لا يجوز اكله ، لانه كان حراماً عليهم ، وذلك باطل عنده .

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧) آية بلا خلاف .

المعني بقوله « فان كذبوك » قيل فيه قولان :

احدهما - قال مجاهد والسدي : انهم اليهود ، لانهم زعموا انهم حرموا الثروب ، لان اسرائيل حرمها على نفسه ، فحرموها اتباعاً له دون ان يكون الله حرم ذلك على لسان موسى .

الثاني - انه يرجع الى جميع المشركين في قول الجبائي وغيره على ظاهر الآية ، فقال الله لنبيه « فان كذبوك » يا محمد في اني حرمت ذلك على اليهود على لسان موسى « فقل » لهم « ربكم ذو رحمة واسعة » واقتضى ذكر الرحمة احد امرين :

الاول - انه برحمته امهلهم مع تكذيبهم بالمؤاخذة عاجلا - في قول ابي علي الجبائي - .

الثاني - انه ذكر ذلك ترغيبا لهم في ترك التكذيب وترهيباً في فعله وانما قابل بين لفظ الماضي في قوله « كذبوك » بالمستقبل في قوله « فقل » لتأكيد وقوع القول بعد التكذيب اذ كونه جواباً يدل على ذلك . و (ذو) بمعنى صاحب . والفرق بينهما ان احدهما يصح ان يضاف الى المضمر ، ولا يصح في الآخر لان (ذو) وصلة الى

الصفة بالجنس ولذلك جعل ناقصاً لا يقوم بنفسه دون المضاف اليه . والمضمر ليس بجنس ولا يصح ان يوصف به .

وقوله « لا يرد بأسه » معناه لا يمكن احداً ان يرده عنهم . وهو ابلغ من قوله بأسه نازل بالمجرمين ، لانه دل على هذا المعنى وعلى ان احداً لا يمكنه رده . وقوله « عن القوم المجرمين » معناه ان احداً لا يتمكن من رد عقاب الله عن العصاة المستحقين للعقاب مع انه تعالى ذو رحمة واسعة .

قوله تعالى:

﴿ سيقولوا الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ﴾ (١٤٨) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى نبيه (ص) بأن هؤلاء المشركين سيحتجون في اقامتهم على شركهم ، وعلى تحريمهم ما أحله الله من الانعام التي تقدم وصفها بأن يقولوا: لو شاء الله ان لا نفعل نحن ذلك ولا نعتقده ولا اباؤنا او اراد منا خلاف ذلك « ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا » شيئاً من ذلك ، فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله « كذلك كذب الذين من قبلهم » ومعناه مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء — في انه منكر — « كذب الذين من قبلهم » وإنما قال كذلك لتقصي الخبر ، ولو قال (كذا) لجاز لانه قريب بعد الاول ، و(كذلك) احسن لان ما فيه من تأكيد الاشارة تغني عن الصفة ، وحكي انه قرىء « كذب الذين » بالتخفيف ، فمن خفف اراد ان هؤلاء كاذبون كما كذب الذين من قبلهم على الله بمثله . ومن قرأ بالتشديد ، فلأنهم بهذا القول كذبوا

رسول الله لانهم قالوا له ان الله اراد منا ذلك ، وشاءه . ولو اراد غيره لما فعلناه ، مكذبين للرسول (ص) كما كذب من تقدم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله ثم بين بقوله « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ان ما قالوه باطل وكذب على الله لأنه لو كان صحيحاً لما رده عليهم . ثم اكد تكذيبهم بقوله « ان تتبعون الا الظن » اي ليس يتبعون الا ظناً من غير علم « وان انتم الا تخرصون » يعني تكذبون . والخرص الكذب لقوله « قتل الخراصون » (١) .

وفي هذه الآية ادل دلالة على ان الله تعالى لا يشاء المعاصي والكفر ، وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله مع قيام ادلة العقل على أنه تعالى لا يريد القبيح لان ارادة القبيح قبيحة ، وهو لا يفعل القبيح ، ولأن هذه صفة نقص ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله « حتى ذاقوا بأسنا » معناه حتى ذاقوا عذابنا واراد به حلول العذاب بهم فجعل وجدانهم لذلك ذوقاً مجازاً . وجاز قوله « ما اشركنا ولا اباؤنا » ولم يجز ان يقال قمنا وزيد ، لان العطف على المضمر المتصل لا يحسن الا بفصل ، فلما فصلت (لا) حسن ، كما حسن : ما قد قمنا ولا زيد كان كذلك ، لان الضمير المتصل يغير له الفعل في فعلت فيصير كجزء منه .

فان قيل انما انكر الله تعالى عليهم هذا القول ، لانهم جعلوا هذا القول حجة في اقامتهم على شركهم فاعلم الله عز وجل ان « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا » ولم ينكر عليهم انهم قالوا الشرك بمشيئة الله ، ولو كان منكراً لذلك ، لقال كذلك كذب الذين — بتخفيف الذال — .

قلنا : لا يجوز ذلك ، لانه تعالى بين انهم كذبوا في هذا القول بقوله « وان انتم الا تخرصون » أي تكذبون ، فأما كذبوا فقد حكينا انه قرئ — بالتخفيف —

(١) سورة الذاريات آية ١٠

ومن شدد الذال ، فلان تكذيب الصادق كذب ، وهو يدل على الأمرين ، فان قالوا انما عابهم ، لانهم كانوا متهزئين بهذا القول لا معتقدين ولا متدينين . قلنا : المعروف من مذهبهم خلافه ، لانهم كانوا يعتقدون ان جميع ما يفعلونه قربة الى الله ، وان الله تعالى أراده واخبر عنه ، فكيف يكونون متهزئين ، على ان الهازىء بالشيء لا يسمى كاذباً ، فكيف سماهم الله كاذبين ، على انه اذا كان كل ما يجري بمشيئته فلا يجب أن ينكر على احد ما يعتقده لانه اعتقد ما شاء الله . ومن فعل ما شاء كان مطيعاً له ، لان الطاعة هي امتثال الأمر والمراد منه . وهذا باطل بالاجماع .

فان قيل : انما عاب الله المشركين بهذه الآية ، لأنهم قالوا ذلك حدساً وظناً لا عن علم ، وذلك لا يدل على انهم غير صادقين ، وقد يجوز أن يكون الانسان صادقاً فيما يخبر به ويكون قوله صادراً عن حدس وعن ظن .

قلنا : لو كان الأمر على ما قلتم لما كانوا كاذبين إذا كان مخبر ما اخبروا به على ما اخبروا ، وقد كذبهم الله في اخبارهم بقوله « كذلك كذب الذين من قبلهم » وبقوله « ان انتم إلا تخرصون » على أن من ظن شيئاً فاخبر عنه لا يوصف بأنه كاذب وإن كان على خلاف ما ظنه فكيف اذا كان على ما ظنه .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩)

آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار الذين احتجوا بما قالوه ان الله لو شاء منهم ذلك لما كان لله الحجة البالغة يعني حجة التي احتج بها على الكافرين في الآية الاولى ، وجميع ما احتج به على عباده في صحة دينه الذي كلفهم اياه . ومعنى (البالغة) التي تبلغ قطع عذر المحجوج وتزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها

واستدل ايضاً بها . وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة ، لأنه لا يحتج الا بالحق وما يؤدي الى العلم .

وقوله « ولو شاء لهداكم اجمعين » يحتمل أمرين :

احدهما - لو شاء لالجأ الجميع الى الايمان غير أن ذلك ينافي التكليف .

الثاني - انه لو شاء لهداهم الى نيل الثواب ودخول الجنة ، وبين بذلك قدرته على منافعهم ومضارهم ، وبين انه لم يفعل ذلك ، لانه يوجب زوال التكليف عنهم والله تعالى أراد بالتكليف تعريضهم للثواب الذي لا يحسن الابتداء به ، ولو كان الامر على ما قالته المجبرة من أن الله تعالى شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله من حيث فعلوا ما شاء الله وكان يجب ان يكونوا بذلك مطيعين له ولا تكون الحجة عليهم من حيث انه خلق فيهم الكفر وأراد منهم الكفر ، فاي حجة مع ذلك .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٠) آية بلا خلاف.

معنى هذه الآية أن الحجاج بأن الطريق الموصل الى صحة مذهبهم غير منسد اذ لم يثبت من جهة حجة عقل ولا سمع . وما لم يصح أن يثبت من احد هذين الوجهين باطل لامحالة ، لان ما لا يصح أن يعلم فاسد لامحالة .

امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم وصفهم « هلموا » ومعناه هاتوا . وهلم كلمة موضوعة للجماعة بنى مع (ها) فصار بمنزلة الصوت نحو صه (قال) الاعشى :

وكان دعا قومـــه دعوة هلم الى امركم قد صرم (١)

ومن قال : هلموا ، فانه لم يبنه مع (ها) بل قدره على الانفصال . والاول افصح ، لانها لغة القرآن وهي لغة اهل الحجاز. واهل نجد يقولون : هلم وهلما وهلموا وهلمي وهلميا وهلمن ، قال : سيبويه اصله (ها) ضم اليه (لم) فبني فقيل : هلم ، وهات فصل لم يتصل بما يبنى معه ، فلذلك لا بد ان يقال للجماعة . هاتوا ، و (هـلم) لفظ يتعدى تارة ، واخرى لا يتعدى ، فاذا كانت بمعني (هاتوا) فانها تتعدى مثل قوله « هلم شهداءكم » وإذا كانت بمعني (تعالوا) نحو « هلم الينا » (٢) فانها لا تتعدى ونظيره : عليك زيداً يتعد الى واحد ، وعليّ زيداً يتعدى الى اثنين بمعني اولني زيداً ، ومثله من الفعل : رجع ورجعته ، ولا يجوز في (هلم) الضم والكسر ، كما يجوز في ، ورد ورد . قال الزجاج : لانها لا تتصرف على طريقة : فعل يفعل، مع ما انضمت بها من هاء .

ومعني الآية هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعون من ان الله حرم هذا الذي ذكرتموه .

وقوله « فان شهدوا فلا تشهد معهم » فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة مع انهم اذا شهدوا لم تقبل شهادتهم ؟؟

قلنا : عنه جوابان احدهما - قال ابو علي : لانهم لم يشهدوا على الوجـه ، دعوا ان يشهدوا بينة عادلة تقوم بها الحجة .

الثاني - شهداء من غيرهم ، ولن يجـدوا ذلك ، ولو وجدوه ما وجب قبول شهاداتهم ، لانها لا ترجع الا الى دعوى مجردة . ولكن المذهب مع هذه الحال ابعد عن الصواب ، لانهم لا يجدون من يشهد لهم . وهو قول الحسن .

(١) ديوانه ٣٤ ، ومجاز القرآن : ٢٠٨ وتفسير الطبرى ١٢ : ١٥٠ واللسان والتاج (ربع)

(٢) سورة الاحزاب آية ١٨

وقوله « ولا تتبع » اهواء الذين كذبوا بآياتنا » نهي من الله لنبيه والمراد به امته ان يعتقدوا مذهب من اعتقد مذهبه هوى ، ويمكن اتخاذ المذهب هوى من وجوه

احدها - هوى من سبق اليه فقلده فيه .

والثاني ان يدخل عليه شبهة فيخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منه .

ومنها - ان يقطع النظر دون غايته ، المشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد .

ومنها - ان يكون نشأ على شيء والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته . وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله .

وانما قال « الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة » وكلهم كفار ليفصل وجوه كفرهم ، لان منه ما يكون مع الاقرار بالاخرة كحال اهل الكتاب ، ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الأوثان .

وقوله « وهم بربهم يعدلون » معناه يعدلون به عن الحق لاتخاذهم مع الله شركاء واضافتهم اليه ما لم يقله وافترائهم عليه .

وفي الاية دلالة على فساد التقليد لانه لو كان التقليد جائزاً لما طالب الله الكفار بالحجة على صحة مذهبهم ، ولما كان عجزهم عن الاتيان بها دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ تَعالَوْا اَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ اَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ اِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا اَوْلادَكُمْ مِنْ اِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا

النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ (١٥١) آية بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم انهم حرموا مالم يحرمه الله واحلوا ما حرمه ، قال لنبيه « قل » لهم « تعالوا » حتى أبين لكم ما حرمه الله . و(تعالوا) معناه ادنوا ، وهو مشتق من العلو ، وتقديره كأن الداعي في المكان العالي ، وان كانا في مستوى من الارض كما يقال للانسان : إرتفع الى صدر المجلس .

وقوله « اتل » مشتق من التلاوة مثل القراءة . والمتلو مثل المقروء ، فالمتلو هو المقروء الاول والتلاوة هي الثاني منه على طريق الاعادة ، وهو مثل الحكاية والمحكي .

الاعراب :

وقوله « اتل » مجزوم بأنه جواب الأمر وعلامة الجزم فيه حذف الواو ، ومن شأن الجازم ان يأخذ الحركة اذا كانت على الحرف ، فان لم يكن هناك حركة اخذ نفس الحرف .

وقوله « ما حرم ربكم » (ما) في موضع نصب بـ (اتل) وهي بمعنى الذي ، وتقديره اتل الذي حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً ، ويجوز ان يكون نصباً بـ (حرم) وتقديره اي شيء حرم ربكم ، لان اتلو بمنزلة اقول .

وقوله « ان لا تشركوا به شيئاً » يحتمل موضع (ان) ثلاثة اوجه من الاعراب:

احدها - الرفع على تقدير ذلك ان لا تشركوا به شيئاً .

والثاني - النصب على تقدير اوصى ان لا تشركوا به شيئاً .

وقيل فيه وجه رابع - أن يكون نصباً بـ (حرم) وتكون (لا) زائدة ، وتقديره حرم ربكم أن تشركوا به شيئاً ، كما قال « ما منعك ان لا تسجد » (١) ونظائر ذلك

(١) سورة الاعراف آية ١١

قد قدمنا طرفاً منها .

وموضع تشركوا يحتمل امرين احدهما - النصب بـ (ان) الثاني - الجزم بـ(لا) على النهي .

وقال ابو جعفر عليه السلام: ادنى الشرك الرياء .

وقوله « وبالوالدين احساناً » العـــامل فيه (امر) بالوالدين احسانا واوصى بالوالدين احساناً . ودليله من وجهين : احدهما - ان في (حرم كذا) معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه . الثاني « ذلكم وصاكم به » .

وقوله « ولا تقتـلوا اولادكم من املاق » عطف بالنهي على الخبر ، لان قوله « ولا تقتلوا » نهي وقوله اوصى الا تشركوا به شيئاً ، واوصى بالوالدين احساناً خبر ، وجاز ذلك كما جاز في قوله « قل إني امرت ان اكون اوّل من اسلم ولا تكونن من المشركين » (١) وقال الشاعر .

حج واوصى بسليمي الا عبدا ان لاترى ولا تكلم احدا
ولا تمش بفضاء بعدا ولا يزل شرابها مبردا (٢)

المعنى واللغة :

والاملاق : الافلاس من المال والزاد يقال املق املاقاً ومنه الملق لانه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع في العطية .

وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج والضحاك : الاملاق الفقر ، نهاهم الله ان يقتلوا اولادهم خوفاً من الفقر . وقال « نحن نرزقكم واياهم » وقوله « ولا تقربوا الفواحش » نهي عن الفواحش وهي القبائح . وقيل الفاحش المظيم القبح ، والقبيح يقع على الصغير والكبير ، لانه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة . وضد

(١) سورة الانعام آية ١٤ (٢) مجاز القرآن ١ : ٣٦٤ وتفسير الطبري ١٢ : ٢١٦ .

القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش . قال الرماني ويدخل في الاية النهي عن الصغير ، لان قرب الفاحش عمل الصغير من القبيح .

وقوله « ما ظهر منها وما بطن » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس والضحاك والسدي : كانوا لا يرون بالزنا بأساً سراً ، ويمنعون منه علانية ، فنهى الله عنه في الحالين .

الثاني - لئلا يظن ويتوهم أن الاستبطان جائز .

وقال ابو جعفر (عليه السلام) ما ظهر هو الزنا ، وما بطن المخالة . وقيل معناه ما علن وما خفي من جميع انواع الفواحش وهو اعم فائدة .

وقوله « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » فالنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد دون الكافر الحربي ، والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة اشياء : قود بالنفس الحرام ، والزنا بعد احصان ، والكفر بعد الايمان .

وقوله « ذلكم وصاكم » به خطاب لجميع الخلق « لعلكم تعقلون » معناه لكي تعقلوا عنه ما وصاكم به فتعملوا به .

قوله تعالى :

﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٥٢) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر « تذكرون » بتخفيف الذال حيث وقع . الباقون بالتشديد . قال سيبويه : ذكرته ذكراً مثل شربا ، قال ابو علي : (ذكر) فعل يتعدى

الى مفعول واحد ، كقوله « فاذكروني اذكركم » (١) فاذا ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كقولك ذكرته اياه قال الشاعر :

يذكرينك حنين العجول　　ونوح الحمامة تدعو هديلا

فان نقله بالهمزة كان كنقله بالتشديد ، وتقول ذكرته فتذكر ، لان تذكر مطاوع (فعل) كما تفاعل مطاوع فاعل ، قال تعالى « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » (٢) وقد تعدى تفعلت قال الشاعر :

تذكرت ارضاً بها اهلها　　اخوالها فيها واعمامها

وانشد ابو زيد :

تذكرت ليلى لات حين اذكارها　　وقد حني الاضلال ضلا بتضلال

فقال اذكارها ، كما قال « وتبتل اليه تبتيلا » (٣) ونحو ذلك مما لايحصى مما لايجيء المصدر على فعلة ، وجاء المصدر على فعلى بالف التأنيث ، فقالوا ذكرى وقالوا فى الجمع الذكر ، فجعلوه بمنزلة (سدرة ، وسدر) وقالوا : الدكر بالدال غير المعجمة حكاه سيبويه ، والمشهور بالذال .

فمن قرأ بتشديد الذال اراد يتذكرون ويأخذون به ، ولا يطرحونه وادغم التاء في الذال والمعنى يتذكرون ، كما قال « والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر » (٤) اى يتفكر وقال « اولا يذكر الانسان » (٥) معناه اولا يتفكر ، وقال « ولقد صرفناه بينهم ليذكروا » (٦) اي ليتفكروا فيه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٢
(٢) سورة الاعراف آية ٢٠٠
(٣) سورة المزمل آية ٨
(٤) سورة الفرقان آية ٦٢
(٥) سورة مريم آية ٦٧　　(٦) سورة الفرقان اية ٥٠

ومن قرأ - بتخفيف الذال - اراد لعلكم يذكروه ولا ينسوه فيعملوا به .
والقراءتان متقاربتان غير ان هذا حذف التاء الاولى ، والاولون ادغموا التاء في الذال . والمعنى فيها لعلكم تتذكرون .

هذه الآية عطف على ماحرم الله في الاية الاولى وأوصى به ، فنهى في هذه الاية أن تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، والمراد بالقرب التصرف فيه وانما خص اليتيم بذلك وان كان واجباً في كل احد ، لأن اليتيم لما كان لا يدفع عن نفسه ولا له والد يدفع عنه ، فكان الطمع في ماله أقوى تأكد النهي في التصرف في ماله .

وقوله « الا بالتي هي احسن » قيل في معناه ثلاثة أقوال :

احدها - حفظه عليه الى ان يكبر فيسلم اليه .

وقيل معناه تثميره بالتجارة في قول مجاهد والضحاك والسدي .

والثالث - ما قاله ابن زيد أن يأخذ القيم عليه بالمعروف دون الكسوة .

وقوله « حتى يبلغ أشده » اختلفوا في حد الاشد ، فقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك وعامر الشعبي : هو الحلم . وقال السدي ثلاثون سنة . وقال قوم ثماني عشرة سنة . لأنه اكثر ما يقع عندهم البلوغ واستكمال العقل .

وقال قوم : انه لاحد له وانما المراد به حتى يكمل عقله ولا يكون سفيهاً يحجر عليه . والمعنى حتى يبلغ اشده فيسلم اليه ماله او يأذن في التصرف في ماله ، وحذف لدلالة الكلام عليه . وهذا أقوى الوجوه . وواحد الأشد قيل فيه قولان :

احدها - شد مثل اضر جمع ضر ، واشد جمع شد . والشد القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما شد النهار ارتفاعه . وحكى الحسين بن علي المغربي عن أبي اسامة أن واحده شدة . مثل نعمة وأنعم . وقال بعض البصريين : الأشد واحد مثل الآفك . ومن قال إن واحده شد استدل بقول عنترة :

عهدي به شد النهار كانما خضب البنان ورأسه بالعظلم (١)

هكذا رواه المفضل الضبي . وقال الاخر :

يطيف به شد النهار ظعينه طويلة أنقاء اليدين سحوق (٢)

وقوله « واوفوا الكيل والميزان بالقسط » امر من الله بتوفية كيل ما يكال وتوفية وزن ما يوزن بالقسط يعني بالعدل . وفاء من غير بخس .

وقوله « لا تكلف نفسا الا وسعها » معناه هنا انه لما كان التعويل في الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر ، بين انه لا يلزم في ذلك الاجتهاد في التحرز .

وقوله « واذا قلتم فاعدلوا » يعني قولوا الحق . ولو كان على ذي قرابة لكم . وانما خص القول بالعدل دون الفعل ، لان من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ، لأن ذلك من اكد الدواعي اليه والبواعث عليه .

وقوله « وبعهد الله اوفوا » قيل في معني العهد هاهنا قولان :

احدهما - كل ما اوجبه على العبد فقد عهد اليه بايجابه عليه وتقديم القول فيه والدلالة عليه .

الثاني - قال ابو علي عهد الله الحلف بالله ، فاذا حلف في غير معصية الله وجب عليه الوفاء . وقوله « ذلكم وصاكم به » لعلكم تذكرون . قيل في معناه قولان :

احدهما - لئلا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزم منه .

الثاني - لتتذكروا كل ما يلزمكم بتذكر هذا فتعملوا به .

---

(١) ديوانه ٢٧ وتفسير الطبري ١٢ : ٢٢٢

(٢) تفسير الطبري ١٢ : ٢٢٢

قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

آية بلا خلاف

القراءة والحجة:

قرا الكسائي وحمزة « وإن هـذا » بكسر الهمزة . الباقون بفتحها . وكلهم شدد النون إلا ابن عامر فانه خففها . وكلهم سكن الياء من (صراطي) إلا ابن عامر فانه فتحها . وبه قرأ يعقوب . وقرأ ابن كثير وابن عامر « سراطي » بالسين. الباقون بالصاد الا حمزة ، فانه قرأ بين الصاد والزاي . وروى ابن فليح والبزي الا القواس « فتفرق » بتشديد التاء .

ووجهه ان اصله فتتفرق ، فادغم احدهما في الاخرى .

ومن فتح (ان) احتمل ذلك وجهين : احدهما أن يكون عطفاً على ان لا تشركوا . والثاني - ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه .

ومن كسر (ان) احتمل ايضاً وجهين : احدهما - عطفه على « اتل ماحرم ربكم » واتل « ان هذا » بمعنى اقول : والثاني - استانف الكلام .

ومن خفف (ان) فان المخففه في قوله يتعلق بما يتعلق به المشددة .

الاعراب:

وموضع (هذا) رفع بالابتداء وخبره (صراطي) وفي ان ضمير القصة والشأن . وعلى هذه الشريطة تخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت . والفاء في قوله « فاتبعوه » على قول من كسر (ان) عاطفة جملة على جملة . وعلى قول من فتح

زائدة ، ونصب « مستقيما » على الحال . والفائدة ان هذا صراطي وهو مستقيم ، فاجتمع له الامران ، ولو رفع مستقيم ، لما افاد ذلك .

المعنى :

وإنما سمى الله تعالى أن ما بينه وذكره من الواجب والمحرم صراط وطريق ، لان امتثال ذلك على ما امر به يؤدي الى الثواب في الجنة ، فهو طريق اليها ، وإلى النعيم فيها .

وقوله « فاتبعوه » امر من الله تعالى باتباع صراطه وما شرعه للحق . وطريق اتباع الشرع - وفيه الحرام والحلال والمباح - هو اعتقاد ذلك فيه ، والعمل على ما ورد الشرع به فيفعل الواجب والندب ويجتنب القبيح ، ويكون مخيراً في المباح . ولا يجب فعل جميعه ، لان ذلك خلاف الاتباع . وانما قيل لاعتقاد صحة الشرع اتباع له ، لأنه تعالى إذا حظر شيئاً او حظر تركه كان حكمه ووجب اتباعه في انه محرم وواجب ، وكذلك الندب والمباح .

وقوله « ولا تتبعوا السبل » يعني سبل الشيطان واتباع اهل البدع من اليهود والنصارى ، وغيرهم ، فنهى تعالى عن اتباع ذلك فان اتباع غير سبيله تصرف عن اتباع سبيله ، ولا يمكن ان يجتمعا « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » معناه امركم به واوصاكم بامتثاله لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه . وانما اتى بلفظة (لعل) لان المعنى إنكم تعاملون في التكليف والجزاء معاملة الشك للمظاهرة في العدل .

قوله تعالى

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٤) آية بلا خلاف .

قيل فى معنى قوله « ثم آتينا موسى الكتاب » مع ان كتاب موسى قبل القرآن و(ثم) تقتضي التراخي قولان :

احدهما ـ ان فيه حذفاً ، وتقديره ثم اتل « آتينا موسى الكتاب » وقال ابو مسلم عطفه على المنن التي امتن بها على ابراهيم من قوله « ووهبنا له اسحاق » الى قوله « الى صراط مستقيم » واستحسنه المغربى .

وقوله « تماماً على الذي احسن » قيل فيه خمسة اقوال :

احدها - قال الربيع والفراء : تماما على إحسانه اي احسان موسى كأنه ، قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الاخرة .

الثانى — قال مجاهد تماماً على المحسنين . وقيل في قراءة عبد الله تماماً على الذين احسنوا كأنه قيل اتماماً للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم .

الثالث — قال ابن زيد تماما على إحسان الله الى انبيائه .

الرابع - قال الحسن وقتادة لتمام كرامته في الجنة على احسانه في الدنيا .

الخامس — قال ابو علي : تماما على إحسان الله إلى موسى بالنبوة ، وغيرها من الكرامة . وقال ابو مسلم تماما على الذي أحسن على ابراهيم ، فجعل ما أعطى موسى منة على ابراهيم ، واجابة لدعوته بما تقدم من احسانه وطاعته ، وذلك إذ يقول ابراهيم « واجعل لي لسان صدق في الاخرين »(١)

وقوله « تماما على الذي » يقتضي مضاعفة (عليه) . ولو قال تماما لدل على نقصانه قبل تكميله .

الاعراب :

وقوله « احسن » في موضع خفض عند الفراء زعم أن العرب تقول مررت

(١) سورة الشعراء آية ٨٤

بالذي خير منك ، وبالذي اخيك . ولا يقولون بالذي قائم لانه نكرة وأنشد عن الكسائي :

ان الزبيري الذي مثل الحكم مشى باسلابك في اهل العلم (١)

قال الزجاج أجمع البصريون على انه لا يجوز ذ لان (الذي) يقتضي صلة ، ولا يصح أن يوصف إلا بعد تمام صلته .

المعنى :

وقوله « وهـــدى ورحمة » صفتان للكتاب الذي انزله على موسى ، ومعناه حجة ورحمة « وتفصيلا لكل شيء » مثل ذلك . وقوله « لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون » معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشأنه وتعظيما له مـــع الاختصار والايجاز . و (تماما) و (تفصيلا) نصب على انه مفعول له ، وتقديره إنا فعلنا للتمام والتفصيل لكل ما شرعنا له . وروي في الشواذ احسن رفعا وتقـديره على الذي هو احسن .

قوله تعالى:

﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥) آية بلاخلاف .

قوله « وهذا » اشارة الى القرآن ، وصفه بأنه كتاب انزله الله وانما وصفه بأنه كتاب وان لم يكن قرآنا من اجل انه يكتب ، لانه لما كان التقييـد بالكتاب من اكثر ما يحتاج اليه في الدلائل والحكم ، وصف بهذا الوصف ، لبيان انه مما ينبغي أن يكتب ، لأنه اجل الحكم وذكر في هذا الموضع بهذا الذكر ليقابل ما تقدم من ذكر كتاب موسى (عليه السلام) .

(١) معاني القرآن ٣٦٥ وتفسير الطبري ١٢ : ٢٣٤

وقوله « مبارك » فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه . واصله الثبوت ، ومنه (تبارك) أي تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى . ورفعه بأنه صفة للكتاب ، ولو نصب على الحال كان جائزاً غير ان الرفع يدل على لزوم الصفة للكتاب ، والنصب يجوز ان يكون لحالة عارضة في وقت الفعل .

وقوله « فاتبعوه » امر من الله باتباعه وتدبر ما فيه وامتثاله .

وقوله « واتقوا » امر منه تعالى باتقاء معاصيه ، وتجنب مخالفة كتابه .

وقوله « لعلكم ترحمون » اي لكي ترحموا ، وانما قال « اتقوا لعلكم ترحمون » مع أنهم اذا اتقوا ، رحموا لامحالة لامرين :

احدهما - انقوا على رجاء الرحمة ، لانكم لا تدرون بما توافون في الاخرة .

الثاني - اتقوا لترحموا ومعناه ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب .

قوله تعالى :

﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (١٥٦) آية بلا خلاف

العامل في (أن) قوله « انزلناه » وتقديره لان لا يقولوا ، فحذف (لا) لظهور المعنى في أنه انزله لئلا يكون لهم حجة بهذا وحذف (لا) في قول الفراء ، وقال الزجاج تقديره كراهة ان تقولوا ، ولم يجز حذف (لا) ههنا وإذا كان يجوز حذف المضاف في غير (أن) فهو مع (ان) اجدر ، لطولها بالصلة ، و (ان) اذا كانت بمعنى المصادر تعمل ، ولا تعمل اذا كانت بمعنى (اي) لان هذه تختص بالفعل والأخرى تدخل للتفسير ، فتارة تصير جملة من ابتداء وخبر ، وتارة جملة من فعل وفاعل .

وقوله « انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » معنى (انما) الاختصاص ،

وانما كان كذلك ، لان (أن) كانت تحقيقاً بتخصيص المعنى مما خالفه ، فلما صحبتها (ما) ممكنة لها ظهر هذا المعنى فيها . والمعني « بالطائفتين من قبلنا » اليهود والنصارى في قول ابن عباس والحسن ومجاهد ، وابن جريج وقتادة والسدي . وإنما خصا بالذكر لشهرتها ولظهور امرهما .

وقوله « وان كنا عن دراستهم لغافلين » اللام في قوله « لغافلين » لام الابتداء ، ولا يجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها الا في باب (ان) خاصة لانها زحلقت معها عن الاسم الى الخبر للفصل بين حرفين بمعنى واحد ، وتقدير الآية انا انزلنا الكتاب الذي هو القرآن لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا : انما انزل الكتاب على اليهود والنصارى ، ولم ينزل علينا ، ولو اريد منا ما اريد ممن قبلنا لانزل الينا كتاب كما انزل على من قبلنا « وان كنا عن دراستهم لغافلين » وتقديره وان كنا غافلين عن تلاوة كتبهم يعني الطائفتين اللتين انزل عليهم الكتاب لانهم كانوا اهله دوننا .

قوله تعالى :

﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ (١٥٧) آية إجماعا .

هذه الاية عطف على ما قبلها والتقدير : انا انزلنا القرآن المبارك لئلا يقولوا انه ما انزل علينا الكتاب ، كما انزل على من قبلنا او يقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم في المبادرة الى قبوله والتمسك به ، كما يقول القائل لو اتيت بدليل لقبلته منك . ومثل هذا يستبق الى النفس .

وقوله « اهدى منهم » فلا دلالهم بالاذهان والافهام . وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر ، بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها الآخر ، وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر .

قال الرماني والفرق بين الهداية والدلالة ان الهداية مضمنة بأنها نصبت ليهتدي بها صاحبها ، وليس كذلك الدلالة قال ولذلك كثر تصرفها في القرآن ، كما كثر تصرف الرحمة ، لأنها على المحتاج . وهذا فرق غير صحيح لان الدلالة أيضاً لا تسمى دلالة الا اذا نصبت ليستدل بها ولذلك لا يقال : اللص دل على نفسه اذا فعل آثاراً امكن ان يستدل بها على مكانه ، ولم يقصد ذلك .

وقوله « لوانا » فتحت (ان) بعد (لو) مع انه لا يقع فيه المصدر ، لان الفعل مقدر بعد (لو) كأنه قيل : لو وقع الينا انا انزل هذا الكتاب علينا ، الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول (ان) بالصلة ، ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال الشاعر :

لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بني العوام

فقال الله لهم « فقد جاءكم بينة من ربكم » يعني حجة واضحة « وهدى ورحمة » وادلة مؤدية الى الحق ورحمة منه تعالى وانعام « فمن اظلم ممن كذب بآيات الله » يعني فمن اظلم لنفسه ممن كذب بآيات الله « وصدف عنها » اي اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها . وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي .

فان قيل كيف قال « فمن اظلم ممن كذب بآيات الله » بان يجحدها ولو فرضنا انه ضم الى ذلك قتل النفوس وانتهاك المحارم كان اظلم ؟ .

قلنا عنه جوابان : احدهما - للمبالغة لخروجه الى المنزلة الداعية الى كل ضرب من الفاحشة . والاخر - انه لا خصلة ممن ظلم النفس اعظم من هذه الخصلة .

ثم قال تعالى « سنجزي الذين يصدفون » اي يعرضون « عن آياتنا سوء

العذاب » اي شديده « بما كانوا يصدقون » اي جزاء بما كانوا يعرضون وهو ما اعد الله للكفار نعوذ بالله .

فان قيل : فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بهذه الآية ان يقولوا هذا القول ؟

قيل : لا ، ليس له ذلك ، لأن عذره كان مقطوعاً بعقله ، وبما تقدم من الأخبار والكتب وهؤلاء ايضاً لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة ، لكن فعل الله تعالى ما علم ان المصلحة تعلقت به لهؤلاء ، ولو علم ذلك فيمن تقدم ، لانزل عليهم مثل ذلك ، لكن لما لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصلحتهم .

قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١٥٨) آية

قرأ حمزة والكسائي « يأتيهم الملائكة » بالياء . الباقون بالتاء .

وقد مضى الكلام في امثال ذلك فيما مضى ، فلا وجه للتطويل باعادته .

قوله « هل ينظرون » ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم . وقال ابو علي : معناه هل تنتظر أنت يا محمد واصحابك الا هذا ؟ ، وهم وان انتظروا غيره ، فلذلك لا يعتد به في جنب ما تنتظرونه من الاشياء المذكورة لعظم شأنها ، وهو مثل قوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١) ، وتكلمت ولم تتكلم بما لا يعتد به .

---

(١) سورة الانفال آية ١٧

وقوله « الا ان يأتيهم الملائكة » يعني لقبض ارواحهم . وقال مجاهد وقتادة والسدي: تأتيهم الملائكة ، لقبض أرواحهم « او يأتي ربك » أي يوم القيامة « او يأتي بعض آيات ربك » ، كطلوع الشمس من مغربها .

وقوله « او يأتي ربك » قيل في معناه قولان :

احدهما - او يأتي امر ربك بالعذاب . وحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ، ومثله «وجاء ربك » (١) وقوله « إن الذين يؤذون الله ورسوله » (٢) يعني يؤذون أولياء الله .

الثاني - او يأتي ربك بعظم آياته فيكون يأتي به على معنى الفعل المتعدي ، ومثل ذلك قول الناس اتانا الروم يريدون اتانا حكم الروم وسيرتهم .

وقوله « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل » . قيل في الآيات التي تحجب من قبول التوبة ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن ، وروي عن النبي (ص) انه قال (بادروا بالاعمال قبل ستة: طلوع الشمس من مغربها ، والدابة ، والدجال ، والدخان ، وخويصة احدكم - اي موته - وامر القيامة) يعني القيامة .

الثاني - قال إبن مسعود: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ، وهو قول ابي هريرة . الثالث طلوع الشمس من مغاربها رواها جماعة عن النبي (ص)

وقوله « او كسبت في ايمانها خيراً » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - الابهام في احد الامرين .

الثاني - التغليب ، لان الاكثر ممن ينتفع بايمانه حينئذ من كان كسب في ايمانه خيراً قبل .

الثالث - انه لا ينفعه ايمانه حينئذ وان اكتسب فيه خيراً إلا ان يكون ممن

(١) سورة الفجر آية ٢٢ (٢) سورة الاحزاب آية ٥٧

آمن قبل - في قول السدي - ومعني كسب الخير في الايمان عمل النوافل والاستكثار من عمل البر بعد اداء الفرائض . والاول عندي اقواها، لان المعنى انه لا ينفع نفساً ايمانها الا اذا كانت آمنت قبل ، فانها اذا آمنت قبل نفعها إيمانها بانفراده او اذا ضمت الى ايمانها افعال الخير ، فان ذلك ينفعها ايضاً ، فانه ازداد خيراً .

وقوله « قل انتظروا » خطاب للنبي (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار : انتظروا اتيان الملائكة وهذه الآيات ، فانا منتظرون حصولها . ومعنى الاية الحث على المبادرة الى الايمان قبل الحال التي لا تقبل فيها التوبة وهي ظهور الآيات التي تقدم ذكرها في ذلك غاية التهديد .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) آية بلا خلاف

قرأ حمزة والكسائي « فارقوا » بالف ، وهو المروي عن علي (عليه السلام) الباقون « فرقوا » بلا الف مع تشديد الراء . والمعنيان متقاربان ، لان القراءتين يؤلان الى شيء واحد ، لأن جميع ذلك مخالف لما يوجبه دينهم ، فهم بتفريقه من جهة اكفار بعضهم بعضاً على جهالة فيه مخالفون له ، وهم بخروجهم عنه الى غيره مفارقون له مخالفون . وقيل في المعنيين بهذه الآية اربعة اقوال :

احدها - قال مجاهد: هم اليهود ، لأنهم كانوا يالفون عبدة الأوثان على المسلمين

الثاني - قال قتادة: هم اليهود والنصارى ، لأن بعض النصارى يكفر بعضاً وكذلك اليهود .

الثالث - قال الحسن هم جميع المشركين ، لانهم جميعاً بهذه الصفة .

الرابع - قال ابو جعفر (عليه السلام) : هم اهل الضلالة والبدع من

هذه الامة . وهو قول ابى هريرة والمروي عن عائشة .

حذرهم الله تعالى من تفرق الكلمة ودعاهم الى الاجتماع على ما تقوم عليه الحجة. والدين الذي فارقوه . قيل فيه قولان ، قال ابو علي وغيره : هو الدين الذي امر الله باتباعه وجعله ديناً لهم . الثانى -- الدين الذي هم عليه ، لانكار بعضهم بعضاً بجهالته فيه.

ومعني الشيع الفرق التي يمالى بعضهم بعضاً على امر واحد مع اختلافهم في غيره. وقيل أصله الظهور من قولهم شاع الخبر يشع إذا ظهر. وقال الزجاج أصله الاتباع من قولك شايعه على الامر إذا اتبعه

وقوله « لست منهم في شيء » خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) واعلام له أنه ليس منهم في شيء ، وأنه على المباعدة التامة من أن يجتمع معهم فى معنى من مذاهبهم الفاسدة ، وليس كذلك بعضهم مع بعض ، لأنهم يجتمعون في معنى من الباطل . وإن افترقوا في غيره ، فليس منهم فى شيء ، لانه بريء من جميعه . وقال الفراء معناه النهي عن قتالهم ثم نسخ بقوله « فاقتلوا المشركين » (١) وهو قول السدي .

اخبر الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم ـ وخالفوه وباينوه وصاروا فرقاً يمالي بعضهم بعضاً على امر واحد مع اختلافهم في غيره ـ ليس النبي (ص) منهم في شيء وأنه مباين لهم لفساد ماهم عليه . ثم قال « إنما أمرهم الى الله . ثم ينبئهم بما كانوا يعملون » يعنى ان الله تعالى هو الذي يخبرهم بأفعالهم ويجازيهم عليها دون غيره يعني يوم القيامة

قوله تعالى :

﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦٠) آية بلا خلاف .

(١) سورة التوبة ٦

يجوز فى قوله « فله عشر أمثالها » ثلاثة اوجه : احدها - الاضافة ، وعليه جميع القراء إلا يعقوب. ورفع امثالها مع التنوين على الصفة ، وبه قرأ الحسن ويعقوب ونصبه على التمييز ، كما تقول عندي خمسة اثرابا ذكر ذلك الزجاج ، والفراء .

ومعنى القراءة الاولى . فله عشر حسنات أمثالها ، ويجوز في العربية فله عشر مثلها ، فيكون المثل في لفظ الواحد وفي معنى الجمع ، كما قال « انكم اذا مثلهم » (١)

ومن قال امثالها فهو كقوله « ثم لا يكونوا امثالكم » (٢) وانما جاز في (مثل) التوحيد في معنى الجمع ، لانه على قدر ما يشبه به تقول : مررت بقوم مثلكم وبقوم أمثالكم . وقال الرمانى كلما لم يتميز بالصورة فان جمعه يدل على الاختلاف ، كقولك: رمال ومياه . فأما رجال فلا يدل على الاختلاف ، لانه يتميز بالصورة . ويجوز ان يكون المثل في موضع الجمع ولا يجوز مثل ذلك في العدل ، لان المثل لا يضاف الى الجماعة الا على معنى انه مثل لكل واحد منهم . وليس كذلك العدل ، لانه يكون لجماعتهم دون كل واحد منهم .

وقال اكثر اهل العدل ان الواحد من العشرة مستحق وتسعة تفضل . وقال بعضهم المعنى فله من الثواب ثواب عشر حسنات امثالها ، وهذا لا يجوز لانه يقبح ان يعطي غير العامل مثل ثواب العامل كما يقبح ان يعطي الاطفال مثل ثواب الانبياء ، ومثل اجلالهم واكرامهم وان يرفع منزلتهم عليهم . وانما لم يتوعد على السيئة الا بمثلها ، لان الزائد على ذلك ظلم . والله يتعالى عن ذلك ، وزيادة الثواب على الجزاء تفضل واحسان فجاز ان يزيد عليه . قال الرمانى ولا يجوز على قياس عشرة امثالها عشر صالحات بالاضافة ، لان المعنى ظاهر فى ان المراد عشر حسنات امثالها ، وقال غيره لان الصالحات لا تعد ، لأنها اسماء مشتقة . وانما تعد الاسماء . والمثل اسم فلذلك جاز العدد به ، وقال الرمانى دخول الهاء في قوله (الحسنة) يدل على ان تلك الحسنة ماهو

(١) سورة النساء آية ١٣٩　　(٢) سورة محمد آية ٣٨

مباح لا يستحق عليه المدح والثواب . ولو قيل دخول الالف واللام فيها يدل على ان الحسنة هي المأمور بها ، ودخلا للعهد . والله لا يأمر بالمباح لكان اقوى مما قالوه ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في العدد والكثرة ، ويتميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والتبجيل اللذين لولاهما لما حسن التكليف . وإنما قلنا يجوز ذلك لان وجه حسن ذلك الاحسان والتفضل ، وذلك حاصل في كل قدر زائد . وفي الناس من منع من أن يساوى التفضل الثواب في باب الكثرة . والصحيح ما قلناه أولا

فان قيل كيف يجمعون بين قوله « فله عشر امثالها » وبين قوله « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة »(١) وقوله « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له اضعافا كثيرة » (٢) ولان المجازاة بدخول الجنة مثابا فيها على وجه التأبيد ، لا نهاية له ، فكيف يكون ذلك عشر امثالها وهل هذا الا ظاهر التناقض ؟؟!

قلنا: الجواب عن ذلك ما ذكره الزجاج وغيره : إن المعنى في ذلك ان جزاء الله على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقييد في النفوس ويضاعف الله عن ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ففائدة ذلك انه لا ينقص من الحسنة عن عشر امثالها ، وفيما زاد على ذلك يزيد من يشاء من فضله واحسانه . وقال قوم المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها ، والمستحق مقداره لا يعلمه الا الله وليس يريد بذلك عشر امثالها في العدد ، كما يقول القائل للعامل الذي يعمل معه لك من الاجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك . وقال آخرون : المعنى في ذلك ان الحسنة لها مقدار من الثواب معلوم لله تعالى فاخبر الله تعالى انه لا يقتصر بعباده على ذلك بل يضاعف لهم الثواب حتى تبلغ ذلك ما اراد وعلم انه اصلح لهم ولم يرد العشرة بعينها لكن اراد الاضعاف كما يقول القائل

(١) سورة البقرة آية ٢٦١ (٢) سورة البقرة آية ٢٤٥

الى اسديت الى معروفاً لأكافينك بعشرة امثاله وعشرة اضعافه وفي الوعيد الى كلمتني واحدة لا كلمتك عشرة ، وليس يريدون بذلك العدد المعين لا اكثر منها ، وانما يريدون ما ذكرناه . وقال قوم : عني بهذه الآية الاعراب ، واما المهاجرون فحسناتهم سبع مئة ، ذهب اليه ابو سعيد الخدري ، وعبد الله بن عمر . وقال قوم : معنى «عشر امثالها» لانه كان يؤخذ منهم العشر في الزكاة وكانوا يصومون في كل شهر ثلاثة ايام والباقي لهم . وقال قوم « من جاء بالحسنة» يعني الايمان ، فله يعني للايمان عشر امثالها، وهو ما ذكره في قوله «ان المسلمين والمسلمات ... » (١) الى اخر الآية وهذان الوجهان قريبان ، والمعتمد ما قدمناه من الوجوه . وقال اكثر المفسرين : أن السيئة المذكورة في الآية هي الشرك ، والحسنة المذكورة فيها هي التوحيد واظهار الشهادتين .

فان قيل كيف يجوز الزيادة في نعم المثابين مع ان الثواب قد استغرق جميع مناهم وما يحتملونه ؟

قلنا عنه جوابان: احدهما - انه ليس للمنية نهاية مما يحتمله من اللذات . والثاني ان يزاد في البنية والقوة مثل ان يزاد في قوة البصر حتى يرى الجزء الذي لا يتجزء وإن لم يزد في اخفاء الانسان .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٦١)
﴿ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦٢) آيتان .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٣٥

القراءة والحجة الاعراب :

قرء ابن عامر واهل الكوفة « قيما » بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها . الباقون بفتح القاف مع تشديد الياء .

من قرء بتشديد الياء فحجته قوله « وذلك دين القيمة » (١) كانه قال دين الملة القيمة ، ويكون وصفاً للدين اذا كان نكرة كما كان وصفاً للملة ، لان الملة هي الدين . قال ابو الحسن قال اهل المدينة « ديناً قيما » وهي حسنة ، ولم اسمعها من العرب . قال ابو الحسن وهو في معني المستقيم .

فاما من قرأ بالتخفيف ، فانه اراد المصدر مثل الشبع ، ولم يصحح (عوض وحول) . قال الزجاج : لانه جاء على (فعل) معتل ، وهو (قام) والاصل (قوم ، او قوم قوماً) قال ابو علي : وكان القياس يقتضي ان يصحح ، لكنه شذ عن القياس ، كما شذ (اشياء) ونحوه عن القياس نحو ثيرة في جمع ثور ونحو جياد في جمع جواد ، وكان القياس الواو ، كما قالوا طويل وطوال قال الاعشى :

جيادك في الصيف في نعمة تصا ن الجلال وتعطى الشعيرا (٢)

وقوله «ديناً قيما » يحتمل نصبه ثلاثة اوجه : احدها - انه قال « انني هداني ربي الى صراط مستقيم » استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره فقال « ديناً قيما » كما قال « اهدنا الصراط المستقيم » وان نصبه على تقدير اعرفني لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفني ديناً قيما . وقال الزجاج : معناه عرّفني ديناً قيما . وان شئت حملته على الاتباع كما قال « اتبعوا ما انزل » (٣) وقال الفراء هو نصب على المصدر ،

(١) سورة البينة آية ٥ (٢) ديوانه : ١٧

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠

كأنه قال هداني اهتداء ، ووضع (ديناً) موضعه .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه (عليه السلام) أن يقول للخلق وخاصة لهؤلاء الكفار « انني هداني ربي » وقيل في معنى الهداية قولان :

احدهما ـ قال ابو علي : اراد بالهداية الدلالة واضافه الى نفسه دونهم ، وان كان قد هداهم ايضاً ، لأنه اهتدى دونهم . وقال غيره اراد به لطف لي ربي في الاهتداء «الى صراط مستقيم» قد فسرناه في غير موضع . وانه الطريق الموصل الى ثواب الله من غير اعوجاج وانما قال « الى صراط مستقيم » ههنا وقال في موضع آخر «ويهديك صراطاً مستقيماً » (١) ، لانه اذا ضمن معنى النهاية دخلت (الى) واذا لم تضمن لم تدخل (الى) وصار بمعنى عرفني . والاول بمنزلة ارشدني ، وانما كرر (مستقيم ، وقيم) للمبالغة ، كأنه قال : هو مستقيم على نهاية الاستقامة . وقوله « ملة ابراهيم فالملة الشريعة وهي مأخوذة من الاملاء ، كأنه ما يأتي به السمع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيمله على امته ليكتب او يحفظ .

فأما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ، ولا يكون فيهما اختلاف . والشرائع تختلف ، ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة . ولا يقال ملتي ملة الملائكة . والملة دين ، وليس كل دين ملة . وانما وصف دين النبي (ص) بأنه ملة ابراهيم ترغيباً فيه للعرب لجلالة ابراهيم في نفوسهم او غيرهم من اهل الاديان .

وقوله « حنيفاً » معناه مخلصا لعبادة الله في قول الحسن . واصله الميل من قولهم : رجل احنف اذا كان مائل القدم باقبال كل واحدة منهما على الاخرى من خلقة لا من عارض . وقال الزجاج : الحنيف هو المائل الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع

(١) سورة الفتح آية ٢٠

معه . وقال ابو علي : اصله الاستقامة . وانما جاء احنف على التفاؤل « وما كان من المشركين » يعني ابراهيم (عليه السلام) و « حنيفا » نصب على الحال من ابراهيم و « ملة ابيكم » نصب على المصدر في قول الفراء . وقال الزجاج : هو بدل من قوله « دينا قيما » .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣) آية .

اسكن الياء من « محياي » اهل المدينة . قال ابو علي الفارسي : اسكان الياء من (محياي) شاذ خارج عن القياس والاستعمال ، فشذوذه عن القياس ان فيه التقاء الساكنين ، ولا يلتقيان على هذا الحد ، وشذوذه عن الاستعمال أنك لاتجده في نظم ولا نثر إلا شاذاً . ووجهه ماحكى بعض البغداديين أنه سمع او حكي له : التقت حلقتا البطان باسكان الألف مع سكون لام المعرفة وحكى غيره له ثلثا المال وليس هذا مثل قوله « حتى اذا اداركوا فيها » (١) لان هذا في المنفصل مثل دابة في المتصل . ومثل ما اجاز يونس من قوله : اضربان زيداً ، وسيبويه ينكر هذا من قول يونس . قال الرماني : ولو وصله على نية الوقف جاز .

يقول لهؤلاء الكفار « ان صلاتي ونسكي » وقد فسرنا معنى الصلاة فيما مضى وقيل في معنى و « نسكي » ثلاثة اقوال :

احدها قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك : ذبيحتي في

(١) سورة الاعراف آية ٣٧

الحج والعمرة . وقال الحسن (نسكي) ديني . وقال الزجاج والجبائي « نسكي » عبادتي . قال الزجاج والاغلب عليه امر الذبح الذي يتقرب به الى الله . ويقولون فلان ناسك بمعنى عابد . وانما ضم الصلاة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل ، لان فيها التعظيم لله عند التكبير ، وفيها تلاوة القرآن التي تدعو الى كل بر ، وقرر فيها الركوع والسجود وهما خضوع لله وفيها التسبيح وهو تنزيه لله .

وقوله « ومحياي ومماتي » يقولون حيي يحيا حياة ومحيا ، ومات يموت موتا ومماتا . وانما جعل للفعل الواحد مصادر في الثلاثي لقوته ، ولأنه الاكثر الاغلب . وانما جمع بين صلاته وحياته ، واحدهما من فعله والآخر من فعل الله ، لانهما جميعا بتدبير الله تعالى وإن كان احدهما من حيث ايجاده واعدامه لما فيه من الصلاح . ووجه ضم الموت إلى اصل الواجب الرغبة الى من يقدر على كشفه الى الحياة في النعيم الدائم بطاعته في اداء الواجبات .

وقوله « لا شريك له » فالشركة هي تلك المساهمة ، فلما كان عبدة الاوثان جعلوا العبادة على هذه الصفة كانوا مشركين في عبادة الله ، فامر الله ان ينفي عنه هذا الشرك ويقول « لاشريك له » . والمعنى لا يستحق العبادة سواه . ثم امره بأن يقول أني امرت بذلك يعني بنفي الاشراك مع الله وتوجيه العبادة اليه تعالى وحده « وانا اول المسلمين » قال الحسن معناه أول المسلمين من هذه الأمة . وبه قال قتادة وبين ذلك لوجوب اتباعه (ص) ولبيان فضل الاسلام إذا كان أول مسارع اليه نبينا (ص) ومعنى الآية وجوب نفي الشرك عن الله ووجوب اعتقاد بطلانه واخلاص العبـــادة اليه تعالى .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيه ان يخاطب هؤلاء الكفار ويقول على وجه الانكار لفعلهم «اغير الله» اتخذ «ربا» معبوداً ؟! فالكلام خرج مخرج الاستفهام، والمراد به الانكار، لانه لاجواب لصاحبه إلا بما هو قبيح، لان تقديره أيجوز أن اطلب الضر والنفع بعبادتي من هو مربوب مثلي !؟ عادلا بذلك عن رب كل شيء وليس بمربوب ؟! أم هذا قبيح في العقول ؟ وهو لازم لكم على عبادة الاوثان. والرب إذا اطلق أفاد المالك لتصريف الشيء بأتم التصريف وإذا أضيف فقيل رب الدار، ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه بأتم تصريف العباد واصله التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير إلى الكمال. ثم صرف الى معنى المالك لهذه الاحوال من الشيء وما جرى مجراها والفرق بين الرب والسيد ان السيد هو المالك لتدبير السواد الأعظم، والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال.

وقوله «ولا تكسب كل نفس الا عليها» معناه لا يكون جزاء عمل كل نفس الا عليها. ووجه اتصاله بما قبله انه لاينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك، لانه ليس بعذر لي في اكتساب غيري له، لانه «لاتزر وازرة وزر اخرى» وقيل ان الكفار قالوا للنبي عليه السلام اتبعنا، وعلينا وزرك ان كان خطأ، فانزل الله الاية. وفيها دلالة على فساد قول المجبرة من وجهين:

احدهما - ان قوله «ولا تزر وازرة وزر اخرى» يدل على انه لايعذب الطفل بكفر أبيه.

والثاني - انه لايعذب احداً بغير ذنب كان منه، لانهما سواء في انهما كذاب غير مستحق. وتقول: وزر، يزر، وزراً، ووزر، يوزر، فهو موزور وكله بمعنى

الاثم . والوزر الملجأ . ومنه قوله « كلا لا وزر » (١) فحال الموزور كحال الملتجيء من غير ملجأ . ومنه الوزير لان الملك يلتجيء اليه في الامور وقيل اصله الثقل ، ومنه قوله « ووضعنا عنك وزرك » (٢) وكلاهما محتمل « ثم الى ربكم مرجعكم » يعني مالكم ومصيركم الى الله في يوم لا يملك فيه الأمر غيره تعالى .

وقوله « فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » معناه انه يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه من الباطل ، فيظهر الحسن من المسيء بما يزول معه الشك والارتياب ويقع معه الندامة في وقت قد فات فيه استدراك الخطيئة ، ثمنى الاية الحجة على ان كل شيء سوى الله ، فالله ربه من كل وجه فصح منه الربوبية ، وفيها دلالة على فساد قول المجبرة ان الله يعذب على غير ذنب .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى انه الذي جعل الخلق خلائف الارض ، ومعناه أن كل أهل عصر يخلفون أهل العصر الذي قبله كلما مضى واحد خلفه آخر على انتظام واتساق وذلك يدل على مدبر اجراه على هذه الصفة قال الشماخ :

تصيبهم وتخطيني المنايا وأخلف في ربوع عن ربوع (٣)

وواحد الخلائف خليفة ، مثل صحيفة وصحائف ، وسفينة وسفائن ، ووصيفة ووصائف ، هذا قول الحسن والسدي . وقال قوم : معناه انه جعلهم خلفاء من الجان قبل آدم . وقال آخرون معناه والمراد به أمة نبينا (عليه السلام) ، لان الله جعلهم

(١) سورة القيامة آية ١١ (٢) سورة الانشراح آية ٢

(٣) ديوانه : ٥٨ واللسان (ربع) وتفسير الطبري ١٢ : ٢٨٨

خلفاء سائر الامم .

وقوله « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » وجه الحكمة في ذلك مع انه يخلقهم كذلك ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن القبائح ، لان من كان غنيا في ماله شريفا في نسبه قويا في جسمه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكها رغبة فيها . والحال في اضدادها ربما كان دعته الى طاعته رهبة منها ومن أمثالها ورجاء أن ينقل عنها الى حال جليلة يغتبط عليها . وقال السدي رفع بعضهم فوق بعض في الرزق وقوة الاجسام وحسن الصورة ، وشرف الانسان . وغير ذلك بحسب ما علم من مصالحهم .

وقوله « درجات » يحتمل نصبه ثلاثة اشياء : احدها أن يقع موقع المصدر كأنه قال رفعة فوق رفعة الثاني - الى درجات ، فحذفت (الى) كما في قولهم : دخلت البيت ، وتقديره دخلت الى البيت . الثالث - ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا .

وقوله « ليبلوكم فيما آتاكم » معناه فعل بكم ذلك ليجزيكم فيما اعطاكم . والقديم تعالى لا يبتلي خلقه ليعلم مالم يكن عالما به ، لانه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها . وإنما قال ذلك ، لانه يعامل معاملة الذي يبلو ، مظاهرة في العدل ، وانتفاء من الظلم .

وقوله « ان ربك سريع العقاب » انما وصف نفسه بأنه سريع العقاب مع وصفه تعالى بالامهال ومع ان عقابه في الاخرة من حيث كان كل آت قريبا ، فهو اذا سريع ، كما قال « وما امر الساعة إلا كلمح البصر او هو اقرب » (١) وقد يكون سريع العقاب بمن استحقه في دار الدنيا ، فيكون تحذير الواقع في الخطيئة على هذه الجهة . وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب ، فاحذروا معاجلته . وانما قابل بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب ، لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب ، لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن فيه عصيان .

(١) سورة النحل آية ٧٧

٧ - سورة الاعراف

قال قتادة سورة الاعراف مكية وقال قوم هي مكية إلا قوله « واسألهم عن القرية » (١) الى آخر السورة .

وقال قوم هي محكمة كلها . وقال آخرون حرفان منها منسوخان أحدهما قوله « خذ العفو » (٢) يريد من أموالهم وذلك قبل الزكاة . والآخر قوله « واعرض عن الجاهلين » (٣) نسخ بآية السيف (٤) .

وقال قوم ليس واحد منها منسوخاً بل لكل منها موضع والسيف له موضع . وهو الأقوى ، لان النسخ يحتاج إلى دليل .

---

(١) آية ١٦٢ (٢ ، ٣) آية ١٩٨

(٤) يريد الاية ٦ من سورة التوبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المص * كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ﴾(١) آيتان في الكوفي وآية فيما عداه .

قد بينا في أول سورة البقرة إختلاف المفسرين في اوائل السور بالحروف المقطعة ، وقلنا : ان الاقوى من ذلك قول من قال انها اسماء للسور ، وهو قول الحسن والبلخي والجبائي ، واكثر المحصلين . وروي عن ابن عباس أنه قال هي اختصار من كلام لا يفهمه إلا النبي (ص) قال الشاعر :

نادوهم ان الجموا ألا تا قالوا جميعا كلهم ألا فا (١)

يريد الا تركبون قالوا فاركبوا . وبني قوله « المص » على السكون في الوصل مع أن قبله ساكناً ، لأن حروف الهجا توصل على نية الوقف ، لانه يجري على تفصيل الحروف ، للفرق بينها وبين ما وصل للمعاني ، وكأن مجموع الحروف يدل على معنى واحد ، ومتى سميت رجلا بـ (المص) ، وجبت الحكاية . فان سميته بـ (صاد) او (قاف) لم يجب ذلك ، لان صاد ، وقاف ، لها نظير في الاسماء المفردة ، مثل ، باب ،

(١) مر في ١ : ٤٧ وهو في تفسير القرطبي ١ : ١٣٥

وناب ، ونار . وليس كذلك (المصٓ) لأنه بمنزلة الجملة ، وليس له نظير في المفرد . وانما عد الكوفيون « المصٓ » آية ، ولم يعدوا (ص) لأن (المصٓ) بمنزلة الجملة مع أن آخره على ثلاثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان ، وكل واحد منهما يقتضي عدّه ، عدوه . ولم يعدوا (الٓمٓرٓ) لان آخره لا يشبه المردف . ولم يعدوا (صٓ) لانه بمنزلة اسم مفرد ، وكذلك (قٓ) و(نٓ) .

وانما سميت السورة بالحروف المعجمة ، ولم تسم بالاسماء المنقولة لتضمنها معاني اخرى مضافة إلى التسمية ، وهو أنها فاتحة لما هو منها ، وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ، ولانه يأتي من التاليف بعدها ما هو معجز مع انه تاليف كتأليفها ، فهذه المعاني من اسرارها .

وقيل في موضع (المصٓ) من الاعراب قولان : اولها - انه رفع بالابتداء وخبره كتاب او ان يكون على هذه (المصٓ) في قول الفراء . الثاني - لا موضع له ، لانه في موضع جملة على قول ابن عباس ، كأنه قال : أنا الله اعلم وافصل - اختاره الزجاج .

وقوله « كتاب انزل اليك » قيل في العامل في قوله « كتاب » ثلاثة أقوال : أحدها - هذا كتاب ، فحذف لانها حال اشارة وتنبيه . الثاني - « المصٓ كتاب » على انه اسم للسورة وكتاب خبره . وقال الفراء رفعه بحروف الهجاء ، لانها قبله ، كأنك قلت الالف واللام والميم والصاد ، من الحروف المقطعة كتاب انزل اليك مجموعاً ، فنابت (المصٓ) عن جميع حروف المعجم ، كما تقول : أ ، ب ، ت ، ث ثمانية وعشرون حرفاً . وكذلك تقول قرأت الحمد ، فصار اسما لفاتحة الكتاب .

وقوله « فلا يكن في صدرك حرج » يحتمل دخول الفاء وجهين : احدهما - ان يكون عطفاً وتقديره إذا كان انزل اليك لتنذر به ، فلا يكن في صدرك حرج منه ، فيكون محمولا على معنى إذا ، وصيغة النهي وان كان متناولا للحرج ، فالمعني

به المخاطب ، نهي عن التعرض للحرج ، وجاز ذلك لظهور المعنى ان الحرج لا ينتهى ، وكان مخرج له برده الى نهي المخاطب ابلغ لما فيه من ان الحرج لو كان مما ينهى له لنهيناه عنك ، فانته انت عنه بترك التعرض له .

وقيل في معني الحرج في الاية ثلاثة اقوال :

قال الحسن: معناه الضيق اي لا يضيق صدرك لتشعب الفكر بك خوفاً الا تقوم بحقه ، وانما انزل اليك لتنذر به .

الثاني - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : ان معناه الشك ههنا ، والمعنى لا تشك فيما يلزمك له فانما انزل اليك لتنذر به .

الثالث - قال الفراء لا يضيق صدرك بان يكذبوك ، كما قال (عز وجل) « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً »

وقوله « لتنذر به » يعنى لتخوف بالقرآن . وقال الفراء والزجاج ، واكثر اهل العلم هو على التقديم والتأخير ، وتقديره أنزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، والذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيراً ، فالذكرى اسم للتذكير وفيه مبالغة ، ومثله الرجعي وقيل في موضعه ثلاثة اقوال

اولها – النصب على انزل ، للانذار وذكرى ، كما تقول جئتك للاحسان وشوقاً اليك .

الثاني - الرفع بتقدير وهو ذكرى .

الثالث – قال الزجاج يجوز فيه الجر ، لأن المعنى ، لان تنذر وذكرى . قال الرماني : هـذا ضعيف ، لانه لا يجوز أن يحمل الجر على التـأويل ، كما لا يجوز مررت به وزيد .

قوله تعالى :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

قليلاً ما تَذَكَّرونَ﴾ (٢) آية

القراءة والحجة :

قرأ حمزة، والكسائي وحفص « تذكرون » بتخفيف الذال بتاء واحدة . الباقون بالتشديد إلا ابن عامر، فانه قرأ يتذكرون بياء وتاء، قال الزجاج: التخفيف على حذف التاء الثانية كراهة اجتماع ثلاثة احرف متقاربة ، كما قالوا استطاع يستطيع، فحذفوا احدى الثلاثة المتقاربة دون الاول ، لان الاول بمعنى الاستقبال ، لايجوز حذفها ، والثانية يدل عليها تشديد العين .

ومن قرأ بتشديد الذال ، فأصله تتذكرون فادغم التاء في الذال لقرب مخرجها ، لان التاء مهموسة والذال مجهورة . والمجهورة ازيد صوتاً وأقوى من المهموس ، فحمن ادغام الانقص في الازيد . ولا يسوغ ادغام الازيد فى الانقص ، ألا ترى ان الصاد واختيها لم يدغمن في مقاربهن لما فيهن من زيادة الصفير .

وقراءة ابن عامر بالياء والتاء : انه مخاطبة للنبي (ص) اي قليلا ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب .

المعنى واللغة :

قوله « اتبعوا » خطاب من الله للمكلفين وامر منه بأن يتبعوا ما انزل عليهم من القرآن . ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما انزل اليكم ، لانه قال قبل ذلك « لتنذر به » وكان الخطاب متوجهاً اليه والاتباع تصرف الثاني بتصريف الاول وتدبيره ، فالاول إمام والثاني مؤتم . والفرق بين الاتباع والاتباع ان احدهما يتعدى إلى مفعول ، والثاني يتعدى إلى مفعولين ، تقول اتبعت زيداً واتبعت زيداً عمراً . ووجوب الاتباع فيما انزل الله يدخل فيه الواجب والندب والمباح ، لانه يجب ان يعتقد في كل جنس ما أمر الله به ، كما يجب أن يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه

وقوله « ولا تتبعوا من دونه اولياء » نهي من الله ان يتبعوا من دون الله ويتخذوا أولياء . واولياء جمع ولي وهو ضد العدو ، وهو يفيد الأولى ويفيد الناصر وغير ذلك مما بيناه فيما مضى (١) .

وقوله « قليلاما تذكرون » معناه الاستبطاء في التذكر ، وخرج مخرج الخبر وفيه معنى الامر ، ومعناه تذكروا كثيراً مما يلزمكم من امر دينكم ، وما اوجبه الله عليكم . واخبر انهم قليلا ما يتذكرون (وما) زائدة ، وتذكر معناه أخذ في التذكر شيئاً بعد شيء مثل تفقه ، وتعلم ، ويقال تقيس إذا انتمى إلى قيس ، ولم يكن منهم ، لأنه يدخل نفسه فيهم شيئاً بعد شيء .

قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾

(٣) آية بلا خلاف.

(كم) لفظة موضوعة للتكثير و (رب) للتقليل . وانما كان كذلك ، لان (رب) حرف ، و (كم) اسم . والتقليل ضرب من النفي و (كم) تدخل في الخبر بمعنى التكثير . فأما في الاستفهام ، فلا ، لان الاستفهام موكول إلى بيان المجيب والخبر الى بيان المخبر . وانما دخلها التكثير ، لان استبهام العدد ان يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرته غالب الامر ، فـ (كم) مبهمة قال الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري (٢)

فدل بـ (كم) على كثرة العمات ، وموضع (كم) في الآية رفع بالابتداء ، وخبرها

(١) سورة البقرة اية ٢٥٧ في ٢ : ٣١٣ - ٣١٤ وفي سورة المائدة آية ٥٨ ، في ٣ : ٥٤٩ وغيرهما كثير .

(٢) ديوانه : ٤٥١ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٠٠ وسيبويه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣

(اهلكناها) ولو جعلت في موضع نصب جاز ، كقوله « إنا كل شيء خلقناه بقدر » (١) ، والاول أجود .

اخبر الله تعالى - على وجه الترهيب للكفار والايعاد لهم - أنه أهلك كثيراً من القرى ، يعني أهلها بما ارتكبوه من معاصيه ، والكفر به ، وانه أنزل عليهم بأسه ، يعني عذابه « بياتاً » يعني في الليل « أوهم قائلون » يعني في وقت القيلولة ، وهو نصف النهار . واصله الراحة ، فمعنى اقلته البيع أرحته منه باعفائي إياه من عقده ، وقلت إذا استرحت الى النوم ، في وسط القائلة . والاخذ بالشدة في وقت الراحة أعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر .

وقيل في دخول الفاء في قوله « فجاءها باسنا بياتاً » ثلاثة اقوال :

احدها - أهلكناها في حكمنا « فجاءها باسنا » وقد قيل هو مثل زرني واكرمني فان نفس الاكرام هي الزيارة ، قال الرماني : وليس هذا مثل ذلك ، لأن هذا انما جاز لأنه قصد الزيارة . ثم الاكرام بها .

والثاني - قال قوم « أهلكناها فجاءها بأسنا » أي فكان صفة اهلاكنا أن جاءهم بأسنا .

والثالث - اهلكناها فصح أنه جاءها بأسنا . وقال الفراء الفاء بمعنى الواو ، وقال الرماني هذا لايجوز ، لأنه نقل للحرف عن معناه بغير دليل . وقال بعضهم : ان المعني أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية ، وهذا لايجوز لأنه ليس من صفة الحكيم أن يمنع من طاعته حتى تقع المعصية ، ثم يعاقب عليها .

وقوله « اوهم قائلون » قال الفراء : واو الحال مقدرة فيه ، وتقديره أو « وهم قائلون » وانما حذفت استخفافاً . وقال الزجاج وجميع البصريين لا يحتاج الى ذلك ،

(١) سورة القمر آية ٤٩

لانه يستغنى برجوع الذكر عن الواو ، كما يقال : جاءني زيد راجلا او هو فارس ، اوجاءني زيد هو فارس لم يحتج الى واو ، لان الذكر قد عاد على الاول .

فمعنى الاية ان الله اهلك اهل قريات كثيرة بتمردهم في المعاصي ، وحذر من أن يعمل مثل عملهم فينزل بالعامل مثل ما نزل بهم .

قوله تعالى :

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكهم عقوبة على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم بأس الله ، وهو شدة عذابه ، ومنه البؤس شدة الكفر . والبئس الشجاع لشدة بأسه ، وبئس من شدة الفساد الذي يوجب الذم . « الا ان قالوا انا كنا ظالمين » يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وكان هذا القول منهم عند معاينة البأس واليقين بأنه نازل بهم ، ويجوز ان يكون قالوه حين لابسهم طرف منه ، لم يهلكوا منه ، و (دعواهم) خبر كان واسمها « ان قالوا » وهو بمعنى قولهم ، وهما معرفتان يجوز ان يجعل كل واحد منهما إسما والآخر خبراً ، كما قال « ما كان حجتهم إلا ان قالوا » (١) بالرفع ، والنصب ، وانما قدم الخبر على الاسم ، لان الثاني وقع موقع الايجاب ، والاول موقع النفي ، والنفي احق بالخبر .

والدعوى ، والدعاء واحد . وفرق قوم بينهما بأن في الدعوى اشتراكا بين الدعاء والادعاء كادعاء المال وغيره ، واصله الطلب قال الشاعر :

ولت ودعواها كثير صخبه (٢)

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٤ (٢) اللسان (دعا) ؛ وروايته (قالت) بدل (ولت) وفي رواية اخرى (ولت ودعواها شديد صخبه)

اي دعاؤها ويجوز ان يقال اللهم اشركنـــا في دعوى المسلمين يريد دعاء المسلمين حكاه سيبويه ، قال الشاعر :

وان مذلت رجلي دعوتك اشتفي　　بدعواك من مذل بها فيهون (١)

معنى مذلت اي خدرت .

قوله تعالى:

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥)

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (٦) آيتان بلا خلاف

الفاء في قوله « فلنسئلن الذين » عطف جملة على جملة ، وقد يكون لهذا ، وقد يكون لعطف مفرد على مفرد ، وقد يكون للجواب . وانما دخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب مع تراخي ما بين الأول ، والثاني ، وذلك يليق بـ (ثم) لتقريب ما بينهما ، كما قال « اقتربت الساعـــة » (٢) وقال « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر او هو اقرب » (٣) وقال « او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم » (٤) وبينهما بعد .

والنون في قوله « فلنسألن » نون التأكيد يتلقى بها القسم ، وانما بنى المضارع مع نون التأكيد ، لانه لما دخلت عليه طلباً للتصديق ، كما ان الامر طلب للفعل فادخلت عليه نون التاكيد وتثبت مع الفعل ، لان هذه الزيادة التي لا تكون للاسم باعدته كما باعدت الالف واللام ما لا ينصرف من الفعل ، فانصرف .

( ) ديوانه ٢ : ٢٤٥ واللسان (مذل) وتفسير الطبرى ١٢ : ٣٠٤ ونهاية الارب ٢ : ١٢٥ . (مذلت) - بفتح الميم وكسر الذل وفتح اللام - خدرت . وكانوا يدعون أن الانسان إذا خدرت رجله ودعا باسم من يحب زال الخدر .

(٢) سورة القمر آية ١　　(٣) سورة النحل آية ٧٧　　(٤) سورة يس ٧٧

اقسم الله تعالى في هـذه الآية انه يسأل المكلفين الذين ارسل اليهم رسله ، واقسم ايضاً انه ليسأل الصادقين المرسلين الذين بعثهم، فيسأل هؤلاء عن الابلاغ ويسأل اولئك عن الامتثال ، وهو تعالى وإن كان عالماً بما كان منهم ، فانما اخرجه مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد ويحسنوا الاستعداد لذلك السؤال .

وحقيقة السؤال طلب الجواب بأداته في الكلام وحقيقة الاستخبار طلب الخبر بأداته في الكلام .

وقوله « فلنقصن عليهم بعلم » قسم آخر ، واخبار منه تعالى انه يقص عليهم بما عملوه فانه علم جميع ذلك . وانما ذكره بنون الجمع لاحد امرين: احدهما - ان هذا على كلام العظماء من الملوك ،لان افعالهم تضاف الى اوليائهم . والثاني - ان الملائكة تقص عليهم بأمر الله . وقال ابن عباس نقص عليه بما نجده في كتاب عمله .

وروي عن النبي (ص) انه قال : (ان الله يسأل كل احد بكلامه له ليس بينه وبينه ترجمان) والقص ما يتلو بعضه بعضاً . ومنه المقص ، لان قطعه يتلو بعضه بعضاً . ومنه القصة من الشعر، والقصة من الكتاب ، ومنه القصاص ، لانه يتلو الجناية في الاستحقاق . ومنه المقاصة في الحق ، لانه يسقط ماله قصاصاً بما عليه . وإنما دخلت نون التأكيد مع لام القسم في المضارع دون الماضي ، لانها تؤذن بطلب الفعل الذي تدخل فيه نحو (لأكرمنّ زيداً) فان فيه طلب الاكرام بأداته ، فالتصديق بالقسم ولهذا الزمت النون في طلب الفعل من جهتين ، وفتحت هذه النون ما قبلها في جميع المتكلم ، ولم تفتحه في الغائب ، لان الضمة يجب ان تبقى لتدل على الواو المحذوفة في (ليقصن) بالياء وليس كذلك المتكلم ، لانه لا واو فيه .

ومعنى قوله « بعلم » قيل فيه وجهان : احدهما بأنا عالمون ، والاخر بمعلوم ، كما قال « ولا يحيطون بشيء من علمه » (١) اي من معلومه ووجه المسألة له والقصص

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

عليهم انه سؤال توبيخ وتقريع للضالين ، وسؤال تذكير وتنبيه للمؤمنين ، فبمقدار ما يغتم اولئك يسر هؤلاء . ثم يسأل الرسل لان من الامم من يجحد فيقول ما جاءنا من بشير ولا نذير ، ومنهم من يقول والله ربنا ما كنا مشركين .

فان قيل كيف يجمع بين قوله « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » (١) وقوله « فلنسألن الذين ارسل اليهم » ؟

قلنا فيه قولان : احدهما -- انه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام ، وانما يسألهم سؤال توبيخ وتبكيت . الثانى - تنقطع المسألة عند حصولهم فى العقوبة ، كما قال « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » (٢) وقال في موضع اخر « وقفوهم إنهم مسئولون » (٣) والوجه ما قلناه انه يسألهم سؤال توبيخ قبل دخولهم في النار ، فاذا دخلوها انقطع سؤالهم .

والسؤال في اللغة على اربعة اقسام :

احدها - سؤال استرشاد واستعلام ، كقولك : اين زيد ؟ ، ومن عندك ؟ وهذا لا يجوز عليه تعالى .

الثانى - سؤال توبيخ وتقريع ، وهو خبر في المعنى ، كقولك الم أحسن اليكم فكفرت نعمتي؟؟ الم اعطك فجحدت عطيتي؟ . ومنه قوله تعالى « الم اعهد اليكم » (٤) وقوله « الم ياتكم رسل » (٥) وقوله « الم تكن اياتي تتلى عليكم » (٦) وقال الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح (٧)

ولو كان سائلا لما كان مادحا ، وقال العجاج :

---

(١) سورة القصص آية ٧٨ (٢) سورة الرحمن آية ٩

(٣) سورة الصافات آية ٢٤ (٤) سورة يس آية ٦٠

(٥) سورة الأنعام آية ١٣٠ وسورة الزمر آية ٧١ (٦) سورة المؤمنون آية ١٠٦

(٧) قائلة حسان وقدم فى ١ : ٦١ ، ١٣٢ ، ٤٠٠ و ٢ : ٣٢٧ وسياتى فى ٥ : ٣١٩

* اطرباً وانت قنسري * (١)

معني قنسرى كبير السن ، وهذا توبيخ لنفسه أي كيف أطرب مع الكبر والشيب .

الثالث - سؤال التحضيض وفيه معنى (ألا) كقولك هلا تقوم ، والا تضرب زيداً أي قم واضرب زيداً .

والرابع - سؤال تقرير بالعجز والجهل ، كقولك للرجل : هل تعلم الغيب ؟ وهل تعرف ما يكون غداً ؟ وهل تقدر ان تمشي على الماء ؟ وكما قال الشاعر :

* وهل يصلح العطار ما افسد الدهر *

المعنى وليس يصلح العطار ماافسد الدهر فاذا ثبت ذلك فقوله « فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان » (٢) وقوله « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » (٣) المراد به لايسألون سؤال استعلام واستخبار ليعلم ذلك من قولهم ، لأنه تعالى عالم باعمالهم قبل خلقهم . واما قوله « فلنسألن الذي ارسل اليهم ولنسألن المرسلين » وقوله « فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون » (٤) فهو مسألة توبيخ وتقريع ، كقوله « الم اعهد اليكم » (٥) . وسؤاله للمرسلين ليس بتوبيخ ولا تقريع لكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم ايضاً . واما قوله « فلا انساب بينهم يؤمئذ ولا يتسائلون » (٥) فمعناه سؤال تعاطي واستخبار عن الحال التي جهلها بعضهم

---

(١) اللسان (قنسر) . قنسرى - بكر القاف وفتح النون مشددة وسكون السين وكسر الراء ، وتشديد الياء مضمومة وبعده .

والدهر بالانسان دوارى أفنى القرون وهو قنسرى

(٢) سورة الرحمن آية ٣٩ (٣) سورة القصص آية ٧٨

(٤) سورة الحجر آية ٩٢ (٥) سورة يس آية ٦٠

(٥) سورة المؤمنون آية ١٠٢

لتشاغلهم عن ذلك ، كما قال « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (١) وقوله « واقبل بعضهم على بعض يتسألون » (٢) فهو سؤال توبيخ وتقريع وتلاوم ، كما قال « واقبل بعضهم على بعض يتلاومون » (٣) وكقوله « انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم » (٤) وقوله « ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفاً في النار » (٥) وهذا كثير في القرآن ، وليس في شيء من ذلك تضادّ بين المسألتين ، ولا تنافي بين الخبرين بل إثبات لسؤال عن شيء آخر ومثله قول الشاعر :

فأصبحت والليل لي ملبس واصبحت الارض بحراً طما

فقوله : وأصبحت والليل لي ملبس لم يرد به الصبح ، لانه لو اراد لما نفاه بـ(والليل لي ملبس) وانما أراد اصبحت بمعنى اشعلت المصباح وهو السراج أي اسرجت في ظلمة الليل ، فلم يكن خبراه متضادين .

وقوله « وما كنا غائبين » فالغائب البعيد عن حضرة الشيء ، ومعناه في الآية انه لا يخفى عليه شيء وذلك يدل على انه ليس بجسم ، لأنه لو كان جسما على العرش على ما يذهب اليه المجسمة لكان غائباً عما في الأرضين السفلى ، لأن من كان دون هذا بكثير فهو غائب عنا .

قوله تعالى :

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٧) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

(١) سورة عبس آية ٣٧ (٢) سورة الصافات آية ٢٧ ، ٥٠ وسورة الطور آية ٢٥
(٣) سورة القلم آية ٣٠ (٤) سورة سبأ آية ٣٢
(٥) سورة ص آية ٦١

أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (٨) آيتان

ارتفع قوله « والوزن » بالابتداء، وخبره (الحق) ، وهو الوجه المختار .

وقال الفراء : يجوز أن يكون خبره (يومئذ) وينصب (الحق) على المصدر ، وتقديره والوزن يومئذ - يعني في يوم القيمة - حقاً ،فينصب الحق وإن كان فيه الالف واللام ، كما قال « فالحق والحق أقول » (١) والوزن في اللغة هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره ، وقداستعمل في غير ذلك تشبيهاً به، منها وزن الشعر بالعروض ، ومنها قولهم : فلان يزن كلامه وزناً قال الاخطل :

وإذا وضعت اباك فى ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزان

وقيل فى معنى الوزن في الآية أربعة اقوال :

قال الحسن : موازين الاخرة لها كفتان فالحسنات والسيئات توضعان فيهما وتوزنان .

ثم اختلفوا ، فقال بعضهم : انما توضع صحائف الاعمال فتوزن ، وهوقول عبد الله بن عمر .

وقال ابو علي:انما تتفضل كفة الحسنات من كفة السيئات بعلامة يراها الناس يومئذ ، وذهب عبيد بن عمير إلى انه يوزن الانسان فيؤتى بالرجل العظيم الجثة ، فلا يزن جناح بعوضة .

وقال مجاهد: الوزن عبارة عن العدل فى الآخرة وانه لاظلم فيها على أحد ،وهو قول البلخي وهو أحسن الوجوه ، وبعده قول الجبائي . ووجه حسن ذلك - وإن كان الله تعالى عالماً بمقادير المستحقات - ما فيه من المصلحة في دار التكليف وحصول الترهيب به والتخويف .

(١) سورة ص آية ٨٤

وقوله « يومئذ » يجوز في (يومئذ) الاعراب والبناء ، لان إضافته الى مبني اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة ، واضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية . ونوّن يومئذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ شأن التنوين ان يعاقبها ، وقد قطع (اذ) في هذا الموضع عنها .

و (الحق) وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة . وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة ، كما جرى ذلك في العدل ، قال الله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » (١) فجرى على طريق الوصف .

وقوله « فمن ثقلت موازينه » فالثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة ، وهي اعتماد لازم علوّاً ، ومثلت الاعمال بهما لما ذكر من المقارنة . والمعنى ان من كانت طاعاته اكثر ، فهو من الفائزين بثواب الله . ومن قلت طاعاته « فأولئك الذين خسروا انفسهم » بان استحقوا عذاب الابد جزاء على ما كانوا يظلمون أنفسهم بجحود آياتنا وحجتنا .

وقوله « موازينه » فالموازين جمع ميزان ، واصله من الواو ، وقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها . ولم يقلب في (خوان) لتحركها وأنها لم تجر على فعل لها . والخسران ذهاب رأس المال ، ومن أعظم رأس المال النفس ، فاذا أهلك نفسه بسوء عمله ، فقد خسر نفسه . وظلمهم بآيات الله مثل كفرهم بها وجحدهم اياها .

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

---

(١) سورة الحج آية ٦ ، ٦٢ سورة لقمان آية ٣٠ .

القراءة واللغه:

روى خارجة عن نافع همز معايش ، وروي ذلك عن الاعمش ، وعبد الرحمن الاعرج . الباقون غير مهموز .

وعند جميع النحويين ان (معايش) لايهمز ومتى همز كان لحناً ، لان الياء فيها أصليـة ، لانه من عاش يعيش ، ولم يعرض فيها عـلة كما عرض في (أوائل) وهي في (مدينة) زائدة علة لا تدخلها الحركة كما لا تدخل الالف ، ومثله (مسألة ، ومسائل ، ومنارة ومنائر ، ومقام ومقاوم) قال الشاعر :

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

ووزنه (مفعلة) مثل مسورة ومساور ، ومن همزها اعتقـدها (فعيلة) على وزن صحيفة ، فجمعها على (فعائل) مثـل صحائف وذلـك غلط ، لان الياء أصلها لقولهم عاش يعيش عيشاً ومعيشة .

قال ابو علي من همز مدائن لم يجعله (مفعلة) ولكنه (فعيلة) بدلالة قولهم : مدني ، ولايجوز أن يكون (مفعلة) من دان يدين . ومن اخـذه من ذلك قال في الجمع مداين ، بتصحيح اليـاء . واعتل معيشة ، لانه على وزن يعيش وزيادتها تختص بالاسم دون الفعل ، فـلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل ، كما احتيج اليه فيما كان زيادته مشتركة ، نحو الهمزة في (اجاد) وهو اجود منك ، وموافقـة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعتلال ، الا ترى انهم أعلوا (باباً) و (داراً) لمـا كانا على وزن الفعل . وصححوا نحو (حول) و (وغيبة) و (لومة) لما لم تكن على مثال الفعل ، فـ (معيشة) موافقة للفعل في البناء ، مثل يعيش في الزنة ، وتكسيرها يزيل مشابهتها في البناء ، فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد وفي الجمع ، فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ، لان التكسير معنى لايكون

في الفعل ، وانما يختص الاسم به ، فاذا زالت مشابهة الفعل وجب تصحيحه .

ومن همز (مصايب) فانه غلط ، كما غلط من همز معايش . ومثله جاء في جمع (مسيل) امسلة ، جاء ذلك في الشعر لبني هذيل ، فتوهموه (فعيلة) ، وانما هو (مفعلة) وحكى يعقوب : مسيل وميسل ، فاليم على هذا فاء ومسيل (فعيل) ، وعلى الاول (مفعل) من سال .

قال الزجاج : من همز مصايب جعل الهمزة بدلا من الواو ، كما قالوا : اقب في (وقب) وهذا ان وقع في اول الكلام . وقد قالوا في (ادور) ادئر ، فهمزوه ، فجاز على هذا ان يكونوا حملوا المكسورة على المضمومة .

ويقال : عاش فلان بمعنى حيي ، وطيب العيش طيب الحياة ، فلهذا كانت المعيشة مضمنة بالحياة . وحد المعيشة الرماني : بأنها وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس الى ما فيه الحياة .

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى على وجه الامتنان على خلقه باصناف نعمه انه مكن عباده في الارض بمعنى مكنهم من التصرف فيها ، والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع ، لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة والى سبب ، كما يحتاج الى رفع المنع ، فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلك .

والارض هذه الارض المعروفة ، وفي الاصل عبارة عن قرار يمكن أن يتصرف عليه الحيوان ، فعلى هذا لو خلق مثلها ، لكانت ارضاً حقيقة .

وقوله « وجعلنا لكم فيها معايش » فالجعل وجود ما به يكون الشيء على خلاف ما كان ، مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا ، لانك فعلت فيه الحركة ، ونظيره التصيير والعمل ، . وجعل الشيء أعم من حدوثه ، لانه قد يكون بحدوث غيره فيه مما يتغير به .

وقوله « قليلا ما تشكرون » نصب قليلا بـ (يشكرون) ، وتقديره تشكرون قليلا . و(ما) زائدة . ويحتمل ان تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، وتقديره قليلا شكركم. والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ، والحمد مثله . وقيل الفرق بينهما أن كل شكر حمد ، وليس كل حمد شكراً ، لان الانسان يحمد على إحسانه الى نفسه ، ولا يشكر عليه ، كما انه يذم على إساءته الى نفسه ، ولا يجوز أن يكفر من اجل اساءته الى نفسه .

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾(١٠)آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى لخلقه بأنه خلقهم . والخلق هو إحداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة ، لازيادة على ما تقتضيه ، فيخرج الى الاسراف ، ولا ناقص عنه فيخرج الى الافتار . وقد استوفينا اختلاف الصور ، والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة .

وقوله « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم » فالسجود هو وضع الجبهة على الارض، واصله الانخفاض من قول الشاعر :

ترى الاكم فيها سجدا للحوافر (١)

وقيل في معنى السجود لآدم قولان :

احدهما — انه كان تكرمة لآدم وعبادة لله ، لان وعبادة غير الله قبيحة لا يامر الله بها . وعند اصحابنا كان ذلك دلالة على تفضيل آدم على الملائكة على ما بيناه في سورة البقرة . (٢) وقال ابو علي الجبائي أمروا ان يجعلوه قبلة ، وانكر ذلك ابو بكر بن

(١) مرقى ١ : ٢٦٣ (٢) المجلد الاول ص ١٣٩

احمد بن علي الاخشاد بأن قال: هو تكرمة . ، لان الله تعالى امتن به على عباده، وذكرهم بالنعمة فيه .

فان قيل كيف قال « ثم قلنا للملائكة » مع ان القول للملائكة كان قبل خلقنا وتصويرنا ؟

قلنا عن ذلك ثلاثة اجوبة:

احدها - قال الحسن وابو علي الجبائي المراد به خلقنا إياكم ثم صورنا إياكم . ثم قلنا للملائكة . وهذا كما يذكر المخاطب ويراد به أسلافه ، وذكرنا لذلك نظائر فيما مضى ، منها قوله «واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور» (١) اي ميثاق أسلافكم . قال الزجاج المعنى ابتدأنا خلقكم بأن خلقنا آدم . ثم صورناه . ثم قلنا .

الثاني - قال ابن عباس ومجاهد والربيع وقتاده والضحاك والسدي : إن المعنى خلقنا آدم ثم . صورناكم في ظهره . ثم قلنا للملائكة .

الثالث - خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة ، كما تقول اني راحل ثم اني معجل . وقال الأخفش (ثم) ههنا بمعنى الواو ، كما قال « ثم الله شهيد على ما تعملون » ومثله قوله « ثم كان من الذين آمنوا » (٢) على قول بعض المتاخرين معناه وكان من الذين آمنوا ، ومثله « استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » (٣) على بعض الاقوال معناه وتوبوا اليه ، قال الزجاج هذا خطأ عند جميع النحويين . وقال الشاعر :

سألت ربيعة من خيرها ابا ثم اما فقالوا له (٤)

معناه سألت اولا عن الاب ثم الام . وقال بعضهم معناه خلقناكم في ظهور آبائكم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم . وقال قوم في الآية تقديم وتأخير ، وتقديره

(١) سورة البقرة آية ٦٣ ، ٩٣ (٢) سورة البلد آية ١٧

(٣) سورة هود آية ٣ ، ٥٢ ؛ ٩٠ (٤) تفسير الطبرى ١٢ : ٣٢٢

خلقناكم بمعنى خلقنا أباكم أي قدرناكم . ثم قلنا للملائكة اسجدوا . ثم صورناكم .

قوله تعالى :

﴿ قال ما مَنعكَ ألّا تَسجدَ إذْ أمرتُكَ قال أنا خيرٌ منهُ خلقتني مِن نارٍ وَخلقتهُ مِن طينٍ ﴾ (١١) آية بلا خلاف

هذا حكاية لما كان من خطاب الله لابليس حين امتنع من السجود لآدم ، انه قال له « ما منعك » بمعنى اي شيء منعك « ان لا تسجد » وفيه ثلاثة اقوال :

احدها ـ ان تكون (لا) صلة مؤكدة ، كما قال « لئلا يعلم اهل الكتاب » (١) ومعناه ليعلم ، كقوله « لا اقسم بيوم القيامة » وكقوله « فلا اقسم بمواقع النجوم » وكما قال الشاعر :

ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله (٢)

معناه ابى جوده البخل وروى ابو عمرو بن العلا : ابى جوده لا البخل بالجر ، كأنه قال ابى جوده كلمة البخل ، ورواه كذا عن العرب . وقال الزجاج : فيه وجه ثالث لا البخل على النصب بدلا من (لا) كأنه قال ابى جوده ان يقول (لا) فقال نعم . وهي حكاية في كل هذا .

الثاني ـ انه دخله معنى ما دعاك ان لا تسجد .

الثالث ـ معنى « الا تسجد » ما الحال ان لا تسجد او ما احوجك . وقال الفراء لما تقدم الجحد في اول الكلام اكد بهذا ، كما قال الشاعر :

---

(١) سورة الحديد آية ٢٩ (٢) اللسان (نعم) وتفسير الطبري ٢١ : ٢٢٤ وامالي ابن الشجري ٢ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ وشرح شواهد المغني ٢١٧ . وقد روى (فاعله) بدل (قاتله) وروى أيضاً (قائله)

ما إن رأينا مثلهن لمعشر　　سود الرؤوس فوالج وقبول (١)

فـ (ما) للنفي و(ان) للنفي فجمع بينهما تأكيداً .

فان قيل كيف قال « ما منعك » ولم يكن ممنوعاً ؟ !

قلنا : لان الصارف عن الشيء بمنزلة المانع منه ، كما ان الداعي اليه بمنزلة الحامل عليه .

وقوله « انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » حكاية لجواب ابليس حين ذمه تعالى على الامتناع من السجود ، فأجاب بما قال ، وهذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب ان يقول معنى كذا ، لان قوله « انا خير منه » جواب لمن يقول ايكما خير ، ولكن فيه معنى الجواب ، ويجرى ذلك مجرى أن يقول القائل لغيره : كيف كنت ، فيقول انا صالح ، وكان يجب ان يقول كنت صالحاً لكنه جاز ذلك ، لأنه افاد انه صالح في الحال مع ما كان صالحاً فيما مضى ، ووجه دخول الشبهة عليه في انه خلقه من نار وخلق آدم من طين انه ظن ان النار إذا كانت اشرف لم يجز ان يسجد الاشرف للأدون ، وهذا خطأ ، لان ذلك تابع لما يعلم الله من مصالح العباد ، وما يتعلق به من اللطف لهم ، ولم يكن ذلك استخفافاً بهم بالاعمال . وقد قال الجبائي : إن الطين خير من النار ، لانها اكثر منفعة للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معائشهم ، ومنها تخرج أنواع ارزاقهم ، لان الخيرية في الارض أو النار ، انما يراد بهما كثرة المنافع ، دون كثرة الثواب ، لان الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور ، وهذان جمادان .

وعلى ما يذهب اليه اصحابنا ان ذلك يدل على تفضيل آدم على الملائكة كان

---

(١) معاني القرآن ١ : ١٧٦ ، ٣٧٤ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٢٥ . (الفوالج) جمع (فالج) وهو الجمل ذو سنامين . و (الفيول) جمع (فيل) . وكانت هذه الجمال تجلب من السند وهي البلاد التي فيها الفيلة .

ذلك مستحقاً ، فلذلك اسجد الله الملائكة له .

فان قيل : لم اعترض ابليس على الله مع علمه انه لا يفعل الا الحكمة ؟

قلنا عنه جوابان :

احدهما – انه اعترض كما يعترض السفيه على الحكيم الحليم في تدبيره من غير فكر في العاقبة .

والثاني – ان يكون جهل هذا بشبهة دخلت عليه ، وعلى ما نذهب اليه من انه لم يكن عرف الله قط سقطت الشبهة ، واستدل ايضاً بهذه الآية على ان الجواهر متماثلة بأن قيل لاشيء ابعد الى الحيوان من الجماد ، فاذا جاز ان ينقلب الطين حيواناً وانساناً جاز ان ينقلب الى كل حال من احوال الجواهر ، لانه لا فرق بينهما في العقل . واستدل ايضاً بهذه الآية على ان الامر من الله يقتضي الايجاب بأن الله تعالى ذم ابليس على امتناعه من السجود حين امره ، فلو كان الامر يقتضي الندب لما استحق العيب بالمخالفة وترك الامتثال والامر بخلاف ذلك في الآية .

قوله تعالى :

﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ (١٣) آية

قوله « قال فاهبط منها » حكاية لقول الله تعالى لابليس وأمره إياه ان يهبط منها . وما بعد القول وان كان استئنافاً ، والفاء لا يستأنف بها انما يكون كذلك ، لأن ما قيل له بعد جوابه الذي أجاب به ، فهو حكاية ما كان من الكلام له الثاني بعد الاول .

والهبوط والنزول واحد . وفرق بينهما بأن النزول يقتضي تنزله الى جهة السفل

بمنزلة بعد منزلة ، وليس كذلك الهبوط ، لانه كالانحدار في المرور الى جهة السفل ، وكأن الانحدار دفعة واحدة ، كما قال الشاعر :

كل بني حرة مصيرهم قل وان اكثروا من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمرّوا يوماً فهم للفناء والفند (١)

وقيل في الضمير الذي في قوله « منها » قولان :

احدهما - قال الحسن انه كناية عن السماء ، لأنه كان في السماء فاهبط منها .

الثاني - قال ابو علي : كناية عن الجنة ،

فان قيل من اين علم ابليس ان الله تعالى قال له هذا القول ؟

قلنا عنه جوابان : احدهما - قال ابو علي : انه قال له على لسان بعض الملائكة .

الثاني - انه راى معجزة تدله على ذلك .

وقوله « فما يكون لك ان تتكبر فيها » معناه ليس لك ان تتكبر فيها ، والتكبر اظهار كبر النفس على جميع الاشياء ، فهو في صفة العباد ذم وفي صفة الله مدح ، كما قال تعالى « الجبار المتكبر » (٢) فالجبار القاهر لجميع الاشياء . والمتكبر الدال بذاته على انه اكبر من جميع الاشياء .

وقوله « فاخرج انك من الصاغرين » امر من الله لابليس بالخروج ، لانه من الصاغرين . والصاغر هو الذليل بصغر القدر ، صغر يصغر صغراً وصغاراً ، و تصاغرت اليه نفسه ذلا ومهانة . والاصل الصغر .

قوله تعالى

﴿ قال أنظرني الى يوم يبعثون (١٣) قال إنك

(١) قائله لبيد وقد مر في ١ : ٧٣ (٢) سورة الحشر آية ٢٣

مِنَ المنظرين ﴾ (١٤) آيتان

وفي الاية الاولى حكاية عن ابليس انه سأل الله تعالى ان ينظره . والانظار الامهال الى مدة فيها النظر في الامر طال ام قصر . والانظار والامهال والتاخير والتأجيل نظائر في اللغة ، وبينها فرق . وضد الامهال الاعجال . وأصل الانظار المقابلة ، وهي المناظرة . والجبلان يتناظران أي يتقابلان ، ونظر اليه بعينه أي قابله لينظر له . ونظر اليه بيده ، ليظهر له حاله في اللين والخشونة او الحرارة والبرودة .

وقوله « الى يوم يبعثون » مدة للانظار الذي طلبه . والبعث الاطلاق في الامر ، والانبعاث الانطلاق . والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر .

ويجوز في « يوم يبعثون » ثلاثة اوجه من العربية : بالجر وترك التنوين على الاضافة والجر والتنوين على الصفة . والفتح وترك التنوين على البناء . وليس بالوجه ، لان الفعل معرب .

والوجه في مسألة إبليس الانظار - مع علمه انه مطرود ملعون مسخوط عليه - علمه بان الله يظاهر الى عباده بالاحسان ، ويعمهم بفضله وانعامه ، فلم يصرف ارتكابه المعصية واصراره على الخطيئة عن المسألة طامعاً في الاجابة ، وعن انس من بلوغ المحبة .

وقيل في قوله « قال انك من المنظرين » هل فيه اجابة الى ما التمسه ام لا ؟ فقال السدي وغيره : إنه لم يجبه « الى يوم يبعثون » لانه يوم القيامة وهو يوم بعث لا يوم موت ، ولكن انظر الى يوم الوقت المعلوم ، كما ذكره في سورة أخرى (١) . ويقوي ذلك قوله « انك من المنظرين » وليس لاحد ينظر احداً الى يوم القيامة على هذا المعنى .

الثاني - انه سأل تأخير الجزاء بالعقوبة الى يوم يبعثون ، لما خاف من تعجيل

(١) سورة ص آية ٧٩ - ٨١

العقوبة فانظر على هذا .

وقال قوم : انظر الى يوم القيامة والاقوى الوجه الثاني ، لانه لا يجوز ان يعلم الله احداً من المكلفين الذين ليسوا بمعصومين انه يبقيهم الى وقت معين ، لان في ذلك اغراء له بالقبيح من حيث انه يعلم انه باق الى ذلك الوقت فيرتكب القبيح ، فاذا قارب الوقت جدد التوبة فيسقط عنه العقاب .

وهل يجوز اجابة دعاء الكافر ام لا ؟ فيه خلاف :

فذهب ابو علي الى انه لا يجوز ، لما في ذلك من التعظيم والتبجيل لمجاب الدعوة في مجرى العادة ، الا ترى انه اذا قيل فلان مجاب الدعوة دل ذلك على انه صالح المؤمنين . واجاز ذلك ابو بكر بن الاخشاد على وجه الاستصلاح . وكان يقول انه بتفصيل ذلك بحسب الوجه الذي يقع عليه .

وكسرت « ان » لانها حكاية بعد القول ، وهي تكسر في هذا الموضع ، وفي الابتداء بها ، واذا كان في خبرها لام التاكيد . وانما عملت (ان) لشبهها بالفعل الماضي من حيث كانت على ثلاثة احرف مفتوحة الاخر ، فهي بمنزلة كان الا انه خولف بعملها لانها حرف .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٥) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١٦) آيتان بلا خلاف

قوله « قال فبما » حكاية عن قول ابليس ، لما لعنه الله ، وطرده وحكى سؤاله الانظار ، واجابة الله تعالى الى شيء منه ، قال حينئذ « فبما اغويتني » اي فبالذي اغويتني .

وقيل في معنى هذه الباء ثلاثة اقوال : احدها - اني مع اغوائك اياي ، كما تقول بقيامك تناول هذا اي مع قيامك . الثاني - معناه اللام ، والتقدير فلاغوائك اياي . الثالث - انها بمعنى القسم كقولك بالله لافعلن .

وقيل في معنى اغويتني ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابو علي والبلخي: معناه بما خيبتني من جنتك ، كما قال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (١)

اي من يخب ، وقال قوم : يجوز أن يكون اراد انك امتحنتني بالسجود ، لآدم فغويت عنده ، فقال (أغويتني) كما قال « فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢)

الثاني - قال ابن عباس وابن زيد : معناه حكمت بغوايتي كقولك اضللتني أي حكمت بضلالتي .

الثالث - اغويتني بمعنى أهلكتني بلعنك اياي ، كما قال الشاعر :

معطفة الاثناء ليس فصيلها برازئها درّاً ولا ميت غوى (٣)

اى ولا ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن . ومنه وقوله « فسوف يلقون غياً » (٤) اي هلاكاً . ويقولون غوى الفصيل إذا انفذ اللبن ، فمات . والمصدر غوى مقصوراً وقوله « لاقعدن لهم » جواب القسم . والقسم محذوف ، لان غرضه بالكلام التأكيد ، وهو ضد قوله « ص والقرآن ذي الذكر » (٥) فانه حذف الجواب ، وهي القسم ، لان الغرض تعظيم المقسم به .

---

(١) مر هذا البيت فى ٢ : ٣١٢ وسيأتى فى ٥ : ٥٤٨

(٢) سورة التوبة آية ١٢٦ (٣) قائله (مدرج الريح الجرمى) واسمه (عامر ابن المجنون) . الشعر والشعراء : ٧١٣ . والمعانى الكبير : ١٠٤٧ والمخصص ٧ : ٤١، ١٨٠ وتهذيب أصلاح المنطق ٢ : ٥٤ واللسان (غوى) وتفسير الطبرى ١٢ : ٣٣٣

(٤) سورة مريم آية ٥٩ (٥) سورة ص آية ٢

وقعوده على الصراط معناه انه يقعد على طريق الحق ليصد عنه بالاغواء حتى يصرفه الى طريق الباطل عداوة له وكيداً .

وقوله « صراطك المستقيم » قيل في نصب (صراطك) انه نصب على الحذف دون الظرف ، وتقديره على صراطك ، كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن قال الشاعر :

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب (١)

وقال آخر :

كأني إذا اسعى لاظفر طائراً مع النجم في جو السماء يصوب (٢)

أي لاظفر على طائر ، واغواء الله تعالى لابليس لم يكن سبباً لضلاله ، لانه تعالى علم انه لو لم يغوه لوقع منه مثل الضلال الذي وقع او أعظم ، فأما قول من قال إنه لو كان ما يفعل به الايمان هو ما يفعل به الكفر ، لكان قوله « بما أغويتني » وبما اصلحتني بمعنى واحد ، فكلام غير صحيح ، لان صفة الآلة التي يقع بها الايمان خلاف صفتها إذا وقع بها الكفر . وإن كانت واحدة كالسيف . ولا يجب من ذلك ان تكون صفتها واحدة من أجل انها واحدة بل لا يمتنع أنه متى استعمل آلة الايمان في الضلال سمي إغواء وان استعمل ما في الايمان سمي هداية ، وان كان ما يصح به الايمان والكفر والضلال واحداً .

وقوله « ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

---

(١) قائله ساعدة بن جؤية الهذلي ديوانه ١ : ١٩٠ وسيبويه ١ : ١٦ ، ١٩٠ وخزانة الادب ١ : ٤٧٤ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٣٧ وغيرها .

(٢) تفسير الطبري ٢١ : ٣٣٧

احدها - قال ابن عباس وقتادة وابراهيم بن الحكم والسدي وابن جريج : من قبل دنياهم وآخرتهم . ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم .

الثاني - قال مجاهد من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون .

الثالث - قال البلخي وابو علي من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها . وقال ابن عباس ولم يقل من فوقهم ، لان رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم ، ولم يقل من تحت أرجلهم ، لان الايتان منه موحش . وقال ابو جعفر (ع) « ثم لآتينهم من بين ايديهم » معناه أهوّن عليهم امر الآخرة ومن خلفهم أمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم « وعن أيمانهم » وافسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة « وعن شمائلهم » بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم . وقال الزجاج « من بين ايديهم » معناه أغويهم حتى يكذبوا بالبعث والنشور ، « ومن خلفهم » حتى يجحدوا ما كان من أخبار الامم الماضية والانبياء السالفة .

وانما دخلت (من) في الخلف والقدام ، و(عن) في اليمين والشمال لان في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة . ودخول (ثم) في الكلام : بيان ان هذا المعنى يكون بعد القعود في طريقهم .

وقوله « ولا تجد اكثرهم شاكرين » اخبار من ابليس ان الله لا يجد اكثر خلقه شاكرين . وقيل : يمكن ان يكون علم ذلك من احد وجهين :

احدها - قال ابو علي ذلك علمه من جهة الملائكة باخبار الله تعالى إياهم .

الثاني - قال الحسن يجوز ان يكون اخبر عن ظنه ذلك ، كما قال تعالى « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه » لانه لما اغوى آدم فاستزله قال ذرية هذا اضعف منه ، وظن انهم سيجيبونه ويتابعونه .

قوله تعالى :

﴿قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾(١٧) آية بلا خلاف .

حكى عن عاصم في الشواذ « لمن تبعك » بكسر اللام ، ويكون خبره محذوفاً وتقديره لمن تبعك النار ، وليس بمعروف .

هذا خبر من الله تعالى انه اخرج منها يعني من الجنة « مذؤما » قال ابن عباس : معناه معيباً . وقال ابن زيد : مذموماً يقال : ذأمه يذأمه ذأماً وذامة يذيمه ذيماً وذاماً . وقيل الذأم والذيم اشد العيب . ومثله اللوم قال الشاعر :

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة　　فلما انجلت قطعت نفسي اذيمها (١)

واكثر الرواية الومها . وقوله « مدحوراً » فالدحر الدفع على وجه الهوان والاذلال يقال : دحره يدحره دحراً ودحوراً . وقيل الدحر الطرد - في قول مجاهد - والسدي - .

وقوله « لمن تبعك منهم » جواب القسم ، وحذف جواب الجزاء في « لمن تبعك » لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ، ولو كان في حشو الكلام ، لكان الجزاء احق منه ، كقولك : إن تأتني والله اكرمك ، ولا يجوز ان تكون (من) ههنا بمعنى الذي ، لأنها لا تقلب الماضي الى الاستقبال ويجوز ان تقول : والله لمن جاءك اضربه بمعنى لأضربه ، ولم يخبر بمعنى لأضربنه ، كما يجوز والله اضرب زيداً بمعنى لأضرب ولا يجوز بمعنى لأضربن ، لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام على قول الزجاج .

---

(١) قائله (الحارث بن خالد المخزومي) الاغاني (دار الثقافة) ٣ : ٣١٣ وتفسير الطبري ١ : ٢٦٥ ، ١٢ : ٣٤٣ .

وانما قال « لأملان جهنم منكم » بلفظ الجمع وإن كان المخاطب واحداً على التغليب للخطاب على الغيبة ، كما يغلب المذكر على المؤنث وكما يغلب الاخف على الاثقل في قولهم : سنة العمرين ، لان المفرد أخف من المضاف ، لان المعنى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ، كما ذكره فى موضع آخر .

وقوله « اجمعين » تأكيد لقوله « منكم » وهو وإن كان بلفظ الغائب اكد به المخاطب ، لأنه تابع للاول ، فان كان غائباً فهو غائب وإن كان مخاطباً ، فهو مخاطب وإن كان متكلماً ، فهو متكلم كقولك نحن منطلق أجمعون عامدون ، لان الاتباع قد دل على ذلك .

قوله تعالى

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٨) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية خطاب الله تعالى لآدم وأمره إياه أن يسكن هو وزوجه حواء الجنة .

واختلفوا في الجنة التي اسكن الله آدم فيها .

فقال قوم : انها جنة الخلد ، لان الجنة إذا أطلقت معرفة بالألف واللام لايعقل منها في العرف إلا جنة الخلد ، كما أن السموات والارض إذا أطلق لم يعقل منه إلا السموات المخصوصة دون سقف البيت .

وقوله « وزوجك » انما جاء به على لفظ التذكير ، لأن الاضافة أغنت عن ذلك وأبانت عن المعنى ، فكان الحذف احسن لانه أوجز يقال : لصاحب المنزل ساكن

فيه ، وان كان يتحرك فيه أحياناً للتقليب ، لأن سكونه فيه اكثر ، بجلوسه ونومه في ليله . وغير ذلك من اوقاته ، وأباح الله تعالى لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، واين شاءا ما شاءا ، ونهاهما على وجه الندب ألا تقربا هذه الشجرة .

وعندنا إن ذلك لم يكن محرماً عليهما بل نهاهما نهي تنزيه دون حظر وبالمخالفة فاتهما ثواب كثير ، وان لم يفعلا بذلك قبيحاً ، ولا أخلا بواجب .

ومن خالفنا قال اخطأ في ذلك على خلاف بينهم بأن ذلك صغيرة او كبيرة . ومن قال كانت صغيرة ، منهم من قال : وقع ذلك منه سهواً ونسياناً . ومنهم من قال : وقع ذلك تأويلا من حيث نهي عن جنس الشجر ، فحمله على شجرة بعينها ، فاخطأ في التأويل . وقد بينا فساد ذلك فيما مضى (١) .

وقوله « فتكونا من الظالمين » يحتمل أن يكون نصباً على جواب النهي .

والثاني - ان يكون جزماً عطفاً على النهي ، فكأنه قال لا تقربا هذه الشجرة ، ولا تكونا من الظالمين .

ومعنى « الظالمين » على مذهبنا المراد به الباخسين نفوسهم ثواباً كثيراً ، والمفوتين نعيماً عظيماً . ومن قال : انهما ارتكبا قبيحاً قال : ظلما انفسهما بارتكاب القبيح . وعلى مذهب من يقول بأن ذلك كانت صغيرة وقعت ، مكفرة لا بد أن يحمل الظلم ههنا على نقصان الثواب الذي انحبط بمقارنة الصغيرة له فأبو علي ذهب الى ان ذلك وقع منه نسياناً . وقال البلخي وقع منه تأويلا ، لانه نهي عن جنس الشجرة فتأوله على شجرة بعينها ، وهذا خطأ ، لان ما يقع سهواً او نسياناً لا يحسن المؤاخذة به . وأما الخطأ في التأويل فقد زاد من قال ذلك قبيحاً آخر . احدهما ارتكاب المنهي . والثاني الخطأ في التأويل به

قوله تعالى

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن

(١) في المجلد الاول ص ١٦٠ - ١٦٤

سَوْآتِهما وقالَ ما نهاكما رَبُّكما عن هٰذِهِ الشَّجرةِ إلّا أن تكونا ملكينِ أو تكونا مِنَ الخالدينِ ﴾ (١٩) آية بلا خلاف .

قرأ يحيى بن كثير ويعلى بن حكيم «الا ان تكونا ملكين» بكسر اللام من قوله «هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» الباقون بفتح اللام .

اخبر الله تعالى انه لما نهى آدم وزوجته عن اكل الشجرة وسوس لهما الشيطان. والوسوسة الدعاء الى امر بضرب خفي كالهمهمة والخشخشة قال رؤبة مراجعة :

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سراً وقد اون تاوين العقق (١)

وقال الاعشى :

تسمع للحلى وسواساً اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل (٢)

وقوله « ليبدي لهما » فالا بداء الاظهار ، وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك ، وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقد ابدي . وقوله « ماروي » فالمواراة جعل الشيء وراء ما يستره . ومثله المساترة ، وضده المكاشفة ، ولم يهمز ، لان الثانية مدة ، ولولا ذلك لوجب الهمز .

وقيل: للفرج سوأة، لانه يسوء صاحبه اظهاره ، وكلما قبح اظهاره سوأة، والسوء من هذا المعنى . وإذا بالغوا قالوا السوأة السوآء ، ولم يقصد آدم وحوا (عليهما السلام) بالتناول من الشجرة القبول من ابليس ، والطاعة له بل إنما قصدا عند دعائه شهوة نفوسهما ، ولو قصدا القبول منه ، لكان ذلك قبيحاً لا محالة . وقال الحسن لو قصدا ذلك لكانا كافرين .

---

(١) ديوانه : ١٠٨ واللسان (وسس) وهذا من ارجوزته التي يصف بها الصائد المختفي يترقب حمر الوحش . يقول : لما احس بالصيد وأراد رميه وسوست له نفسه بالدعاء حذر الخيبة .

(٢) ديوانه : ٤٢ القصيدة ٦

وفرق بين وسوس اليه ووسوس له، مثل قولك القى اليه المعنى، ووسوس له معناه اوهمه النصيحة له.

فان قيل كيف وصل ابليس الى آدم وحواء حتى وسوس لهما؟ وهو خارج الجنة، وهما في الجنة وهما في السماء وهو في الارض؟ قلنا: فيه اقوال.

احدها - قال الحسن كان يوسوس من الارض إلى السماء وإلى الجنة فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له.

الثاني - قال ابو علي انهما كانا يخرجان من السماء فيلقنهما وهما هناك.

الثالث - قال ابو بكر بن الاخشيد انه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها.

وقوله «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين» فيه قولان:

احدهما - ان فيه حذفاً وتقديره إلا ان تكونا ملكين. ومعناه لئلا تكونا ملكين.

الثاني - الا كراهة ان تكونا ملكين.

فان قيل كيف يموّه عليهما ان الأكل من الشجرة يوجب الانقلاب من صورة البشرية الى صورة الملائكة او يوجب الخلود في الجنة؟!

قلنا: عن ذلك جوابان احدهما انه اوهم ان ذلك في حكم الله في كل من أكل من تلك الشجرة.

الثاني - انه اراد إلا ان تكونا بمنزلة الملائكة في علو المنزلة.

واستدل جماعة من المعتزلة بهذه الآية على ان الملائكة افضل من البشر، والانبياء منهم. وهذا ليس بشيء، لأنه لم يجر ههنا ذكر لكثرة الثواب وان الملائكة اكثر ثواباً من البشر بل كان قصد ابليس ان يقول لآدم ما نهاك الله عن اكل الشجرة إلا ان تكونا ملكين فان كنتما ملكين فقد نهاكما، وحيث لستما من الملائكة فما نهاكما الله عن اكلها، وتلخيص الكلام ان المنهي من اكل الشجرة هم الملائكة فقط، ومن ليس

منهم فليس بمنهي ، ولا تعلق لذلك بكثرة الثواب ولا بقلته ، وعلى قول من كسر اللام لا متعلق في الآية ، ولا شبهة .

والشجرة التي نهي عنها آدم ، قال قوم هي الكرمة ، وقال آخرون هي السنبلة . وقيل فيه اقوال غيرها ذكرناها في سورة البقرة (١) .

قوله تعالى :

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

المقاسمة لا تكون إلا بين اثنين ، والقسم كان من أبليس لادم ، لا من آدم مقسم له . وانما قال وقاسمهما كما يقال عاقبت اللص وطارقت النعل وناولت الرجل وعافاه الله ، وكذلك قاسمته ، لان في جميع ذلك معنى المقابلة ، كأنه قابله في المنازعة باليمين والمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة ، وقال الهذلي :

وقاسمها بالله جهداً لانتم الذّ من السلوى اذا ما نشورها (٢)

اي حالفها ، وفي موضع آخر « قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله » (٣)

اي تحالفوا . وسئل الحسن فقيل له أليس الله خلق آدم ليكون خليفة في الارض قال بلى ، قال وكان لا بدّ له من ان يهبط الارض ، قال لا والله ، ولكن لو هبط مطيعاً لله كان خيراً له من ان يهبط عاصياً ، ولم يعاتبه الله على الهبوط ، وانما عاتبه على مخالفة الامر .

واصل القسم القسمة ، قال اعشى بني ثعلبه :

---

(١) في تفسير اية ٣٥ المجلد ١ : ١٥٨ ؛ ١٦٢

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٥٨ ، وتفسير الطبري ١٢ : ٣٥٠ والسلوى : العسل

(٣) سورة النمل آية ٤٩

رضيعي لبان ثدي ام تقاسما بأسحم داج عوض لا نتفرق (١)

والقسم تأكيد الخبر بطريقة والله وتالله .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان ابليس حلف ، لادم وحواء انه لهما ناصح في دعائهما الى التناول من الشجرة ولذلك تاكدت الشبهة عندهما ، وظنا ان احداً ، لايقدم على اليمين بالله الا صادقاً ، فكان ذلك داعياً لهما الى تناول الشجرة .

ويجوز ان تقول اني لك لناصح ، ولا يجوز ان تقول انا لك لناصح ، لان لام الابتداء موضعها صدر الكلام لا تؤخر عنه الا في باب (ان) خاصة لئلا يجتمع حرفا تأكيد في موضع واحد ، فيوهم اختلاف المعنى ، لان الاصل في اجتماع الحرفين في موضع انه لايغوب احدهما عن الآخر ، وتقدير الكلام ، وقاسمهما انى لكما ناصح ، ثم فسر ذلك بقوله من الناصحين ليكون لكما متعلقاً بقوله لمن الناصحين فقدم الصلة على الموصول ومثله قوله « وانا على ذلكم من الشاهدين » وتقديره وانا على ذلكم شاهد ، وبينه بقوله من الشاهدين

قوله تعالى :

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

معنى قوله « فدلاهما حطهما الى الخطيئة بغرور ، ومنه قولهم فلان يتدلى الى الشر ، لان الشر سافل والخير عال . وقيل دلاهما من الجنة الى الارض بغرور والغرور اظهار

(١) ديوانه : ١٥٠ واللسان (عوض) ، (سحم) وتفسير الطبرى ١٢ : ٣٥٠

النصح مع ابطان الغش ، واصله الغرّ طيّ الثوب يقال اطوه على غره أي على كسر طيه ، وقال الشاعر :

كان غر متنه اذ نجنبه سير صناع في خريز تكلبه(١)

فالغرور بمنزلة الغر لما فيه من اظهار حال واخفاء حال ، ومنه الغرر لخفاء مالا يؤمن فيه . والغرّ الذي لم يجرب الامور ، لانها تخفى عليه . والغرة الاخذ على غفلة . والغرارة الوعاء ، لانها تخفي ما فيها . والاغر الابيض لظهور الثوب في غره ، ومنه الغرة في الجبهة .

وقوله «فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما» اي ظهرت عوراتهما ، ولم يكن ذلك على وجه العقوبة ، لان الانبياء لا يستحقون العقوبة ، وانما كان ذلك لتغير المصلحة ، لانهما لما تناولا من الشجرة اقتضت المصلحة اخراجهما من الجنة ونزعهما لباسهما الذي كان عليهما ، واهباطهما الى الارض ، وتكليفهما فيها .

وقوله « وطفقا » قال ابن عباس : معنى طفق جعل يفعل ، ومثله . قولهم : ظل يفعل واخذ يفعل وابتدأ يفعل ، فقد يكون ذلك باول الفعل وقد يكون بالقصد الى الفعل ، ويقال : طفق يطفق وطفق يطفق طفقاً .

وقوله « يخصفان عليهما من ورق الجنة » معناه يقطفان من ورق الجنة ليستترا به ، ويجوزان بعضه الى بعض ، ومنه المخصف : المثقب الذي يخصف به النعل ، والخصاف الذي يرقع النعل قال الشاعر :

واسعى للندى والثوب جرد محاسرة وفي نعلي خصاف

يعني ترقيع وقال الاعشى:

---

(١) قائله (دكين بن رجاء الفقيمى) اللسان (كلب) . (غرمتنه) : ما تثنى من جلده و (سير صناع) . أى سير متصنع به من كثر الخرز فيه . وهو يصف حصان قد اكثر صاحبه من حزر بمحرز حتى أصبح يرى انه قوى الجرى .

قالت ارى رجلا في كفه كتف　　او يخصف النعل لهفي آية صنعا (١)

ومنه قول النبي (ص) (خاصف النعل في الحجرة) يعني علياً (ع) . والاخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة . والخصف ثياب غلاظ جداً ، لانه يعسر قطعها لغلظها . وكان الحسن يقرأ « يخصفان » بمعنى يختصفان .

وقوله « من ورق الجنة » قيل : انه من ورق التين . واصل الورق ورق الشجرة ، ومنه الورق اسم الدراهم ، والورقة سواد في غبرة كأنه كلون الورق الذي بهذه الصفة ، وحمامة ورقاء ، وفي ذلك دلالة على ان ستر العورة كان واجباً في ذلك الوقت

وقوله « وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة » حكاية عما قال الله تعالى لآدم وحواء — بعد ان بدت سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الشجرة — اليس كنت نهيتكما عن تلكما الشجرة ، وانما قال تلكما لانه خاطب اثنين واشار الى الشجرة ، فلذلك قال تلكما ، « واقل لكما » عطف على انهاكما ، فلذلك جزمه « ان الشيطان لكما عدو مبين » يعني ظاهر العداوة ، وقد بينا ان آدم لم يرتكب قبيحاً وان ما توجه اليه بصورة النهي كان المراد به ضرباً من الكراهة دون الحظر ، وانما قلنا ذلك لقيام الدلالة على عصمتها من سائر القبائح صغائرها وكبائرها ، فعلى هذا لا يحتاج ان نقول انهما تأولا فأخطا ، على ما قال البلخي والرماني او وقع منهما سهواً على ما قاله الجبائي .

قوله تعالى :

﴿ قَالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ ﴾ (٢٢) آية بلا خلاف.

---

(١) ديوانه : ٨٣ القصيدة ١٣

في هـــذه الآية حكاية عما قال آدم وحواء (ع) لما عاتبهما الله وبخهما على ارتكابهما ما نهاهما عنه ، واخبار عن اعترافهما على أنفسهما بأن قالا « ربنـــا ظلمنا انفسنا » ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه . والظلم هو النقص ، وعلى مذهب من يقول إنهما فعلا صغيرة لا بد ان يحمل قوله « ظلمنا أنفسنا على تنقيص الثواب ، لأن عندهم ان الصغيرة انقصت ثواب طاعاتهم ، فكان ذلك ظلماً للنفس ، فأما من يقول إن الصغيرة تقع مكفره من غير أن تنقص من ثواب فاعلها شيء ، فلا يتصور معنى لقوله « ظلمنا انفسنا » ولا يثبت فيهما فائدة ، لأنهما لم يستحقا عقاباً بلا خلاف وصفة ظالم مفارقة لقولنا ظلمنا ، لان الظالم اسم ذم في اكثر التعارف ، وظلم قد يستعمل في غير المستحق للعقاب والذم ، كما ان اسم مؤمن اسم مدح لمستحق الثواب ، وآمن يؤمن بخلاف ذلك عند القائلين بالوعيد . وقوله « وان لم تغفرلنا » معناه إن لم تستر علينا ، لان الغفر هو الستر على ما بيناه فيما مضى ، وعلى مذهب من يقول : إن معصيتهم كانت صغيرة وقعت مكفرة لا معنى لقوله « وان لم تغفرلنا » ، لان الغفران كائن لا محالة ، ولا يحسن المؤاخذة به .

وقوله « لنكونن من الخاسرين » والمعنى ان لم تتفضل علينا بنعمك التي تتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب بضروب تفضلك لنكونن من جملة من خسر ، ولم يربح . والانسان يصح ان يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضرراً غير مستحق ولا يدفع عنها ضرراً أعظم ، ولا يجتلب منفعة توفي عليه . ولا يصح ان يكون معاقباً لنفسه ، ويجوز أن يأمر الله تعالى المكلف ان يضر بنفسه ولا يحسن ان يأمره ان يعاقب نفسه ، لأن امر الحكيم يدل على الترغيب في الشيء ، ولا يجوز أن يرغبه في عقابه ، كما لا يجوز ان يرغبه في ذمه ولعنه .

قوله تعالى:

﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين﴾ (٢٣) آية بلا خلاف.

اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال السدي وابو علي الجبائي وابو بكر بن الاخشيد: إن المراد بالخطاب آدم وحواء، وابليس، جمع بينهم في الذكر، وإن كان الخطاب لهم وقع في اوقات متفرقة، لان إبليس امر بالهبوط حين امتنع من السجود، وآدم وحواء حين اكلا من الشجرة، وانتزع لباسهما. وقال ابو صالح: الخطاب متوجه الى آدم وحواء والحية. وقال الحسن — قولا بعيداً من الصواب — وهو ان المراد به آدم وحواء والوسوسة، وهذا قول منعزب عنه، لان الوسوسة لا تخاطب.

والهبوط هو النزول بسرعة والبعض هو احد قسمي العدة، واحد قسمي العشرة بعضها واحد، واحد قسمي الاثنين بعضها ولا بعض للواحد، لانه لا ينقسم.

وقوله «بعضكم لبعض» أضاف البعض الى جملة هو منها، ولا يجوز أن يضاف غير الى جملة هو منها لان إضافة غير الى الجملة والتفصيل، لصحة ان يكون لكل واحد غير، وليس كذلك بعض، لانه لا يصح ان يكون لكل واحد بعض فأضافته الى الجملة فقط.

والعدو ضد الولي، ومن صفة العدو انه مراصد بالمكاره. ومن صفة الولي انه مراصد بالمحاب. وقال الرماني العدو هو النائي بنصرته في وقت الحاجة الى معونته، والولي هو الدانى بنصرته في وقت الحاجة الى معونته.

وقوله «ولكم في الارض مستقر» فالمستقر قيل في معناه قولان:

احدهما — قال ابو العالية: هو موضع استقرار.

الثاني - انه الاستقرار بعينه ، لان المصدر يجيء على وزن المفعول نحو و «يدخلكم مدخلا كريما» أي ادخالا كريما قال الشاعر :

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وانجوا اذا غم الجبان من الكرب (١)

وقوله « ومتاع الى حين » فالمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ ، لان المناظر الحسنة يستمتع بها لما فيها من عاجل اللذة . والحين الوقت قصيراً كان او طويلا ، الا انه قد استعمل على طول الوقت ههنا وليس بأصل فيه كقول العامل ما لقيته منذ حين قال الشاعر :

وما مزاحك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لاحين (٢)

اي وقت لا وقت ، وقال البلخي الى حين معناه الى القيامة .

قوله تعالى :

﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ (٢٤)

آية بلا خلاف

قرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي وخلف ، ويعقوب « تخرجون » بفتح التاء ، وضم الراء . الباقون بضم التاء وفتح الراء .

من قرأ بضم التاء ، فلقوله « انكم مخرجون » (٣) وقوله « كذلك نخرج الموتى » (٤)

ومن فتح التاء ، فلاجماع الكل في قوله « ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا

---

(١) قائله كعب بن مالك . اللسان (قتل) (٢) قائله جرير . ديوانه : ٥٨٦ وسيبويه ١ : ٣٥٨ ومجاز القرآن ١ : ٢١٢ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٥٩ . ورواية الديوان وسيبويه : (ما بال جهلك بعد الحلم والدين)

(٣) سورة المؤمنون آية ٣٥ (٤) سورة الأعراف آية ٥٦

انتم تخرجون » (١) بفتح التاء ولقوله « الى ربهم ينسلون » (٢) فاسند الفعل اليهم ، ولانه اشبه بما قبله من قوله « فيها تحيون وفيها تموتون » (٣) وكما قال « كما بدأكم تعودون » (٤) اضاف الفعل اليهم .

وفي الآية اخبار من الله تعالى وحكاية عما قاله لآدم انكم تحيون في هذه الارض التي تهبطون اليها ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون ، للبعث يوم القيامة . قال الجبائي: في الآية دلالة على ان الله (عز وجل) يخرج العباد يوم القيامة من هذه الارض التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها في يوم الحشر ، واذا اراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى وهذا معنى قوله « فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » (٥) .

قوله تعالى:

﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢٥) آية بلاخلاف

قرأ اهل المدينة ، وابن عامر والكسائي « ولباس التقوى » بالنصب . الباقون بالرفع ، ومن نصب حمله على (انزل) من قوله قد انزلنا عليكم لباساً ، ولباس التقوى » وانزلنا ههنا مثل قوله « وانزلنا الحديد فيه باس شديد » (٦) ومثل قوله « وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج » (٧) أي خلق . وانما قال « انزلنا

(١) سورة الروم آية ٢٥　　(٢) سورة يس آية ٥١
(٣) سورة الاعراف آية ٢٤　　(٤) سورة الاعراف آية ٢٩
(٥) سورة النازعات آية ١٤　　(٦) سورة الحديد آية ٢٥
(٧) سورة الزمر آية ٦

لباساً » لأحد امرين .

احدهما – لانه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء في قول الحسن والجبائي .

الثاني – لان البركات تنسب الى انها تأتي من السماء كقوله «وانزلنا الحديد فيه باس شديد » (١) وقوله « ذلك » على هذا مبتدأ وخبره خير ، ومن رفع قطع اللباس من الاول واستأنف ، فجعله مبتدأ وجعل قوله « ذلك » صفة له او بدلا او عطف بيان . ومن قال (ذلك) لغو فقد اخطأ ، لانه يجوز ان يكون على احد ما قلناه ، وخير خبر لـ (لباس) وتقديره لباس التقوى خير لكم إذا اخذتم به واقرب لكم الى الله مما خلق لكم من اللباس ، والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف في قوله « فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » (٢) الى (الجوع) .

وهذه الاية خطاب من الله تعالى ، لاهل كل زمان من المكلفين على ما يصح ويجوز من وصول ذلك اليهم ، كما يوصي الانسان لولده وولد ولده ، وان نزلوا بتقوى الله وايثار طاعته ، ويجوز خطاب المعدوم بمعنى ان يراد بالخطاب إذا كان المعلوم انه سيوجد وتتكامل فيه شروط التكليف ، ولا يجوز ان يراد من لا يوجد لان ذلك عبث لا فائدة فيه .

واللباس كلما يصلح للبس من ثوب او غيره من نحو الدرع ، وما يغشى به البيت من نطع او كسوة . واصله المصدر تقول : لبسه يلبسه لبساً ولباساً ، ولبسا – بكسر اللام – قال الشاعر :

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه باطراف طفل زان غيلا ، موشما (٣)

الغيل الساعد ، ووصفها بلطف الكف . (والريش) : ما فيه الجمال ، ومنه ريش

---

(١) وسورة الحديد آية ٢٥ (٢) سورة النحل آية ١١٢

(٣) قائله ﴿ حميد بن ثور الهلالي ﴾ ديوانه : ١٤ ومعاني القرآن ١ : ٣٧٥ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٦٤ واللسان (لبس) ، (طفل) والمخصص ٤ : ٣٥ وغيرها

الطائر ، وقيل اصله المصدر من راشة يرشيه ، وقد تريش فلان اي صار له ما يعيش به ، قال الشاعر انشده سيبويه :

وريشي منكم وهو أي معكم　　وان كانت زيارتكم لماما (١)

وقال سعيد الجهني الرياش المعاش . وقال الزجاج الريش اللباس يقولون اعطيته رجلا فرسته اي كسوته وجمعه رياش .

قال مجاهد : وانما ذكر اللباس ههنا لان المشركين كانوا يتعرون في الطواف حتى تبدوا سوآتهم باغواء الشياطين ، كما اغوى ابويهم قبل هذا الاغواء .

وقوله « يواري سوءاتكم » معناه يستر ما يسوؤكم إنكشافه من الجسد ، لأن السوءة ما يسوء انكشافه من الجسد ، والعورة ترجع الى النقيصة في الجسد قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم　　لم يبالوا سوءة الرجله (٢)

ولباس التقوى فيه خمسة اقوال : احدها - قال ابن عباس هو العمل الصالح . الثاني - قال قتاده والسدي وابن جريج هو الايمان . الثالث - قال الحسن هو الحياء الذي يكسبكم التقوى . الرابع - قال الجبائي : هو الذي يقتصر عليه من اراد التواضع والنسك في العبادة من لبس الصوف والخشن من الثياب . الخامس - قال الرماني هو العمل الذي بقي العقاب ، وفيه الجمال مثل جمال الناس من الثياب . وقال الحسين بن علي المغربي « لباس التقوى » يعني الذي كان عليكما في الجنة خير لكم بدلالة قوله « ذلك » وهي للبعيد .

وقوله « ذلك من ايات الله » معناه ان الذي فعلناه بكم من حجج الله التي دلتكم على توحيده من الله « لعلهم يذكرون » معناه لكي يتفكروا فيها ويؤمنوا بالله ويصيروا

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٤٥ نسبة الى الراعي وكذلك في الشواهد : ١٠٣

(٢) اللسان (رجل) والكامل للمبرد ١ : ١٦٥ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٦١ وشرح الحماسة ١ : ١١٧

قوله تعالى:

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (٢٦) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله لأولاد آدم العقلاء منهم المكلفين، فنهاهم أن يفتنوا بفتنة الشيطان. والفتنة هي الاختبار والابتلاء وافتتان الشيطان يكون بالدعاء الى المعاصي من الجهة التي تميل اليها النفوس وما تشتهيه. وانما جاز أن ينهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه أبلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه، ويقصدنا بالعداوة، فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه. وقوله «كما اخرج ابويكم من الجنة» يعني أغوى ابويكم آدم وحواء حتى خرجا من الجنة، فنصب الاخراج اليه لما كان باغوائه وجرى ذلك مجرى ذم الله تعالى فرعون بانه يذبح ابناءهم وانما امر بذلك، وتحقيق الذم فيها راجع الى قتل المذموم، ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة.

وقوله «ينزع عنهما لباسهما» في موضع الحال من الشيطان، وتقديره نازعاً عنهما لباسهما لكي تبدو سوآتهما فيرياها، والنزع قلع الشيء من موضعه الذي هو ملابس له ويقال: نزع من الامر ينزع نزوعاً تشبيهاً بهذا، ونازعه إذا حاول كل واحد منهما ان يزيل صاحبه عما هو عليه، وغرض الشيطان في ان يريا سوآتهما هو ان يغمهما ذلك ويسوءهما ان تبدو لغيرهما، كما بدا لهما، لان ذلك صفة كل من له مروءة.

واللباس الذي ينزع عنهما قيل فيه ثلاثة اقوال:

احدها - قال ابن عباس : كان لباسها الظفر .

وقال وهب بن منبة كان لباسها نوراً .

وقال قوم هي ثياب من ثياب الجنة .

وقوله « انه » يعنى الشيطان « يراكم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم » وانما كانوا يرونا ولا نراهم لان ابصارهم احد من ابصارنا ، واكثر ضوءاً من أبصارنا فابصارنا قليلة الشعاع ، ومع ذلك اجسامهم شفافة واجسامنا كثيفة ، فصح ان يرونا ولا يصح منا أن نراهم ، ولو تكثفوا لصح منا ايضاً ان نراهم .

وقال ابو علي في الآية دلالة على بطلان قول من يقول انه يرى الجن من حيث ان الله عمم ان لا نراهم ، قال وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بأن يكثف الله اجسامهم .

وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشيد : يجوز ان يمكنهم الله ان يتكثفوا فيراهم حينئذ من يختص بخدمتهم .

وقبيل الشيطان ، قال الحسن وابن زيد : هو نسله ، وبه قال ابو علي واستدل على ذلك بقوله « افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو » (١) .

وقوله « انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » معناه إنا حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل ، ومثله قوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً » (٢) اي حكموا بذلك حكماً باطلا ؛ و(حيث) في موضع خفض بحرف (من) غير انها بنيت على الضم ؛ واصلها ان تكون موقوفة ، لانها ليست لمكان بعينه ، وأن ما بعدها صلة لها ليست بمضافة اليه . ومنهم من يقول (من حيث) خرجت بفتح . لالتقاء الساكنين . ومنهم من يقول (حوث) ولا يقرأ بها .

---

(١) سورة الكهف آية ٥١

(٢) سورة الزخرف آية ١٩

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٧) آية بلا خلاف .

الكناية في قوله « فعلوا فاحشة » كناية عن المشركين ، الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم :النساء والرجال الحمس خاصة ، وله خبر طويل - في قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي - وقالت العامرية :

اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله (١)

قال الفراء كانوا يعملون ستاً من سور مقطعة يشدون على حقوهم فسمي حوفاً ، وان عمل من صوف سمي رهطاً .

وقال الحسن وابو علي : هي كناية عن عبدة الاوثان وفواحشهم الشرك بالله والكفر بنعمه .

والفاحشة ما عظم قبحه في قول الزجاج ، يقال فحش يفحش فحشا ، ولا يقال في الصغيرة - عند من قال بها - فاحشة ، وإن قيل فيها انها قبيحة ، كما لا يقال في القوم فاحش ، وإن قيل قبيح .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم « اذا فعلوا فاحشة » وارتكبوا قبيحا اعتذروا ، انفوسهم بأن قالوا : وجدنا اباءنا يفعلونها . قال الحسن : وإنما دعاهم الى هذا القول ، لان أهل الجاهلية كانوا اهل اجبار ، وقالوا لو كره الله ما نحن عليه من

(١) تفسير الطبري : ١٢ : ٢٧٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٧٧

هذا الدين لتقلدنا عنه ، فهو قوله « والله امرنا بها » وقال غيره إنهم توهموا أن آباءهم لم يفعلوا ذلك إلا وهو من قبل الله . وانما قال آباؤهم بسببه فحينئذ رد الله عليهم قولهم بأن قال « ان الله لا يأمر بالفحشاء » ثم قال على وجه الانكار « اتقولون على الله مالا تعلمون » لانهم إن قالوا : لا ، نقضوا مذهبهم . وإن قالوا نعم افتضحوا في قولهم . وقال الزجاج : معنى « اتقولون على الله » اتكذبون عليه .

وفي الاية حجة على اصحاب المعارف ، واهل التقليد ، لانه ذم الفريقين ، ولو كان الامر على ما يقولون لما توجه عليهما الذم .

فان قيل : انما انكر الله قولهم ان الله امرنا بها ولا يدفع ذلك ان يكون مريداً لها ، لان الامر منفصل من الارادة .

قلنا : الامر لايكون امراً الا بارادة المامور به ، فما اراده فقد رغب فيه ودعا اليه فاشتركا في المعنى

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢٨) كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢٩) آيتان

تمام الاولى في الكوفي « تعودون » وفي البصري تمام الاولى « مخلصين له الدين » وتمام الأخرى عند الجميع « مهتدون » .

لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا إن الله أمرنا بما نفعله ونعتقده من الفواحش ، ورد عليهم بقوله « ان الله لا يأمر بالفحشاء » امر نبيه (ص) ان يقول « ان الله يأمر بالقسط » وهو العدل - في قول مجاهد والسدي واكثر المفسرين -

واصله العدول ، فاذا كان الى جهة الحق ، فهو عـــدل . ومنه قوله « ان الله يحب المقسطين » (١) . واذا كان الى جهة الباطل ، فهو جور ، ومنه قوله « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (٢) . وامرهم ان يقيموا وجوههم عنـــد كل مسجد قيـل فيه وجوه :

احدها – قال مجاهد والسدي وابن زيد معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلاة على استقامة .

الثاني – قال الربيع توجهوا بالاخلاص لله ، لا للوثن ولا غيره . وقال الفراء : معناه إذا دخل عليك وقت الصلاة في مسجد فصل فيه ، ولا تقل آتى مسجد قومي ، وهو اختيار المغربي :

وقوله «وادعوه مخلصين له الدين » أمرهم بالدعاء ، والتضرع اليه تعالى على وجه الاخلاص . واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الخبث ومنه اخلاص الدين لله (عز وجل)وهو توجيه العبادة اليه خالصاً دون غيره .

وقوله « كما بدأكم تعودون » قيل في معناه قولان :

احدها – قال ابن عباس والحسن وقتـادة ومجاهـدوابن زيد : كما خلقكم اولا تعودون بعد الفناء ، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال يحشرون عراة حفاة عزلا « كما بدأنا اول خلق نعيده . وعداً علينا انا كنا فاعلين » .

الثاني – قال ابن عباس وجابر في رواية انهم يبعثون على ما ماتوا عليه : المؤمن على إيمانه والكافر على كفره .

وإنما ذكر هذا القول ، لاحد امرين :

احـــدهما قال الزجاج : على وجه الحجاج عليهم ، لانهم كانوا لا يقرّون

(١) سورة المائدة آية ٤٥ وسورة الحجرات آية ٩ الممتحنة آية ٨

(٢) سورة الجن آية ١٥

بالبعث .

الثاني – على وجه الامر بالاقرار به ، كأنه قيل واقروا انه كما بدأكم تعودون والبدأ فعل الشيء اول مرة ، والعود فعله ثاني مرة . وقد يكون فعل اول خصلة منه بدأ ، كبدء الصلاة ، وبدء القراءة ، بدأهم وابداهم لغتان .

وقوله «فريقا هدى» فالفريق جماعة انفصلت من جماعة ، وذكر (فريق) ههنا احسن من ذكر نفر ، وقوم او نحوه ، لما فيه من الاشعار بالمباينة ونصب «فريقا هدى» وقوله « وفريقا حق عليهم الضلالة » لتقابل فريقا هدى بعطف فعل ، وتقديره ، وفريقا اضل الا انه فسره ما بعده نظير قوله « يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدلهم عذابا اليما» (١) وقال الفراء: نصب فريقا على الحال ، والعامل فيه (تعودون) فريقا . والثاني عطف عليه ، ولو رفع على تقدير احدهما كذا ، والاخر كذا ، كان جائزاً كما قال « قد كان لكم آية في فئتين التقتا : فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة » (٢)

والهدي والاضلال في الآية يحتمل أربعة اوجه :

احدها – انه حكم بأن هؤلاء مهتدون مدحا لهم ، وحكم بان اولئك ضالون ذما لهم .

الثاني – الدلالة التي انشرح بها صدور هؤلاء للاهتداء ، وضاقت بها صدور اولئك لشدة محبتهم لما هم عليه من مذهبهم .

الثالث – هدى بأن لطف لهؤلاء بما اهتدوا عنده ، وصار كالسبب لضلال اولئك بتخييرهم لينتقلوا عن فاسد مذهبهم .

الرابع – انه هدى هؤلاء الى طريق الثواب وأولئك لعمى الاضلال عنه بالعقاب في النار .

---

(١) سورة الدهر آية ٣١ (٢) سورة آل عمران آية ١٣

وقوله « انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله » اخبار منه تعالى انه فعل بهم ما فعل من الضلال ، لانهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ، والاتخاذ الافتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور ، فلما اعدوا الشياطين لنصرتهم ، كانوا قد اتخذوهم أولياء باعدادهم .

وقوله « ويحسبون انهم مهتدون » يعني هؤلاء الكفاء يظنون انهم مهتدون . والحسبان والظن واحد ، وهو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره ، فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين ، وبالتجويز يتميز من العلم ، لان مع العلم القطع .

قوله تعالى :

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف

امر الله تعالى في هذه الآية اولاد آدم الذكور منهم ، - لان (بني) جمع ابن ، وانما نصب لانه نداء مضاف ، والابن هو الولد الذكر ، والبنت الولد الانثى - امرهم الله بأن يأخذوا ، ومعناه أن يتناولوا زينتهم . والزينة هي اللبسة الحسنة ويسمى ما يتزين به زينة ، كالثياب الجميلة والحلية . ونحو ذلك . وقوله « عند كل مسجد » روي عن ابي جعفر (ع) انه قال في الجمعات والاعياد . وقال ابن عباس وعطاء وابراهيم والحسن وقتادة وسعيد بن جبير : كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهاهم الله عن ذلك . وقال مجاهد ماوارى العورة ، ولو عباءة . وقال الزجاج : هو أمر بالاستتار في الصلاة ، قال ابو علي ولهذا صار التزين للاعياد ، والجمع سنة .

وقيل في وجه شبهتهم في تعريهم في الطواف وابداء السوأة وجهان :

احدهما - ان الثياب قد دنستها المعاصي فيجردوا منها .

الثاني ـ تفألوا بالتعرى من الذنوب.

وقوله «وكلوا واشربوا» صورته صورة الامر ومعناه إباحة الاكل والشرب.

وقوله «ولا تسرفوا» نهي لهم عن الاسراف، وهو الخروج عن حد الاستواء في زيادة المقدار. وقيل المراد الخروج عن الحلال الى الحرام، وقيل الخروج مما ينفع الى ما يضر، وقيل الزيادة على الشبع فالاسراف والاقتار مذمومان.

وقوله «انه لا يحب المسرفين» معناه يبغض المسرفين لأنه ذم لهم، ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذماً لهم ولا مدحاً، وقال ابو علي من لا يحبه الله فهو يبغضه ويعاديه.

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣١) آية بلا خلاف.

قرأ نافع وحده «خالصة يوم القيمة» بالرفع. الباقون بالنصب.

من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو (هي) ويكون «للذين آمنوا» تبييناً للخلوص، ولا شيء فيه على هذا.

ومن قال هذا حلو حامض امكن ان يكون «للذين آمنوا» خبراً و(خالصة) خبراً آخر.

ومن نصب (خالصة) كان حالا مما في قوله «للذين امنوا» الا ترى ان فيه ذكراً يعود الى المبتدأ الذي هو (هي) فخالصة حال عن ذلك الذكر، والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل، و (هي) متعلقة بمحذوف يعود اليه الذكر الذي كان يكون في المحذف، ولو ذكر ولم يحذف، وليس متعلقاً بالخلوص، كما تعلق به في قول

من رفع . وتقديره هو للذين آمنوا في الحياة الدنيا لهم خالصة ، ذكره الفراء .

وحجة من رفع ان المعنى هي خالصة للذين آمنوا يوم القيامة ، وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا .

ومن نصب فالمعنى عنده هي ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصابه على الحال أشبه بقوله « ان المتقين في جنات وعيون آخذين » (١) ونحو ذلك مما انتصب الامر فيه على الابتداء ، وخبره وما يجري مجراه إذا كان فيه معنى (فعل) .

لما اباح الله تعالى وحث على تناول الزينة في كل مسجد وندب اليه وأباح الأكل والشرب ونهى عن الاسراف ، وهناك قوم يحرمون كثيراً من الاشياء من هذا الجنس ، قال الله تعالى منكراً لذلك « من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقيل في معنى الطيبات قولان : احدهما – المستلذ من الرزق . الثاني – الحلال من الرزق ، والاول أشبه بخلوصه يوم القيامة . وانما ذكر الطيبات من جملة ذلك ـ في قول ابن زيد والسدي – لانهم كانوا يحرمون البحائر والسوائب ، وظاهر الآية يدل على انه لايجوز لاحد تجنب الزينة والملاذ الطيبة على وجه التحريم واما من اجتنبها على ان غيرها افضل منها فلا مانع منه .

ثم اخبر تعالى فقال (هي) يعني الطيبات « للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وقيل في معنى « خالصة يوم القيمة » قولان :

احدهما ـ قال ابن عباس والحسن والضحاك وابن جريج ، وابن زيد . هي خالصة للمؤمنين دون اعدائهم من المشركين .

وقال ابو علي هي خالصة لهم من شائب مضرة تلحقهم .

(١) سورة الحجر آية ٤٥ وسورة الذاريات آية ٥١

وقال ابو علي الفارسي لايخلو قوله في الحياة الدنيا من ان يتعلق بـ(حرم) او بـ (زينة) او أو بـ (اخرج) او بـ (الطيبات) أو بـ (الرزق) من قوله «من الرزق » او بقوله « آمنوا » ولا يجوز ان يتعلق بـ (حرم) فيكون التقدير قل من حرم في الحياة الدنيا ، ويكون المعنى قل من حرم في وقت الحياة الدنيا ، ولايجوز أن يتعلق بـ (زينة) لانه مصدر ، او جار مجراه ، ولما وصفها لم يجز أن يتعلق بها شيء بعد الوصف ، كما لايتعلق به العطف عليه ، ويجوز ان يتعلق بـ(اخرج) لعباده فى الحياة الدنيا .

فان قيل : كيف يتعلق بـ (اخرج) وفيه فصل بين الصلة والموصول بقوله « قل هي للذين آمنوا » وهو كلام مستأنف ليس في الصلة ؟

قيل لا يمنع الفصل به ، لأنه مما يسدد القصة ، وقد قال « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة » (١) قوله « وترهقهم ذلة» معطوف على كسبوا ، فكذلك قوله « قل هي للذين آمنوا » ويجوز ان يتعلق بـ(الرزق) أيضاً إن كان موصولا ، ويجوز ان يتعلق بـ (آمنوا) الذي هو صلة (الذين) اي امنوا في الحياة الدنيا ، وكل ما ذكرناه من هذه الأشياء يجوز ان يتعلق به هذا الظرف .

وقوله «كذلك نفصل الآيات » اي كما نميز لكم الآيات وندلكم بها على منافعكم وصلاح دينكم ، كذلك نفصل الآيات لكل عاقل يعلم معناها ودلالتها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ

(١) سورة يونس آية ٢٧

تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

لما انكر تعالى على من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وانه اباح ذلك للمؤمنين في دار الدنيا بين عقيب ذلك ما حرمه عليهم ، فقال « قل » يا محمد « انما حرم ربي الفواحش » ومعناه لم يحرم ربي إلا الفواحش ، لأنا قد بينا ان (انما) تدل على تحقيق ما ذكر ، ونفي ما لم يذكر .

والتحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه ، وضده التحليل ، وهو الاطلاق في الفعل بالبيان عن جواز تناوله . واصل التحريم المنع من قولهم ، حرم فلان الرزق ، فهو محروم حرماناً ، وحرم الرجل اذا لج في الشيء بالامتناع منه ، وحرمه تحريماً ، واحرم بالحج احراماً وتحرّم بطعامه تحرماً ، واستحرمت الشاة إذا طلبت الفحل ، لانها تتبعه كما تتبع الحرمة البعل ، والحرم مكة وما حولها مما هو معروف ، واشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها ، وحريم الدار ما كان من حقوقها ، والمحرم السوط الذي لا يلين لانه حرام ان يضرب به حتى يلين .

والفواحش جمع فاحشة ، وهي اقبح القبائح . وهي الكبائر .

وقوله « ما ظهر منها وما بطن » يعني ما علن وما خفي .

وقد قدمنا اختلاف المفسرين في ذلك ، وانما ذكر مع الفواحش هذه القبائح ، وهي داخلة فيها لأحد امرين :

احدهما - للبيان عن التفصيل ، كأنه قيل الفواحش التي منها الاثم ، ومنها البغي ، ومنها الاشراك بالله .

والثاني - ان الفواحش هاهنا الزنا وهو الذي بطن ، والتعري في الطواف ، وهو الذي ظهر - في قول مجاهد - وقال قوم : الاثم هو الخمر ، وما ظهر الزنا ،

وما بطن هو نكاح امرأة الاب ، والاثم يعم جميع المعاصي وانشد ابن الانباري في أن الاثم هو الخمر:

شربت الاثم حتى ضل عقلي　　كذاك الاثم يصنع بالعقول (١)

وقال الفراء الاثم ما دون الحد ، والبغي هو الاستطالة على الناس ، وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق . واصل البغي الطلب تقول هذه بغيتي أي طلبتي ، وابتغي كذا ابتغاء . وما تبغي؟ أي ما تطلب ، وينبغي كذا أي هو الاولى أن يطلب

وقوله « ما لم ينزل به سلطاناً » السلطان الحجة في قول الحسن وغيره - ومثله البرهان ، والبيان والفرقان ، وحدودها تختلف ، فالبيان اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه ، والبرهان اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه ، والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به . والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال و « ان تقولوا على الله ما لا تعلمون » اي وحرم عليكم ذلك ، وذلك يدل على بطلان التقليد ، لان المقلد لا يعلم صحة ماقلد فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

قيل الفرق بين ان تقول ولكل امة اجل وبين ولكل احد اجل من وجهين :

احدهما - ان ذكر الامة يقتضي تقارب اعمار اهل العصر .

والآخر - انه يقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل.

والامة الجماعة التي يعمها معنى . وأصله أمه يؤمه اذا قصده ، فالامة الجماعة التي على مقصد واحد . والاجل الوقت المضروب ولانقضاء المهل ، لان بين العقد الاول

(١) اللسان ﴿ أثم ﴾ .

الذي يضرب لنفس الاجل ، وبين الوقت الاخر مهلا مثل اجل الدين ، وأجل الوعد ، واجل العمر .

وقال ابو علي الجبائي : في الآية دلالة على ان الاجل واحد لانه لايجوز أن يكون الظالم بقتل الانسان قد اقتطعه عن أجله . وقال ابو بكر بن الاخشيد ليس الامر على ذلك لانها قد دلت انه غير هذا على الاجلين .

وقوله «فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون» معني لايستأخرون، لايتأخرون ،وانما قيل لايستأخرون من اجل انهم لايطلبون التاخر فهو ابلغ في المعنى من لايتاخرون لان الاستئخار طلب التأخر .

وقوله «ولا يستقدمون» معناه لايتقدمون ، والمعني اذا قرب اجلهم لايطلبون التقدم ولا التاخر ،لان بعد حضور الاجل ونزول الاملاك يستحيل منهم طلب ذلك ، كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب وقته لانه متوقع كتوقعه .

قوله تعالى :

﴿ يا بَني آدَمَ إمّا يأتينكم رُسُلٌ منكم يَقُصُّونَ عليكم آياتي فَمَنِ اتّقى وَأصلحَ فَلا خَوْفٌ عليهم وَلا هُمْ يَحزنونَ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى لجميع بني آدم المكلفين منهم انه يبعث اليهم رسلا منهم يقصون عليهم آيات الله وحججه وبراهينه ، وهو ما انزله عليهم من كتبه ونصب لهم من ادلته .

وقوله « اما » اصله (ان) حرف الشرط دخلت عليه (ما) ولدخولها دخلت النون الثقيلة في (يأتينكم) ولو قال ان يأتينكم ، لم يجز . وانما كان كذلك ، لان (ما) جعلته في حكم غير الواجب ،لانه ينزل منزلة ما هو غير كائن حتى احتيج معه الى القسم مع خفاء أمره من جهة المستقبل ، ولم يجز دخول النون على الواجب في

مثل هوهون ، لان هذه النون تؤذن بأن ما دخلت عليه قد احتاج الى التأكيد لخفاء امره من جهة المستقبل . وانه غير واجب لخفاء أمره من هاتين الجهتين ، لاجله احتاج الى نون التأكيد . وانما قال « رسل منكم » بلفظ الجمع وانما اتى هؤلاء رسول منهم لانه على تقدير يأتين لكل امة ، فصار كأنه خطاب لجميع المكلفين . وجواب (ان) يحتمل ان يكون احد امرين:

احدهما — ان يكون قوله « فمن اتقى » منكم « واصلح » لان التفصيل يقتضي منكم .

الثاني — ان يكون محذوفاً يدل الكلام عليه كأنه قال فاطيعوهم .

وقوله « يقصون » فالقصص وصل الحديث بالحديث في وصل الحديث الممتنع بحديث مثله .

وقوله « فمن اتقى واصلح » معناه فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون . وظاهر الآية يدل على ان من اتقى معاصي الله واجتنبها ، واصلح بأن فعل الصالحات ، لا خوف عليهم في الآخرة وهو قول الجبائي — وقال ابو بكر بن الاخشيد لايدل على ذلك ، لان الله تعالى قال في وصفه يوم القيامة « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى » (١) وانما هو كقول الطبيب للمريض لا بأس عليك ، ولا خوف عليك . ومعناه ان امره يؤل الى السلامة والعافية .

والاول اقوى ، لانه الظاهر غير ان ذلك يكون لمن اتقى جميع معاصي الله ، فأما من جمع بين الطاعات والمعاصي فان خوفه من عقاب الله على معاصيه ، لابد منه ، لانا لانقطع على ان الله تعالى يغفر له لامحالة . ولا نقول بالاحباط فنقول ثواب ايمانه احبط عقاب معاصيه ، فاذا اجتمعا فلا بد من أن يخاف من وصول العقاب اليه .

(١) سورة الحج آية ٢

ومن قال لفظة اتقى لا تطلق الا للمؤمن من اهل الثواب ، لانها صفة مدح ، فلابد من ان يكون مشروطاً بالخلوص مما يحبطه ، فما ذكروه اولا صحيح نحن نعتبره ، لان المتقي لا يكون الا مؤمناً مستحقاً للثواب ، غير انه ليس من شرطه الا يكون معه شيء من العقاب ، بل عندنا يجتمعان ، فلا يستمر ما قالوه .

قوله تعالى

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٥) آية

اخبر الله تعالى ان الذين كذبوا بحججه وبراهينه ـ ، ولم يصدقوه ، واستكبروا عنها ـ انهم اصحاب النار الملازمون لها على وجه الخلود والتأبيد . والتكذيب هو تنزيل الخبر على انه كذب . والتصديق تنزيل الخبر على انه صدق ، فالتكذيب بآيات الله كفر . والتكذيب بالطاغوت ايمان ، فلذلك توعد على التكذيب بآيات الله بعقاب الابد. والاستكبار طلب الترفع بالباطل ، ولفظة تستكبر صفة ذم في جميع الخلق ، والخلود هو لزوم الشيء هو ما فيه . ومعنى « اخلد الى الارض » (١) لزوم الركون اليها والصاحب والقرين متقاربان غير ان القرين فيه معنى النظير ، وليس ذلك في الصاحب فلذلك قيل : اصحاب رسول الله ، ولم يقل قرناؤه .

ولفظة (الذين) مبنية على هذه الصيغة في جميع الاحوال الرفع والنصب والجر . وانما تثبت (مع) بعدها بالجمع من الحروف ، لان العلة التي لها هي التي موجودة فيه . وهي نقصانه عن سائر الاسماء حتى تأتي صلته فتتمه ، وليس هذا كالشبيه العارض الذي يزول على وجه . فأما من قال الذون والذين فانه اعتد بتبعيد الجمع ، فجعله على طريقة المعرف ، ولان هذه الطريقة لما لم تكن اعراباً تاماً لم يمنعوه

(١) سورة الاعراف آية ١٧٥

لما وقع بعده من شبه الحرف بالجمع .

قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

قوله « فمن أظلم » صورته صورة الاستفهام ، والمراد به الاخبار عن عظم من يفتري على الله كذبا او يكذب بآيات الله، لا انه احد اظلم لنفسه منه . وانما اورد هذا الخبر بلفظ الاستفهام ، لانه ابلغ برد المخاطب الى نفسه في جوابه مع تحريك النفس له بطريق السؤال . وقد بينا فيما مضى من الكتاب حقيقة الظلم ، وان اجود ما حدّ به ان قيل : هو الضرر المحض الذي لانفع فيه يوفي عليه ، ولا دفع ضرر اعظم منه ، لاعاجلا ولا آجلا ، ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة. وقد حد الرماني الظلم بأنه الضرر القبيح من جهة بخس الحق به ، وهذا ينتقض بالالم الذي يدفع به الم مثله ، لما قلناه .

وقوله « اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » فالنيل هو وصول النفع الى العبد إذا اطلق ، فان قيد وقع على الضرر ، لأن اصله الوصول الى الشيء من نلت النخلة اناها نيلا قال امرئ القيس:

سماحة ذا وبر ذا ووفا ، ذا　　ونائل ذا إذا صحا واذا سكر(١)

والبخل منع النائل لمشقة الاعطاء . وقيل في معناه « ينالهم نصيبهم من الكتاب

(١) ديوانه : ٨٦ . من قصيدة يمدح بها سعد بن الصباب ويهجو هانىء بن مسعود

اقوال :

احدها – قال الزجاج والفراء : هو ما ذكره الله تعالى من انواع العذاب للكفار مثل قوله « فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الاشقى الذي كذب وتولى » (١) وقوله « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم » (٢) وغير ذلك مما كتب الله في اللوح المحفوظ .

الثاني – قال الربيع وابن زيد : من الرزق والعمر، والعمل من الخير والشر في الدنيا .

الثالث – قال مجاهد جميع ما كتب لهم وعليهم ، وهو قول عطية . وقال بعضهم معناه ينالهم نصيبهم من خير او شر في الدنيا ، لأنه قال « حتى إذا جاءتهم رسلنا » وهي الانتهاء .

والاجوبة الاولى اقوى ، لأن الاظهار فيما يقتضيه عظم الظلم في الفحش الوعيد والعذاب الأبدي .

وقال سيبويه والزجاج : لا تجوز إمالة (حتى) لانها حرف لا يتصرف ، والامالة ضرب من التصريف ، وكذلك (إما ، وايا ، والا ، ولا) . و(اينما) كتبت بالياء مع امتناع إمالتها تشبيهاً بـ (حبلى) من جهة ان الالف رابعة ، ولم يجز مثل ذلك في (إلا) لان (إلا) تشبه الى . ولا في (اما) التي للتخيير ، لانها بمنزلة (ان ما) التي للجزاء .

وقوله « حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم » يعني الملائكة التي تنزل عليهم لقبض أرواحهم .

وقيل في معنى الوفاة ههنا قولان :

(١) سورة الليل آية ١٤ – ١٦ (٢) سورة آل عمران آية ١٠٦

احـــدهما ـ الحشر الى النار يوم القيمة بعد الحشر الثاني ، وفات الموت الذي يوبخهم عنده الملائكة ـ في قول ابي علي ـ والوجه في مسألة الملك لمن يتوفاه: التبكيت لمن لم يقم حجته . والبشارة لمن قام بحجته . وفي الاخبار عن ذلك مصلحة السامع اذا تصور الحال فيه .

وقوله « قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » حكاية سؤال الملائكة لهم وتوبيخهم ان الذين كانوا يدعونهم من دون الله من الاوثان والاصنام لم ينفعوهم في هـــذه الحال ، بل ضروهم .

وقوله « قالوا ضلوا عنا » حكاية عن جواب الكفار للملائكة انهم يقولون ضل من كنا ندعوه من دون الله عنا « وشهدوا على انفسهم » يعني الكفار اقروا على انفسهم » انهم كانوا جاحدين بالله ، وكافرين لنعمه بعبادتهم الانداد من دون الله .

قوله تعالى :

﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (٣٧) آية واحدة بلا خلاف

هذا حكاية عن قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وامره لهم بالدخول في جملة الامم الذين تبعوا من قبلهم من جملة الجن والانس وهم في النار . ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عن جعله اياهم في جملة اولئك في النار ، من غير ان يكون هناك قول ، كما قال « كونوا قردة خاسئين » (١) والمراد انه جعلهم كذلك .

(١) سورة البقرة آية ٦٥ وسورة الاعراف آية ١٦٥

ومعنى الخلو انتفاء الشيء عن مكانه فكل ما انتفى من مكانه ، فقد خلا منه ، وكذلك (خلت) بمعنى مضت ، لانها اذا مضت بالهلاك ، فقد خلا مكانها منها . والجن جنس من الحيوان مستترون عن اعين البشر لرقتهم ، يغلب عليهم التمرد في افعالهم ، لان الملك ايضاً مستتر لكن غلب عليه افعال الخير . وعند قوم : انهم اجمع رسل الله . والانس جنس من الحيوان يتميز بالصورة الانسانية .

وقوله « كلما دخلت أمة لعنت اختها » يعني في دينها لا في نسبها ، فأما قوله « والى مدين اخاهم شعيباً » يعنى انه منهم في النسب . وقوله « حتى اذا ادارکوا فيها جميعاً » فوزن ادارکوا (تفاعلوا) فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ، ومعناه تلاحقوا .

وقوله « قالت اخراهم لاولاهم » يعنى الفرقة المتاخرة التابعة تقول للامة المتقدمة المتبوعة ، وتشير اليها « هؤلاء اضلونا » عن طريق الحق وأغوونا « فآتهم عذابا ضعفا من النار » دعاء منهم عليهم ان يجعل عذابهم ضعفاً ، فقال الله تعالى « لكل ضعف ولكن لا تعلمون » والضعف المثل الزائد على مثله ، فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم معناه أجعل معه درهماً آخر ، لا ديناراً ، وكذلك اضعف الاثنين أي اجعلهما اربعة . وحكي ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعفين ، والمضاعف ما كان اكثر من ذلك . وروي عن عبد الله بن مسعود ان الضعف أفاعي وحيات . واستعمل الضعف بمعنى المثل ، ومنه قوله « يضاعف لها العذاب ضعفين » (١) يعني مثلين .

وقرا ابو بكر عن عاصم « ولكن لايعلمون » بالياء . الباقون بالتاء . ومن قرأ بالتاء ، فتقديره لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل فريق منهم . ومن قرأ بالياء تقديره لكن لايعلم كل فريق ما على الآخر من العقاب .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٣٠

قوله تعالى:

﴿ وَقالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف.

هذا حكاية عن جواب قول الامة الاولى المتبوعة للاخرى التابعة حين سمعت دعاءها عليهم بأن يؤتيهم ضعفاً من العذاب « فما كان لكم علينا من فضل » وقيل في معناه قولان:

احدهما ـ ما كان لكم علينا من فضل في ترك الضلال، وهو قول ابي مخلد والسدي. وقال الجبائي لمساواتكم لنا في الكفر.

الثاني ـ من فضل في التأويل فتطالبونا بتضييع حقه.

ولفظة (أفعل) على ثلاثة اوجه: احدها ـ ما فيه معنى يزيد كذا على، كذا فهذا لا يجوز فيه التأنيث والتذكير والتثنية والجمع، مضافاً كان او على طريقة (افعل من كذا) كقولك افضل من زيد وافضل القوم لتضمنه معنى الفعل، والمصدر كقولك أفضل القوم بمعنى يزيد فضله على فضلهم.

الثاني ـ ما لم يقصد فيه معنى يزيد كذا على كذا، فهذا يجوز فيه كل ذلك كقولك الاكبر والكبرى والاكابر.

الثالث ـ (افعل) من الالوان والعيوب الظاهرة للحاسة، فهذا يجيء على (أفعل، وفعلاء) وجمعه (فعل) نحو احمر، وحمراء، وحمر. واعرج وعرجاء وعرج

واما (افعل) اذا كان اسم جنس، فانه يثنى ويجمع ولا يؤنث، وكذلك إذا كان علماً نحو افكل واكل واحمد واحامد. فاما ابطح وابطاح واجزع واجازع، فاجرى هذا المجرى، لانه استعمل على طريقة إسم الجنس واصله الوصف، ولا يجوز في افعل الفعول الا بالتعريف لايذان معنى (أفعل) معنى افعل من كذا، قال

سيبويه لا يجوز نسوة صغر ولا كبر حتى تعرفه فتقول النسوة الصغر والكبر .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَبْرَوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾(٣٩) آية بلا خلاف

القراءة والحجة :

قرأ حمزة والكسائي وخلف «لا يفتح» بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف . الباقون بالتاء ، والتشديد .

من شدد ذهب الى التكثير . والمعنى انهم ليسوا كحال المؤمن في التفتيح مرة بعد اخرى .

ومن قرأ بالتاء ، فلان الابواب جماعة فأنث تأنيث الجماعة .

ومن قرأ بالياء ، فلان التأنيث غير حقيقي ، وذهب الى معنى الجمع .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين كذبوا بآيات الله وجحدوها ، واستكبروا عنها بمعنى طلبوا التكبر والترفع عن الانقياد لها ، لا تفتح لهم ابواب السماء هوانا لهم واستخفافاً ، بهم فان فتحت ، فتحت عليهم بالعـــذاب . وقال ابن عباس والسدي ، لانها تفتح لروح المؤمن ، ولا تفتح لروح الكافر ، وفي رواية اخرى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وابراهيم : لا تفتح لدعائهم ، ولا اعمالهم .

وقال ابو جعفر (ع) اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء ، فتفتح لهم ابوابها .

واما الكافر فيصعد بعمله وروحه ، حتى إذا ابلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا بعمله الى سجين ، وهو واد بحضرموت يقال له برهوت ، وقال الحسن لا تفتح لدعائهم. وقال ابن جريج : لا تفتح لارواحهم ولا اعمالهم . وقال ابو علي : لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة ، لان الجنة في السماء ثم قال « ولا يدخلون الجنة » يعني هؤلاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها سواء كانوا معاندين في ذلك او غير عالمين بذلك . وإنما تساويا في ذلك ، لان من ليس بعالم قد ازيحت علته باقامة الحجة ، ونصب الادلة على تصديق آيات الله ، وترك الاستكبار عنها .

وقوله « حتى يلج الجمل في سم الخياط » إنما علق الجائز ، وهو دخولهم الجنة بمحال ، وهو دخول الجمل في سم الخياط لانه لا يكون ، كما قال الشاعر :

اذ شاب الغراب اتيت اهلي　　وصار القار كاللبن الحليب (١)

والاخر انه مضمر بما لا يمكن من قلب الدليل (٢)

والجمل هو البعير ههنا في قول عبد الله والحسن ومجاهد والسدي وعكرمة واكثر المفسرين والسم الثقب . ومنه قيل السم القاتل لانه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فتنتقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم ، وسم بضم السين وفتحها وجمعه سموم ، وقال الفرزدق :

فنفست عن سميه حتى يفسا　　وقلت له لا تخش شيئاً ورائيا (٣)

يعني بسميه ثقبي أنفه ويجمع السم القاتل سما ما . والخياط والمخيط الابرة وقيل خياط ومخيط ، كما قيل لحاف وملحف وقناع ومقنع وازار ومئزر وقرام ومقرم ذكره الفراء

﴿١﴾ تفسير الخازن ٢ : ٨٧

(٢) يحتمل ان يكون في العبارة سقط

﴿٣﴾ ديوانه : ٨٩ والنقائض : ١٦٩ واللسان ﴿سمم﴾

قوله تعالى:

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى أن لهؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها لهم من جهنم مهاد، وجهنم في موضع جر بـ (من) لكن فتح لانه لا ينصرف لاجتماع التانيث والتعريف فيه، واشتقاقه من الجهومة وهي الغلظ، رجل جهم الوجه غليظه، فسميت بهذا اللفظ أمرها في العذاب نعوذ بالله منها. والمهاد الوطأ الذي يفترش. ومنه مهد الصبي، ومهدت له الأمر إذا وطأته له، وانما قيل مهاد من جهنم أي موضع المهاد، كما قال تعالى «فبشرهم بعذاب اليم» (١) وقال الحسن مهاد فراش من نار، وغواش ظلل منها.

وقوله «ومن فوقهم غواش» فالغواش لباس مجلل، ومنه غاشية السرج، وفلان يغشى فلاناً أي يأتيه ويلابسه. ومنه غشي المرض، والغشاوة التي تكون على الولد. وقال محمد بن كعب: الغواشي هي اللحف، وهي ازر الليل محشوة كانت او غير محشوة، ذكره الازهري، وروى الطبري مثله.

وقيل في دخول التنوين على (غواش) مع انه على (فواعل) وهو لا ينصرف قولان:

احدهما ـ قال سيبويه ان التنوين عوض من الياء المحذوفة وليس بتنوين الصرف

الثاني ـ انه تنوين الصرف عند حذف الياء لالتقاء الساكنين في التقدير.

وقوله «وكذلك نجزي الظالمين» أي مثل ما نجزي هؤلاء المكذبين بآيات الله المستكبرين عنها نجزي كل ظالم وكل كافر. والوصف بظالم يقتضي لحوق الذم به في العرف.

---

(١) سورة آل عمران آية ٢١ وسورة التوبة آية ٣٥ وسورة الانشقاق آية ٢٤

قوله تعالى:

﴿والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لا نُكلّفُ نفساً إلّا وُسعها اولئكَ أصحابُ الجنةِ هُمْ فيها خالدونَ﴾(٤١)آيه.

لما اخبر الله تعالى بصفة المكذبين المستكبرين عن آياته، وما أعدّ لهم من انواع العذاب والخلود في النيران، اخبر بعده بما أعده للمؤمنين العاملين بالاعمال الصالحات، فقال «والذين آمنوا» يعني الذين صدقوا بآيات الله، واعترفوا بها، ولم يستكبروا عنها. ثم اضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات، وهو ما اوجبه الله عليهم او ندبهم اليه.

وقوله «لا نكلف نفساً إلا وسعها» فالتكليف من الله هو إرادة ما فيه المشقة، وقال قوم هو اعلام وجوب ما فيه المشقة او ندبه. والارادة شرط. وقال قوم التكليف هو تحميل ما يشق في الامر والنهي، ومنه الكلفة، وهي المشقة. وتكلف القول أي تحمل ما فيه المشقة حتى اتى على ما ينافره العقل.

اخبر الله تعالى انه لا يلزم نفساً الا قدر طاقتها وما دونها، لان الوسع دون الطاقة وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبره من ان الله تعالى كلف العبد مالا قدرة له عليه، ولا يطيقه.

وموضع «لا يكلف نفساً إلا وسعها» قيل فيه قولان:

احدهما — ان يكون رفعاً بأنه الخبر على حذف العائد، كأنه قيل: منهم، ولا من غيرهم، وحذف، لانه معلوم.

والاخر — الا يكون له موضع من الاعراب، لأنه اعتراض، والخبر الجملة في (اولئك) لان قوله «والذين آمنوا» مبتدأ، وقوله «اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون» خبر بأن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ملازمون الجنة مخلدون لنعمتها.

قوله تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٢) آية بلا خلاف.

المعنى والاعراب:

نزع الغل في الجنة تصفية الطباع، واسقاط الوساوس، واعطاء كل نفس مناها، ولا يتمنى احدها لغيره.

قرأ ابن عامر « ما كنا لنهتدى » بلاواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. الباقون باثباتها. وجه الاستغناء عن الواو ان الجملة متصلة بما قبلها فأغنى التباسها بها عن حرف العطف. ومثله « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » فاستغنى عن حرف العطف بالالتباس من احدى الجملتين بالاخرى، ومن أثبت الواو فلعطفه جملة على جملة.

في هذه الاية إخبار عما يفعله بالمؤمنين في الجنة بعد ان يخلدهم فيها، بأن ينزع ما في صدورهم من غل، فالنزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه، اما بتحويله، واما باعدامه. ومعنى نزع الغل ههنا إبطاله.

وقيل في ما ينزع الغل من قلوبهم قولان:

احدهما - قال ابو علي: بلطف الله لهم في التوبة حتى تذهب صفة العداوة.

الثاني - بخلوص المودة حتى يصير منافياً لغل الطباع، والثانى أقوى، لأن قوله « تجري من تحتهم الانهار » حال لنزع الغل، وكأنه قال ونزعنا ما في صدورهم من غل في حال تجري من تحتهم الانهار وعلى الاولى يكون « تجري من تحتهم

الأنهار » مستأنفاً .

اللغة ، والمعنى :

والغل : الحقد الذي ينقل بلطفه الى صميم القلب ، ومنه الغلول ، وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ، ومنه الغل الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيها . والصدر: ما يصدر من جهته التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس : صدر ، وقيل صدر المجلس .

وقوله « تجري من تحتهم الانهار » فالجريان انحدار المائع فالماء يجري والدم يجري ، وكذلك كل مايصح ان يجري فهو مائع ، وجرى الفرس في عدوه مشبه بجري الماء في لينه وسرعته وقوله « تجري من تحتهم الانهار » فالنهر المجرى الواسع من مجاري الماء ، ومنه النهار لاتساع ضيائه ، وانهار الدم لاتساع مخرجه .

وقوله « وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » اخبار عن قول أهل الجنة واعترافهم بالشكر لله تعالى الذي عرّضهم له بتكليفه إياهم ما يستحقون به الثواب . وقيل معنى « هدانا لهذا » يعني لنزع الغل من صدورنا . وقيل هدانا لثبات الايمان في قلوبنا . وقيل هدانا لجواز الصراط . وقوله « لقد جاءت رسل ربنا بالحق » اقرار من اهل الجنة واعتراف بان ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله انه حق لاشبهة فيه ، ولامرية في صحته . وقوله « ونودوا ان تلكم الجنة او رثتموها بما كنتم تعملون » فالنداء الدعاء بطريقة يافلان كأنه قيل لهم ايها المؤمنون « ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » جزاء لكم على ذلك ، على وجه التهنئة لهم بها ، و (ان) مخففة من الثقيلة و (الهاء) مضمرة ، والتقدير ونودوا بأنه تلكم الجنة . وقال الزجاج « ان تلكم » تفسير للنداء والمعنى قيل لكم تلكم الجنة . وإنما قال تلكم ، لانهم وعدوا بها في الدنيا ، وكأنه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها . ويجوز ان يكونوا عاينوها ، فقيل لهم — قبل ان يدخلوها — اشارة اليها تلكم الجنة . ومن ادغم ، فلان الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن

الادغام من ادغم ، ومن ترك الادغام في اورثتموها - وهو ابن كثير ، ونافع وعاصم وابن عامر - فلتباين المخرجين ، وان الحرفين في حكم الانفصال ، وإن كانا في كلمة واحدة ، كما لم يدغموا « ولو شاء الله ما اقتتلوا » وان كانا مثلين لما يلزمان لان تاء (افتعل) قد يقع بعدها غير التاء ، فكذلك اورث ، قد يقع بعدها غير التاء ، فلا يجب الادغام.

واستدل الجبائى بذلك على ان الثواب يستحق بأعمال الطاعات ، ولا يستحق من جهة الاصلح ، لان الله تعالى بين أنهم اورثوها جزاء بما عملوه من طاعته (عزوجل).

قوله تعالى:

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٣) آية.

قرأ حمزة ، والكسائى وابن كثير في رواية شبل (ان) مشددة النون . الباقون خفيفة . وكذلك ابن كثير في رواية قنبل ، وقرأ الكسائى وحده « قالوا نعم » بكسر العين . وفي الشعراء « قال نعم » وفي الصافات « قل لعنة الله » بتخفيف النون ، وسكونها. ورفع « لعنة الله » الباقون بتشديد النون ونصب « لعنة الله ». قال ابو الحسن الاخفش : نعم ونعم لغتان ، فالكسر لغة كنانة وهذيل ، والفتح لغة باقي العرب ، وفي القراءة الفتح. وقال سيبويه (نعم) عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بـ (نعم) . ولم يحك سيبويه الكسر ، ومعنى قوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقاً ، ولا يريد ان العدة تجتمع مع التصديق الا ترى انه إذا قال قائل : اتعطيني ، فقال : نعم ، كان عدة ، ولا تصديق في ذلك ، وإذا قال : قد كان كذا وكذا ، فقلت

نعم ، فقد صدقته ، ولا عدة في هذا .

« اذن مؤذن » بمنزلة اعلم معلم ، قال سيبويه : اذن إعلام بصوت ، فاتى تقع بعد العلم و(ان) انما هي المشددة او المخففة عنها ، والتقدير اعلم معلم ان لعنة الله ، ومن خفف (ان) كان على اضمار القصة والحديث ، فتقديره انه لعنة الله ، ومثل ذلك قوله « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » (١) والتقدير (انه) ولا تخفف (ان) الا مع اضمار الحديث ، فالقصة تراد معها . ومن ثقل نصب بـ (ان) ما بعدها ، كما ينصب بالمشددة المكسورة . والمكسورة اذا خففت لا يكون ما بعدها على اضمار القصة والحديث ، كما تكون المفتوحة كذلك .

والفرق بينهما أن المفتوحة موصولة ، والموصولة تقتضي صلتها ، فصارت لاقتضائها الصلة أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة ، فقدر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها ، وليست المكسورة كذلك ، لأن (أن) المفتوحة بمعنى المصدر ، فلا بدّ لها من اسم وخبر ، لأنها تلتغى بأن يكون دخولها كخروجها وليس كذلك (ان) ومن المفتوحة قول الاعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل (٢)

واما قراءتهم في النور « ان غضب الله » (٣) فان (ان) في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ، واما قراءة نافع « ان غضب الله » فحسن ، وهو بمنزلة قوله « وآخر دعواهم أن الحمد لله » (٤) وليس لاحد أن يقول : هذا لا يستحسن ، لان المخففة من الشديدة لا يقع بعدها الفعل حتى يقع عوض من حذف (ان) ومن أنها تولى ما يليها

---

(١) سورة يونس آية ١٠

(٢) ديوانه : ٤٥ وتفسير الطبرى ١٢ : ٤٤٤ وغيرهما وسيأتى فى ٥ : ٣٩٦

(٣) سورة النور آية ٩ (٤) سوره يونس آية ١٠

من الفعل ، يدل على ذلك « علم ان سيكون منكم » (١) وقوله « لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء » (٢) وذلك انهم استجازوا ذلك وان لم يدخل معه شيء من هذه الحروف ، لانه دعاء ، وليس شيء من هذه الحروف يحتمل الدخول معه ، ونظير هذا في انه لما كان دعاء لم يلزمه العوض قوله « نودي ان بورك من في النار ومن حولها » (٣) فولي قوله « بورك » (ان) وإن لم يدخل معها عوض ، كما لم يدخل في قراءة نافع « ان غضب الله عليها » (٤) والدعاء قد استجيز معه مالم يستجز مع غيره الا ترى انهم قالوا : (اما ان جزاك الله خيراً من) حمله سيبويه على اضمار القصة في (ان) المكسورة ولم يضمر القصة مع المكسورة الا في هذا الموضع .

قوله « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار » معناه وقال اصحاب الجنة يا أصحاب النار بعد دخول هؤلاء الجنة ودخول هؤلاء النار . والصاحب هو المقارن للشيء على نية طول المدة ، والصحبة والمقاربة نظائر ، الا ان في الصحبة الارادة . ومنه قيل أصحاب الصحراء .

« ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » معناه وجدنا ما وعدنا الله على لسان رسله من الثواب على الايمان وعمل الطاعات « فهل وجدتم ما وعدكم ربكم » على السنتهم « حقاً » جزاء على الكفر من العقاب وعلى معاصيه من اليم العذاب ، فاجابهم اهل النار : بأن نعم ، والغرض بهذا النداء تبكيت الكفار وتوبيخهم ، وأن الله تعالى صدق فيما وعد به على لسان نبيه ليحزن الكفار بذلك ويتحسروا عليه .

والوجدان على ضربين احدهما بمعنى العلم فهو يتعدى الى مفعولين ، والاخر بمعنى الاحساس يتعدى الى واحد ، وانما كان كذلك ، لأن الذي بمعنى العلم فهو يتعلق

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠ (٢) سورة الحديد آية ٢٩

(٣) سورة النمل آية ٨ (٤) سورة النور آية ٩

بمعنى الجملة ، والذي يتعلق بالاحساس يتعلق بمعنى المفرد ، من حيث ان الاحساس لا يتعلق بالشيء الا من وجه واحد . وجواب الايجاب يكون (نعم) وجواب النفي (بلى) ، لان (نعم) تحقق معنى الخبر المذكورة في الاستفهام و(بلى) تحققه باسقاط حرف النفي .

وقوله « فأذن مؤذن بينهم » معناه نادى منادٍ نداء اسمع الفريقين « ان لعنة الله على الظالمين » ولعنة الله غضبه وسخطه وعقوبته على من كفر به فيسر بذلك اهل الجنة ويغتم اهل النار ، وقال الاخفش والزجاج يجوز ان تكون (ان) بمعنى اي «قد وجدنا» ولا يجب أن تكون (ان) بمعنى اي (قد وجدنا) ونادوهم مشرفين عليهم من السماء في الجنة ، لان الجنة في السماء ، والنار في الارض .

وقوله « وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » أنما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم ، لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة والثواب إلا بشرط ان يؤمنوا ، فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا ، وكذلك قوله « ما وعد ربكم » يعنون من العقاب لان المؤمنين لما كانوا مطيعين مستحقين للثواب فكأنهم لم يوعدوا بالعقاب ، وانما خص الكفار .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (٤٤) آية بلا خلاف .

«الذين» في موضع جر ، لانه صفة للظالمين ، والتقدير الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، وذلك يبين ان المراد بالظالمين الكفار ، لان ما ذكرهم به من اوصاف الكفار .

والصد هو العدول عن الشيء عن قلى ، والصد والاعراض بمعنى واحد ، الا ان الصد يجوز ان يتعدى تقول صده عن الحق يصده صداً وصد هو عنه ايضاً ،

والاعراض لا يتعدى .

وقوله « عن سبيل الله » يعنى الحق الذي دعا الله اليه ونصب عليه الادلة وبعث به رسله . وقيل هو دين الله . وقيل الطريق الذي دل الله على انه يؤدي الي الجنة والمعنى متقارب .

وقوله « يبغونها عوجاً » معنى يبغونها يطلبون لها العوج بالشبة التي يلبسون بها ويوهمون انها تقدح فيها ، وانها معوجة عن الحق بتناقضها . و (العوج) بالكسر يكون في الطريق وفي الدين ، وبالفتح يكون في الخلقة كقولك في ساقه عوج بفتح العين ، قال الشاعر :

قفا نسأل منازل آل ليلى على عوج اليها وانثناء (١)

بكسر العين : ويحتمل نصب عوجاً امرين :

احدهما - ان يكون مفعولا به كقولك يبغون لها العوج .

الثاني - ان يكون نصباً على المصدر ، وكانه قال يطلبونها هذا الضرب من الطلب ، كما تقول رجع القهقرى اي هذا الضرب من الرجوع اى طلب الاعوجاج .

قوله تعالى :

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(٤٥)

آية بلا خلاف .

اللغة :

قوله « وبينهما » يعنى بين أصحاب الجنة ، واصحاب النار «حجاب» والحجاب

(١) اللسان (عوج) وتفسير الطبرى ١٢ : ٤٤٨

هو الحاجز المانع من الادراك ، ومنه قيل للضرير محجوب ، وحاجب الامير ، وحاجب العين . وحجبه عنه أي منعه من الوصول اليه .

وقوله « وعلى الاعراف رجال » فالاعراف المكان المرتفع أخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض يسمى عرفاً ، لانه بظهوره اعرف مما انخفض ، قال الشماخ :

وظلت باعراف تغالى كانها　　رماح نحاها وجهة الريح راكز (١)

وقال آخر :

كل كناز لحمه نياف　　كالعلم الموفى على الاعراف (٢)

يعني بنشوز من الارض ، وقيل هو سور بين الجنة والنار ، كما قال تعالى « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » (٣) وهو قول مجاهد والسدي .

المعنى :

واختلفوا في الذين هم على الاعراف على اربعة اقوال :

احدها — انهم فضلاء المؤمنين — في قول الحسن ومجاهد — قال ابو علي الجبائي هم الشهداء ، وهم عدول الاخر وقال ابو جعفر (ع) هم الائمة ، ومنهم النبي (ص)

وقال ابو عبد الله (ع) الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه ، كما يوقف قائد الجيش مع الضعفاء من جنده ، وقد سبق المحسنون الى الجنة ، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين

(١) ديوانه : ٥٣ ومجاز القرآن ١ : ٢١٥ ، وروايتهما (وظلت تغالى باليفاع كانها) وفي الطبري ١٢ : ٤٤٩ مثل هنا تماما .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٢١٥ واللسان (نوف) والطبري ١٢ : ٤٥٠ ، (الكناز) المجتمع (والنياف) الطويل . و (العلم) الجبل　　(٣) سورة الحديد آية ١٣

معه انظروا الى اخوانكم المحسنين ، قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم . وذلك قوله « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم » . ثم أخبر تعالى « انهم لم يدخلوها وهم يطمعون » يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبي والامام ، وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار ، فيقولون « ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين » . ثم ينادي اصحاب الاعراف، وهم الانبياء والعلماء اهل النار مقرّعين لهم « ما اغنى عنكم جمعكم .... أهؤلاء الذين أقسمتم » (١) يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحتقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر الله لهم بذلك « ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون » (٢) .

ويؤكد ذلك ما رواه عمر بن شيبه وغيره : أن علياً (ع) قسيم الجنة والنار ، فروى عمر بن شيبه باسناده عن النبي (ص) انه قال : (ياعلي كأني بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج تسوق قوماً الى الجنة وآخرين الى النار) .

الثاني - قال ابو مجلز : هم ملائكة يرون في صورة الرجال .

الثالث - قال حذيفة : هم قوم تبطيء بهم صغائرهم الى آخر الناس .

الرابع - قال الفراء ، والزجاج وغيرهما : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فادخلهم الله تعالى الجنة متفضلا عليهم . وطعن الرماني والجبائي على هذا الوجه بأن قالا : الاجماع منعقد على انه لايدخل الجنة من المكلفين الا المطيع لله .

وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح ، لأن هذا الاجماع دعوى ليس على صحته دليل بل من قال ما حكيناه لايسلم ذلك ، واكثر المرجئة أيضاً لايسلمون ذلك .

وقوله « يعرفون كلا بسيماهم » يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٧ - ٤٨ (٢) سورة الاعراف آية ٤٨

يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسيما المطيعين واهل النار بسيما العصاة والسيماء العلامة وهي في أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون ، وفي أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون - في قول الحسن وغيره - وقيل في وزن سيما قولان:

احدهما - انه فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى ، وهي السائمة .

الثاني - ان وزنه وزن عفلى ، وهو من وسمت ، فقلبت الواو الى موضع العين ، كما قالوا له جاه في الناس أي وجه ، وقالوا اضمحل وامضحل ، وارض خامة اي وخيمة ، وفيها ثلاث لغات القصر والمد وسيماء ، قال الشاعر :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيماء لاتشق على البصر (١)

على زنة الكبرياء ، وقوله « ونادوا اصحاب الجنة » يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة « لم يدخلوها وهم يطمعون » قيل في الطامعين قولان :

احدهما - قال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة انهم اصحاب الاعراف . وقال ابو مجلز: هم أهل الجنة الذين ما دخلوها بعد . والطمع - ههنا - هو يقين بلاشك ، لأنهم عالمون بذلك ضرورة . وهو مثل قول ابراهيم «والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين » (٢) ولم يكن ابراهيم (ع) شاكا في ذلك بل كان عالماً قاطعاً ، وانما حسن ذلك لعظم شأن المتوقع في جلالة النعمة به ، وهو قول الحسن وابي علي الجبائي واكثر المفسرين .

قوله تعالى :

﴿ وإذا صرِفت أبصارُهم تلقاءَ أصحابِ النّارِ قالوا ربّنا لاتجعلنا

(١) قائله سدير بن عنقاء الفزاري . الاغاني ١٧ : ١١٧ ؛ والكامل ١ : ١٤ ومعجم الشعراء : ١٥٩ ، ٣٢٣ وامالي القالي ١ : ٢٣٧ والحماسة ٤ : ٦٨ وغيرها .

(٢) سورة الشعراء آية ٨٢

مَعَ القومِ الظّالمين ﴾(٤٦) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى عن احوال هؤلاء الذين على الاعراف انه إذا صرف ابصارهم . والصرف هو العدول بالشيء من جهة الى جهة . والتلقاء جهة اللقاء ، وهي جهة المقابلة ، ولذلك كان ظرفاً من ظروف المكان تقول : هو تلقاك ، كقولك هو حذاك . والابصار جمع بصر ، وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر ، وقد يستعمل بمعنى المصدر ، فيقال : له بصر بالأشياء اي علم بها ، وهو بصير بالامور اي عالم . «واصحاب النار» هم أهل النار وإنما يفيد اصحاب انهم ملازمون لها . والاصل يقتضي المناسبة فيهم لسبب لازم ، كالنسيب ، كما يقال اهل البلد .

وحد الرماني (النار) بأن قال : جسم لطيف فيه الحرارة والضياء ، وزيد فيه ومن شأنه الاحراق .

وقوله « قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين » اي لاتجمعنا واياهم في النار وانما حسنت المسألة مع علمهم الضروري بأن الله لا يفعل بهم ذلك ، لما لهم من ذلك من السرور بموقف الخاضع لله في دعائه الشاكر بخضوعه لربه ، وكما يجوز ان يريدوا من الله النعيم كذلك يجوز ان يسألوا السلامة من العذاب مع العلم بهما . ونظير ذلك قوله تعالى « يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا » (١) وان كان النبي ومن معه من المؤمنين يعلمون ذلك .

قوله تعالى :

﴿ ونادى أصحابُ الأعرافِ رجالاً يعرفونهم بسيماهُمْ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف

(١) سورة التحريم ٨

قوله « ونادى اصحاب الاعراف » معناه سينادي ، وانما جاز ان يذكر الماضي بمعنى المستقبل ، لامرين :

احدهما - لتحقيق المعنى كأنه قد كان .

والثاني - على وجه الحكاية ، والحذف . والتقدير إذا كان يوم القيامة « نادى اصحاب الاعراف » .

ونادى معناه دعا ، غير ان في (نادى) معنى امتداد الصوت ، ورفعه ، لانه مشتق من النداء يقال : صوت نداء اي يمتد وينصرف خلاف الواقف وليس كذلك (دعا) لانه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت ، ولا كلام ، ولكن اشارة تنبيء عن معنى يقال .

في هذه الآية اخبار وحكاية من الله تعالى ان اصحاب الاعراف ينادون قوماً يعرفونهم من الكفار بسيماهم من سواد الوجوه وزرقة العين وضروب من تشويه الخلق يبينون به من اهل الجنة وغيرهم « ما اغنى عنكم جمعكم » معناه ما نفعكم ذلك .

وقيل في معنى الجمع قولان : احدهما - جماعتكم التي استندتم اليها . الثاني - جمعكم الاموال والعدد في الدنيا .

قوله « وما كنتم تستكبرون » معناه ولا نفعكم تكبركم وتجبركم في دار الدنيا عن الانقياد لانبياء الله واتباع امره .

قوله تعالى

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) آية بلا خلاف .

قيل في القائل لهذا القول الذى هو « أهؤلاء الذين أقسمتم » قولان :

احدهما ـ قال الحسن وابو مجلز والجبائي واكثر المفسرين : انهم اصحاب الاعراف يقولون للكفار مشيرين الى اهل الجنة « أهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة » وهذا يدل على ان الواقفين على الاعراف هم ذووا المنازل الرفيعة والمراتب السنية .

الثاني - انه من قول الله تعالى في اصحاب الاعراف .

وقوله «اهؤلاء» مبتداء وخبره «الذين اقسمتم» ولا يجوز ان يكون (الذين) صفة لهؤلاء من وجهين :

احدهما ـ ان المبهم لا يوصف إلا بالجنس .

والاخر - انه يبقى المبتدأ بلا خبر . ويجوز نصب هؤلاء بالفعل في « أهؤلاء الذين اقسمتم » ولا يجوز مع « الذين اقسمتم » لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ، لأنه من تمام الاسم والاقسام [بكسر الهمزة] تأكيد الخبر تقول : والله وتالله ، للقطع عليه او ليدخل في قسم ما يقطع به العمل عليه .

وقوله « لاينالهم الله برحمة » فالنيل هو لحوق البر . واصله اللحوق نلت الحائط اناله نيلا اذا لحقته .

وقوله « ادخلوا الجنة » امر بدخول الجنة للمؤمنين .

وقوله « لاخوف عليكم » فالخوف هو توقع المكروه ، وضده الامن وهو الثقة بانتفاء المكروه . و«لا انتم تحزنون» معناه ادخلوا الجنة ، لاخائفين ولا محزونين وفائدة الاية تقريع الزارئين على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لاخير لهم عند الله ، فقيل لهم « ادخلوا الجنة » على اكمل سرور واتم كرامة .

قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ

الماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ ﴾(٤٩) آية بلا خلاف .

في هـــذه الاية حكاية أن اصحاب النار يوم القيامة ينادون أصحاب الجنة واصحاب النار هم المخلدون في عذابها ، لاجميع من فيها ، لأن فيها الزبانية الموكلون بعذاب اهلها .

وانما توعد الله بالعقاب بالنار دون اختراع لآلام اوغيره من الاسباب ، لأنه اهول في النفس واعظم في الزجر ، لما يتصور من الحال فيه ، وما تقدم من ادراك البصر له ، وانهم يسألونهم ان يفيضوا عليهم شيئاً من الماء . والافاضة اجراء المائع من علٍ ، ومنه قولهم افاضوا في الحديث اي اخذوه بينهم من اوله لانه بمنزلة اعلاه . وافاضوا من عرفات الى مزدلفة معناه صاروا اليها . قال الرماني : حد الماء جسم سيال يروي العطشان من غير غـذاء الحيـوان ، وهو جوهر عظيم الرطوبة يزيد على جميع المائعات في كثرة المنفعة .

وقوله « او مما رزقكم الله » قال ابن زيد والسدي : طلبوا مع الماء شيئاً من الطعام . وقال ابو علي طلبوا شيئاً من نعيم الجنة ، فأجابهم اهل الجنة بتحريم المنع ، لا تحريم العبادة ، فقالوا : « أن الله حرمهما على الكافرين » وإنما جاز ان يطلبوا شيئاً من نعيم الجنة مع اليأس منه ، لأنهم لايخلون من الكلام به أو السكوت عنه ، وكلاهما لافرح لهم فيه . وانما لم يدرك أهل الجنة — مع خيريتهم — رقة على أهل النار ، لأن من الخيرية القسوة على أعداء الله واعدائهم ، وذلك من تهذيب طباعهم كما يبغض المسيء ويحب المحسن ، وذلك دلالة على ان الله تعالى بنى هذه الجملة بينة لاتستغني عن الغذاء ، لان أهل النار مع ماهم عليه من العذاب يطلبون الطعام والشراب .

قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف

يحتمل قوله « الذين اتخذوا دينهم » أن تكون في موضع جر بأن يكون صفة للكافرين ، ويكون ذلك من قول أهل الجنة ، وتقديره « إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً » . ويحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء ويكون إخباراً من الله تعالى على وجه الذم لهم .

و (اتخذوا) وزنه وزن افتعلوا . والاتخاذ الافتعال ، وهو أخذ الشيء باعداد الامر من الامور ، فهؤلاء أعدوا الدين للهو واللعب . ومعنى الدين - ههنا - ما امرهم الله تعالى به ورغبهم فيه مما يستحق به العذاب . واصل الدين الجزاء ، ومنه قوله « ملك يوم الدين » واللهو طلب صرف الهم بما لايحسن ان يطلب به ، فهؤلاء طلبوا صرف الهم بالتهزيء بالدين ، وعيب المؤمنين ، واللعب طلب المدح بما لايحسن أن يطلب به مثل حال الصبي في اللعب . واشتقاقه من اللعاب ، وهو المرور على غير استواء واصل اللهو الانصراف عن الشيء ومنه قوله (إذا استأثر الله بشيء لاه عنه) اي انصرف عنه .

وقوله « وغرتهم الحياة الدنيا » فمعنى الغرور تزيين الباطل للوقوع فيه ، غرّه يغره غروراً . وانما اغتروا هم بالدنيا في الحقيقة فصارت كأنها غرتهم . والدنيا هي النشأة الاولى . والاخرة النشأة الاخرى ، وسميت الدنيا دنيا ، لدنوها من الحال ، وهما كرتان ، فالكرة الأولى الدنيا ، والكرة الثانية هي الآخرة .

وقوله « فاليوم ننساهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - نتركهم من رحمتنا بأن نجعلهم في النار - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي - فسما الجزاء على تركهم طاعة الله نسياناً ، كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) والجزاء ليس سيئة .

الثاني - انه يعاملهم معاملة المنسيين في النار ، لانه لا يجاب لهم دعوة ، ولا يرحم لهم عبرة - في قول الجبائي - « كما نسوا لقاء يومهم » معناه كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم ، هـذا على القول الاول . والثاني - كما نسوا في انهم لم يعملوا به مثل الناسين لذلك ، لا نجيب لهم دعوة ، لانهم نسوا .

وقوله « وما كانوا بآياتنا يجحدون » فالجحد انكار معنى الخبر . وأما انكار المنكر ، فبكل ما يصرف عن فعله الى تركه ، و(ما) في الموضعين مع ما بعدها بمنزلة المصدر والتقدير كنسيانهم لقاء يومهم هذا ، وكونهم جاحدين لآياتنا .

قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٥١) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بكتاب ، والمجيء نقل الشيء الى حضرة المذكور ، جئته بكذا ضد ذهبت به عنه ، لان ذلك نقل اليه ، وهذا نقل عنه . والكتاب المراد به القرآن . واصل الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتابة حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة .

وقوله « فصلناه » معناه ميزنا معانيه على وجه يزول معه اللبس ، والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر .

---

(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

وقوله « على علم » معناه فصلناه ، ونحن عالمون به ، لانه لما كانت صفة عالم مأخوذة من العلم جاز أن يذكر ليدل به على العالم ، كما أن الوجود في صفة الموجود كذلك .

وقوله « هدى ورحمة لقوم يؤمنون » انما جعل القرآن نعمة على المؤمن دون غيره مع انه نعمة على جميع المكلفين ، من حيث ، انهم عرضوا به للهداية ، غير أن المؤمن لما اهتدى به كانت النعمة بذلك عليه اعظم فاضيف اليه ، وغير المؤمن لم يتعرض للهداية فلم يهتد ، فالمؤمنون على صفة زائدة .

وقوله « هدى ورحمة » يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب : النصب من وجهين : الحال ، والمفعول له ، وبه القراءة . والرفع على الاستئناف . والجر على البدل ، وانما لم يوصف القرآن بأنه هدى للكفار لئلا يتوهم انهم اهتدوا به وان كان هداية لهم بمعنى انه دلالة لهم وحجة عندهم .

قوله تعالى:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف

قوله « هل ينظرون » معناه هل ينتظرون ، لان النظر قد يكون بمعنى الانتظار ، قال ابو علي : معناه هل ينتظر بهم او هل ينتظر المؤمنون بهم ، إلا ذلك . وانما اضاف اليهم مجازاً ، لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين . وانما كان ينتظر بهم المؤمنون ، لايمانهم بذلك واعترافهم به . والانتظار هو الاقبال على ما يأتي

بالتوقع له . واصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه . وإنما قيل لهم ينتظرون وإن كانوا جاحدين ، لانهم في منزلة المنتظر أي كأنهم ينتظرون ذلك ، لانه يأتيهم لامحالة إتيان المنتظر . والتأويل معناه ما يؤل اليه حال الشيء تقول : اوله تأويلا ، وتأوله تأولا ، وآل اليه أمره يؤل اولا ، وقيل « تأويله » عاقبته من الجزاء به — في قول الحسن وقتادة ومجاهد — وقال ابو علي « تأويله » ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب .

وقوله «يقول الذين نسوه من قبل » قيل في معناه قولان :

احدهما — قال مجاهد أعرضوا عنه فصار كالمنسي .

الثاني — قال الزجاج يقول الذين تركوا العمل به .

وقوله « قدجاءت رسل ربنا بالحق » إخبار عن اعتراف الكفار الذين أعرضوا عن حجج الله وبيناته والاقرار بتوحيده ونبوة انبيائه ، واقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل كان حقاً والحق ما شهد بصحته العقل ، وضده الباطل ، وهو مايشهد بفساده العقل .

وقوله « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا » والشفيع هو السائل لصاحبه اسقاط العقاب عن المشفع فيه ، والعفو عن خطيئته فيتمنون ذلك مع يأسهم منه — في قول ابي علي .

وقوله « فيشفعوا » في موضع نصب ، لأنه جواب التمني بالفاء « او نرد » عطف بالرفع على تأويل هل يشفع لنا شافع «او نرد » ولو نصب « او نرد » كان جائزاً . ومعناه فيشفعوا لنا إلا ان نرد ، وما قرئ به .

وقوله « فنعمل غير الذي كنا نعمل » اخبار من الكفار وتمنيهم أن يردوا الي الدنيا حتى يعملوا غير ما عملوه من الكفر والضلال . فاخبر الله تعالى عند ذلك ، فقال « قد خسروا انفسهم » أي اهلكوها بالكفر والمعاصي « وضل عنهم ما كانوا يفترون »

وفي الاية دلالة على فساد مذهب المجبرة من وجهين :

احدهما - انهم كانوا قادرين على الايمان في الدنيا فلذلك طلبوا تلك الحال، ولو لم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا والى مثل حالهم الاولى .

والآخر - بطلان مذهب المجبرة في تكليف اهل الآخرة، قال ابو علي : وهو مذهب الحسين النجار ، وهو خلاف القرآن والاجماع، ولو كانوا مكلفين لما طلبوا الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بل كانوا يؤمنون في الحال .

ومعنى « خسروا انفسهم » أي منعوا من الانتفاع بها ، ومن منع الانتفاع بنفسه فقد خسرها « وضل عنهم ما كانوا يفترون » معناه ضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله وآلهة معه ، وهذا كان افتراؤهم على الله .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَيلَ النَّهارَ يطلبه حَثِيثاً وَالشَّمسَ والْقمرَ والنُّجومَ مُسَخراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الخلقُ وَالأَمرُ تبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ﴾ (٥٣) آية بلا خلاف

قرأ اهل الكوفة إلا حفصا ويعقوب « يغشى الليل » بالتشديد ، وكذلك في الرعد، وقرأ ابن عامر « والشمس والقمر والنجوم مسخرات » بالرفع فيهن . الباقون بالنصب .

هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق واعلام لهم بأن ربهم الذي احدثهم وانشأهم هو الله تعالى « الذي خلق » بمعنى اخترع « السماوات والارض » فابتدعهما واوجدهما لا من شيء ، ولا على مثال « في ستة أيام » وقيل إن هذه الستة ايام هي الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة ، فاجتمع له الخلق في يوم الجمعة ، فلذلك سميت

جمعة - في قول مجاهد - و (السماوات) انما جمعت بالواو ، لأنه رد الى اصله ، لان اصله سماوة ، وليس مثل ذلك (قراءة) لان اصلها الهمزة ، ولذلك قيل فى الجمع قراءات .

والوجه في خلقه إياهما « في ستة ايام » مع انه قادر على انشائهما دفعة واحدة قيل فيه وجوه :

احدها - ان تدبير الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ، ادل على كون فاعله عالماً قديراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته .

وقال ابو علي : ذلك لاعتبار الملائكة بخلق شيء بعد شيء .

وقال الرماني : يجوز ان يكون الاعتبار بتصور الحال في الاخبار ، ومعناه إذا اخبر الله تعالى بأنه « خلق السماوات والارض في ستة ايام » كان فيه لطف للمكلفين ، وكان ذلك وجه حسنه .

وقوله « ثم استوى على العرش » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه استولى كما قال البعيث :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق (١)

يريد بشر بن مروان .

الثاني - قال الحسن استوى امره . وقيل في معنى « ثم استوى » ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابو علي ثم رفع العرش بان استولى عليه ليرفع .

الثاني - ثم بين انه مستوى على العرش .

الثالث - ثم صح الوصف بأنه مستوى على العرش ، لانه لم يكن عرشاً قبل وجوده .

وقوله « يغشى الليل النهار » معناه يجلل الليل النهار أي يدخل عليه . والاغشاء

(١) مر هذا البيت فى ١ : ١٢٥ ، ٢ : ٣٩٦ ، وسيأتى فى ٥ : ٣٨٦

هو إلباس الشيء مارق بما يجلله ، ومنه غاشية السرج والغشاوة التي تخرج على الولد ، وغشي على الرجل إذا غشيه ما يزيل عقله من عارض علة .

ومن شدد العين ، فلانه يدل على الكثرة . وغشى فعل يتعدى الى مفعول واحد ، كقوله « وتغشى وجوههم النار » (١) فاذا نقلته بالهمزة او التضعيف تعدى الى مفعولين ، وقد ورد القرآن بهما قال الله تعالى « فاغشيناهم فهم لا يبصرون » (٢) فالمفعول الثاني محذوف ، وتقديره فاغشيناهم العمى ، وفقد الرؤية . وبالتضعيف نحو قوله « فغشاها ما غشى » (٣) في موضع نصب بأنه مفعول ثان .

وقال الازهري: معناه أقبل عليه .

ومن خفف ، فلانه يحتمل القليل . والكثير ، والليل هو الذي يلبس النهار في هذا الموضع ، لانه منقول من غشي الليل النهار .

وقوله « يطلبه حثيثا » معناه انه يستمر على منهاج واحد وطريقة واحدة من غير فتور يوجب الاضطراب ، كما يكون في السوق الحثيث .

وقيل : إن معنى الحثيث السريع بالسوق .

وقوله «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره» عطف على «خلق السماوات» كأنه قال وخلق « الشمس والقمر والنجوم مسخرات » وهي نصب على الحال ، ومن رفع إستأنف ، واخبر عنها بأنها مسخرة .

وقوله « ألا له الخلق والامر » انما فصل الخلق من الامر ، لان فائدتهما مختلفة «لان له الخلق » يفيد ان له الاختراع ، « وله الامر » معناه له ان يأمر فيه بما احب فأفاد الثاني ما لم يفيده الاول .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٥٠ (٢) سورة يس آية ٩

(٣) سورة النجم آية ٥٤

فمن استدل بذلك على ان كلام الله قديم ، فقد تجاهل لما بينا ، ولو كان معناهما واحداً لجاز أيضاً مع اختلاف اللفظين ، كما قالوا : كذب ومين وأشباهه. وقوله « تبارك الله رب العالمين » معناه تبارك تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال واصله الثبات من قول الشاعر :

ولا ينجي من الغمرات إلا براكاء القتال او الفرار (١)

فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات . ويحتمل تعالى بالبركة في ذكر اسمه .

وقيل في معنى (العرش) قولان :

احدهما ـ انه سرير تعبد الله تعالى الملائكة بحمله . وقيل المراد به الملك .

قوله تعالى :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٥٤)

آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ ابو بكر « خفية » بكسر الخاء ههنا وفي الانعام . الباقون بضمها ، وهما لغتان . أمر الله تعالى عباده المكلفين أن يدعوه والدعاء ، طلب الفعل بطريقة (اللهم افعل) وقد يجيء بطريقة غفر الله له ، فهذه صيغة لخبر والاول صيغة الامر غير انه إنما يسمى أمراً إذا كان المقول له دون القائل ، وإن كان فوقه سمي دعاء وطلباً . واما قول القائل يا الله يا رحمن يارحيم ياغفور ياقدير ياسميع وما أشبه ذلك من اسماء الله ، فانما هو على جهة النداء ومعناه التعظيم .

وقوله « تضرعاً » فالتضرع التذلل ، وهو اظهار الذل الذي في النفس ،

---

(١) قائله بشر بن ابى خازم . اللسان (برك) . البراكاء : الثبات فى الحرب والمقاتلة بجد .

ومثله الخشع ومنه التطلب لأمر من الامور . واصل التضرع الميل في الجهات ذلا من قولهم : ضرع الرجل يضرع ضرعاً اذا مال بأصبعه يميناً وشمالا ، ذلا وخوفاً . ومنه ضرع الشاة ، لأن اللبن يميل . ومنه المضارعة للمشابهة لانها تميل الى شبهة بمعنى المقاربة ، والضريع نبت لايسمن ولا يغني من جوع ، لأنه يميل مع كل داء .

وقوله « وخفية » فالخفية خلاف العلانية .

وقال ابن عباس الخفية هي السرّ ، وبه قال الحسن . وقال ابو علي انما ذلك لئلا يشوب الدعاء معنى الرياء ، وحد الاخفاء خلاف حد الاظهار والاظهار اخراج الشيء الى حيث يقع عليه الادراك . والاخفاء اغماضه بحيث لايقع عليه الادراك .

المعنى:

وقوله « انه لايحب المعتدين » فالمحبة من الله تعالى للعبد ارادة الثواب ولذلك يحب المؤمن ، ولايحب الكافر ويحب الصلاح ، ولايحب الفساد والاعتداء تجاوز حد الحق أي لا تتجاوزوا حدّ الحق في الدعاء فتطلبوا منازل الانبياء . ومالا يجوز ان يعمل في الدنيا - في قول ابى مجلز - وقال ابن جريج يكره الصياح في الدعاء و« تضرعاً وخفية » مصدر ان في موضع الحال وتقديره ادعوا الله متضرعين في حال السر والعلانية والخفية والاخفاء والخفية والخوف والرهبة نظائر . والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء بدلالة الخفية والاخفاء ، ضد الاعلان . ويقال أخفيت الشيء اذا اظهرته قال الشاعر :

يخفي التراب باظلاف ثمانية (١)

قوله تعالى :

﴿ ولا تُفسدُوا في الأرْضِ بَعدَ إصْلاحِها وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمعاً إنَّ رَحْمتَ اللهِ قَريبٌ مِنَ المحسنينَ ﴾ (٥٥) آية واحدة بلا خلاف

(١) مر في ٢ : ٧١ كاملا

نهى الله تعالى في هذه الآية عن الفساد في الأرض وهو الاضرار بما تمنع الحكمة منه يقال : أفسد الحر التفاحة اذا اخرجها الى حال الضرر بالتغيير .

والاصلاح النفع بما تدعوا اليه الحكمة ولذلك لم تكن الآلام في النار أصلاحاً لاهلها ، لانه لا نفع لهم فيها . وقال الحسن افساد الارض بالقتل للمؤمنين والاعتداء عليهم . وقيل افساد الارض العمل فيها بمعاصي الله ، واصلاحها العمل فيها بطاعة الله .

وقوله « وادعوه خوفاً وطمعاً » امر من الله تعالى لهم ان يدعوه خوفاً وطمعاً وهما منصوبان على المصدر ، وهما في موضع الحال . وتقديره ادعوا ربكم خائفين من عقابه طامعين في ثوابه . والخوف هو الانزعاج بما لا يؤمن ، والامن سكون النفس الى انتفاء المضار ، والخوف يكون بالعصيان . والامن بالايمان . والطمع توقع المحبوب ، ونقيضه اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب .

وقوله « ان رحمة الله قريب من المحسنين » اخبار منه تعالى ان رحمته قريبة واصلة الى المحسن . والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد . والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم .

وقيل المراد بالمحسنين من يكون افعاله كلها حسنة وهذا لا يقتضيه الظاهر ، بل الذي يفيده ان رحمة الله قريب الى من فعل الاحسان ، وليس فيها انها لا تصل الى من جمع بين الحسن والقبيح بل ذلك موقوف على الدليل . وقال الفراء انما لم يؤنث قوله « قريب » وهو وصف لـ (رحمة) لانه ذهب مذهب المكان ، وما يكون كذلك لا يثنى ، ولا يجمع ، ولا يؤنث . ولو ذهب به مذهب النسب أنث وثني وجمع قال عروة بن حزام :

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنوا ولا عفراء منك بعيد (١)

---

(١) ديوانه : ٤٨ . ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٨١ وتفسير الطبري ١٢ : ٤٨٨ والبكري في شرح الامالي ٤٠١ وتفسير ابي حيان : ٤ : ٣١٣ وقد روى :

عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب

وقال الزجاج هذا غلط بل كل ماقرب من مكان أونسب فهو جائز عليه التأنيث والتذكير. وجعله الاخفش من باب الصيحة والصياح ، لان الرحمة والاحسان والانعام من الله واحد. وقال بعضهم المراد بالرحمة هاهنا المطر فلذلك ذكر .

قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٥٦)آية بلا خلاف

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف « الريح » على التوحيد — ههنا وفي النمل ، والثاني من الروم وفي فاطر — وقرأ عاصم «بشراً» بالباء وضمها وسكون الشين . وقرأه نافع بالنون وضمها وضم الشين وهم اهل الحجاز والبصرة ، وكذلك الخلاف في الفرقان ، والنمل .

قال ابو علي (الريح) اسم على وزن فعل ، والعين منه واو فانقلبت ياء في الواحد للكسرة وصحت في الجمع القليل ، لانه لاشيء يوجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو في مثل يوم وقول وعون قال ذوا الرمة :

اذا هبت الارواح من نحو جانب به آل مي هاج شوقي هبوبها (١)

وليس ذلك كميد واعياد ، لان هذا بدل لازم وليس البدل في الريح كذلك. فاما في الجمع الكثير فرياح انقلبت الواو بالكسرة التي قبلها ، كما انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل ، وفي رياح اجدر ، لوقوع الالف بعدها ، والالف تشبه الياء ،

(١) تفسير ابن حيان ٤ : ٣١٦

والياء اذا تأخرت عن الواو وجب فيها الاعلال فكذلك الالف لشبهها بها ، والريح على لفظ الواحد ، ويجوز ان يراد بها الكثرة ، لقولهم كثير الدرهم والدينار ، وقوله « ان الانسان لفي خسر ، ثم قال « الا الذين آمنوا » (١) فكذلك من قرأ «الريح بشراً» فأفرد ، ووصفه بالجمع ، فانه حملها على المعنى . وقد اجاز أبو الحسن ذلك وقال الشاعر :

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً (٢)

ومن نصب جاء قوله على المعنى ، لان المفرد يراد به الجمع ، وهذا وجه قراءة ابن كثير لانه افرد (الريح) ووصفه بالجمع ، فلا يكون (الريح) على هذا اسم جنس وقول من جمع الريح اذا وصفها بالجمع احسن اذ الحمل على المعنى اقل من الحمل على اللفظ ، ويؤكد ذلك قوله « الرياح مبشرات » (٣) فلما وصفت بالجمع جمع الموصوف ايضاً . فاما ماجاء في الحديث من ان النبي (ص) كان يقول اذا هبت ريح : (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) فلان عامة ما جاء بلفظ الرياح السقيا والرحمة ، كقوله « وارسلنا الرياح لواقح » (٤) وقوله « ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات » (٥) وقوله « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء » . (٦) وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله « وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم » (٧) وقوله « واما عاد فاهلكوا بريح صرصر » (٨) وقوله « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم » (٩) .

---

(١) سورة العصر آية ١ - ٢

(٢) قائله عنترة بجمع البيان ٢ : ٤٣٠ وتمام البيت

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسحم

(٣) سورة الروم آية ٤٦

(٤) سورة الحجر آية ٢٢

(٥) سوره الروم آية ٤٦

(٦) سورة الروم آية ٤٨

(٧) سورة الذاريات آية ٤١

(٨) سورة الحاقة آية ٦

(٩) سورة الاحقاف آية ٢٤

قال ابو عبيدة « نشراً » اي متفرقة من كل جانب ، وقال ابو زيد : انشر الله الموتى انشاراً اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت الجنوب واحييت ، والدليل على ذلك قول المراد الفقعسي :

وهبت له ريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي الميـــاه نسيمها (١)

والريدة والريدانة الريح ، قال الشاعر :

انى لارجو ان تموت الريح فاقعد اليوم واستريح (٢)

ومن قرء « نشرا » بضم النون والشين يحتمل ضربين : جمع ريح نشور وريح ناشر ، ويكون على معنى النسب فاذا جعله جمع نشور احتمل امرين احدهما - ان يكون النشور بمعني المنشر كما أن الركوب بمنزلة المركوب كان المعنى ريح او رياح منشرة ، ويجوز ان يكون نشراً جمع نشور يريد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات . ويحتمل ان يكون نشر جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقايل وقيل ، قال الاعشى:

انا لأمثالكم ياقومنا قيل (٣)

وقول ابن عامر (بشراً) يحتمل الوجهين : ان يكون جمع فعول وفاعل نخفف العين ، كما خفف في كتب ورسل ، ويكون جمع فاعل كبارك وبرك وغايظ وغيظ .

ومن فتح النون وسكن الشين فانه يحتمل ضربين : احدهما - ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما - ان يكون النشر

---

(١) اللسان (ريد) وتفسير ابى حيان ٤ : ٣١٦ ، ورواية اللسان (المات) بدل (المياه) .

(٢) اللسان (نشر) وتفسير ابى حيان ٤ : ٣١٦

(٣) ديوانه : ٤٧ قصيدة ٦ وروايته (قتل) بدل (قيل) وصدره :

* كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم *

الذي هو خلاف الطي ، كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ، ويجوز على تأويل ابي عبيدة أن تكون متفرقة في وجوهها والآخر – ان يكون النشر الذي هو الحياة من قوله :

يا عجبا للميت الناشر (١)

فاذا حملته على ذلك – وهو الوجه – كان المصدر يراد به الفاعل ، كما تقول اتانا ركضاً أي راكضاً ، ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشاراً أي محياة فحذف الزوائد من المصدر ، كما يقال عمرك الله . وكما يقال فان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري ، والضرب الآخر ان يكون نشراً على هذه القراءة ينصب انتصاب المصادر من باب « صنع الله » (٢) لانه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشير الريح نشراً .

وقراءة عاصم بشراً بالباء فهو جمع بشير وبشر من قوله « يرسل الرياح مبشرات » (٣) أي تبشر بالمطر والرحمة وجمع (بشير) على (بشر) ككتاب وكتب .

لما اخبر الله تعالى في الآية الاولى انه الذي خلق السماوات والارض وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات ، وانه الذي يجلل الليل النهار ، عطف على ذلك بأن قال « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » تعداداً لنعمه على خلقه . والارسال هو الاطلاق بتحميل معنى ، كما تقول ارسلت فلاناً أي حملته رسالة ، فلما اطلق الله الرياح كان ذلك بمنزلة المطوي في الامتناع من الادراك ثم صارت تدرك في الآفاق ، كانت كنشر الثوب بعد طيه في الادراك قال امرؤ القيس :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر (٤)

---

(١) تفسير ابي حيان ٤ : ٣١٦ واللسان (نشر) ، وصدره:

(حتى يقول الناس مما رأوا)

(٢) سورة النمل آية ٨٨ (٣) سورة الروم آية ٤٦

(٤) ديوانه ٧٩ واللسان (نشر) وتفسير الطبري ١٢ : ٤٩٠ يصف صاحبته بان ريح فمها ذا نكهة طيبة عند قيامها من النوم . والقطر : عود طيب الرائحة

وقال الفراء النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشىء السحاب ، والسحاب الغيم الجاري في السماء مشتقاً من الاسحاب ، يقال : سحبه سحباً واسحب اسحاباً وتسحب تسحباً وقوله « بين يدي رحمته » معناه قدام رحمته ، كما يقدم الشيء بين يدي الانسان ، كما قال « لما خلقت بيدي » (١) اي توليت خلقه ، كما يقول الانسان: عملت بيدي ، والرحمة يراد بها - ههنا - الغيث .

وقوله « حتى إذا اقلت سحابا ثقالا » فالاقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه ، يقال : استقل بحمله استقلالا . واقله اقلالا ، والثقال جمع ثقيل ، والثقيل ما فيه الاعتماد الكثير سفلا . وقال قوم : هو ما تجمع اجزاؤه كالذهب والحجر ، وقد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب الذي يثقل بالماء .

وقوله « سقناه لبلد ميت » أي الى بلد ، فالسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه ، ساقه يسوقه سوقاً ، واستاقه استياقا ، وساوقه مساوقة وتساوقوا تساوقا وتسوق تسوقا ، وانساق انسياقا وسوقه تسويقاً .

(والبلد الميت) هو الذى اندرست مشاربه وتعفت مزارعه .

وقوله « فأنزلنا به الماء » الهاء في (به) راجعة الى البلد . ويحتمل ان تكون راجعة الى السحاب .

وقوله « فاخرجنا به من الثمرات » فالهاء في (به) يحتمل ان تكون راجعة الى البلد ، ويكون التقدير اخرجنا بهذا البلد . ويحتمل ان تكون راجعة الى الماء ، فكأنه قال فاخرجنا بهذا الماء من كل الثمرات . ويحتمل ان تكون (من) للتبعيض . ويحتمل ان تكون لتبيين الجنس .

وقوله « كذلك نخرج الموتى » معناه كما اخرجنا الثمرات . كذلك نخرج الموتى بعد موتها بأن نحييها « لعلكم تذكرون » معناه لكي تتذكروا ، وتتفكروا وتعتبروا بأن

(١) سورة ص آية ٧٥

من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع ، فانه يقدر على ان يحيي الاموات بأن يعيدها الى ما كانت عليه بأن يخلق فيها الحياة ، والقدرة . واستدل البلخي بهذه الآية على ان كثيراً من الاشياء تكون بالطبع . قال لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ، قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع او قول من يقول ان الجمادات تفعل . فاما من قال : ان الله تعالى يفعل هذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة بوسائط ، فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب ، وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لانه إن اشار بالطبع الى رطوبات مخصوصة ويبوسات مخصوصة ، فلا خلاف في ذلك غير ان هذه الاشياء لا تتولد عنها ذوات اخر ، بل ما يحصل عندها الله تعالى يفعلها مبتدأ ، وليس كذلك السبب والمسبب ، لان السبب الذي يفعل الفعل بها وهو الاعتماد والمجاوزة يوجب التأليف ، وما عدا ذلك فليس فيه شيء تولد اصلا ، وان اراد بالطبع غير هذا المعقول فليس في الآية دلالة على صحته بحال .

قوله تعالى :

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

قرأ ابو جعفر « نكداً » بفتح الكاف . الباقون بكسرها ، والوجه في ذلك أنهما لغتان . وحكى الزجاج (نكداً) بضم النون وسكون الكاف . ولا يقرأ به . وقال الفراء يقتضي القياس ايضاً (نكداً) بضم الكاف ، وفتح النون ، غيراني لم اسمعه مثل ادنف ودنف وحذر وحذر ويقظ ويقظ ، بالفتح والضم والكسر .

قوله « والبلد الطيب » فالبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير ، وتنفصل بما

لهم فيها من العمل ، والتأثير . والبلدة خلاف الفلاة ، والصحراء ، واما البادية فكالبلد للاعراب ، ونحوهم من الاكراد والاتراك . والطيب ما فيه اسباب التلذذ ، وضده الخبيث ، وهو ما فيه اسباب النكرة . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي : هـذا مثل ، ضربه الله للمؤمن فشبه المؤمن - وما يفعله من الطاعات والافعال ، والانتفاع بما أمره الله ونهاه عنه - بالارض العذبة التربة التي تخرج الثمرة الطيبة بما ينزله الله عليها من الماء العذب ، والكافر - وما يفعله من الكفر والمعاصي - بالارض السبخة الملحة التي لا ينتفع بنزول المطر عليها ، فينزع عنها البركة .

وقوله « يخرج نباته باذن ربه » فالاخراج نقل الشيء من محيط به الى غيره ، فهذا النبات كأنه كان في باطن الارض فخرج منه ، (والاذن) هو الاطلاق في الفعل برفع المنعة فيه ، فكذلك منزلة هذا البلد ، كأنه قد اطلق في اخراج النبت الكريم .

ووجه ضرب المثل بالارض الطيبة والارض الخبيثة مع انهما من فعل الله وكلاهما حكمة وصواب ، والطاعات ، المعاصي احدهما بامر الله والآخر بخلاف امره ، هو ان الله تعالى لما جعل المنفعة بأحدهما والمضرة بالآخر مثل بذلك الانتفاع بالعمل الصالح والاستضرار بالمعاصي والقبائح .

وقوله « والذي خبث لا يخرج الا نكداً » فالنكد العسر بشدته الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل تقول : نكد ينكد نكداً ، فهو نكد ، ونكد . وقد نكد اذا سئل فبخل ونكد ينكد نكداً ، قال الشاعر :

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن اعطيت اعطيت تافهاً نكداً (١)

وقال الاخر :

واعط ما اعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد (٢)

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢١٧ واللسان (تفه) وتفسير الطبري ١٢ : ٤٩٥

(٢) اللسان (نكد) وتفسير الطبري ١٢ : ٤٩٥

وقال السدي: النكد القليل الذي لا ينتفع به. وقوله « كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » فالتصريف توجيه الشيء في جهتين فصاعداً، فلما كان معنى الآية يوجه في الدلالات المختلفة كانت الآية متصرفة، فالنشأة الثانية مصرّفة بأنها كاحياء الارض بالماء للنبات، وبانها كالخارج من الارض في الاختلاف، فمنه طيب، ومنه خبيث. وبأنها في حال المؤمن والكافر، كحال الارض في الطيب والخبث. والمعنى انه تعالى يبين لهم آية بعد آية، وحجة بعد أخرى، ويضرب مثلا بعد مثل « لقوم يشكرون الله » على انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وأمره اياهم تجنب ذلك والعدول عنه.

قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥٨)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة والاعراب والحجة:

قرأ ابو جعفر والكسائي « من اله غيره » - بخفض الراء وكسر الهاء ووصلها - بناء في اللفظ حيث وقع. الباقون بضم الراء وضم الهاء واشباعها بالواو، قال الكسائي تقديره مالكم غيره من إله. في قراءة نافع.

قال ابو علي الفارسي: من جر جعل (غير) صفة لـ (إله) على اللفظ، وجعل (لكم) مستقراً او غير مستقر، واضمر الخبر والخبر مالكم في الوجود او في العالم ونحو ذلك لا بد من هذا الاضمار اذا لم يجعل (لكم) مستقراً، لأن الصفة، والموصوف لا يستقل بهما الكلام.

ومن رفع حجته قوله «وما من إله إلا الله» (١) فكما ان قوله «إلا الله» بدل من قوله «من إله» كذلك قوله «غيره» يكون بدلا من قوله «من إله» وغير يكون بمنزلة الاسم الذى بعد (إلا)، وهذا الذي ذكرناه أولى ان يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لـ (إله) على الموضع. فان قلت ما ينكر ان يكون «إلا الله» صفة لـ (إله)؟ قيل: ان (الا) بكونها استثناء أعرف واكثر من كونها صفة. وانما جعلت صفة على التشبيه بغير، فاذا كان الاستثناء أولى حملنا «هل من خالق غير الله» (٢) على الاستثناء من النفي في المعنى، لأن قوله «هل من خالق غير الله» بمنزلة ما من خالق غير الله، ولا بد من اضمار الخبر، كأنه قال: ما من خالق للعالم غير الله، ويؤكد ذلك قوله «لا اله الا الله» (٣) فهذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار الا زيداً.

فاما حمزة والكسائى فانهما جعلا (غير) صفة لخالق واضمرا الخبر، كما تقدم. والباقون جعلوه استثناء بدلا من النفي، وهو اولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله «وما من اله الا الله» (٤).

المعنى:

اخبر الله تعالى واقسم على خبره - لأن اللام في قوله «لقد» لام القسم - بأنه أرسل نوحاً (عليه السلام) الى قومه وارساله اياه هو تكليفه القيام بالرسالة وهي منزلة جليلة شريفة يستحق بها الرسول بتقبله اياها والقيام باعبائها ان يعظم أعلى تعظيم

(١، ٤) سورة آل عمران آية ٦٢

(٢) سورة فاطر آية ٣

(٣) سورة الصفات آية ٣٥ وسورة محمد آية ١٩

البشر ، واخبر ان نوحاً قال لقومه « ياقوم اعبدوا الله » والعبادة هي الخضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع يعظم به من له اعظم النعم ، فلذلك لايستحق العبادة غير الله ، واخبر انه أمرهم بأن تكون عبادتهم لله وحده ، لانه لا اله لهم غيره ، ولا معبود لهم سواه . وقال لهم « اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم » يريد به يوم القيامة ، والعذاب هو الألم الجاري على استمرار ، وقد يكون غير عقاب ، الا ان المراد به ههنا العقاب . والعقاب الالم على ما كان من المعاصي . ولم يجعل خوفه عليهم على وجه الشك ، بل اخبرهم ان هذا العذاب سيحل بهم ان لم يقبلوا ما اتاهم به ، لان الخوف قد يكون مع اليقين كما يكون مع الشك ألا ترى أن الانسان يخاف من الموت ، ولا يشك في كونه

قوله تعالى

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٩)

آية بلا خلاف .

« قال » اصله (قول) فانقلبت الواو الفاً لحركتها وانفتاح ما قبلها .

اخبر الله تعالى عن الملأ من قوم نوح . وقيل في معنى الملأ قولان :

احدهما - أنهم الجماعة من الرجال سموا بذلك لأنهم يملؤن المحافل .

والثاني - انهم الاشراف ، وقيل الرؤساء لانهم يملؤن الصدر بعظم شأنهم ، ومنهم قوله (ص) اولئك الملأ من قريش ، والقوم يقال لمن يقوم بالامر ، ولا نسوة فيهم - على قول الفراء - وهو مأخوذ من القيام .

وانما سموا بالمصدر ، كما قال بعض العرب اذا اكلت طعاماً أحببت نوماً وابغضت قوماً اي قياماً

وقوله « انا لنراك » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - انه من رؤية القلب الذي هو العلم .

الثاني - من رؤية العين ، كأنهم قالوا نراك بابصارنا على هذه الحال .

الثالث ـ انه من الرأي الذي هو غالب الظن وكأنه قال انا لنظنك .

وقوله «في ضلال مبين» أرادوا بالضلال ههنا العدول عن الصواب الى الخطأ فيما زعموا مخالفتهم اياه فيما دعاهم اليه من اخلاص العبادة لله تعالى .

وقوله «مبين» اي بين ظاهر .

قوله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٠) آية بلا خلاف .

في هذه الاية اخبار عما اجابهم به نوح (عليه السلام) وقال لهم « ليس بي ضلالة » اي ليس بي عدول عن الحق ، ويقال به ضلالة ، لان فيه معنى عرض به كما يقال به جنة ، ولا يجوز ان يقال به معرفة ، لانها ليست مما تعرض بصاحبها ، ولكن يصح ان يقال : به جوع وبه عطش ، لانه عارض به .

قوله « ياقوم » اصله ياقومي ، فحذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير ، حتى يحذف للترخيم ، فلما جاز ان يحذف في غيره للاجتزاء بالكسرة منها ، لزم ان يحذف فيه لاجتماع السببين فيه .

وقوله « ولكني رسول من رب العالمين » معنى (لكن) الخفيفة الاستدراك بها معنى المفرد . والمشددة يستدرك بها معنى الجملة ، فلذلك صارت من اخوات (ان) . و « لكني » اصله (ولكنني) وحذفت النون لاجتماع النونات ، ويجوز الاتمام ، لانه الاصل ، وكذلك (اني ، وكأني) فأما (ليتني) فلا يجوز فيه الا اثبات النون ، لانه لم يعرض فيه علة الحذف . واما (لعلي) فيجوز فيه الوجهان ، لان اللام قريبة من النون . ومعنى (من) ههنا لابتداء الغاية ، ومعناه أن الله تعالى هو الذي ابتدأني بالرسالة ، وكل مبتدىء بفعل فذلك الفعل منه . واصل (من)

موضع ابتداء الغاية كقولك خرجت من بغداد الى الكوفة اي ابتدأ خروجي من بغداد .

قوله تعالى :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مالا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) آية بلا خلاف

قرأ ابو عمرو وحده « ابلغكم » مخففة اللام . الباقون بتشديدها .

و(بلغ) فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول : بلغني خبركم وبلغت أرضكم ، فاذا نقلته تعدى الى مفعولين ، والنقل يكون تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين ، وقد ورد بها التنزيل ، قال الله تعالى « فان تولوا فقد أبلغتكم » (١) فنقل بالهمزة ، وقال « يا ايها الرسول بلغ » (٢) فنقل بتضعيف العين ، فعلى هذين الوجهين اختلفوا في القراءة .

وفي الاية حكاية عن قول نوح (عليه السلام) لقومه انه قال لهم بعدما انكر عليهم انه ليس به ضلالة ، وانه رسول من عند الله ، وانه بلغهم ما حمله الله من رسالات ربه . والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة ، وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ . والبليغ الذي ينشيء البلاغة ، لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية ، والفرق بين الابلاغ والاداء ان الاداء لما يسمع ، وحسن الاداء للقراءة . والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره وانما جمع ههنا (رسالات) وفي موضع آخر « رسالة » (٣) على التوحيد ، لأنه يشعر تارة بالجملة وتارة بالتفصيل ، فلما دعا الى عبادة الله وطاعته واجتناب محارمه والعمل بشريعته ،

(١) سورة هود آية ٥٧ (٢) سورة المائدة آية ٧٠
(٣) سورة الاعراف آية ٧٨

كان هذا تفصيل رسالات الله تعالى ، ورسالات الله حكم : من ترغيب ، وتحذير ، ووعد ، ووعيـــد ، ومواعظ ، ومزاجر ، وحجج ، وبراهين ، واحكام يعمل بها ، وحدود ينتهى اليها .

وقوله « وانصح لكم » فالنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة . و(النصح) خلاف الغش في العمل ، ولا يكون الغش إلا بسوء النية . وقوله « وأعلم من الله ما لا تعلمون » فيه حث لهم على طلب العلم من جهته ، وتحذير من مخالفته ، لما يعلم من العاقبة ، فكانه قال «انا اعلم» بحلول العقاب بمخالفتكم وترك القبول مني « ما لا تعلمون » انتم ، ويجوز ان يريد «واعلم من» توحيد الله وصفاته وحكمته « ما لا تعلمونه » .

وفي ذلك بطلان مذهب القائلين بان معارف الله ضرورة وان من لم يعرفه ضرورة فليس بمكلف ، لان نوحاً (عليه السلام) بين انه خاف عليهم مع انه يعلم مالا يعلمونه .

قوله تعالى :

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦٢) آية

في هذه الآية تقريع من نوح (عليه السلام) لقومه على صورة الاستفهام بأنهم عجبوا أن جاءهم ذكر من ربهم . وانما دخل الاستفهام معنى التقريع ، لان المجيب لا يأتي الا بما يسوء من القبيح ، فهو انكار وتقريع ، وقد يدخل معنى التمني ، لأنه بمنزلته في انه طلب ، لان يكون أمر ، وانما فتحت الواو في قوله « او عجبتم » لانها واو العطف دخل عليها الف الاستفهام ، فالكلام مستأنف من وجه ، متصل من وجه ، كما ان المبتدأ في خبر الاول بهذه الصفة ، والتعجب تغير النفس بما خفي سببه ، وخرج عن العادة مثله ، لانه لامثل له في العادة . والذكر حضور المعنى للنفس ،

والذكر على وجهين : ذكر البيان ، وذكر البرهان ، فذكر البيان احضار المعنى للنفس ، وذكر البرهان الشهادة بالمعنى في النفس ، وكلا الوجهين يحتمل في الآية .

وقوله « على رجل منكم » فالرجل هو انسان خارج عن حد الصبي من الذكران ، وكل رجل انسان ، وليس كل انسان رجلا ، لان المرأة انسان .

وقيل في دخول (على) في قوله « على رجل منكم » قولان :

احدهما انه بمعنى مع رجل منكم ، قال الفراء كما تقول جاء في الخبر على وجهك ومع وجهك .

الثاني ـ لان فيه معنى منزل « على رجل منكم » .

وقوله « لينذركم » فالانذار هو الاعلام بموضع المخافة ، والتحذير هو الزجر عن موضع المخافة .

وقوله « ولتتقوا ولعلكم ترحمون » معناه ان الله تعالى ارسل هذا الرسول مع هذا الذكر واراد انذاركم وغرضه أن تتقوا معاصيه لكي يرحمكم ويدخلكم الجنة ونعيم الأبد .

وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة : ان الله تعالى لم يرد منهم ان يتقوا ولا أن يؤمنوا .

قوله تعالى :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾(٦٣) آية بلا خلاف

هذا اخبار من الله تعالى عن قوم نوح انه لم ينفع فيهم ذلك التخويف ، ولا الوعظ ، والزجر ، وانهم كذبوه يعني نوحاً . ومعناه انهم نسبوا خبره الى الكذب ، لان التكذيب نسبة الخبر الى الكذب ، والتصديق نسبة الخبر الى الصدق ، وهذا

مما يختلف فيه معنى (فعّل ، وفعل) .

وقوله « فانجيناه » اخبار من الله تعالى انه انجاه نوحاً ، والانجاء هو التخليص من الهلكة ، والاهلاك الايقاع فيها وهي المضرة الفادحة . « ومن معه » يعني وانجا من معه من المؤمنين به ، في الفلك ، وهي السفن ويقع على الواحد والجمع بلفظ واحد ، واصله الدور مشتق من قولهم : فلك ثدي الجارية ، إذا استدار ، ومنه الفلكة والفلك من هذا ، لأنه يدور على الماء كيف أداره صاحبه .

وقوله « واغرقنا الذين كذبوا » والاغراق هو الغوص المتلف في الماء ، وأصله الغوص في الشيء ، فمنه اغرق في النزع ، ولا تغرق في هذا الأمر .

وقوله « انهم كانوا قوما عمين » فيه بيان انه إنما أغرقهم واهلكهم ، لانهم كانوا عمين . والعمى الضلال عن طريق الهدى ، فهم كالعمي في انهم لا يبصرون طريق الرشد ، فهم عمي عن الحق .

قوله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٤) آية بلا خلاف

انتصب قوله « اخاهم هوداً » بقوله « ارسلنا » في اول الكلام وان تطاول ما بينهما ، لان تفصيل القصص يقتضي ذلك ، والتقدير وارسلنا « الى عاد اخاهم هوداً » ويجوز في مثله الرفع ، وتقديره ، والى عاد أخوهم هود مرسل .

و (الاخ) احد الولدين لواحد . وانما قال لهود (عليه السلام) انه اخوهم ، لأنه كان من قبيلهم وجاز ذلك على غير الاخوة في الدين ، لانه احتج عليهم ان يكون رجلا منهم ، لانهم عنه أفهم واليه أسكن .

وصرف (هود) لخفته ، كما صرفت جمل لخفتها ، وهو أحق بالصرف ، لانه

اكثر في الاستعمال .

في هذه الآية اخبار من الله تعالى انه ارسل الى قوم عاد هوداً ، وانه قال لهم « يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » وقد فسرنا معنى ذلك اجمع و بينا ايضاً حقيقة العبادة ، وانه لا يستحقها غير الله ، لانها على اصول النعم ، والشكر قد يستحقه غير الله ، لانه يستحق بالنعمة وان قلت ، وكذلك الطاعة قد تجب لغير الله ، فعلى هذا يكون عبادة اثنين شركاً ولا يكون طاعة اثنين شركاً ، كما ان الشكر على النعمة لاثنين لا يكون كذلك إذا لم يكن واقعاً على وجه العبادة . وقوله « أفلا تتقون » معناه ، فهلا تتقون ، وهو بصورة الاستفهام والمراد به حضهم على تقوى الله واتقاء معاصيه .

قوله تعالى:

﴿ قال الملأُ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ (٦٥) آية بلا خلاف .

في هذه الاية اخبار عما قالت الجماعة الكافرة من قوم هود له « انا لنراك في سفاهة » والسفاهة خفة الحلم ، كما قال الشاعر :

مبذرا وعاتب سيمى .....(١)

اي سفيه وثوب سفيه اذا كان خفيفاً (وقال) المؤرخ : السفاهة الجنون بلغة حمير ، وقوله « في سفاهة » معناه منغمس في السفاهة ، فالسفاهة بمعنى انت سفيه ، أقيم المصدر مقام اسم الفاعل ، ولا يجوز قياساً على ذلك ان يقال في ارادة بمعنى مريد ، وكسرت (ان) لانها وقعت بعد القول حكاية ، والحكاية تقتضي استئناف المحكي و (ان) اذا شددت عملت ، ولا تعمل اذا خففت ، لانها مشددة تشبه كان ، فلما حذفت قل الشبه الا

(١) هكذا في الاصل لم يقرأ ولم اعرف له وجه وهذه الكلمات غير منقطة

ان يحمل على كان محذوفة، وليس قوة حملها عليها تامة كقوة حملها محذوفة ، وحذفت الهمزة في مضارع رأيت دون ماضيه ، لاجتماع ثلاثة اشياء: الزيادة في أوله، وكثرة الاستعمال لها ، ولان فيما بقي دليل عليها، ولم يلزم في نأيت تنأى مثل ذلك . وقوله « وانا لنظنك» ولم يقولوا نعلمك لامرين : احدهما - قال الحسن : لان تكذيبهم كان على الظن دون اليقين . وقال الرماني : معناه انك تجري مجرى من اخبر عن غائب لا يعلم ممن هو منهم. الثاني - انهم ارادوا بالظن العلم كما قال الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد (١)

معناه أيقنوا . وفائدة الآية ان أمة هود جرت على طريقة امة نوح في الكفر بنبيها كأنهم قد تواصوا بالتكذيب بالحق ومعاندة أهله والرد لما اوتوا به.

قوله تعالى :

﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ (٦٦) آية واحدة بلا خلاف .

هذه الآية فيها اخبار عما قال هود (ع) لقومه مجيباً لهم حين قالوا له: «انا لنراك في سفاهة» وانه قال « ليس بي سفاهة » وموضع (قوم) نصب ، لانه نداء مضاف، فلو وصفته لما جاز في صفته الا النصب وانما حذفت بالاضافة ، لان النداء احق بالحذف الذي يكون في غيره لقوة اليقين فيه .

وقوله « ولكني رسول من رب العالمين » استدراك بـ (لكن) لان فيه معنى ما دعاني الى امركم السفه ، ولكن دعاني اليه اني رسول من رب العالمين . وقد بينا ان (من) ههنا بمعنى ابتداء الغاية ، والتقدير المبتدىء بالرسالة رب العالمين والمنتهي اليه الرسالة لامته ، لانه ارسل اليهم .

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢٠٥ ، ٢ : ٢٩٦

قوله تعالى :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴾(٦٧)

آية بلا خلاف.

قد بينا معنى الابلاغ ، وهو احضار الشيء غيره على وجه الانتهاء ، ومنه قوله « ثم ابلغه مأمنه » (١) وقد يكون احضاراً لنفس البيان للافهام ، والابلاغ اشد اقتضاء للمنتهى اليه من الايصال ، لأنه يقتضي بلوغ فهمه وعقله كالبلاغة التي تصل الى سويداء قلبه .

ولا يجوز بدل « رسالات ربي » نبوات ربي ، لان النبوة تكليف القيام بالرسالة ، فانما يبلغ الرسالة ولا يبلغ التكليف .

وقوله « وانا لكم ناصح أمين » معناه إني ناصح لكم فيما أدعوكم اليه من طاعة الله واخلاص عبادته . وقيل : ان معناه إني كنت فيكم أميناً قبل النبوة . والنصح اخلاص المعاملة من شائب الفساد في النية . والأمين المؤمون من ان يكون منه تغيير له او تبديل . وفي الآية دلالة على انه يجوز للانسان ان يزكي نفسه عند الحاجة اليه .

قوله تعالى :

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦٨) آية

قد بينا معنى قوله « او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم »

(١) سورة التوبة آية ٧

فلا معنى لاعادته . وانما انكر العجب مع انه خفي بسببه ، وخرج عن العادة، لظهور الدلائل فيه وقيام البراهين عليه من الارسال اليهم من تنبيههم على ما اغفلوه وتعريفهم ما جهلوه .

والفرق بين العجب والعجب، ان العجب ـ بضم العين ـ عقد النفس على فضيلة لها ينبغي ان يعجب منها السبب لها ، وليس كذلك العجب - بفتح العين والجيم - لانه قد يكون حسناً . وقد قيل في المثل (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وارذل منه المتعجب من غير عجب) .

وقوله « فاذكروا اذ جعلكم خلفاء » فخلفاء جمع خليفة ، وهو الكائن بدل غيره ليقوم بالامر مقامه في تدبيره . وخلفاء جمعه على التذكير مثل ظريف وظرفاء ، ولو جمعه على اللفظ لقال خلائف نحو كريمة وكرائم ، وورد ذلك في القرآن ، قال الله تعالى « هو الذي جعلكم خلائف » (١) .

وقوله « من بعد قوم نوح » امتنان عليهم بما مكنهم في الأرض وجعلهم بدل قوم نوح حين اهلكهم الله . وقوله « وزادكم في الخلق بسطة » قرىء بالسين والصاد وقيل في معناه قولان : احدهما - قال ابن زيد زادهم قوة . وقال غيره اراد به المرة من بسط اليدين إذا فتحت على ابعد اقطارها . وقال الزجاج والرماني: كان اقصرهم طوله سبعين ذراعاً واطولهم مئة ذراع . وقال، قوم كان اقصرهم اثني عشر ذراعاً . وقال ابو جعفر (عليه السلام) كانوا كأنهم النخل الطوال ، وكان الرجل منهم ينحت الجبل بيده فيهدم منه قطعة . وقوله « فاذكروا آلاء الله » قال الحسن وغيره الآلاء النعم في واحدها لغات : (إلا) مثل (معا) و (ألا) مثل (قفا) و (الي) مثل (حسي) و (الى) مثل (دمى) قال الشاعر :

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلا (٢)

(١) سورة فاطر آية ٣٩ (٢) قائله الاعشى ديوانه : ١٥٧ ولسان العرب (ألا)

إلا وألا رويا جميعاً .

وقوله « لعلكم تفلحون » معناه اذكروا نعم الله واشكروه عليها لكي تفوزوا بثواب الجنة والنعيم الدائم الابدي .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٦٩) آية بلا خلاف .

قيل في الفرق بين « قالوا » وتكلموا ، ان القول مضمر بالحكاية من حيث هو على صفة القول ، وليس كذلك من حيث هو على صفة الكلام .

وفي الاية حكاية ما قال قوم هود ، وهم قبيلة عاد لهود (ع) « اجئتنا » ومعناه اتيتنا « لنعبد الله وحده » وتريد منا أن نوجه عبادتنا الى الله وحده . والمجيء والاتيان والاقبال واحد ، وقال قوم المجيء إتيان من أي جهة كان ، والاتيان إقبال من قبل الوجه .

وقوله « ونذر » معناه ونترك ولم تستعمل فيه (وذرنا) استغناء بتركنا ، ولا يلزم ان يستغنى بفترك عن نذر ، لان نذر خفيفة ، لان الواو حذفت منه . « ما كان يعبد آباؤنا » تمام الحكاية عن الكفار انهم قالوا كيف نترك ما كان يعبد آباؤنا وانهم قالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت صادقاً من جملة الصادقين . وانما لم يجب اتباع الآباء ، وان كانوا عقلاء ووجب اتباع العقلاء ، لانه إنما يجب اتباع العقلاء فيما علموه بعقولهم ضرورة ، فأما ما طريقه الدليل فانه يجوز ان يغلطوا فيه ، فلا يجوز حينئذ اتباعهم وان كانوا أباءاً .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي

في أسماءٍ سَمَّيتموها أنتم وآباؤكم ما نزَّلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴿٧٠﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية عما قال هود لقومه جواباً عما قالوه في الاية الاولى: انه « قد وقع عليكم رجس وغضب » فالوقوع والسقوط والنزول نظائر. والوقوع وجود الشيء نازلاً بالحدوث، فقد يكون بحدوثه، وقد يكون بحدوث غيره، كوقوع الحائط ونحوه. والرجس العذاب. وقيل: الرجس والرجز واحد فقلبت الزاي سيناً، كما قلبت السين تاء في قول الشاعر:

ألا لحى الله بني السعلات عمرو بن يربوع لئام الذات
ليسوا باعفاف ولا أكيات (١)

يريد الناس، ويريد اكياس

وقال روبة:

كم قد رأينا من عديد ميزي حتى أقمنا كيده بالرجز (٢)

حكي ذلك عن ابي عمرو بن العلا.

وقال ابن عباس الرجس السخط، والغضب معنى يدعو الى الانتقام دعاه انتقاص الطباع لشدة الانكار، ونقيضه الرضا، وهو معنى يدعو الى الانعام دعاه ميل الطباع، ومثل الغضب السخط، هذا قول الرماني. وقال غيره: الغضب هو ارادة العقاب بمستحقيه، ومثله السخط. والرضا هو الارادة إلا انها لا توصف بذلك إلا إذا وقع مرادها ولم يتعقبها كراهة، ولهذا جاز إطلاق ذلك على الله، ولو كان الامر على ما قاله لما جاز ان يقال: إن الله غضب على الكفار، ولا انه سخط عليهم.

(١) تفسير الطبري ١٢ : ٥٢٢، ونوادر ابي زيد : ١٠٤، ١٤٧

(٢) ديوانه : ٦٤ وتفسير الطبري ١٢ : ٥٢٢

وقوله «أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وابؤكم ما انزل الله بها من سلطان» يعني ما انزل الله بها من برهان، ولا نصب عليها حجة . والمعنى اتنازعونني في اسماء سميتموها يعني تسميتهم ما يعبدون من دون الله آلهة، ما انزل الله عليكم بذلك حجة بما عبدتم، فالبينة عليكم بما ادعيتم وسميتم وليس علي ان آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم، وعلي ان آتيكم بسلطان مبين ان الله تعالى هو المعبود وحده دون من سواه وأني رسوله .

وقوله «فانتظروا اني معكم من المنتظرين» قال الحسن: معناه انتظروا عذاب الله فانه نازل بكم فاني معكم من المنتظرين لنزوله بكم، وهو قول الجبائي وغيره من المفسرين .

قوله تعالى:

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

في هذه الاية اخبار من الله تعالى انه انجى هوداً والذين آمنوا معه برحمة منه، والانجاء التخليص من الهلاك، واصله من النجوة وهي الارتفاع من الارض والنجاء السرعة في السير، لانه ارتفاع فيه بالاسراع وانما جاز ان يقول برحمة منا مع ان النجاة هي الرحمة، لانه عقد معنى النجاة بالرحمة، فصار كأنه يعمل بالقدرة .

وقوله «وقطعنا» فالقطع هو افراد الشيء عن غيره مما كان على تقدير الاتصال به، فلما افردوا بالهلاك مما كان على تقدير التبع لهم من نسلهم وآثارهم من بعدهم كان قد قطع دابرهم . وقال الحسن: معناه قطعنا اصل الذين كذبوا بديننا، وما كانوا مؤمنين . وقال ابن زيد: قطعنا دابرهم: معناه استأصلناهم عن آخرهم . والدابر الكائن خلف الشيء . ونقيضه القابل، ويكون القابل الاخذ للشيء من قبل وجهه .

وقوله « وما كانوا مؤمنين » وانما اخبر بذلك عن حالهم مع انه معلوم منهم ذلك، لبيان ان هذه الصفة لا تجوز أن تلحق المكذب بآيات الله الجاحد لها وإن في نفيها عن المكلف ذماً له .

قوله تعالى :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدم ، والتقدير وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحاً . وثمو اسم قبيلة ، وقد جاء مصروفاً وغير مصروف ، فمن صرفه ، فعلى انه اسم لحي مذكر ، ومن ترك صرفه ، فعلى انه اسم القبيلة ، كما قال تعالى « الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود » (١) صرف . الاول ، ولم يصرف الثاني . واختير ترك الصرف في موضع الجر ، لانه أخف ، ويجوز في قوله « مالكم من اله غيره » ثلاثة اوجه من العربية : الجر على اللفظ ، والرفع على الموضع ، وقد قرىء بهما ، وقد بيناه فيما مضي ، والنصب على الاستثناء ، والحال ، ولم يقرأ به . ويجوز عند الفراء الفتح على البناء ، لانه أجاز ما جاءني غيرك ، ومنع منه الزجاج . وقال انما يجوز ذلك اذا اضيف الى غير متمكن اضافة غير حقيقية ، كما قال الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غيران نطقت حمامة في غصون ذات أوقال (٢)

وقوله « ان اعبدوا الله مالكم من إله غيره » قد بيناه فيما مضى .

---

(١) هود آية ٦٨ (٢) اللسان (وقل) وأوقال جمع وقل وهو ثمار شجرة المقل

وقوله « قد جاءتكم بينة من ربكم » فالبينة العلامة التي تفصل الحق من الباطل من جهة شهادتها به. والبيان هو إظهار المعنى للنفس الذي يفصله من غيره حتى يدركه على ما يقويه كما يظهر نقيضه ، فهذا فرق بين البينة والبيان .

وقوله « هذه ناقة الله لكم آية » فالناقة الأنثى من الجمال والاصل فيها التوطئة والتذليل من قولهم عير منوق أي موطأ مذلل ، وتنوق في العمل أي جوّده كالموطأ المذلل . والناق الحزّ بين الية الأبهام وطرفها ، لانه وطأ به لقبض الكف وبسطها . وانما قال « ناقة الله » لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى .

ونصب آية على الحال . والاية هي البينة العجيبة بظهور الشهادة ولطف المنزلة . والاية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر .

والاية التي كانت في الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها ، وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم ، في قول ابي الطفيل . والسدي وابن اسحاق .

وقوله « فذروها » أي اتركوها « تأكل في ارض الله ، ولا تمسوها بسوء » يعني بعقر أو نحر « فياخذكم عذاب اليم » اي ينالكم عذاب مؤلم .

قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية لقول صالح (ع) لقومه بعد أن امرهم بعبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه إياهم ان يمسوا الناقة بسوء ، وحذرهم من المخالفة التي يستحق بها

العذاب المؤلم فقال ـ عاطفاً على ذلك ـ و « اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » أي تفكروا فيما أنعم الله عليكم حيث جعلكم بدل قوم عاد بعد ان أهلكهم واورثكم ديارهم « وبوأكم في الارض » اي مكنكم من منازل تأوون اليها، يقال بوأته منزلا إذا مكنته منه ليأوى اليه . واصله من الرجوع من قوله « فباؤا بغضب على غضب » (١) وقوله « وباؤا بغضب من الله » (٢) اي رجعوا ، قال الشاعر :

وبوّأت في صميم معشرها فتم في قومها مبوّأها (٣)

اي انزلت ومكنت من الكرم في صميم النسب .

وقوله « تتخذون من سهولها » فالسهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل او ارض ، يقال السهل ، والجبل ، وارض سهلة .

وقوله « قصوراً » جمع قصر، وهو الدار الكبيرة بسور تكون به مقصورة . واصله القصر الذي هو الحبل على منزلة دون منزلة ، فمنه القصير ، لانه قصر به على مقدار دون ما هو اطول منه ، والقصر الغاية ، يقال قصره الموت لانه قصر عليه ، واقصر عن الامر اي كف عنه . والقصر العشي ، ومنه القصار ، لانه يقصر الثوب على النقاء دون ما هو عليه . والقصرة اصل العنق .

وقوله « وتنحتون من الجبال بيوتا » فالجبل جسم عظيم بعيد الاقطار عال في السماء ، ويقال جبل الانسان على كذا اي طبع عليه ، لانه يثبت عليه لصوق الجبل ، والمعنى انهم كانوا ينحتون في الجبال سقوفاً كالابنية ، فلا ينهدم ، ولا يخرب ، « فاذكروا الآء الله » معناه تفكروا في نعمه المختلفة كيف مكنكم من الانتفاع بالسهل والجبل « ولا تعثوا في الارض مفسدين » معناه لا تضطربوا في الارض

(١) سورة البقرة آية ٦١

(٢) سورة البقرة آية ٦١ وسورة آل عمران آية ١١٢

(٣) اللسان (بوأ)

مفسدين يقال : عاث يعيث عيثاً ، وعثى يعثى بمعنى واحد . ومفسدين نصب على الحال . ومعنى الآية التذكير بنعم الله من التمكين في الارض والتسخير حتى تبوأوا القصور وشيدوا المنازل والدور مع طول الآمال وتبليغ الاجال .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر « وقال الملأ » بزيادة واو ، وكذلك في مصاحف اهل الشام الباقون بلا واو .

في هذه الآية حكاية عما قال الملأ من قوم صالح ، وهم جماعة من اشراف قومه ورؤساء امته «الذين استكبروا» اي طلبوا الكبر فوق القدر ، لان الاستكبار هو طلب الكبر فوق القدر ، حتى يؤدي صاحبه الى انكار ما دعي اليه من الحق ، انفة من اتباع الداعي الى الحق «للذين استضعفوا » فالاستضعاف طلب الضعف بالاحوال التي تقعد صاحبها عما كان يمكن غيره من القيام بالامر ، والاصل في باب استفعل الطلب منه .

وقوله « لمن آمن منهم » موضعه من الاعراب نصب على البدل من اللام الاولى ، وهو بدل البعض من الكل إلا أنه اعيد فيه حرف الجر ، كقولك مررت بأخوتك بعضهم . وإنما فعل ذلك لئلا يظن انهم كانوا مستضعفين غير مؤمنين ، لانه قد يكون المستضعف مستضعفاً في دينه ، فلا يكون مؤمناً . فازال هذه الشبهة .

وقوله « اتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه » حقيقة ويقيناً ام لا تعلمون ذلك ؟ وغرضهم بذلك الاستبعاد ، لان يكون صالح نبياً مرسلا من قبل الله .

وقوله « انا بما ارسل به مؤمنون » جواب من هؤلاء المستضعفين لهم انهم مؤمنون بالذي ارسل به صالح مصدقون . وقد بينا ان حد العلم هو ما اقتضى سكون النفس. وحد الرماني — ههنا — العلم بأنه اعتقاد للشيء على ما هو به عن ثقة من جهة ضرورة او حجة ، قال : والعالم هو المبين للشيء بعلم او ذات تنبيء عن العلم .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف.

هـــذه الاية حكاية عما قال المستكبرون للذين آمنوا منهم حين سمعوا منهم الايمان به والاعتراف بنبوته والتصديق لقوله « انا بالذي آمنتم به » يعني بمن صدقتم به « كافرون » اي جاحدون . والقول هو الكلام ، ومنه المقول ، وهو اللسان ، لأن صاحبه يقول به . وتقوّل بمعنى كذب ، وقال الكذب . والمقيال المخبر الى نفسه بالقول امراً من خير او شر . والقيل ملك دون الملك الاعظم بلغة حمير ، وجمعه اقيال ، لانه يقول عنه كالوزير .

قوله تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧٦) آية بلا خلاف

في هذه الآية إخبار من الله تعالى عما فعل المستكبرون من قوم صالح وانهم عقروا الناقة التي هي آية الله في الارض ، والعقر الجرح الذي يأتي على اصل النفس ، وهو من عقرا لحوض وهو اصله ، قال الشاعر :

بازاء الحوض او عقره * (١)

ومنه العقار ، لانه اعتقار اصل مال ، لان ثبوته كثبوت الاصل . ومنه العاقر ، لانها قد حدث ما عقر الحال التي يجيء منها الولد ، فأبطل الاصل ، والمعاقرة على الشراب منه ، لانه كالاصل في الثبوت على تلك الحال .

وقوله « وعتوا عن امر ربهم » اي تجاوزوا الحد في الفساد . وقيل العتو الغلو في الباطل - في قول مجاهد - ومنه جبار عات ، والعاتي في الكبر ، منه « وقد بلغت من الكبر عتيا » (٢) اي بلغت حال العاتي كبراً ، والعتو عن الامر هو المخالفة إلا ان في العتو مخالفة على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله .

وقوله « ياصالح ائتنا » إن وصلته همزته ، وان ابتدأته لم تهمز بل تقول (ايتنا) وإنما كان كذلك ، لأن اصله (ائتنا) بهمزتين ، فكره ذلك ، فقلبوا الثانية ياءً على ما قبلها ، فاذا وصل سقطت الف الوصل ، وظهرت همزة الاصل .

وقوله « بما تعدنا » فالوعد الخبر بخير او شر بقرينة في الشر .

وقوله « ائتنا بما تعدنا » أي من الشر ، لانا قد علمنا ما توعدتنا عليه فأت الآن بالعذاب الذي خوفتنا منه ، ومتى تجرد عن قرينة ، فهو بالخير أحق للفصل بين الوعد والوعيد .

قوله تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٧)

---

(١) اللسان (عقر)

فرماها في فرائصها بأزاء الحوض اوعقره

(٢) سورة مريم آية ٧

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ (٧٨) آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية بما حل بثمود من العذاب، فقال فأخذتهم الرجفة، وهي حركة القرار المزعجة لشدة الزعزعة تقول رجف بهم السقف يرجف رجوفاً إذا اضطرب من فوقهم، وقال مجاهد والسدي: الرجفة الصيحة. وقال آخرون هي زلزلة اهلكوا بها، قال الاحظل:

اما تريني حناني الشيب من كبر كالنشر أرجف والانسان مهدودا (١)

وقوله « فاصبحوا في دارهم جاثمين » انما قال (دراهم) على التوحيد لامرين:

احدهما — ان المعنى في بلدهم، وهو واحد.

والآخر — ان معناه في دورهم، وإنما وحد، كما توحد اسماء الاجناس، كقوله « ان الانسان لفي خسر » (٢) والاخذ نقل الشيء عن حاله الى جهة الناقل له، وضده الترك كأخذ الدينار وترك الدرهم. ومعنى « جاثمين » باركين على ركبهم موتى، جثم يجثم جثوماً إذا برك على ركبته. وقيل صاروا رماداً كالرماد الجاثم، لان الصاعقة احرقهم، وقال جرير:

عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدإ الجثوم (٣)

وقوله « فتولى عنهم » يعني ان صالحاً تولى عن قومه، والتولي الذهاب عن الشيء وهو الاعراض عنه، وانما تولى، لانه أقبل عليهم بالدعاء الى توحيد الله وطاعته، فلما خالفوا ونزل بهم العذاب تولى عنهم لليأس منهم وتولاه بمعنى أولاه نصرته ومعونته، ومنه قولهم (تولاك الله بحفظه) وقوله « ومن يتولى الله ورسوله والذين

(١) ديوانه: ١٤٦ وتفسير الطبري ١٢: ٥٤٤ (٢) سورة العصر آية ٢

(٣) ديوانه: ٥٠٧ ومجاز القرآن ١: ٢١٨ وتفسير الطبري ١٢: ٥٤٦

آمنوا » (١) فهو مثل قوله « ان تنصروا الله ينصركم » (٢) اي ان تنصروا دين الله ، وتولى عنه بمعنى اعرض عنه .

وقوله « وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة بي » انما جاز ان يناديهم مع كونهم جاثمين موتى لما في تذكر ما أصارهم الى تلك الحال العظيمة التي صاروا بها نكالا لكل من اعتبر بها وفكر فيها من الحكمة والموعظة الحسنة وقوله « ونصحت لكم » يقال نصحته ونصحت له مثل شكرته وشكرت له ، ومعناه وكنت نصحت لكم « ولكن لاتحبون الناصحين » فمحبة الشيء ارادة الحال الجليلة له عند المريد ، فمن احب الناصح قبل منه ، لنهيه لهم عن ركوب أهوائهم واتباع شهواتهم ، وقد روي انه لم يعذب أمة نبي قط ونبيها فيها ، فلذلك خرج ، فأما إذا اهلك المؤمنون فيما بينهم ، فان الله سيعوضهم على ما يصيبهم من الالام والغموم .

قوله تعالى :

﴿ وَلوطاً إذْ قالَ لِقومِهِ أتأتونَ الفاحِشةَ ما سبقكُمْ بِها مِنْ أحدٍ مِنَ العالمينَ ﴾ (٧٩) آية .

العامل في قوله « ولوطاً » يحتمل ان يكون احد امرين :

احدهما ـ ان يكون عطفاً على ما مضى ، فيكون تقديره وأرسلنا لوطاً .

والثاني ـ ان يكون على تقدير واذكر لوطاً إذ قال لقومه ـ في قول الاخفش ـ ولا يجوز في قصة عاد وثمود إلا (وارسلنا) ، لان فيها ذكر الى .

و (لوط) مصروف لخفته ، لانه على ثلاثة احرف ساكن الاوسط ، ولا ينصرف يعقوب ، لانه أعجمي معرفة .

واختلفوا في اشتقاق (لوط) فقال بعض اهل اللغة إنه مشتق من لطت الحوض

(١) سورة المائدة ٥٩ (٢) سورة محمد آية ٧

اذا الزقت عليه الطين وملسته به ، ويقال هـذا (أولط) بقلبي اي ألصق ، والليطة القشر للصوقه بما اتصل به ، وقال الزجاج : هو اسم غير مشتق ، لان العجمي لا يشتق من العربي ، وانما قال ذلك لانه لم يوجد علماً إلا في اسماء الانبياء .

وقوله « اتأتون الفاحشة » فالفاحشة هي السيئة العظيمة القبح .

وقوله « ما سبقكم بها من احد » فالسبق وجود الشيء قبل غيره . وقيل ماذكر على ذكر قبل قوم لوط ذكره عمرو بن دينار ، فلذلك قال « ما سبقكم بها من احد من العالمين » وبه قال اكثر المفسرين ، قال البلخي يحتمل ان يكون اراد « ما سبقكم بها من احد العالمين » يريد عالمي زمانهم ، كما قال « واني فضلتكم على العالمين » (١) قال : ويحتمل ان يكون ما سبقكم الى ذلك احد على وجه القهر والمجاهرة به على ما كانوا يفعلونه . وقال بعضهم العقل كان يبيح ذلك وانما منع منه السمع . قال البلخي هذا خطأ ، لانه يؤدي الى انقطاع النسل ، ولان الطباع مبنية على الاستنكاف من ذلك ، وان يكون الانسان مفعولا به ، ولو كان الفاعل لذلك غير مقبح لما لحق المفعول به من ذلك وصمة ، كما ان المراة المنكوحة بالعقد الصحيح لا يلحقها بذلك وصمة ولا عيب بلا خلاف . قال ومن حمل نفسه على استحسان ذلك وانه يجوز ان يكون مفعولا به كان ماجنا ملوماً عند جميع العقلاء .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨٠) آية

قرأ اهل المدينة وحفص ههنا « انكم » على الخبر ، وكذلك مذهبه في قراءته ان يكتفي بالاستفهام الاول من الثاني في كل القرآن ، وهو مذهب الكسائي الا

(١) سورة البقرة ٤٧ ، ٢٢ .

في قصة لوط . الباقون بهمزتين ، الثانية مكسورة ، وخففها ابن عامر واهل الكوفة الا حفصا ، والحلواني عن هشام يفصل بينهما بالالف ، وابن كثير وابو عمرو ، وورش تحقق الاولى وتلين الثانية ، وفصل بينهما بالف ابو عمر .

وقال ابو علي : قوله « اتاتون الفاحشة ... انكم لتاتون الرجال » كل واحد من الاستفهامين كلام مستقل بنفسه لا حاجة لواحد منهما الى الآخر ، فاذا كان كذلك ، فمن قرأ (أإنكم) على الاستفهام جعل ذلك تفسيراً للفاحشة ، كما ان قوله « للذكر مثل حظ الانثيين » (١) تفسير للوصية . ومن قرأ على الخبر استأنف ، ومن اراد ان يلين همزة (انكم) فانه يجعلها بين بين ، لان الف الاستفهام بمنزلة المنفصل ، ولولا ذلك لوجب ان يقلب الثانية على ما قبله ، ثم يحذف لالتقاء الساكنين .

ومعنى قوله « انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء » قال الحسن ان قوم لوط كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم ولا ينكحون الا الغرباء ولا ينكح بعضهم بعضاً .

وقوله « شهوة من دون النساء » فالشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة ، وليست كالارادة ، لانها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة . والشهوة من فعل الله ضرورة فينا ، والارادة من فعلنا ، تقول شهيت اشهى شهوة . قال الشاعر :

واشعث يشهى النوم قلت له ارتحل اذا ما النجوم اعرضت واسبكرّت
فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها بكفيك خرت (٢)

وقوله « بل انتم قوم مسرفون » معناه الاضراب عن الاول الى جميع المعايب من عبادة الأوثان واتيان الذكران وترك ما قام به البرهان ، وتقديره انكم مستوفون

(١) سورة النساء آية ١٠ (٢) اللسان (شهى) وتفسير الطبري ١٢ : ٥٤٨ (يشهى النوم) بمعنى يشتهي . و (اسبكرت) امتدت واستقامت واسرعت في مسيحها ورواية الطبري (واسبطرت) بدل (واسبكرت) .

لجميع المعائب اتيان الذكران وغيره ، ويحتمل ان يكون بل لاسرافكم لا تفلحون. والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد .

قوله تعالى:

﴿وما كانَ جواب- قَوْمِهِ إلّا أنْ قالوا أخْرِجوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطهرونَ﴾ (٨١) آية بلا خلاف

الوجـــه في قوله «جواب قومه» بالنصب أنه وقع الاسم بعد (إلا) موقع الايجاب ، وذلك ان ما قبلها إذا كان ايجاباً كان ما بعدها نفياً ، وإذا كان ما قبلها نفياً كان ما بعدها ايجاباً ، والجواب خبر يقتضيه أول الكلام ، والغالب عليـــه جواب النداء والسؤال ، ويكون على وجوه كجواب الجزاء وجواب القسم وجواب (لو)

اخبر الله في هـــذه الآية بما اجاب به قوم لوط (ع) حين قال لهم «انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احـــد من العالمين» كانهم قالوا: بعضهم لبعض «اخرجوهم» يعنون لوطاً وأهله الذين آمنوا به . والاخراج نقل الشيء عن محيط الى غيره ، كما ان الادخال النقل الى محيط عن غيره . وقال الزجاج والفراء : ارادوا اخرجوا لوطاً وابنتيه .

وقوله «من قريتكم» فالقرية هي المدينة ، كما قال ابو عمرو بن العلاء : ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج ، يعني رجلين من اهل المدن إلا انه صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاورة بقرب ضيعة يأوى اليها للاكراء .

وقوله «انهم اناس يتطهرون» قيل فيه قولان :

احدهما – قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : يعني يتطهرون عن ايتان الرجال في الادبار فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به .

الثاني – انه اراد يتطهرون يتنزهون عن افعالكم وطرائقكم .

قوله تعالى :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٣)

آيتان .

اخبر الله تعالى أنه انجى لوطاً ومن معه بمعنى انه خلصه من الهلاك «واهله» يعني المختصين به . والأهل هو المختص بالشيء اختصاص القرابة ، ولذلك قيل اهل البلد ، لأنهم بلزومهم سنكناه قد صاروا على مثل لزوم القرابة . وقوله « الا امرته » استثنى من جملة من انجاه مع لوط من اهله امرأته ، لأن امرأته اراد به زوجته ولا يقال مرؤها بمعنى زوجها ، لانه صار بمنزلة المالك لها . وليست بمنزلة المالكة له . وانما تجري هذه الاضافة التي بمعنى اللام على طريقة الملك .

وقوله « كانت من الغابرين » يعني من الباقين في عذاب الله ـ في قول الحسن وقتادة .

فان قيل : فعلى هذا يجب ان تكون امرأته ممن نجى لانه تعالى قال « كانت من الغابرين » اي الباقين .

قلنا : المعنى انها من الباقين في عذاب الله ، على ما حكيناه عن الحسن وقتادة . وقال قوم معناه انها من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر طويل حتى هرمت فيمن هرم من الناس ، وكانت ممن غبر الدهر عليه قبل هلاك القوم . ثم هلكت فيمن هلك من قوم لوط. وقيل : اراد بذلك من الباقين في عذاب الله، ذكر ذلك قتادة . وانما قلنا انها كانت من الهالكين ، لقوله في سورة هود « انه مصيبها ما اصابهم » (١) ذكر ذلك البلخي والطبري ، فالغابر الباقي . ويقال غبر يغبر غبوراً

(١) سورة هود آية ٨١

وغبراً اذا بقي قال الاعشى :

عض بما ابقى المواسي له من أمه في الزمن الغابر (١)

وقال اخر :

وابي الذي فتح البلاد بصيفه فأذلها لبني ابان الغابر (٢)

وقال الزجاج « من الغابرين » عن النجاة . ومنه الغبرة بقية اثر البياض بعد الامتزاج بغيره من الالوان. وقال الرماني هذا استثناء متصل ، لانه يجوز ان يدخل الزوجة في الاهل على التغليب في الجملة دون التفصيل كما قال «يانوح إنه ليس من اهلك» (٣) ومن اجل التغليب قال « من الغابرين » ولم يقل من الغابرات . ويقوى في نفسي انه استثناء منقطع ، لان الزوجة لا تدخل تحت قولنا الاهل حقيقة ، وقد بينا ذلك في سورة البقرة مستوفاً .

وقوله « وامطرنا عليهم مطراً » وامطرها الله امطاراً . وقيل امطر عليهم حجارة من سجيل ، وهذا اخبار من الله تعالى عما انزله الله بقوم لوط من العذاب .

وقوله « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » امر للنبي (ص) والمراد به جميع المكلفين بأن يتفكروا في ذلك ويعلموا كيف كان عاقبة المجرمين يعني الى ما صار اليه عاقبة هؤلاء العاصين . و (كيف) سؤال عن حال إلا انها تقع في التسوية ، لان فيها ادعاء . واذا قال القائل كيف هو معناه قد علمت ما يطلبه الطالب كيف هو من حاله. والعاقبة آخر ما تؤدي اليه التادية ، واصله كون الشيء في اثر الشيء ومنه العقاب ، لانه يستحق عقيب الذنب ، ومنه العقاب لانه يعقب على صيده لشدته ، والعقب ، لانه عقب به بشدة شيئاً بعد شيء . والاجرام اقتراف السيئة ، اجرم اجراماً اذا اذنب والجرم الذنب ،

(١) ديوانه : ١٠٦ ومجاز القرآن ١ : ٢١٩ وتفسير الطبري ١٢ : ٥٥١ واللسان (غبر) (٢) قائله يزيد بن الحكم بن ابي العاص خزانة الادب ١ : ٥٥ وتفسير الطبري ١٢ : ٥٥٢ (٣) سورة هود آية ٤٦

واصله القطع فالمجرم منقطع عن الحسنة الى السيئة ، وفائدة الآية الاخبار عن سوء عاقبة المجرمين بما انزل عليهم عاجلا من عذاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة بالنيران .

قوله تعالى :

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٨٤) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدم والتقدير فيها فارسلنا « الى مدين » وهي قبيلة ، قال ابو اسحاق اصله مديان وهو مديان بن ابراهيم وهؤلاء ولده . و (مدين) لاينصرف ، لانه معرب في حال تعريفه . والعلة المانعة من الصرف هي العجمة والتعريف وقال الزجاج : لانه اسم قبيلة وهو معرفة وجائز ان يكون اعجمياً .

وقوله « اخاهم شعيباً » نسب اليهم بالاخوة في النسب دون غيره . وقال لهم « قد جاءتكم بينة من ربكم » يعني اتتكم حجة من الله تعالى ومعجزة دالة على صدق قوله ، وأخبر انه امرهم بأن يوفوا الكيل والميزان . والايفاء إتمام الشيء الى حد الحق فيه . ومنه ايفاء العهد ، وهو اتمامه بالعمل به . والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه . والوزن تقدير الشيء بالميزان ، والمساحة تقدير الشيء بالذراع او ما زاد عليه او نقص . « ولا تبخسوا الناس اشياءهم » نهي من شعيب اياهم عن بخس الحقوق وتنقيصها في الكيل والميزان وغيرها ، والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق تقول : بخس يبخس بخساً فهو باخس . والبخص بالصاد فقأ العين . وقال قتادة والسدي : البخس الظلم ، ومنه المثل (تحسبها حمقاء وهي باخسة) .

وقوله « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها » يعني بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم. والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا عن حال ينتفع بها ، وضده الاصلاح ، والمعنى لا تخرجوا الى العمل في الارض بالقبائح بعد ان اصلحها الله بالمحاسن .

وقوله « ذلكم » اشارة لقومه الى ما امرهم به ونهاهم عنه بأن امتثاله والانتهاء اليه خير لهم واعود عليهم ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله وانما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيراً على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمناً بالله ، وعارفاً بنبيه لم يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له وكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلك خير لكم . ويحتمل ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والميزان إلا بعد ان تكونوا مؤمنين . قال الفراء: لم يكن لشعيب آية على النبوة . قال الزجاج وغيره هذا غلط ، لانه قال « قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا » فجاء بالفاء جواباً للجزاء ، فكيف ، يقول « قد جاءتكم بينة » ولم يكن له آية على النبوة ، فان كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها لأنه لو ادعى النبوة من غير آية لم يقبل منه . وآيات شعيب وان لم يذكرها الله في القرآن لا يجب ان يقال : لا آية له ، لان نبينا (ص) لم يذكر الله آياته كلها في القرآن ولا اكثرها . وان كانت له آيات كثيرة ، ولم يوجب ذلك نفيها .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٨٥) آية بلا خلاف .

قيل في معنى قوله « ولا تقعدوا » بكل صراط توعدون قولان :

احدهما — قال ابن عباس والحسن ، وقتادة ومجاهد انهم كانوا يقعدون على

طريق من قصد شعيباً للايمان به فيخوفونه بالقتل . وقال ابو هريرة انما نهاهم عن قطع الطريق .

وقوله « بكل صراط توعدون » يجوز فيه تعاقب حروف الاضافة بأن يقول على كل صراط . وفي كل صراط ، لان معاني هذه الحروف اجتمعت فيه ههنا ، كما تقول قعد له بكل مكان ، وعلى كل مكان . وفي كل مكان ، لان الباء للالصاق ، وهو قد لاصق المكان ، و (على) للاستعلاء وهو قد علا المكان و (في) للمحل وهو قد حل المكان . ويقال قعد عن الامر بمعنى ترك العمل به كائناً ما كان . وقام به اذا عمل به كالقعود عن الواجب ونحوه . ومعنى الابعاد الاخبار بالعذاب على صفة من الصفات ، وهو الوعيد والتهديد ، فاذا ذكر المتعلق من الخير او الشر قلت وعدته كذا ، كما قال تعالى « النار وعدها الله الذين كفروا » (١) واذا لم يذكر قيل في الخير وعدته ، ، وفي الشر اوعدته . وتقول وعدته خيراً بلا باء واوعدته بالشر باثبات الباء .

وقوله « وتصدون عن سبيل الله » فالصد هو الصرف عن الفعل بالاغواء فيه ، كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة . تقول : صده عن الأمر يصده صداً ، وهو كالمنع .

وقوله « من آمن به » (من) في موضع نصب ، لأنه مفعول به ، وتقديره وتصدون المؤمنين بالله عن اتباع دينه ، وهو سبيل الله .

وقوله « وتبغونها عوجاً » فالهاء راجعة الى السبيل . ومعنى « تبغون » (تطلبون) والبغية الطلبة : بغاه يبغيه بغية . والمعنى - ههنا - وتبغون السبيل عوجاً عن الحق ، وهو ان يقولوا هذا كذب وباطل ، وما اشبه ذلك ، وهو قول قتادة . والعوج بكسر العين - في الدين وكل ما لا يرى - وبفتح العين - في العود ،

(١) سورة الحج آية ٧٢

وكل ما يرى كالحائط وغيره.

وقوله «واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم» قال الزجاج: يحتمل اشياء:

احدها - اذكروا نعمة الله عليكم اذ كثر عددكم.

وثانيها - انه كثركم بالغنى بعد الفقر.

وثالثها - كثركم بالقدرة بعد الضعف ووجهه انهم كانوا فقراء وضعفاء، فهم بمنزلة القليل في قلة الغناء.

وقوله «فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين» معناه فكروا فيما مضى من اهلاك من تقدم بأنواع العذاب وانزال العقوبات بهم واستئصال شأفتهم وما فعل الله بالمفسدين، وكيف كان عاقبتهم في ذلك وما حل بهم من البوار.

قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٦)

آية بلا خلاف.

الطائفة الجماعة من الناس، وهو من الطوف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف، وقد يكون جماعة الكتب والدور ونحو ذلك

وقوله «وطائفة لم يؤمنوا» انما جاز أن يخبر عمن لم يؤمن بأنهم طائفة وإن كانوا هم الاكثر لتقابل قوله «طائفة منكم آمنوا» ولأن من حق الضد ان يأتي على حد ضده، كما تقول: ضربت زيداً وما ضربت زيداً، وانما ذكر طائفة، لانه راجع الى الرجال وإن كان اللفظ مؤنثاً فغلب فيه المعنى في هذا الموضع ليدل على معنى التذكير، والمعنى ان شعيباً قال لقومه: انكم ان انقسمتم قسمين، ففرقة آمنت وفرقة كفرت، فاصبروا

حتى يحكم الله بيننا ، على وجه التهديد لهم والانكار على من خالف منهم ، والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع واصله الحبس ومنه قوله (ع): (اقتلوا القاتل واصبروا الصابر) ومنه قيل للسيء صبر ، لانه يحبس النفس عن لفظه ليداويه . والحكم المنع من الخروج عن الحق بدعاء الحكمة اليه من جهة معروفة اوحجة ، وأصله المنع قال الشاعر :

أبنى حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا (١)

و « خير الحاكمين » (٢) لانه لايجوز عليه الجور ، ولا المحاباة في الحكم ، وانما علق جواب الجزاء بالصبر ، وهو لازم على كل حال ، لان المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب ، كأنه قال فانتم مصبورون على حكم الله بذلك . قال البلخي أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والتوعد عليه ، والكف عن ذلك خير ورشد ، ولم يأمرهم بالمقام على كفرهم والصبر . وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكافرين كفراً ومعصية ، كما يذهب اليه بعض أهل النظر .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (٨٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن الملأ ، وهم الجماعة الاشراف والرؤساء من قوم شعيب الذين استكبروا ، ومعناه امتنعوا من اتباع الحق أنفة عن الداعي اليه ان

(١) مر هذا البيت فى ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٨٨ وسيأتى فى ٥ : ٥١٢

(٢) سورة يونس آية ١٠٩ وسورة يوسف آية ٨٠

يتبعوه فيه ، وتكبروا عليه جهلا منهم بمنزلة الحق ومنزلة الداعي اليه، اذ أنهم قالوا لشعيب واقسموا « لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا » .

وقيل في معنى (لتعودن) قولان :

احدهما - على توهمهم انه كان فيها على دين قومه .

الثاني - ان الذين اتبعوا شعيباً قد كانوا فيها . وقال الزجاج : وجائز ان يقال قد عاد علي من فلان مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك أي لحقني منه مكروه ، ووجه هذا انه قد كان قبل ذلك في قصده لي كأنه قد اتى مرة بعد ، مرة وقال الشاعر :

لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب (١)

والعود هو الرجوع ، وهو مصير الشيء الى الحال التي كان عليها قبل ، ومنه اعادة الخلق ،وقوله تعالى «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » (٢)وتستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة ، وفي فعل مثله مجازاً ، وكلاهما يسمى اعادة ، لكن لما كان مثله كأنه هو في انه يقوم مقامه جرت عليه الصفة كقولك اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله .

وقوله « او لو كنا كارهين » حكاية لما قال شعيب لامته من انه لا يعود في ملتهم إلا ان يكون على وجه الاكراه منهم لذلك وأنهم يريدون ان يردوا المؤمنين الى مثل ماهم عليه من المعاصي مع كراهتهم لذلك ويقينهم لبطلانه ، فبين بهذا أنا مع كراهتنا لذلك مع ما عرفناه من بطلانه لا نرجع ،وتقديره أتعيدوننا في ملتكم وإن كرهناها ؟ فأدخل الف الاستفهام على (ولو) .

(١) مر تخريجه في ٢ : ٣١٥ (٢) سورة الانعام آية ٢٨

قوله تعالى :

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٨٨) آية بلاخلاف .

في هذه الاية اخبار من الله عما قال شعيب لقومه من انه قد افترى هو ومن آمن به على الله كذباً إن عاد في ملتهم بأن يحلوا ما يحلونه ، ويحرموا مايحرمونه وينسبونه الى الله بعد إذ نجاهم الله منها .

والافتراء الكذب ، ومنه الافتعال ، والاختلاق وهو القطع بخبر مخبره لاعلى ماهو به ، مشتقاً من فري الاديم تقول فريت الأديم أفريه فرياً .

والملة الديانة التي تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة . والأصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطأ ، ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر . والملة الرماد الحار يدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها ، ومنه المليلة من الحمى . والملة لتكرر العمل فيها على ما تأتي به الشريعة .

وقوله « بعد اذ نجانا الله منها » باقامة الدليل والحجج على بطلانها ، وعلمنا بذلك وانتهائنا عنها . وقوله « ربنا افتح » قال ابن عباس: ما كنت ادري معنى قوله « ربنا افتح » حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن تقول تعالى حتى افاتحك يعني اقاضيك .

وقوله « وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا » اخبار عن قول شعيب لهم أنه ليس له ان يعود في ملتهم ، ويرجع فيها الا بعد مشيئة الله ذلك . وقيل

في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه لايشاء تعالى عبادة الاصنام ، والاوثان ثلاثة اقوال :

احـــدها - ان في ملتهم اشياء كان يجوز ان يتعبد الله بها ، فلو شاءها منهم لوجب عليهم الرجوع فيها .

الثانى - انه اذا فعل ما شاء الله كان ذلك طاعة لله تعالى .

الثالث - انه علق ما لايكون بما علم انه لايكون على وجه التبعيد ، كما قال الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت اهلى وصار القار كاللبن الحليب (١)

وكما قال تعالى « حتى يلج الجمل في سم الخياط » (٢) وجه ذلك هنا - انه كما لايشاء الله عبادة الاصنام والقبائح - لان ذلك لا يليق بحكمته - فكذلك لا أعود في ملتكم .

وقال قوم : فيه وجه رابع ، وهو ان الهاء في قوله « فيها » راجعة الى القرية ، وكأنه قال وما يكون لنا ان نعود في قريتكم غانمين لكم ظاهرين عليكم بعد اذ نجانا الله منها بخروجنا منها سالمين إلاان يشاء الله ان ينصرنا عليكم ويشاء منا الرجوع فيها .

وقوله « وسع ربنا كل شيء علماً » نصب علمـــا على التمييز . وقيل في وجه ايصال ذلك بما قبله قولان :

احدهما - ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما في معلومه من مصلحة العباد بها ، فهو تعالى لايخفى عليه ذلك .

والثاني - انه عالم بما يكون منا من عود او ترك دوننا ، ثم حكى عن شعيب انه قال لهم « على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » سؤال من شعيب ورغبة منه اليه تعالى ان يحكم بينه وبين قومه بالحق ، والفتح القضاء . ومعنى افتح اقض

(١) مر في ٤ : ٤٣٠ (٢) آية ٣٩ من هذه السورة

في قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي - والحاكم الفاتح والفتاح ، وفاتحته في في كذا قاضيته . وانما قيل ذلك ، لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره .

وقوله « بالحق » فيه وجهان :

احدهما - سؤال الله ما يجوز عليه ، كما قال في موضع آخر « رب احكم بالحق » (١) .

والاخر - ما ينكشف به لمخالفينا أنا على الحق من انزال العذاب عليهم ، وقال الفراء : اهل عمان يسمون الحاكم الفتاح . قال الشاعر :

ألا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحكم غني (٢)

أي قضائكم وحكمكم ، وقال الجبائي معنى « افتح بيننا وبين قومنا » انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم بالله وظلمهم المؤمنين . وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة ، لانه قال وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله فعلم ان لهم الرجوع فيها اذا شاء الله فاذا لم يشأ لم يكن ذلك فيجب على هذا ان كان الله يريد الكفر ان يكون للكافر الرجوع في الكفر ، وهذا لا يقوله احد ، فبطل ما قالوه على ان الظاهر من معنى الملة هو ما يعلم بالشرع ، وذلك يجوز ان ينسخه الله فيريد منهم الرجوع فيه ، وليس لاحد أن يقول إن قوله « بعد اذ نجانا الله منها » لا يليق بما قلتم وانما يليق بما قالوه . وذلك ان قوله « بعد اذ نجانا الله منها » معناه على هذا القول أزاله عنا ونسخه عنا ، فان شاء أن يعيدنا ثانيا جاز لنا الرجوع فيها .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا

(١) سورة الانبياء آية ١١٢

(٢) تفسير الطبري ١٢ : ٥٦٤ وقد مر في ١ : ٣١٥ ، ٣٤٥

إنكم إذاً لخاسرون ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

في هذه الاية حكاية ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بايات الله ولنبوة شعيب للباقين منهم واقسموا عليهم « لئن اتبعتم شعيباً » وانقدتم له ورجعتم الى امره ونهيه ـ لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا اليه تقول : اتبعه اتباعا وتبعه تبعاً ، وهو متبع وتابع ـ « انكم اذاً لخاسرون » وقوله « انكم » جواب القسم واللام في (لخاسرون) لام التاكيد في خبر (ان) و (الخسران) ذهاب رأس المال ، فكانهم قالوا لئن تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله او اعظم من ماله ، لانكم لا تنتفعون باتباعه فتخسرون في اشتغالكم بما لا تنتفعون به وبانقضاء عمركم إذ لم تكسبوا فيه نفعاً لانفسكم .

وقيل معناه : لهالكون ، وقيل لمفتونون .

و (اذا) من عوامل الافعال ، وانما دخلت — ههنا — على الاسم ، لانها ملغاة ، وإذا ألغيت من العمل ، صلح ذلك فيها ، لانها حينئذ تجري مجرى الف الاستفهام في انها لا تختص ، لانها لا تعمل .

وقوله « انكم اذاً لخاسرون » جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله « لئن » ولا يجوز قياساً على ذلك إن اتاك زيد إنه لكريم ، لان جواب الشرط إنما هو بالفعل او الفاء لترتب الثاني بعد الاول بلا فصل .

قوله تعالى:

﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٩٠)

آية بلا خلاف .

قد مضى تفسير مثل هذه الاية فلا معنى لاعادته . (١) والفاء في فأخذتهم عطف على قوله « قال الملأ » وفيها معنى الجواب كأنه قيل : كان جواب ما ارتكبوا من عظيم الفساد اخذ الرجفة لهم بالعذاب واخذ الرجفة إلحاقها بهم مدمرة عليهم ، ولا يقال اخذتهم الرحمة ، لأن العذاب لما كان يذهب بهم اهلاكاً ، صلح فيه الأخذ ولا يصلح في النعيم.

والرجفة الزلزلة ، وهي حركة تزلزل الاقدام وتوجب الهلاك لشدتها . والاصباح الدخول في الصباح ، والامساء الدخول في المساء ويستعمل على وجهين : احدهما ـ ما يحتاج الى خبر والاخر ـ مكتف بالاسم بمنزلة (سواء) والجثوم البروك على الركبة ، جثم يجثم جثوماً ، وقد جثم هذا الامر على قلبي أي ثقل عليه لثبوته على تلك الحال

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٩١) آية بلا خلاف .

« الذين » الاولى في موضع رفع بأنه مبتدأ وخبره « كان لم يغنوا فيها » .

وهو اخبار من الله تعالى عن حال هؤلاء الكفار الذين كذبوا شعيباً . وشبههم بمن لم يغن فيها ، ومعنى « لم يغنوا » لم يقيموا أقامة مستغن بها عن غيرها والغاني النازل ، والمغاني المنازل ، وغنى بالمكان اذا اقام به يغنى غناء وغنياً ، وقال النابغة :

غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد (٢)

وقال اخر :

ولقد تغنى بها جيرانك الـ ـ ممسكوا منك بعهد ووصال (٣)

---

(١) فى تفسير آية ٧٧ من هذه السورة ص ٤٨٥ (٢) سيأتى هذا البيت فى ٥ : ٤١٧

(٣) قائله عبيدة بن الابرص ديوانه : ٥٨ ومختارات بن الشجرى ٢ : ٣٧ والخصائص لابن جنى ٢ : ٢٥٥ والمصنف ١ : ٦٦ وخزانة الادب ٣ : ٢٣٧ . وروى (الوصال)

وقال روبه :

وعهد مغني رمته بضلفعا (١)

وقال حاتم طي :

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر (٢)

ووجه التشبيه في قوله « كان لم يغنوا فيها » أن حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط في تلك الديار ، لما اخذتهم الرجفة بالاهلاك وهذا مما يتحسر عليه الناس اعظم الحسرة كما قال الشاعر :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر (٣)

وانما أعيد ذكر (الذين) دفعة ثانية من غير كناية لتغليظ الامر في تكذيبهم شعيباً مع بيان انهم الذين حصلوا على الخسران ، لا من نسبوه الى ذلك من أهل الايمان.

و (هم) في قوله « هم الخاسرون » فصل ، ويسميه الكوفيون عماداً ، وإنما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف ، لانه يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه في النفس ، وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر ، وان كان الاصل في الخبر النكرة .

وهذه الآية جواب لقولهم « لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون » فبين الله في هذه الآية ان الخاسرين هم الذين كذبوه لا الذين اتبعوه .

---

(١) ديوانه : ٨٧ وتفسير الطبري ١٢ : ٥٧٠

(٢) مجمع البيان ٢ (صيدا) ٤٥٠ واللسان (صعلك) (٣) قيل انه لعمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو . وقيل هو للحارث الجرهمي اللسان (حجن)

قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾(٩٢)

هذا اخبار من الله تعالى عما فعل شعيب (ع) مع قومه لما ابلغهم رسالات ربه تعالى ، فلما لم يقبلوها واقاموا على تكذيبه وجحد ما اتى به، أنه تولى عنهم ومعناه اعرض عنهم اعراض آيس منهم فنزل بهم العذاب « فتولى عنهم » لانه كان مقبلا عليهم بالوعظ والدعاء الى الحق فلما تمادوا في غيهم واخذهم الله ببأسه تولى عنهم ، وانما قال لمن هلك « لقد ابلغتكم رسالات ربي » لأن معناه إن ما نزل بكم من البلاء وان كان عظيماً، فهو حق ، لانه بجنايتكم على انفسكم ، فلا ينبغي ان يحزن عليهم للامور التي ذكرناها من شأنهم .

قال ابن اسحاق عزّى نفسه عنهم بعد أن كان حزن عليهم .

وقوله « رسالات ربي » إنما اتى بلفظ الجمع ليدل على اختلاف معاني الرسالة إذا جمعت ، فهي تجري مجرى جمع الاجناس ، كقولك تمور واما ضربات فانما يدل على عدد المرات .

وقوله « فكيف آسى » أحزن في قول ابن عباس والحسن والسدي ، والاسى شدة الحزن يقال اسى ياسى أسى قال الشاعر :

وانحلبت عيناه من فرط الاسى (١)

وقال امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك اسى وتجمل (٢)

---

(١) مر تخريجه فى ٣ : ٥٧٨ (٢) ديوانه : ١٤٤ من معلقته الشهيرة التى مطلعها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقوله فكيف « آسى » لفظه لفظ الاستفهام والمراد به النفي ، وانما كان كذلك ، لان جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي ، كما يدخله معنى الانكار لهذه العلة . قال العجاج :

اطرباً وانت قنسري (١)

اي لا يكون ذلك مع كبر السن ، وهذا تسل من شعيب (ع) بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأدية رسالة ربه اليهم ، وانه لا ينبغي ان يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة طغيانهم ، وانه لا حيلة في فلاحهم ، قال البلخي وفي ذلك دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير كما يقول لعن الله فلاناً وأخزاه ثم يقول هداه الله وارشده ورحمه . وقال ابو عبد الله البجلي « ابو جاد » وهواز ، وحطي ، وكلمون ، وصعفص ، وقرشت : اسماء ملوك مدين ، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب (كلمون) فقالت اخت كلمن تبكيه :

كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحلة
سيد القوم اتاه الـ ... ـحتف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم ... دارهم كالمضمحله (٢)

قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ (٩٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لم يرسل رسولا الى اهل قرية الا واخذ اهلها بالباساء والضراء تغليظاً في المحنة وتشديداً للتكليف ليلين قلوبهم ، ولكي يتضرعوا الى ربهم في كشف ما نزل بهم في ذلك ، وانما يفعل بهم ذلك لعلمه بما لهم فيه من

(١) مر تخريجه في ٤ : ٣٧٧ (٢) تفسير الطبري ١٢ : ٥٦٨

الصلاح لكي يتضرعوا. والقرية اصلها الجمع من قولهم قريت الماء أقريه قرياً اذا جمعته فالقرية مجتمع الناس في المنازل المتجاورة مما هو دون المدينة، وكذلك تسمى المدينة أيضاً قرية. والنبي هو الذي يؤدي عن الله تعالى بلا واسطة من البشر ، وقيل هو من كان ينبيء بالوحي من الله تعالى مما انزله عليه .

وقيل في معنى « الباساء والضراء » ثلاثة اقوال :

احدها - ان البأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم، والضراء ما نالهم في اموالهم

والثاني - ما قال الحسن: ان الباساء الجوع ، والضراء الالام من الامراض والشدائد التي تصيبهم .

الثالث - قال السدي : ان البأساء الجوع والضراء الفقر .

وقيل في معنى « لعلهم » قولان :

احدهما - إنا عاملناهم معاملة الشاك في ايراد اسباب التضرع مظاهرة عليهم في الحجة.

الثاني - ان يكون (لعل) بمعنى اللام وتقديره ليضرعوا . واصل « يضرعون » يتضرعون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء ، لان في التاء استطالة وانما يدغم الناقص في الزائد، ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الاخلال .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٩٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية أنه بدل مكان السيئة الحسنة « وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء » ومعناه انه تعالى بعد ان يفعل بهم الباساء والضراء ليتضرعوا

يبدل مكان السيئة الحسنة .

والتبديل وضع احد الشيئين مكان الاخر ، فلما رفعت السيئة عنهم ووضعت الحسنة كانت مبدلة بها .

وقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد : المراد بالسيئة والحسنة ههنا الشدة والرخاء وهو ما يسؤ صاحبه او يحسن اثره عليه .

وقال ابو علي : جرى في هذا الموضع على سبيل المثل .

وقوله « حتى عفوا » قال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد : معناه حتى كثروا .

وقال الحسن حتى سمنوا ، وأصله الترك من قوله « فمن عفي له من اخيه شيء »(١) أي ترك له ، وعفوا تركوا حتى كثروا وقال الشاعر :

ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم (٢)

وقوله « وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء » معناه ان الكفار قال بعضهم لبعض ان هكذا عادة الدهر ، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فلم ينفكوا عن تلك الحال فينتقلوا .

وقوله « فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون » اخبار من الله تعالى انه أخذ من ذكره ممن لم يقبل مواعظ الله وخرج عن طاعته الى عداوته « بغتة » يعني فجاءة وهي الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة تقول بغته يبغته بغتة ، كما قال الشاعر :

* وافظع شيء حين يفجؤك البغت * (٣)

ومعنى الاية أنه تعالى يدبر خلقه الذين يعملون بمعاصيه أن يأخذهم تارة بالشدة وأخرى بالرخاء ، فاذا فسدوا على الامرين جميعاً أخذهم بغتة ليكون ذلك أعظم في

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ (٢) مر تخريجه في ٢ : ٢١٤

(٣) مر تخريجه في ٤ : ١٢٢

الحسرة، وأبلغ فى باب العقوبة .

ومعنى قوله « وهم لا يشعرون » أي لم يشعروا بنزول العذاب إلا بعد حلوله

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر « لفتحنا » بتشديد التاء . الباقون بتخفيفها .

من شدد ذهب الى التكثير ، ومن خفف ، فلانه يحتمل القلة والكثرة .

ومعنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره ، و(لولا) معنـــاه امتناع الشيء لوجود غيره . وقال الرماني: معنى (لو) تعليل الثاني بالاول الذي يجب بوجوبه ، وينتفي بانتفائه على طريقة إن كان ، و (ان) فيها هذا المعنى على طريقة يكون . والفرق بين (لو) و (ان) ان (إن) تعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك إن آمن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك (لو) لانها قد تدخل على مالا يمكن أن يكون كقولك لوكان الجسم قديما لاستغنى عن صانع .

وفتحت (ان) بعد (لو) لانها مبنية على شبه التعليل اللفظي لاختصاصه بالفعل الماضي ، فكأنه قيل لوكان ان اهـل القرى آمنوا ، وصارت (لو) خلفا منه . واما (لولا انه خارج لأتيته) فتشبه (لو) من جهة تعليق الثاني بالاول فأجريت مجراها .

يقول الله تعالى « لو أن اهل » هذه « القرى » التي اهلكناها : من قوم لوط ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم، أقروا بوحدانيتي وصدقوا رسلي « لفتحنا عليهم بركات » وهي الخيرات العامية ، وأصله الثبوت فنمو الخير يكون كناية عن ثبوته بدوامه ،

فبركات السماء بالقطر ، وبركات الارض بالنبات والثمار ، كما وعد نوح بذلك أمته، فقال « يرسل السماء عليكم مدراراً ....» (١) الايات . وقيل بركات السماء اجابة الدعاء ، وبركات الارض تيسير الحوائج « ولكن كذبوا » يعني كذبوا برسلي فأخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصي ومخالفتي .

والكسب العمل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس ، وقد يكسب الطاعة ، ويكسب المعصية اذا اجتلب النفع من وجه يقبح . قال البلخي : وفي الآية دلالة على ان المقتول ظلماً لو لم يقتل لم تجب اماتته ، لأنه تعالى قال « لو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » وهذا إنما يقوله لقوم أهلكهم ودمر عليهم ، وقد كان عالماً بما ينزل بهم من الهلاك ، فأخبر انهم لو آمنوا لم يفعل بهم ذلك ، ولعاشوا حتى ينزل عليهم بركات من السماء فيتمتعوا بذلك .

قوله تعالى :

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٦) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩٧) آيتان

القراءة والاعراب :

قرأ اهل المدينة وابن عامر (أو) بسكون الواو إلا ان ورشاً على اصله في القاء حركة الهمزة على الساكن فتصير قراءته مثل قراءة الباقين .

الالف في قوله « أفامن أهل » الف الانكار ، أنكر عليهم ان يأمنوا ، وانما دخل حرف الاستفهام معنى الانكار لظهور المعنى فيه وأن الجواب عنه لايكون إلا بالنفي .

---

(١) سورة هود آية ٥٢ وسورة نوح آية ١١ وفي سورة الانعام آية ٦ «وارسلنا السماء عليهم مدراراً ....»

والفاء في قوله « أفأمن » فاء العطف دخل عليها حرف الاستفهام ، وانما جاز ذلك مع منافات العطف للاستئناف ، لانهما إنما يتنافيان في المفرد ، لأن الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الاول ، والاستئناف قد اخرجه عن ان يكون منه . وأما في عطف جملة على جملة فيصح ، لانه على استئناف جملة بعد جملة .

اللغة :

و (الأمن) سكون النفس الى الحال المأمونة لانزعاجها . والأمن والثقة والطمأنينة نظائر في اللغة ، وضد الأمن الخوف ، وضد الثقة الريبة ، وضد الطمأنينة الانزعاج . والامن الثقة بالسلامة من الخوف . والبأس العذاب ، والبؤس الفقر ، والاصل الشدة ، ورجل بئس شديد في القتال ، ومنه قولهم بئس الرجل زيد ، معناه شديد الفساد . والنوم نقيض اليقظة ، والنوم سهو يغمر القلب ويغشى العين ، ويضعف الحس وينافي العلم . نام الرجل ينام نوماً وهو حسن النيمة اذا كان حسن هيئة النوم ، ورجل نؤمة — بسكون الواو — اذا كان خسيساً لا يؤبه به — ذكره الزجاج — ورجل نومه — بفتح الواو — كثير النوم ، والنيم : فرو النوم ، لانه يغشى كما يغشى النوم أو لانه من شأنه ان ينام فيه .

المعنى :

ومعنى الاية الابانة عما يجب ان يكون عليه العبد من الحذر لبأس الله وسطوته ، بالمسارعة الى طاعته واتباع مرضاته . والمعني بقوله « اهل القرى » هم اهل القرى الظالم أهلها ، والمقيمون على معاصي الله في كل وقت وكل أوان ، وان نزلت بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن النبي (ص) .

وقوله « اوأمن أهل القرى » انما قال ههنا بالواو ، وفي الاية الاولى بالفاء ، لان الفاء تدل على ان الثاني ادى اليه الاول ، كانه قيل أفامنوا ان يأتيهم بأس الله من

أجل ماهم عليه من تضييع امر الله ، لانه يشبه الجواب ، وليس كذلك الواو بل هي لمجرد العطف، وانما دخلت الف الاستفهام عليها للانكار على ما بيناه ، والواو مفتوحة في « أو أمن » لانها واو العطف دخل عليها حرف الاستفهام ، وانما فتحت ، لانها اخف الحركات ، ولمثل ذلك فتحت الف الاستفهام وكسرت باء الاضافة ولامها ، لانهما حرفان لازمان لعمل الجر . ومن قرأ هذه القراءة قال لانها أشبه بما قبلها ، وما بعدها ، لانه قال قبلها « أظمن » وقال بعدها « اولم يهد » ومن سكن الواو اراد الاضراب عن الاول من غير ان يبطل الاول ، لكن كقوله « الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه » (١) فجاء هذا على معنى أمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم ، وإن شئت جعلته مثل (او) التي في قولك ضربت زيداً او عمراً ، كأنك أردت اأمنوا احدى هذه العقوبات ، و (او) حرف يستعمل على ضربين :

احدهما – بمعنى احد الشيئين ، كقولك جاءني زيد او عمرو ، كما تقول جاءني احدهما ، ومن ذلك قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ، لانه مخير في مجالسة ايهما شاء .

والثاني – ان يكون بمعنى الاضراب بعد الخبر كقولك انا اخرج . ثم تقول او اقيم، فتضرب عن الخروج وتثبت الاقامة ، كأنك قلت : لا، بل اقيم . ومن ثم قال سيبويه في قوله «ولا تطع منهم آثما او كفوراً »(٢) لو قلت ولا تطع كفوراً انقلب المعنى وانما كان ينقلب المعنى ، لانه لو كان للاضراب لجاز ان يطيع الآثم وذلك خلاف المراد ، لان الغرض لا تطع هذا الضرب ، ولا تطع هؤلاء .

اللغة والمعنى :

و(الضحى) صدر النهار في وقت انبساط الشمس وأصله الظهور من قولهم ضحا

(١) سورة الم السجدة آية ١ – ٣ (٢) سورة الدهر آية ٢٤

الشمس يضحو ضحوا إذا ظهر . وفعل ذلك الامر ضاحية اذا فعله ظاهراً والا ضيحة من هذا ، لانها تذبح عند الضحى يوم العيد ، قال روبة :

* هابي العيشي ديسق ضحاؤه * (١)

وقال آخر :

* عليه من نسج الضحى شفوف * (٢)

فشبه السراب بالسور البيض . (واللعب) هو العمل للذة لا يراعى فيه الحكمة كعمل الصبي ، لانه لا يعرف الحكيم ولا الحكمة ، وانما يعمل للذة . واصله الذهاب على غير استقامة ، كلعاب الصبي إذا سال على فيه ، وانما خص وقت الضحى بهذا الذكر ، لانهم بمنزلة لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلا ولا نهاراً - في قول الحسن - ولانه ابتداء الدخول في الاستمتاع .

ومعنى الآية البيان عن وجوب الاخذ بالحزم في كل ما لا يؤمن معه هلاك النفس ، لانكار الله عليهم ان يكونوا على حال الامن وقد ضيعوا الواجب من الامر

قوله تعالى :

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(٩٨) آية بلا خلاف .

انما دخلت الفاء في « أفامنوا » بعد الواو في « اوامن » لان فيها معنى (بعد) كأنه قيل أبعد هذا كله أمنوا مكر الله . ثم صار الفاء في « فلا يأمن مكر الله » كانها جواب لمن قال قد أمنوا ، و المكر اخذ العبد بالضر من حيث لا يشعر إلا انه قد كثر استعماله في الحيلة عليه ، قال الخليل : المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار ، وانما جاز اضافة المكر الى الله لما في ذلك من المبالغة من جهة انه قد صار العذاب كالمكر

(١ ، ٢) اللسان (ضحا)

على الحقيقة ، لأنه اخذ للعبد بالضر من حيث لا يشعر ، وأصل المكر الالتفاف فمنه ساق ممكورة أي ملتفة حسنة قال ذو الرمه :

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والعصب (١)

والمكور شجر ملتف قال الراجز :

* يستن في علق وفي مكور * (٢)

ورجل ممكور قصير ملتف الخليقة ذكره الخليل في هذا الباب تقول : مكر يمكر مكراً اذا التف تدبيره على مكروه لصاحبه .

وقوله « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » انما ارتفع ما بعد (الا) لأن الرافع مفرغ له ، فارتفع ، لأنه فاعل وكلما فرغ الفعل لما بعد (الا) فهي فيه ملغاة ، وكل ما شغل بغيره ، فهي فيه مسلطة ، لأن الاسم لا يتصل على ذلك الوجه إلا بها ، وانما قال « لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » مع ان الانبياء المعصومين يأمنون ذلك لامرين :

احدهما — انهم لا يأمنون عقاب الله للعاصين ، ولذلك سلموا من مواقعة الذنوب

الثاني — « فلا يامن مكر الله » من المذنبين « الا القوم الخاسرون » ومعنى الآية الابانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله ، ليسارع الى طاعته واجتناب معاصيه ، ولا يستشعر الامن من ذلك ، فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتهالك في القبائح .

قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٣٣٣ وسيأتي في ٥ : ١٢٨ من هذا الكتاب .

(٢) قائله العجاج . اللسان (مكر) ، (علق)

لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ (٩٩) آية بلا خلاف .

قيل في فاعل « يهد » في حكم الاعراب قولان :

احدهما ـ انه مضمر ، كأنه قيل اولم يهد الله لهم ، وقوي ذلك بقراءة من قرأ بالنون على ، ماذكره الزجاج .

الثاني ـ اولم يهد لهم مشيؤنا لان « ان لو يشاء » في موضعه والتقدير او لم يكن هادياً لهم استئصالنا لمن اهلكناه .

وقيل في معنى الهداية ههنا قولان :

احدهما ـ قال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد: يهدي لهم يبين لهم .

الثاني – ان الهداية الدلالة المؤدية الى البغية . والمعنى اولم نبين للذين متعناهم في الارض بعد اهلاكنا من كان قبلهم فيها . وجعلنا آباءهم المالكين لها بعدهم ، انا لو شئنا أصبناهم بعقاب ذنوبهم واهلكناهم بالعذاب كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم .

وقوله « للذين يرثون الارض من بعد اهلها » فالارث ترك الماضي للباقي ما يصيره بعده وحقيقة ذلك في الاعيان التي يصح فيها الانتقال ، وقد استعمل على وجه المجاز في الاعراض ، فقيل :العلماء ورثة الانبياء ، لأنهم تعلموا منهم ، وقاموا بما ادوه اليهم .

وقوله « ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم » الاصابة ايقاع الشيء بالغرض المنصوب ، وضده الخطأ وهو ايقاع الشيء بخلاف الغرض المطلوب .

وقوله « ونطبع على قلوبهم » قيل في معنى الطبع ههنا قولان :

احدهما – الحكم بأن المذموم كالممنوع من الايمان لا يفلح ، وهو ابلغ الذم .

الثاني ـ انه علامة ـ وسمة في القلب من نكتة سوداء ـ ان صاحبه لا يفلح تعرفه

الملائكة ، وحكي عن البكرية في تأويل هذه الآية ان معنى الآية لونشاء طبعنا على قلوبهم . وانكر ابو علي ذلك . وقال هذا غلط لأن معنى قوله اني لو شئت اصبتهم بعقاب ذنوبهم واهلكتهم كما اهلكت الامم قبلهم بعقوبة ذنوبهم ، فلا يجوز ان يعني اني لو شئت اهلكتهم فلا يتهيأ لهم ان يسمعوا بعد اهلاكهم ، لان من المعلوم للعقلاء اجمع ان الموتى لايسمعون ، ولا يقبلون الايمان .

وقوله « ونطبع على قلوبهم » انما هو استئناف وخبر منه انه يفعل ذلك ، ولم يرد اني لو شئت لطبعت لانه بين في هذه الآية وغيرها انه مطبع على قلوب الكافرين ، كقوله « بل طبع الله عليها » يعني على القلوب « بكفرهم فلا يؤمنون الاقليلا » (١) اي الا قليلا منهم ، لان اهل الطبع قد يؤمن بعضهم . وهو خلاف قول الحسن ، فان تأويله عنده إلا ايماناً قليلا . وقال الزجاج هو على الاستئناف ، لانه لو كان محمولا على اصبنا لكان وجه الكلام ولطبعنا ، وهو قول الفراء .

وقوله « فهم لايسمعون » اي لايقبلون الايمان مع هدايتنا لهم ، وتخويفنا إياهم . وفائدة الآية الانكار على الجهال تركهم الاعتبار بمن مضى من الامم قبلهم ، وانه قد طبع على قلوب من لا يفلح منهم عيباً وذماً لهم .

وقال البلخي شبه الله تعالى الكفر بالصدى الذي يركب المرآة والسيف ، لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام ، كما يذهب الصدى بنور السيف ، وصفاء المرآة ، ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان الى الكفر ، جاز ان يضيف الطبع الى نفسه ، كما قال « زادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) وان كانت السورة لم تزدهم ذلك .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

(١) سورة النساء آية ١٥٤ (٢) سورة التوبة ١٢٦

رُسُلهم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٠٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن اهل القرى التي ذكرها وقص خبرها واشار بـ « تلك » اليها ، لأنه خاطب النبي (ص) . وقوله « نقص عليك من انبائها » يعني قصص انباء القرى ما فيه من الاعتبار بما كانوا عليه من الاغترار بطول الامهال مع اسباغ النعم وتظاهر المنن حتى توهموا أنهم على صواب فيما دعاهم اليه الشيطان من قبح الطغيان .

والقصص اتباع الحديث ، ويقال فلان يقص الأثر اي يتبعه ومنه «قالت لاخته قصيه» (١) اي اتبعي اثره ، ومنه المقص لأنه يتبع في القطع اثر القطع . و (النبأ) هو الخبر إلا ان النبأ خبر عن امر عظيم الشأن واخذ منه اسم نبي ، ويقال انبأ بكذا بمعنى اخبر به .

وقوله « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات » يعني اتتهم رسلهم بالآيات والدلالات ، وانما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله ، لان الاختصاص فيها على طريقة الملك إذ المرسل مالك لرسالته ، وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان والبرهان .

وقوله « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » قيل في معناه قولان :

احدهما — انه بمنزلة قوله « ولو ردوا لعادوا ولما نهوا عنه» في قول مجاهد اي انا لم نهلكهم الا وفي معلومنا انهم لا يؤمنون .

الثاني ـ ان عتوهم في كفرهم وعمدهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه الى الايمان ـ في قول الحسن والجبائي ـ فالآية على هذا مخصوصة بمن علم من حاله انه لا يؤمن . وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل (ما) مصدرية . والمعنى لم يكونوا ليؤمنوا بالتكذيب

(١) سورة القصص آية ١١

وقوله « كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » وجه التشبيه فيه أن دلالته على انهم لا يؤمنون ذماً بانهم لا يفلحون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم في المعلوم.

قوله تعالى:

﴿ وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف.

معنى قوله « وما وجدنا » أي ما ادركنا، لأن الوجدان والالفاء والادراك والمصادفة نظائر.

وقوله « لاكثرهم من عهد » فالعهد العقد الذي تقدم لتوطين النفس على اداء الحق، وإذا أخذ على الانسان العهد فنقضه، قيل ليس عليه عهد أي كأنه لم يعهد اليه، فلما كان الله تعالى أخذ عليهم العهد بما جعله في عقولهم من وجوب شكر المنعم والقيام بحق المنعم، وطاعة المالك المحسن في اجتناب القبائح الى المحاسن فألقوا ذلك لم يكن لهم عهد وكانه قال وما وجدنا لاكثرهم من طاعة لانبيائهم. وقيل العهد ما عهد اليهم مع الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وهو قول الحسن وابي علي. والمعنى في النفي يؤول الى انه لم يكن لاكثرهم عهد فيوجد.

وقوله « من عهد » قيل في دخول (من) ههنا قولان:

احدهما - انها للتبعيض لانه إذا لم يوجد بعض العهد فلم يوجد الجميع لانه لو وجد جميعه لكان قد وجد بعضه.

الثاني - انها دخلت على ابتداء الجنس الى النهاية. وقوله « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » معنى (ان) هي المخففة جاز إلغاؤها من العمل وان يليها الفعل، لانها حينئذ قد صارت حرفاً من حروف الابتداء. واللام في قوله « لفاسقين » لام الابتداء

التي تكسر لها (ان) وإنما جاز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها ، لأنها مزحلقة عن موضعها إذ لها صدر الكلام ولكن كره الجمع بينها وبين (ان) فأخرت .

وقال قوم: المعنى وما وجدنا اكثرهم إلا فسقة . فان قيل كيف قال « اكثرهم لفاسقين » وهم كلهم فاسقون ؟

قيل يجوز ان يكون الرجل عدلاً في دينه غير متهتك ولا مرتكب لما يعتقد قبحه وتحريمه ، فيكون تأويل الآية وما وجدنا اكثرهم - مع كفره - الا فاسقاً في دينه غير لازم لشريعته خائناً للعهد ، قليل الوفاء ، وإن كانوا واجبين عليه في دينه .

وفيها دلالة على انه يكون في الكفار من يفي بعهده ووعده وبعيد عن الخلف ، وان كان كافراً . وكذلك قد يكون منهم المتدين الذي لا يرى ان يأتي ما هو فسق في دينه كالغصب والظلم ، فاخبر تعالى انهم مع كفرهم كانوا ، لا وفاء لهم ولا يدينون بمذهبهم بل كانوا يفعلون ما هو فسق عندهم ، وذلك يدل على صحة قول من يقول تجوز شهادة اهل الذمة في بعض المواضع .

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٠٢) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه بعد ارسال من ذكر قصته من الانبياء ، وكفر قومهم ، وانزال عذابه بهم . فالهاء والميم يجوز ان يكون كناية عن الانبياء الذين جرى ذكرهم ، ويحتمل ان يكون كناية عن الامم التي - قد تقدم ذكرهم واهلاكهم - بعث اليهم موسى وارسله اليهم . والبعث الارسال ، وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشيء ، فمنه قوله « انظرني الى يوم يبعثون » (١)

(١) سورة الاعراف آية ١٣ وسورة الحجر آية ٣٦ وسورة (ص) ٧٩

اي من القبور ، ومنه قوله « ثم بعثناكم من بعد موتكم » (١) اي نقلناكم الى حال الحياة ، وكذلك نقلنا موسى عن حاله بالارسال الى فرعون وملأه « بآياتنا » يعني بحججنا وبراهيننا . وقوله « فظلموا بها » معناه ظلموا أنفسهم بجحدها ، لأن الظلم بالشيء على وجوه: منها السبب والآلة والجهة ، نحو ظلم بالسيف الذي قتل به الناس وظلم بذنبه له ، وظلم بغصبه المال ، وظلم بجحده الحق . وقيل « ظلموا بها » اي جعلوا بدل الايمان الكفر بها ، لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه .

وقوله « فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » معنى النظر هو محاولة التصور للشيء بالفكر فيه ، وهو طلب ادراك المعنى بالتأويل له . وقيل هو تحديق القلب الى المعنى لادراكه ، وكأنه قيل فانظر - يعني بالقلب - كيف كان عاقبتهم ، وموضع كيف نصب لانه خبر كان ، وتقديره انظر اي شيء كان عاقبة المفسدين .

قوله تعالى :

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١٠٣)

آية بلا خلاف .

في هذه الاية حكاية لما قال موسى (ع) لفرعون ونداؤه له اني رسول من قبل رب العالمين مبعوث اليه والى قومه و(من) في قوله « من رب العالمين » لابتداء الغاية ، لأن المرسل المبتدئ بالرسالة وانتهاؤها المرسل اليه .

و (موسى) على وزن مفعل والميم في موسى زائدة لكثرة زيادتها اولا ، كالهمزة التي صارت اغلب من زيادة الالف اخيراً . وافعى على وزن افعل لهذه العلة . وموسى اسم لاينصرف ، لانه اعجمي ومعرفة ، وموسى الحديد عربي إن سميت به رجلا لم تصرفه ، لانه مؤنث ومعرفة على اكثر من ثلاثة احرف ، كما لو سميته بـ (عناق) لم

(١) سورة البقرة آية ٥٦

تصرفه . ولو سميته (فقد) صرفته وفرعون على وزن (فعلون) ومثله برذون ، قالواو زائدة ، لانها جاءت مع سلامة الاصول الثلاثة . والنون زائدة للزومها . وفرعون لاينصرف لانه، أعجمي معرفة ،وعرّب في حال تعريفه ، لانه نقل من الاسم العلم ، ولو عرّب في حال تنكيره لاينصرف ، كما ينصرف (باقرب) اسم رجل .

قوله تعالى :

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٠٤) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وحده « حقيق علي » بتشديد الياء . الباقون بتخفيف الياء .

فمن قرأ بالتشديد قال تقديره : واجب علي ان لا اقول . ومن خفف فعلى تقدير : حريص علي ان لا اقول ، قال ابو علي قوله « حقيق » يحتمل وجهين :

احدهما - ان (حق) الذي هو فعل قد تعدى بـ (على) قال الله « فحق علينا قول ربنا » (١) وقال « فحق عليها القول » (٢) فحقيق يصل بـ (على) من هذا الوجه .

والثاني - ان حقيقاً بمعنى واجب ، فكما ان وجب يتعدى بـ (على) كذلك تعدى حقيق بها .

ومن لم يشدد اجاز تعديه بـ (على) من الوجهين اللذين ذكرناهما ، وقد قالوا هو حقيق بكذا، فيجوز على هذا ان تكون (على) بمعنى الباء فتوضع (على) موضع الباء ، قال ابو الحسن كما قال « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » (٣) والمعنى (على) قال ابو علي ، والاول أحسنها ، لان ابا الحسن قال : لان على بمعنى الباء ليس بمقيس ألا ترى

(١) الصافات اية ٣١ (٢) سورة الاسرى آية ١٦

(٣) سورة الاعراف ٨٥

انـــك لو قلت ذهبت على زيد تريد بزيد لم يجز ، وقال ، وجاز في الآية لان القراءة وردت به ، وتقدير « حقيق على ان لا اقول » حقيق بأن لا اقول قال الفراء العرب تقول رميت على القوس وبالقوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة ، ومعناها متقارب ، لانه مستقل على القول بالنظر حتى يؤديه على الحق فيه . والحق ايضاً منعقد بالقول فيه لا ينفك .

وقوله « إلا الحق » نصب بأنه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعني دون حكاية اللفظ .

وقوله « قد جئتكم ببينة من ربكم » خطاب من موسى لقومه انه قد جاء قومه بدلائل من ربه عز وجل . وقوله « فارسل معي بني اسرائيل » خطاب من موسى لفرعون ، وأمره إياه ان يخلي عن بني اسرائيل من اعتقاله ، لانه كان قد اعتقلهم للاستخدام في الاعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن ونقل التراب وما اشبه ذلك . ومعني الآية البيان عن وجوب اتباع موسى (ع) لمكان الادلة التي تشهد بصدقه ، وبأنه لا يقول على الله إلا الحق ولا يدعو الا الى الرشد .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنْ كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٠٥) آية بلا خلاف

هـذا حكاية عما قال فرعون لموسى (ع) من انه ان كان معك حجة ودلالة تشهد لك على ما تقول « فات بها » اي هات بها « ان كنت » صادقا « من الصادقين » على طريق اليأس منه بذلك وجهله بصحته ، وامكانه .

واختلف النحويون ههنا في نقل (ان) الماضي الى الاستقبال ، فقال ابو عباس لم تنقله وهنا من اجل قوة (كان) لانها أم الافعال ، ولم يجزه من غيرها ، وقال ابن

السراج : المعنى إن تكن جئت بآية أي إن يصح ذلك ، لانه اذا امكن ان يجري الحرف على اصله لم يجز اخراجه ، وانما جاز نقل (ان) الماضي الى المستقبل للبيان عن قوتها في النقل اذ كانت تنقل الفعل نقلين الى الشرط والاستقبال ، كما ان (لم) تنقله الى النفي والماضي . وضمير المخاطب في « كنت » يرجع الى المكنى ، ولايجوز مثل ذلك في الذي ، لان الذي غائب فحقه ان يعود اليه ضمير الغائب ، وقد اجازوه ـ اذا تقدمت كناية المتكلم كما في قول الشاعر :

وانا الذي قتلت بكراً بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام (١)

فعلى هذا لايجوز ائيت الذي ضربك عمرو ، والوجه ضربه . وإنما جاز وقوع الامر في جواب الشرط ، لان فيه معني ان كنت جئت بآية فاني الزمك ان تأتي بها ، فقد عاد الى انه يجب الثاني بوجوب الاول . ولا يجوز مثل ذلك في الاستفهام ، لانه لم يقع معرفة غيره ، ولو اتسع فيه جاز ، مثل ان تقول : ان كان عندك دليل فما هو ؟ ، ولا يجوز (ان قدم زيد فأعمرو أقدمه) لان الالف لها صدر الكلام .

قوله تعالى :

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٦) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١٠٧) آيتان بلا خلاف

هذا اخبار من الله تعالى عن القاء موسى عصاه والعصا عود كالقضيب يابس واصله الامتناع يبسه يقال عصى يعصي اذا امتنع قال الشاعر :

تصف السيوف وغيركم يعصي بها يابن القيون وذاك فعل الصيقل (٢)

وقيل عصى بالسيف إذا اخذه اخذه العصا ، ويقال لمن استقر بعد تنقل التقى

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٥٦ (٢) قائله جرير . ديوانه : ١٧٥ اللسان (عصا) ومجمع البيان ٢ : ٤٥٦ وتاج العروس (عصا)

ـعصاه ، قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر (١)

والعصى من بنات الواو ، والمعصية من بنات الياء قال الشاعر :

فجائت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق (٢)

وتقول عصى يعصي فهو عاص مثل رمى يرمي واصل القى من اللقاء الذي هو الاتصال ، فالقى عصاه اي ازال اتصالها عما كان ، ومنه القاء الحديث بمعنى اتصالها ، والملاقات كالملامسة ، وزيدت الف ألقى لتدل على هذا المعنى ، وانما صارت الياء الفاً في القى ، لانها في موضع حركة قبلها فتحة ، ولذلك رجعت الى اصلها في ألقيت . وانما وجب هـذا ، لانه بمنزلة التضعيف في موضع يقوى فيـه التغيير مع نقل الحركة في حروف العلة .

وقوله « فاذا هي ثعبـان » فالثعبان هو الحيـة الضخمة الطويلة . وقال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه ثعباً إذا فجرته . والمثعب موضع انفجار الماء ، فسمي الثعبان ، لانه يجري كمنفق الماء عند الانفجار قال الشاعر:

* على نهج كثعبان العرين *

وقيل إن ذلك الثعبان فتح فاه ، وجعل فيه فرعون بين نابيـه فارتاع فرعون واستغاث بموسى ان ياخذه ، ففعل- في قول ابن عباس والسدي وسفيان- ومعنى مبين اي بين انه حية ، لا لبس فيه .

وقوله « ونزع يده » فالنزع هو ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الانسان ، والنزع والقلع والجذب نظائر واليد معروفة وهي الجارحة

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٥٦ واللسان ، والتاج (عصا) : وقال ابن برى هذا البيت لابن عبد ربه السلمى .

(٢) قائله ذو الرمة ديوانه ٧٦ ، اللسان (عصا) ومجمع البيان ٢ : ٤٥٦

المخصوصة، واليد النعمة ، لأنها بمنزلة ما اشتدت بالجارحة، وقد يكون اليد بمعنى تحقيق الاضافة في الفعل ، لانه بمنزلة ما عمل باليد التي هي جارحة .

وقوله « فاذا هي بيضاء للناظرين » معنى (اذا) هنا المفاجأة . وهي بخلاف (اذا) التي للجزاء ، قال الزجاج هي من ظروف المكان مثل (ثم، وهناك) ، والمعنى بيضاء للناظرين هناك ، والبيضاء ضد السوداء وهو ان يكون به المحل ابيض ، وكان موسى (ع) اسمر شديد السمرة . وقيل اخرج يده من جيبه فاذا هي بيضاء من غير سوء يعني برص ثم اعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول في قول ابن عباس ومجاهد والسدي . وقال ابو علي : كان فيها من النور والشعاع مالم يشاهد مثله في يد احد . والناظر هو الطالب لرؤية الشيء ببصره لان النظر هو تطلب الادراك للمعنى بحاسة من الحواس ، او وجه من الوجوه .

قوله تعالى :

﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١٠٨) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (١٠٩) آيتان بلا خلاف

هذا حكاية ما قال اشراف قوم فرعون، ان موسى ساحر عليم بالسحر ، وانما قيل للاشراف الملأ لامرين :

احدهما — قال الزجاج لانهم مليئون بما يحتاج اليه منهم .

الثاني — لانه يملأ الصدر هيبتهم فالملأ جعل الوعاء على كل ما يتحمل مما يلقى فيه كامتلاء المكيال ، ونحوه . ويقال الخلاء والملأ على وجه التقابل ، وقوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بأمره ومعاونته ونصرته ولهذا لا يضاف القوم الى الله ، فلا يقال ياقوم الله كما يقال ياعباد الله ، والسحر لطف الحيلة في اظهار العجوبة توهم المعجزة وقال الازهري السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره ، والساحر إنما يكفر بادعاء

المعجزة ، لانه لا يمكن مع ذلك علم النبوة .

واصل السحر خفاء الامر ، ومنه خيط السحارة ، لخفاء الامر فيها ، ومنه قوله تعالى « انما انت من المسحرين » (١) اي الذين يعدون لخفاء الامر في العدو ، والسحر العدو ، والسحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته ، والسحور طعام السحر ، والسحر الرئة وما تعلق بها لخفاء امرها في انتفاخها تارة وضمورها اخرى ، قال ذو الرومة :

وساحرة الشراب من المواعي يرقص في نواشرها الاروم (٢)

ويقال سحر الارض المطر إذا جادها فقطع نباتها من اصوله بقلب الارض ظهراً لبطن ، سحرها سحراً ، والارض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك بتخييله الى من سحره انه يرى الشيء بخلاف ماهو به .

ومعنى قوله تعالى « يريد ان يخرجكم من ارضكم » بازالة ملككم بتقوية أعدائكم عليكم .

وقوله تعالى « من ارضكم » فالارض المستقر الذي يمكن الحيوان التصرف فيه عليه . وجملة الارض التي جعلها الله قراراً للعباد فاذا أضيفت ، فقيل ارض بني فلان ، فمعناه مستقرهم خاصة .

وقوله تعالى « فماذا تامرون » موضع (ما) يحتمل ان يكون رفعاً ، ويكون المعنى فما الذي تأمرون ، ويجوز ان يكون نصباً بمعنى فبأي شيء تأمرون ، ويجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد ، وفي الجواب يتبين الاعراب ، ويحتمل ان يكون قوله « فماذا تامرون » من كلام الملأ بتقدير ان يكون قال بعضهم لبعض ماذا تامرون ويحتمل ان يكونوا

(١) سورة الشعراء آية ١٥٣ ، ١٨٥

(٢) ديوانه : ٥٩١ واللسان (أرم) وتفسير الطبري ١٣ : ١٩ ورواية :

وساحرة السراب من المواعي ترقص في عساقفها الاروم

قالوا ذلك لفرعون على خطاب الملوك ، ويحتمل ان يكون من كلام فرعون والتقدير ، قال فرعون فماذا تأمرون خطاباً لقومه فعلى هذا تقول قلت لجاريتك قومي انا قائمة ، وتقديره ، قالت اناقائمة ، وهوقول الفراء وابي علي الجبائي ، وانشد الفراء قول عنترة ، وزعم ان فيه معنى الحكاية :

الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دمي(١)

لان المعنى قالا اذا لقينا عنترة لنقتلنه .

قوله تعالى:

﴿قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (١١٠) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (١١١) آيتان بلا خلاف

القراءة واللغة والحجة :

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما « سحار » بتشديد الحاء والف بعدها . الباقون (ساحر) بالف قبل الحاء على وزن (فاعل) وقرأ عاصم الا يحيى وحمزة « ارجه » بسكون الهاء من غير همزة . وقرأ اهل البصرة والداجوني عن هشام ويحيى بالهمزة ، وضم الهاء من غير اشباع . وقرأ ابن كثير والحلواني عن هشام كذلك إلا انهما وصلا الهاء بواو في اللفظ ، وروى ابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء من غير اشباع . وقرأ ابو جعفر من طريق بن العلاف وقالون والمسيبي بكسر الهاء من غير اشباع ، وبغير همز . الباقون ، وهم الكسائي وخلف واسماعيل وورش ، وابو جعفر من طريق النهرواني بكسر الهاء ، ووصلها بياء في اللفظ من غير همز ، وكذلك اختلافهم في الشعراء .

والهمزة لغة قيس وغيرهم ، وترك الهمزة لغة تميم واسد يقولون : ارجيت الامر ،

(١) ديوانه : ٣١ من معلقته المشهورة ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٨٧ وغيره

وقال ابو زيد ارجيت الامر ارجاء إذا اخرته . وقوله تعالى « ارجيه » افعله من هذا، ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ، لا يجوز غيره ، والا يبلغ الواو احسن ، لان الهاء خفية فلو بلغ بها لواو ، لكان كأنه قد جمع بين ساكنين الا ترى ان من قال : ردّه يافتي بضم الدال اذا وصل بالهاء في ضمير المؤنث ، قال ردها ففتح ، كما تقول رد لخفاء الهاء ، وكذلك « ارجهه » لا ينبغي ان يبلغ بها الواو فيصير كأنه جمع بين ساكنين، ومن ألحق الواو فلان الهاء محركة ولم يلتقي ساكنان لأن الهاء فاصل، قال (ارجيهو) كما يقال (اضربهو) فلو كان الياء حرف لين ، لكان وصلها بالواو، أقبح نحو (عليهو) لاجتماع حروف متقاربة مع ان الهاء ليست بحاجز قوي في الفصل ، واجتماع المتقاربة كاجتماع الامثال

قال ابو علي الفارسي: من وصل الهاء بـ (يا) ، فلان هـــذه الهاء توصل في الادراج بواو ، او ياء ، نحو (بهي) او (بهو) و (ضربهو) ولا تقول في الوصل (به) ولا (به) ولا (ضربه) حتى تشبع فتقول (بهو) ما علم (بهي) الا في ضرورة الشعر كقوله .

ومالـه من مجلد يلبد (١)

وقال ومن كسر الهاء مع الهمز ، فقد غلط وانما يجوز اذا كان قبله ياء ، فقال « ارجيه » بكسر الهاء ، ولم يستقم ، لأن هذه الياء في تقدير الهمزه ، فكما لم يدغم الواو اذا خففت الهمزة لان الواو في تقدير الهمزة كذلك لا يحسن تحريك الهاء بالضم مع الياء ، المنقلبة عن الهمزة ، وقياس من قال (رويا) فادغم ان يحرك الياء ايضاً بالضم ، وعلى هذا المسلك من قال (يتيهم) اذا كسر الهاء مع قلب الهمزة ياء ، قال : ومن قال « ارجه » اخره ، وقال قتاده معناه احبسه ، يقال ارجأت الأمر ارجاء ومنه قولهم : المرجئة ، وهم الذين يجيزون الغفران لمرتكبي الكبائر من غير توبة .

قال الرماني لا وجه لقراءة حمزة عند البصريين في القياس ، ولا الاستعمال على

(١) لم أجده فى مظانه

لغة من همز ، وقال الزجاج اسكان هاء الضمير لايجوز عند حذاق النحويين ، واجاز الفراء ذلك ، قال يقولون : هذه طلحة اقبلت ، وانشد قول الراجز .

أنحى عليّ الدهر رجلاويداً يقسم لا يصلح إلا أفسدا

فيصلح اليوم ويفسده غداً (١)

وزعم ان اسكان هاء التأنيث جائز وانشد .

لما رأى ان لادعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع (٢)

وقال الاخر :

لعمت لزعبلة ان لم أغيّر بكلتي ان لم اسا و بالطول (٣)

كلتي معناه طريقتي ، و (الطول) جمع امرأة طولى ، قال الزجاج : هذا الشعر الذي انشده الفراء ، لايعرف ، ولا وجه له ، وانما لم يلين ابو عمرو والهمزة الساكنة على اصله في تخفيف الهمزة لأن سكونه علامة للجزم ، فلايترك همزه ، لان التسكين عارض وكذلك « موصدة » لايترك همزه ، لانه يخرج من لغة الى لغة .

المعنى واللغة :

والاخ هو من النسب بولادة الادنى من أب او أم او منهما ويقال الاخ الشقيق ويسمى الصديق الاخ تشبيهاً بالنسيب فاما الموافق في الدين فانه أخ بحكم الله في قوله « انما المؤمنون اخوة » (٤) .

---

(١) قائله دويد بن زيد بن نهد القضاعي وهو احد المعمرين . وهذا الشعر قديم ، انظر طبقات فحول الشعراء : ١٨٠ والمعمرين : ٢٠ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ وتفسير الطبري ١٣ : ٢١ واما الشريف المرتضى ١ : ١٣٧

(٢) اللسان (ضجع) وتفسير الطبري ١٣ : ٢١ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ وهو يصف ذئباً قد قطع أمله من ان ينال الظبي ، ولم يجد ما يشبعه ، فلما يئس أضطجع بقرب شجرة (٣) معاني القرآن ١ : ٣٨٨ (٤) سورة الحجرات آية ١٠

ومعنى الآية ان قوم فرعون اشاروا عليه بأن يؤخر موسى واخاه الى أن يرسل في بلاد مملكته حاشرين ، وقال ابن عباس هم الشرط ، وقال مجاهد والسدي يحشرون من يعلمونه من السحرة والعالمين بالسحر ليقابل بينهم وبين موسى جهلا منهم بأن ذلك ليس بسحر ، ومثله في عظم الاعجاز لا تتم فيه الحيلة ، لان السحر هو كل أمر يوهموه على من يراه ، ولا حقيقة له ، وانما يشتبه ذلك على الجهال والاغبياء دون العقلاء المحصلين .

وقوله تعالى « يأتوك بكل ساحر عليم » يأتوك جزم ، لانه جواب الامر ، والمعنى ان ترسل يأتوك ، وحجة من قال « ساحر » قوله « ما جئتم به السحر » (١) والفاعل من السحر ساحر ، ويقويه قوله « فألقي السحرة ساجدين » (٢) والسحرة جمع ساحر ، ولانه قال « سحروا اعين الناس » (٣) واسم الفاعل ساحر ، ومن قرأ « سحار » فلأنه وصف بعليم ، ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه ، فحسن لذلك ان يذكر بالاسم الدال على المبالغة .

والاتيان هو الانتقال الى مطلوب ، ومثله المجيء اتى يأتي إتياناً واتي يؤتى إيتاء اذا اعطي ، وانما دخلت (كل) وهي للعموم على واحد ، لانه في معنى الجمع ، كأنه قال بكل السحرة اذا افردوا ساحراً ساحراً . والفرق بينه وبين كل السحرة انه اذا قيل بكل السحرة ، فالمعنى المطلوب للجميع ، واذا قيل بكل ساحر ، فالمعنى المطلوب لكل واحد منهم ، ويبين ذلك قول القائل : لكل ساحر درهم ، ولكل السحرة درهم ، فان الاول يفيدان لكل واحد درهما ، والثاني ان الجميع لهم درهم .

والباء في قوله « بكل » قيل فيه قولان :

احدهما — انه للتعدية كما يعدى بالالف ومنه ذهبت به وأذهبته واتيت به واتيته .

---

(١) سورة يونس آية ٨١ (٢) سورة الشعراء آية ٤٦

(٣) سورة الاعراف آية ١١٥

الثاني - انها بمعنى (مع) اي ياتون ومعهم كل ساحر عليم .

قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٢) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (١١٣) آيتان بلا خلاف

قرأ اهل الحجاز وحفص « ان لنا لاجراً » بهمزة واحدة على الخبر ، وقرأ بهمزتين مخففتين ابن عامر ، واهل الكوفة إلا حفصاً وروح ، إلا ان الحلواني عن هشام يفصل بينها بألف ، وابو عمرو ، ورويس لايفصل . قال ابو علي : الاستفهام في هذا الموضع اشبه ، لانهم يستفهمون عن الأجر ، وليس يقطعون ان لهم الاجر ، ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء ، وربما حذفت همزة الاستفهام ، قال الحسن قوله تعالى « وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل » (١) إن من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر :

أفرح ان ارزأ الكرام وان　　أورث ذوداً شصائصا نبلا (٢)

وهذا اقبح من قوله :

واصبحت فيهم آمنالا كمعشر　　اتوني فقالوا من ربيعة ام مضر (٣)

لان (أم) تدل على الهمزة . وفي الكلام حذف ، لان التقدير فارسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة ، فحشروهم « فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢　　(٢) اللسان (نبل) يقول أأفرح بصغار الابل التي ورثتها ، وقد رزئت بالكرام ؟ ؟

(٣) قائله عمران بن حطان ، وهو من شعر يقوله في قوم من الاسد ؛ نزل بهم منتكراً ، وهو يشكر صنيعهم ، انظر الكامل ٧ : ١٨٧ والخصائص لابن جني ٢ : ٢٨١ ومجمع البيان ٢ : ٤٦٦ .

لاجراً » اي إن لنا ثواباً على غلبتنا موسى عندك « ان كنا نحن » يا فرعون « الغالبين » ، وهوقول ابن عباس والسدي .

وتقول جئته وجئت اليه ، فاذا قلت جئت اليه ، ففيه معنى الغاية لدخول (الى) فيه وجئته معناه قصدته بمجيئي ، واذالم يعده لم يكن فيه دلالة على القصد كما تقول : جاء المطر.

وقوله « وجاء السحرة فرعون قالوا » انما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالاول، لان معناه لما جاؤا ، قالوا ، فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه ، وانما قالوا : أئن لنا لاجراً، ولم يقولوا : لنا اجر ، لان احدهما سؤال عن تحقيق الاجر وتأكيده ، كما لو قال ابالله لنا اجر ، وليس كذلك الوجه الآخر .

وقوله « ان كنا نحن » موضع نحن يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون رفعاً ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا .

والثاني - لاموضع له ، لانه فصل بين الخبر والاسم .

والاجر الجزاء بالخير ، والجزاء قد يكون بالشر بحسب العمل وبحسب مايقتضيه العدل . والغلبة ابطال المقاومة بالقوة ، ومن هـذا قيل في صفة الله (عز وجل) القاهر الغالب، لانه القادر الذي لا يعجزه شيء .

وقوله « قال نعم » حكاية عن قول فرعون مجيباً لهم عما سألوه من ان لهم اجراً او لا ؟ بأن قال نعم لكم الاجر ، ونعم حرف جواب مع انه يجوز الوقف عليها ، لانها في الايجاب نظيرة (لا) في النفي ، وانما جاز الوقف عليها ، لانها جواب لكلام يستغنى بدلالته عما يتصل بها .

وقوله « قال » اصله قول فانقلبت الواو الفاً ، لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ، وانما قلبوها مع خفة الفتحة لتجري على قلت وتقول في الاعلال مع ان الالف الساكنة أخف من الواو المتحركة ، وان كانت بالفتحة والواو في قوله تعالى « وانكم » واو العطف كأنه قال نعم لكم ذاك ، وانكم لمن المقربين ، وهو في مخرج الكلام ،

كأنه معطوف على الحرف . وكسرت الف « انكم » لانها في موضع استئناف بالوعد ، ولم تكسر لدخول اللام في الخبر ، لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة . ومثل هذا قوله تعالى « وما ارسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام » (١) ومعنى « من المقربين » انكم من المقربين الى مراتب الجلالة التي يكون فيها الخاصة ، ولا يتخطى فيها العامة .

وفي الآية دليل لقوم فرعون على حاجته وذلته لو استدلوا واحسنوا النظر لنفوسهم ، لأنه لم يحتج الى السحرة الا لذلة وعجز ، وكذلك في طلب السحرة الاجر دليل على عجزهم عما كانوا يدعون من القدرة على قلب الاعيان ، لانهم لو كانوا قادرين على ذلك لاستغنوا عن طلب الاجر من فرعون ، ولقلبوا الصخر ذهباً ولقلبوا فرعون كلباً واستولوا على ملكه .

قال ابن اسحاق : وكان السحرة خمسة عشر الفاً . وقال ابن المكندر : كانوا ثمانين الفاً ، وقال كعب الاخبار : كانوا اثنى عشر الفاً . وقال عكرمة : كانوا سبعين الفاً ذكره الطبري .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٤) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (١١٥) آيتان بلا خلاف

هذا حكاية قول السحرة انهم قالوا لموسى اختر احد شيئين اما ان تلقي انت عصاك او نحن نلقي عصينا ، وأنما دخلت (ان) في قوله « اما ان تلقي » ولم تدخل في « اما يعذبهم واما يتوب عليهم » (٢) لان فيه معنى الامر كأنه قال اختر اما ان

(١) سورة الفرقان آية ٢٠ (٢) سورة التوبة آية ١٠٧

تاقي أي اما إلقاؤك واما القاؤنا، ومثله « اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا » (١) فموضع (ان) نصب ، ويجوز ايضاً ان يكون التقدير إما إلقاؤك مبدوء به واما القاؤنا ، ويجوز ان تقول يا زيد اما ان تقوم او تقعد ، ولا يجوز ان تقول يازيد ان تقوم او تقعد ، لان (اما) يبتدأ بالمعنى فيها أي بمعنى التخيير ، فلذلك تدل على معنى اختر ، وليس كذا (أو) وقد يقع موقع (اما) وليس بجيد ، كما قال الشاعر :

فقلت لهن امشين اما نلاقه كما قال او تشفى النفوس فنعذرا (٢)

وقال ذو الرمة :

فكيف بنفس كلما قلت اشرفت على البرء من حوصاء هيض اندمالها

تهاض بدار قد تقادم عهدها واما باموات ألمّ خيالهـــا (٣)

موضع (اما) موضع (أو) . والالقاء ارسال المعتمد الى جهة السفل ، ومثله الطرح ، وضده الامساك . وقول القائل إلق عليّ مسألة الى هذا يرجع ، وانما قال « واما ان نكون نحن الملقين » ولم يقل واما ان نلقي ، لانه ليس المعنى على ليكن إلقاء احدنا فقط ، فيجيء على التقابل ، وانما هو على ان يلقي احدنا فيبطل ما أتى به الآخر .

وقوله تعالى « القوا » حكاية عن قول موسى (ع) للسحرة (القوا) انتم « فلما القوا سحروا اعين الناس » قال البلخي معناه غشوا أعين الناس ، وقال: السحر هو الخفة، والافراط فيها حتى تخيل بها الاشياء عن الحقيقة والاحتيال بما يخفى على كثير من الناس كتغييرهم (الطرجهالة) والحيلة فيها ان يجعل (الطرجهالة) طاقين ويرقق

(١) سورة الكهف اية ٨٧ (٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٩٠

(٣) هذان البيتان للفرزدق . ديوانه ٢ : ٦١٨ ومجاز القرآن ١ : ٣٩٠ وهما مطلع قصيدة له يمدح بها ابن عبد الملك ، ويهجو الحجاج بن يوسف . وقد يكون بستهما لذي الرمة ـ هنا ـ خطأ من الناسخ .

بغاية الترقيق ، ويجعل بين الطبقتين زيبق ، فاذا وضعت في الشمس حمي الزيبق فسار بالطرجهالة ، لان من طبع الزيبق اذا حمي ان يتحرك ويفارق مكانه .

وقال قوم: معناه خيلوا الى اعين الناس بما فعلوه من التخييل والخدع انها تسعى ، كأنه قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ، وقال الرماني: معنى سحر الاعين قلبها عن صحة ادراكها بما يتخيل من الامور الموهمة لها بلطف الحيلة التي تجري مجرى الخفة والشعبذة مما لا يرجع الى حقيقة ، والمحدث لهذا التخيل هو الله تعالى عندما اظهروا من تلك المخاريق ، وانما نسب اليهم ، لانهم لو لم يعرضوا بما يعلمونه لم يقع ، كما لو جعل أحد طفلا تحت البرد ، فمات ، فهو القاتل له في الحكم ، والله تعالى أماته ، وانما جاز من موسى (ع) ان يأمرهم بالقاء السحر وهو كفر لامرين :

احدهما - ان كنتم محقين فالقوا .

الثاني - القوا على ما يصح ويجوز ، لا على ما يفسد ويستحيل .

وقال الجبائي : هذا على وجه الزجر لهم والتهديد ، وليس بأمر .

وقوله « فلما القوا سحروا اعين الناس » والفرق بين (لما) و (اذا) هو الفرق بين (لو) و (ان) في ان احدهما للماضي والاخر للمستقبل ، وكل هذه الأربعة تعليق اول بثان ، الا ان (لو) على طريقة الشك ، و(لما) يقين .

وقوله « واسترهبوهم » معناه طلبوا منهم الرهبة ، وهو خلاف الارهاب ، لانه جعل الرهبة للذي يرهب ، والعظيم ما يملأ الصدر بهوله ووصف السحر بأنه عظيم لبعد مرام الحيلة فيه ، وشدة التمويه به . فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ، ولأنه على ما ذكرناه من الخلاف في عدة السحرة من سبعين الفا او ثمانين الفا كان مع كل واحد حبل او عصا ، فلما القوها وخيل الى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه ، فلذلك وصفه الله بأنه سحر عظيم .

و (اما) اذا كانت للتخيير ، فاهل الحجاز ومن جاورهم من قيس وبعض تميم

يكسرونها وينصبها قيس وأسد و (اما) اذا كانت منصوبة فهي التي يقتضي ان يكون في جوابها الفاء .

قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٦) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٧)

آيتان بلا خلاف .

قرأ حفص عن عاصم « تلقف » خفيفة . الباقون بتشديد القاف ، وابن كثير ، فاذا هي « تلقف » بتشديد التاء والقاف في رواية البزي عنه إلا النقاش ، وابن فليح .

والوحي هو القاء المعنى الى النفس من جهة تخفى ، ولذلك لم يشعر به إلا موسى (ع) حتى امتثل ما امر به فاذا العصا حية تسعى .

وفي هذه الآية اخبار من الله تعالى انه اوحى الى موسى (ع) حين ألقى السحرة سحرهم وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ان ألق عصاك فـ (ان) يحتمل امرين :

احدهما -- ان تكون مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر ، وتقديره او حينا الى موسى بالالقاء .

الثاني - ان تكون (ان) بمعنى اي لانه تفسير ما اوحي اليه .

« فاذا هي تلقف ما يأفكون » معنى تلقف تبتلع تناولا بفيها بسرعة منها ، فهي تلتقمه استراطاً حالا فحالا قال الشاعر :

وانت عصى موسى التي لم تزل تلقف ما يافكه الساحر (١)

يقال لقفته القفة لقفاً ، ولقفاناً ، ولقفته القفه ، وتلقفته تلقفاً اذا اخذته في الهواء ومن قرأ بتشديد التاء قال اصله تتلقف فادغم احدى التائين في الاخرى بعد ان سكن الثانية ٠ ومن خفف القاف اخذه من لقفته ٠ ومن شددها قال هو من تلقف ٠

وقوله «ما يا فكون» فالافك هو قلب الشيء عن وجهه ، ومنه « المؤتفكات »(٢) المنقلبات ٠ والافك الكذب ، لانه قلب المعنى عن جهة الصواب ، وقال مجاهد : «مايأفكون» أي يكذبون ٠ وفي الآية حذف،وتقديره فألقى عصاه فصارت حية « فاذا هي تلقف ما يا فكون » والمعنى انها تلقف المأفوك الذي حل فيه الافك ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى « والله خلقكم وما تعلمون » (٣) ومعناه وما تعملون فيه ٠

وقوله « فوقع الحق » معناه ظهر الحق، في قول الحسن ومجاهد ،واصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر تقول : وقع يقع وقعاً ووقوعاً وأوقعه ايقاعاً ، ووقّع توقيعاً وتوقّع توقعاً وواقعه مواقعة ، والميقعة المطرقة ٠ والواقعة النازلة من السماء ، والوقائع الحروب ٠ قال الرماني الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى مستقره ٠

و (الحق) كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة ٠ والحق موافق لداعي الحكمة ، ولذلك يقال وقع الشيء في حقه ٠

و (الباطل) الكائن بحيث يؤدي الى الهلاك ، وهو نقيض الحق ، فالحق كون الشيء بحيث يؤدي الى النجاة ٠

والعمل تصيير الشيء على خلاف ما كان اما بايجاده او بايجاد معنى فيه ، ومثله

---

(١) تفسير الطبرى ٧ : ٢٦٠ والفتح القدير (تفسير الشوكانى) ٢ : ٢٢١ وروايتهما (تلقم) بدل (تلقف) وهو فى مجمع البيان ٢ : ٤٦٠ (تلقف)

(٢) سورة النجم آية ٥٣ (٣) سورة الصافات آية ٩٦

التغيير .

و(ما) في قوله « ما كانوا يعملون » يحتمل امرين : احدهما - ان يكون بمعنى المصدر ، والتقدير وبطل عملهم ، والثاني - ان يكون بمعنى الذي وتقديره وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر ، و (ما) اذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل عمل (ان) اذا كانت بمعنى المصدر ، لامرين : احدهما ان (ما) اسم ، والاسم لا يعمل في الفعل ، والاخران تنقل الفعل نقلين الى المصدر والاستقبال تقول يعجبني ما تصنع ، ويعجبني أن تصنع الخير .

قوله تعالى :

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٨) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١١٩) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٠) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١٢١) اربع آيات بلا خلاف

اخبر الله تعالى إنه لما القى موسى عصاه ، وصارت حية ، وتلقفت ما افكت السحرة : إن السحرة « غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » والغلبة الظفر بالبغية من العدو ، وفي حال المنازعة تقول : غلب يغلب غلبة ، فهو غالب ، وذاك مغلوب أي مقهور ، وغالبه مغالبة وتغالبا تغالباً وغلب تغليباً ، ومعنى (هنالك) أي عند ذلك الجمع ، فهو ظرف مبهم ، كما ان (ذا) مبهم وفيه معنى الاشارة . وقيل هنا وهنالك ، وهناك ، مثل ذا ، وذاك ، وذلك . وانما دخلت اللام في هنالك لتدل على بعد المكان المشار اليه ، كما دخلت في (ذلك) لبعد المشار اليه ، فهنا لما بعد قليلا ، وهنالك ، لما كان اشد بعداً . وانما دخل كاف المخاطبة مع بعد الاشارة ليشعر بتأكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان ، والبعيد احق بعلامة التنبيه من القريب وقوله « وانقلبوا صاغرين » اي رجعوا اذلاء ، والصاغر الذليل والصغر

والصغار الذلة ، يقال صغر الرجل يصغر صغراً وصغاراً إذا ذل ، واصله صغر القدر .

وقوله تعالى «وألقي السحرة ساجدين » انما جاء على مالم يسم فاعله ، لأمرين :

احدهما — انه بمعنى القاهم ما رأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم الى السجود لله والخضوع له .

الثاني — انهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين ، فكأن ملقياً ألقاهم ، ولم يكن ذلك على وجه الاضطرار الى الايمان ، لأنه لو كان كذلك لما مدحوا عليه بل علموا ذلك بدليل ، وهو عجزهم من ذلك مع تأتي سائر انواع السحر منهم .

والالقاء اطلاق الشيء الى جهة السفل ونقيضه الامساك ، ومثله الاسقاط والطرح .

ومعنى الآية البيان عن حال من تيقن البرهان ، فظهر منه الاذعان للحق والخضوع بالسجود لله تعالى ، ولم يكن ممن تعامى عن الصواب وتعاشى عن طريق الرشاد.

وقوله تعالى « قالوا آمنا برب العالمين » حكاية لما قالت السحرة عند تبينهم الحق ، ووقوعهم للسجود لله تعالى ، واعترافهم بأنهم آمنوا برب العالمين الذي خلق السموات والارض وما بينهما ، وخلق موسى وهارون ، والقول كلام يدل على الحكاية ، ولو قيل تكلموا لم يقتض حكاية كلامهم على صورته ، فاذا قيل قالوا اقتضى حكاية كلامهم .

والايمان هو التصديق الذي يؤمن من العقاب ، وهو التصديق بما اوجب الله عليهم . وقال الرماني : يجوز ان يقال لله انه لم يزل ربّاً ، ولا مربوب ، كما جاز لم يزل سميعاً ولا مسموع ، لأنه صفة غير جارية على الفعل ، كما تجري صفة مالك على ملك يملك ، فالمقدور هو المملوك واصل الصفة بـ(رب) التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى حال التمام والكمال ، ومنه رب النعمة يربيها رباً إذا تممها ، وربي الطفل تربية ، والله تعالى رب العالمين المالك لهم ولتدبيرهم .

و(العالم) كل أمة من الحيوان وجمعه العالمون على تغليب ما يعقل ، وهو مأخوذ من العلم ، لكنه كثر في استعمال اهل النظر على انه لجميع ما احاط به الفلك من الاجسام المتصرفة في الاحوال ، وقال قوم (عالم) لا يقع إلا لجماعة العقلاء . وقد بينا ذلك في فاتحة الكتاب .

وقوله « رب موسى وهارون » انما خصوا موسى وهارون بالذكر بعد دخولهما في الجملة من « آمنا برب العالمين » لامرين :

احدهما - ان فيه معنى الذي دعا الى الايمان موسى وهارون .

الثاني - خصا بالذكر لشرف ذكرهما على غيرهما على طريق المدحة لهما والتعظيم.

والرب بالاطلاق لا يطلق إلا على الله تعالى ، لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ، وفي الناس يقال رب الدار ورب الفرس ، ومثله (خالق) لا يطلق إلا فيه تعالى ، وفي غيره يقيد ؛ يقال خالق الأديم .

قال الرماني : وانما جاز نبيان في وقت ولم يجز امامان في وقت ، لان الامام لما كان يقام بالاجتهاد كانت إمامة الواحد ابعد من المناقشة واختلاف الكلمة واقرب الى الألفة ورجوع التدبير الى رضا الجميع .

وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن العقل غير دال على ان الامام يجب ان يكون واحداً كما انه غير دال على انه يجب ان يكون النبي واحداً ، وانما علم بالشرع انه لا يكون الامام في العصر الواحد الا واحداً كما علمنا انه لم يكن في عصر النبي (ص) نبي آخر ، واستوى الامران في هذا الباب .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٢)

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ آيتان بلاخلاف.

قرأ حفص وورش ورويس « آمنتم » على الخبر . الباقون بهمزتين على الاستفهام . وحقق الهمزتين اهل الكوفة الا حفصاً وروحاً . الباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية الا ان قنبلا في غير رواية ابن السائب يقلب همزة الاستفهام واواً اذا اتصلت بنون فرعون ، ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف ، قال ابو علي قياس قول ابي عمرو ، ومذهبه ان يفصل بين الهمزتين بألف كما يفصل بين النونات في (اخشينان) الا انه يشبه ان يكون ترك القياس ، وقوله هنا لما كان يلزم منه اجتماع المتشابهات فترك الالف التي تدخل بين الهمزتين ، وخفف الهمزة الثانية التي هي همزة (افعل) من (آمن) فأما رواية ابي الاخريط عن ابن كثير بابدال الهمزة واواً ، فانه ابدل من الف الاستفهام واواً ، لانضمام ما قبلها وهي النون المضمومة في (فرعون) وهذا في المنفصل مثل المتصل من نوره ، فقوله (نوأ) على وزن (نود) وفي رواية قنبل عن القواس مثل رواية البزي عن ابي الاخريط غير انه يهمز بعد الواو ، قال ابو علي : من همز بعد الواو ، لان هذه (الواو) هي منقلبة عن همزة الاستفهام ، وبعد همزة الاستفهام همزة (أفعلتم) فخففها ، ولم يخففها كما خفف في القول الاول ، ووجهه ان الاولى لما زالت عن لفظ الهمزة وانقلبت واواً حقق الهمزة بعدها ، لانه لم يجتمع همزتان . ووجه القول الاول ان (الواو) لما كان انقلابها عن الهمزة في تخفيف قياس ، كان في حكم الهمزة فلم يحقق معها الثانية ، كما لا تحقق مع الهمزة نفسها ، لان الواو في حكمها ، كما كانت في حكمها في (رويا) في تخفيف (رؤيا) ، فلم يدغموها في الياء ، كما لم يدغم الهمزة فيها .

ومن قرأ على الخبر فوجهه انه يخبرهم بايمانهم على جهة التقريع لهم بايمانهم ،

والانكار عليهم. ووجه الاستفهام انه استفهام على وجه التوبيخ والتقريع ، والانكار عليهم.

وحمزة والكسائي قرءا بهمزتين الثانية ممدودة ، لأن الهمزة الثانية تتصل بها الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء في (آمن) .

في هذه الآية حكاية لما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى وصدقوه ، لظهور الحق ، فقال لهم « آمنتم به » وانما قال لهم ذلك ، لأنه وهم ان الاقدام على خلاف الملك بما عمل قبل الاذن فيه منكر يقتضي سطوة الملك بصاحبه ، والتنكيل به ، وعندنا ان فرعون لم يعرف الله قط معرفة يستحق بها الثواب . وقال الرماني لا يمتنع ان يكون عارفاً بالله ، وانما قال هذا القول تمويهاً على قومه والتحذير من مثل حال السحرة الذين أقدموا على المخالفة له في الايمان بموسى (ع) .

وقوله تعالى « ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة » معناه تواطأتم على هذا الأمر لتستولوا على العباد والبلاد ، فتخرجوا من المدينة أهلها وتتغلبوا عليها ، والمكر قيل الاغترار بالحيلة الى خلاف جهة الاستقامة واصله الفتل والالتفاف كما قال ذو الرمة :

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والعصب(١)

والمكر والخدع نظائر في اللغة ، وقوله « فسوف تعلمون » تهديد من فرعون لهم وتخويف من مخالفته ، وانما هدد فرعون بـ (سوف تعلم) ، لان فيه معنى أقدمت بالجهل على سبب الشر ، فسوف تعلم حين يظهر مسببه الذي أدى اليه كيف كانت منزلته ، فهو ابلغ من الافصاح به ، وقوله « لاقطعن ايديكم » فالتقطيع تكثير القطع ونظيره التفصيل والتفريق ، ونقيضه التوصيل تقول قطع قطعاً وقطع اقطاعاً ، وقطع تقطيعاً وتقطع تقطعاً واقتطع اقتطاعاً وتقاطع تقاطعاً واستقطع استقطاعاً وقاطع مقاطعة

(١) سيأتي في ٥ : ١٢٨ وهو في مقاييس اللغة ٤ : ٢٣٣

وانقطع انقطاعاً .

والايدي جمع يد ، وهي الجارحة المخصوصة، واليد النعمة ، لأنها تسدى الى صاحبها باليد . والارجل جمع رجل وهي الجارحة التي يمشي بها من يمين وشمال . والراجل خلاف الراكب وترجل الانسان إذا نزل عن دابته واقفاً على رجله ، ورجله غيره ، وارتجل القول ارتجالا ، إذا كان فيه كالراجل الذي لم يستعن بركوب غيره . ورجل الشعر إذا سرحه حاطاً له عن ركوب بعضه بعضاً .

و (التقطيع من خلاف) هو قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ، وهو قول الحسن ، وقتادة وغيره : وكذلك يكون قطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى .

وقوله « ثم لاصلبنكم اجمعين » القراء كلهم على ضم الهمزة ، وتشديد اللام من (اصلبنكم) وذكر الفراء ، و« لا صلبنكم » بفتح الهمزة وكسر اللام من الصلب ، وهو الشد على الخشبة او ما جرى مجراها من الاشخاص البارزة ، وهو مشتق من صلابة الشد ، يقال : صلب صلابة وصلبه تصليباً وتصلب تصلباً .

وقال ابن عباس اول من صلب وقطع الايدي والارجل من خلاف فرعون .

قوله تعالى :

﴿ قالوا إنّا إلى ربّنا منقلبون ﴾ (١٢٤) آية اجماعاً

وهذا اخبار عن جواب السحرة حين آمنوا ، وتوعد فرعون إياهم بقطع الايدي والارجل والصلب بأنهم « قالوا إنا الى ربنا منقلبون » أي راجعون وغرضهم بهذا التسلي في الصبر على الشدة ، لما عليه من المثوبة ، مع مقابلة وعيده بوعيد هو أشد عليه هو عقاب الله .

واصل (إنّا) اننا وحذفت احدى النونين لكثرة النونات ، فاذا قيل إننا ، فلانه الاصل وإذا قيل (انا) فللاستخفاف مع كراهة التضعيف ، والانقلاب الى الله

هو الانقلاب الى جزائه ، والمصير اليه ، إلا انه فخم بالاضافة الى الله لعظم شأنه ، والانقلاب مصير الشيء على نقيض ما كان عليه مما يتغير به ، وإذا صار الى الآخرة بعد الدنيا فانقلب اليها واذا كان على خلق فتركه الى ضده فقد انقلب اليه .

قوله تعالى:

﴿ وَما تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَينا صَبراً وَتَوَفَّنا مُسلِمينَ ﴾ (١٢٥) آية بلا خلاف .

في هذه الاية اخبار عما قالت السحرة حين آمنوا وتوعدهم فرعون بأنواع العذاب بأنهم قالوا له : انا راجعون الى الله ، وقالوا له ايضاً ليس تنقم منا الا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا ، والنقمة الأخذ بالعقوبة : نقم ينقم ، ونقم ينقم ، واللغة الاولى افصح وانتقم انتقاماً ونقمة ، فالنقمة ضد النعمة .

والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد تكون بحق ، جزاء على كفر النعمة ، ولذلك يقال انتقم الله من فلان نقمة عاجلة ، والاساءة لا تكون الا قبيحة ، لأنه ليس لاحد ان يسيء في فعله ، والمسيء مذموم على اسائته .

وقوله تعالى « ربنا افرغ علينا صبراً » حكاية عن قول هؤلاء السحرة الذين آمنوا ، وانهم بعدان قالوا لفرعون ما قالوه ، سألوا الله تعالى ان يفرغ عليهم صبراً ، ومعناه ان يفعل بهم من اللطف ما يصبرون معه على عذاب فرعون ويتشجعوا عليه ، ولا يفزعوا منه .

والافراغ صب ما في الاناء اجمع ، حتى يخلو ، مشتقاً من الفراغ ، والفراغ نقيض الشغل ، وقيل افرغ عليه الصبر تشبيهاً بافراغ الاناء ، كما يقال صب عليه العذاب صباً ، والصبر هو حبس النفس عن اظهار الجزع صبر يصبر صبراً ، والصبر على الحق عز ، كما ان الصبر على الباطل ذل . والصبر في الجملة محمود ، قال الله تعالى « واصبر على ما اصابك

ان ذلك من عزم الامور » (١) .

وقوله تعالى « وتوفنا مسلمين » رغبة منهم الى الله تعالى وسؤالهم اياه بأن يقبضهم اليه ويميتهم في حال السلامة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (١٢٦) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الحجاز « سنقتل ابناءهم » بالتخفيف . الباقون بالتشقيل ، فمن ثقل ذهب الى التكثير ، ومن خفف ، فلا حتماله التكثير والتقليل .

في هذه الآية اخبار عن انكار قوم فرعون واشرافهم ورؤسائهم على فرعون تركه موسى وقومه ليفسدوا في الارض على اعتقادهم ، وإنما انكروا على فرعون ذلك مع عبادتهم له ، لأنه جرى على خلاف عادة الملوك في السطوة بمن خالف عليهم وشق العصا في ملكهم . وكان ذلك بلطف من الله تعالى ، وحسن دفاعه عن موسى . وعنوا بالافساد في الأرض دعاء الخلق الى مخالفة فرعون في عبادته وتجهيله اياه في ديانته لما يتفق عليه من ذلك مما لاقبل له به مما فيه انتقاض امره ، وبطلان ملكه .

وقوله تعالى « ويذرك والهتك » معناه قال الحسن : انه كان يعبد الاصنام ، فعلى هذا كان يعبد ويعبد ، كما حكى الله تعالى عنه من قوله « انا ربكم الاعلى » (٢) وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقرة ، وعلى ذلك اخرج السامري « عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى » (٣) وقال الزجاج : انما كانت له اصنام

---

(١) سورة لقمان آية ١٧ (٢) سورة النازعات آية ٢٤

(٣) سورة طه آية ٨٨

يعبدها قومه تقرباً إليه. وقرأ ابن عباس ويذرك وإلهتك بمعنى وعبادتك . وقال كان فرعون يعبد ، ولا يعبد ، وقال بعضهم إلاهتك انما هو تأنيث إله وجمعه آلهتك ، كما قال الشاعر ، وهو عتيبة بن شهاب اليربوعي (١) :

تروحنا من اللعباء قصراً فاعجلنا الآلهة ان تؤوبا (٢)

يعني الشمس ، فادخل التاء في هذا كما ادخلوا في قولهم ولدتي وكوكبتي ، وهالتي وهو اهلة ، ذاك ، كما قال الراجز :

يا مضر الحمراء أنت اسرتي وانت ملجاتي وانت ظهرتي (٣)

وقوله تعالى « سنقتل ابناءهم » انما تهددهم بقتل ابنائهم مع ان موسى هو الذي دعاهم الى الله دونهم من حيث انه لم يطمع فيه ، لما رأى من قوة امره وعلو شأنه فعدل الى ضعفاء بني اسرائيل بقتل ابنائهم ليوهم انه يتم له ذلك فيهم .

وقوله تعالى « ونستحيي نساءهم » معناه نستبقي من تولد من بناتهم للمهنة والخدمة من غير ان يكون لهم نجدة ولا عندهم منعة .

ونصب قوله « ويذرك » لاحد وجهين : احدهما — الصرف ، والاخر العطف. والصرف على ان يكون تقديره ليفسدوا في الارض الى ان يذرك ، وآلهتك ، والعطف على ليفسدوا ويذرك . وقرأ الحسن ويذرك بالرفع عطفاً على اتذر ، ويجوز فيه

---

(١) على ما يظهر انه اسم رجل ، وما رواه الشيخ الطوسي قد رواه الطبري وغيره من القدماء في المخطوطات والمطبوعات ولكن المحققين في الادب المتأخرين رووا (قالت بنت عينية بن الحارث بن شهاب اليربوعي) وخطأوا الرواية القديمة .

(٢) انظر الى معجم ما استعجم : ١١٥ ، ومعجم البلدان (اللعباء) ولسان العرب (لعب) (أله) وتفسير الطبري ١٣ : ٤٠ وغيرها. و (اللعباء) اسم مكان . و(قصراً) أي عشياً . وروى (عصراً) و (الاهة) : الشمس.

(٣) لم اعرف قائلة . وهو في تفسير الطبري ١٣ : ٤١

الاستئناف وهو يذرك .

قوله تعالى :

﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (١٢٧) آية بلا خلاف .

هذا حكاية من الله تعالى عما قال موسى لقومه حين تهددهم فرعون بقتل ابنائهم واستحياء نسائهم ، وانه امرهم ان يستعينوا بالله والاستعانة طلب المعونة ، وقد يسأل السائل المعونة لغيره يقول: اللهم اعنه على أمره إلا ان الغالب على الاستعانة طلب المعونة لنفس الطالب .

وقوله تعالى « واصبروا » امر من موسى اياهم بالصبر وهو حبس النفس عما يؤدي الى ترك الحق مع تجرع مرارة ذلك الحبس ونقيضه الجزع ، قال الشاعر :

فان تصبرا فالصبر خير مغبة　　وان تجزعا فالامر ماتريان (١)

وقوله تعالى « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده » اخبار عما قال موسى لقومه من ان الارض كلها ملك لله يورثها من يشاء من عباده ، والارث جعل الشيء للخلف بعد السلف ، والاغلب ان يكون ذلك في الاموال وقد يستعمل في غيرها مجازاً كقولهم: العلماء ورثة الانبياء، وقولهم : ما ورّث والد ولداً اجل من ادب حسن

ومعنى « يورثها من يشاء من عباده » قيل في معناه قولان :

احدهما - التسلية لهم بأنها لا تبقى على احد لانها تنتقل من قوم الى قوم اما محنة او عقوبة .

---

(١) مر في ١ : ٢٠٢

الثاني - الاطلاع في ان يورثهم الله أرض فرعون ، وقومه ، والمشيئة هي الارادة وهي ما اثرت في وقوع الفعل على وجه دون وجه من حسن أوقبيح او غيرهما من الوجوه.

وقوله تعالى « والعاقبة للمتقين » فالعاقبة ما تؤدي اليه التأدية من خير اوشر إلا انه اذا قيل العاقبة له ، فهو في الخير ، فاذا قيل العاقبة عليه ، فهو في الشر ، مثل الدائرة له وعليه. وقال ابن عباس لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل

قوله تعالى :

﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف

هذا اخبار من الله تعالى عن ما قال قوم موسى لموسى بأنا أوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة . والاذى ضرر لا يبلغ بصاحبه ان يأتي على نفسه، تقول آذاه يؤذيه أذى وتأذى به تأذياً ، ومثله آلمه يؤلمه ايلاماً وتألم به تألماً . والاذى الذي كان بهم قيل هو استعباد فرعون إياهم ، وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم للأستخدام، والذي كان بعد مجيء موسى الوعيد لهم بتجديد ذلك العذاب من فرعون والتوعيد عليه ، وكان هذا على سبيل الاستبطاء منهم لما وعدهم فجدد الوعد لهم ، وحققه ، وقال الحسن كان يأخذ منهم الجزية .

وقوله « قال عسى ربكم » قال سيبويه لعل وعسى طمع واشفاق وقال الحسن (عسى) من الله واجبة ، وبه قال الزجاج . وقال أبو علي الفارسي (عسى) ههنا يقين .

وقوله « ويستخلفكم في الارض » قال ابو علي استخلفوا في مصر بعد موت موسى (ع) في التيه. ثم فتح الله لهم بيت المقدس مع يوشع بن نون . ثم فتح الله لهم

مصر وغيرها في زمن داود وسليمان فملكوها في ذلك الزمان على ما وعدوا به من الاستخلاف .

وقوله تعالى « فينظر كيف تعملون » قيل ان معنى ينظر ههنا يعلم ، وقيل يرى وكلا منهما مجاز لان النظر هو الطلب لما يدرك وهذا لا يجوز عليه تعالى ، ولكنه جاء على قوله تعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » (١) وفائدة الاية تسلية موسى (ع) لقومه بما وعدهم عن الله من اهلاك فرعون وقومه وجعل قومه بدلا منهم ليعملوا بطاعته .

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٩) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية ، واقسم عليه بأنه أخذ آل فرعون بالسنين وهي الاعوام المقحطة ، واللام في قوله « لقد » لام القسم ، (وقد) معناه الاخبار عن متوقع وهي تقرب الماضي من الحال ، لانه اذا توقع كون أمر فقيل قد كان ، دل على قربه من الحال . والآل خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم اليه ، ولذلك يقال اهل البلد ، ولا يقال آل البلد ، لان في الاهل معنى القرب في نسب او مكان ، وليس كذلك الآل .

ومعنى « اخذناهم بالسنين » اخذناهم بالجدوب ، والعرب تقول اخذتهم السنة اذا كانت قحطة يقال أسنت القوم إذا اجدبوا ، وإنما قيل للمجدبة السنة ، ولم يقل للمخصبة ، لانها نادرة في الانفراد بالجدب ، والنادر أحق بالافراد بالذكر ، لانفراده بالمعنى الذي ندر به .

وقال الفراء معنى بالسنين بالجدوبة تقول العرب (وجدنا البلاد سنين) أي

(١) سورة محمد آية ٣١

جدوباً ، قال الشاعر:

واموال اللئام بكل ارض تجحفها الجوائح والسنون (١)

وقال اخر :

كأن الناس اذ فقدوا عليا نعام جال في بلد سنينا (٢)

اي في بلد جدوب واهل الحجاز وعلياء قيس يقولون هن السنون ، فيجعلونها بالواو في الرفع ، وبالياء في الخفض والنصب على هجائين وبعض تميم يقول هي السنين ، فاذا ألقوا الالف واللام لم يجروها ، فقالوا قد مضت له سنون كثيرة ، وكنت عندهم بضع سنين ، وبنو عامر ، فانهم يجرونها في النصب والجر والرفع فيقولون اقمت عنده سنيناً كثيرة .

وقال الكسائي : على هجائين هي اللغة الغالبة في كلام العرب: السنون ، والسنين وينصبون النون على كل حال مثل نون الجمع في الموضعين ، وعليه اجماع القراء ، قال : وبعض العرب يجعلها على هجاء واحد ويلزم النون الاعراب بجعلها كانها من نفس الكلمة ، وانشد :

سنيني كلها واسيت حرباً اقاس مع الصلادمة الذكور

وانشد :

ولقد ولدت بنين صدق سادة ولانت بعد الله كنت السيدا

فاثبت النون في بنين وهي مضافة .

وقوله تعالى « ونقص من الثمرات » اي واخذناهم مع القحط وجدب الارض بنقصان من الثمار .

وقوله تعالى « لعلهم يذكرون » معناه لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا الى الحق ، وانما قال « لعلهم » وهي موضوعة للشك ، وهو لا يجوز في كلام الله ، لانهم عوملوا

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٦٦ (٢) مجمع البيان ٢ : ٤٦٦

معاملة الشاك مظاهرة في القول ، كما جاء الابتلاء والاختبار مثل ذلك ، والآية تدل على بطلان مذهب المجبرة من ان الله تعالى يريد الكفر والمعاصي ، لانه بين انه فعل بهم ذلك لكي يذكروا ، ويرجعوا فقد اراد منهم الاذكار ، فكأنه قال من اجل ان يذكروا ، وليس كذلك إذا كلفهم من اجل الثواب ، لان ارادة المريد لما يكون من فعله في المستأنف عزم ، وذلك لايجوز عليه تعالى ، وليس كذلك ارادته لفعل غيره ، قال مجاهد : السنين الحاجة ، ونقص من الثمرات دون ذلك ، وقال قتادة كان السنين بباديتهم ، « ونقص من الثمرات » كان في امصارهم ، وقراهم . وقال كعب يأتي على الناس زمان لاتحمل النخلة الا تمرة .

قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٠) آية بلا خلاف.

المراد بالحسنة ـ ههنا ـ المنعمة من الخصب والسعة في الرزق والعافية ، والسلامة . و(السيئة) النقمة من الجدب وضيق الرزق والمرض والبلاء ، وفيه ضرب من المجاز ، لأن حقيقة الحسنة ماحسن من الفعل في العقل ، والسيئة ما قبح من الفعل ، وانما شبه هذا بذلك ، لتقبل العقل لهذا كتقبل الطبع لذلك . وقال قوم : هو مشترك لظهور العلم في ذلك في الناس جميعاً على منزلة سواء .

اخبر الله تعالى عن قوم فرعون انه اذا جاءهم الخصب ، والسعة والنعمه من الله « قالوا لنا هذه » والمعنى انا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروه عليه ويؤدوا حق النعمة ، لئلا

يسلبهم الله إياها .

وقوله « وان تصبهم سيئة » يعني جدب وقحط وبلاء « يطيروا بموسى ومن معه » والمعنى انهم تشاءموا بهم ، وهو قول الحسن ومجاهد ، وابن زيد ، لأن العرب كانت تزجر الطير ، فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح ، وهو الذي يأتي من جهة اليمين ، قال الشاعر :

زجرت لها طير الشمال فان يكن هواك الذي يهوى يصبك اجتنابها (١)

وقال آخر :

فقلت غراب لا اغتراب من النوى وبان لبين ذي العيافة والزجر (٢)

واصل الطائر النصيب ، يقال : طارله من القسم كذا وكذا ، وانشد ابن الاعرابي :

واني لست منك ولست مني إذا ما طار من مالي الثمين (٣)

اي اخذت الزوجة ثمنها من ميراثه .

وقوله تعالى « الا إنما طائرهم عند الله » معناه ان الله هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم ، من الخير والشر والنفع والضر ، فلو عقلوا طلبوا الخير من جهته ، والسلامة من الشر من قبله .

وموضع (اذا) نصب بانها ظرف للقول ، ولا يجوز ان يعمل فيها الفعل الذي يليها ، لأنها مضافة اليه ، ولو جازيت بها جاز عمله فيها ، وقال الازهري والزجاج : معنى « انما طائرهم عند الله » شؤمهم الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعله بهم يوم القيامة ، وقال ابن عباس معناه ان مصائبهم عند الله .

---

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٦٦ واللسان (طير) وروايته (لهم) بدل (لها)

(٢) لم أجده في مظانه

(٣) مجمع البيان ٢ : ٤٦٦

قوله تعالى :

﴿وَقالوا مَهما تَأتِنا بِهِ مِن آيَةٍ لِتَسحَرَنا بِها فَما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنينَ﴾ (١٣١) آية بلا خلاف

« مهما » اي شيء ، وقال الخليل : أصلها (ما) الا انهم ادخلوا عليها (ما) كما يدخلونها على حروف الجزاء ، فيقولون (ماما) و (متى ما) و(اذا ما) فغيروا الفها بأن ابدلوها هاء ، لئلا يتوهم التكرير وصار (ما) فيها مبالغة في معنى العموم ، وقال غيره : اصلها (مه) بمعنى اكفف دخلت على (ما) التي للجزاء .

والفرق بين (ما) و (مهما) أن (مهما) خالصة للجزاء وفي (ما) اشتراك ، لأنها قد تكون استفهاماً تارة ، وبمعنى الذي اخرى ، وتارة بمعنى الجزاء ، وان كان الاصل في (مهما) ما ، لأن ما يجازى به من الاسماء قد لا يستعمل في الجزاء ، والتركيب ظاهر فيها لفظاً ومعنى .

وقوله تعالى « تأتنا » في موضع جزم ، وعلامة الجزم فيه حذف الياء ، وانما حذف الحرف للجزم ، لانه من حروف المد واللين ، وهي مجانسة لحركات الاعراب ، ومن شأن الجازم أن يحذف ما يصادفه من الحركة ، فان لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف ، لئلا يتعطل عن العمل .

في هذه الآية اخبار من الله تعالى ، وحكاية ما قال قوم فرعون لموسى (ع) بأنهم قالوا له اي شيء تأتينا به من المعجزات وتسحرنا بها فانا لا نصدقك عليه ، ولا نؤمن بك .

و (الآية) هي المعجزة الدالة على نبوته ، وهو كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته ، كما لا يمكن مقامة الشبهة للحجة ، وكما لا يمكن ان يقاوم الجهل للعلم ، والسراب للماء ، وان توهم ذلك قبل النظر والاعتبار ، ويخيل قبل الاستدلال الذي يزول

معه الالتباس ، وقد بينا حقيقة السحر فيما مضى ، وقد يسمى السحر مالا يعرف سببه وإن لم يكن محظوراً ، كما روي عنه (ص) انه قال : (إن من البيان لسحراً) وكما قال الشاعر :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجز قتل المسلم المتحرز

وذلك مجاز وتشبيه دون ان يكون حقيقة .

قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (١٣٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لما قال فرعون وقومه ما قالوا من انهم لا يؤمنون ، وان اتى بجميع الآيات ، فانهم لا يصدقونه على نبوته ـ انه ارسل عليهم الطوفان ، وهو السيل الذي يعم بتفريقه الارض ، وهو مأخوذ من الطوف فيها ، وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان . وقال الاخفش : واحده طوفانة ، واما المفسرون فانهم اختلفوا في معناه ، فقال ابن عباس في بعض الروايات عنه : إنه الغرق . وقال مجاهد هو الموت . وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه كان أمراً من الله تعالى طاف بهم ، وقال تعالى في قصة نوح « فاخذهم الطوفان وهم ظالمون » (١) وقال الحسن بن عرفطة :

غير الجدة من آياتها خرق الريح بطوفان المطر (٢)

وقال الراعي :

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٤ (٢) نوادر أبي زيد : ٧٧ واللسان (طوف) وتفسير الطبري ١٣ : ٥٣ وغيرها . ويروى :

* خرق الريح وطوفان المطرف *

تضحى اذا العيس ادركنا نكائثها خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد (١)

الزؤد الفزع ، وقال ابو النجم :

قد مدّ طوفان فبث مددا شهراً شآبيب وشهراً بردا (٢)

وقال ابو عبيدة : الطوفان من السيل البعاق ، ومن الموت الذريع .

وقوله تعالى « والقمل » فاختلفوا في معناه ، فقال ابن عباس : في رواية عنه ، وقتادة ، ومجاهد : انه بنات الجراد، وهو الدبا صغار الجراد الذي لا اجنحة له . وفي رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد : أنه السوس الذي يقع في الحنطة . وقال ابن زيد هو البراغيث . وقال ابو عبيدة هو الحمنان واحده حمنة . وقيل حمنانة وهو كبار القردان . وقال الحسن وسعيد ابن جبير : هو دواب صغار سود واحـــدته قملة ، قال الاعشى :

قوم تعالج قـــلا ابناؤهم وسلاسلاً جداً وباباً مؤصدا (٣)

وقوله « والضفادع » فهو جمع ضفدع ، فهو ضرب من الحيوان يكون في الماء له نقيق واصطخاب ، وهو معروف . وقيل انه كان يوجد في فرشهم وابنيتهم ويدخل في ثيابهم ، فيشتد أذاهم به .

و (الدم) معروف وقد حـده الرماني : بأنه جسم مائع احمر مسترق عرض له الجمود كهذا الذي يجري في العروق . وقيل ان مياههم كانت عذبة طيبة فانقلبت دماً ، فكان الاسرائيلي اذا أغترف صار ماء ، وإذا اغترف القبطي كان دماً ، حتى ان المرأة

(١) اللسان (نكث) ، (زأد) وتفسير الطبرى ١٣ : ٥٣ . (النكائث) اخرما عند العيس من قوة على السير ، و (الزؤد) الفزع . وخرقاء صفة للناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها لحدة فيهـا (٢) تفسير الطبرى ١٣ : ٥٤

(٣) ديوانه : ١٥٤ واللسان (قمل) وتفسير الطبرى ١٣ : ٥٦ وهو من قصيدته التى قالهـا لكسرى .

القبطية تقول للمرأة الاسرائيلية مجيّ من فيك في فمي فاذا فعلت ذلك تحول دماً ، وقال زيد بن اسلم : الذي سلط الله عليهم ، كان الرعاف .

وقوله « آيات مفصلات » نصب على الحال ، قال مجاهد معجزات مبينات ظاهرات ، وأدلة واضحات . وقال غيره : لانها كانت تجيء شيئاً بعد شيء ، وقيل أنها كانت تمكث من السبت الى السبت ، ثم ترفع شهراً — في قول ابن جريج —

قوله « فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » معناه إنهم مع مشاهدتهم لهذه الآيات العظيمة والمعجزات الظاهرة ، انفوا من الحق وتكبروا عن الاذعان والانقياد له ، وكانوا قوماً عصاة مرتكبين للاجرام والآثام .

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٣) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (١٣٤) آيتان

(لما) للماضي مثل (لو). و(اذا) للمستقبل مثل (أن) وإن دخلت على الماضي.

اخبر الله تعالى عن هؤلاء القوم انه حين وقع عليهم الرجز وهو العذاب ـ في قول الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد ـ . وفي قول سعيد بن جبير : هو الطاعون — وقال قوم هو الثلج ، ولم يكن وقع قبل ذلك ، واصل الرجز الميل عن الحق ، ومنه قوله تعالى « والرجز فاهجر » (١) يعني عبادة الوثن ، والعذاب رجز ، لانه عقوبة على الميل عن الحق ، ومنه الرجازة ما يعدل به الحمل إذا مال ، والرجازة ايضاً صوف احمر

(١) سورة المدثر آية ٥

يزين به الهودج ، لانه كالرجازة التي هي تقويم له إذا مال . والرجز : رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها يعدل بها عن حق سيرها ، والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة ، لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه ، فهو كالرعدة في رجل الناقة ، يتحرك بها ، ثم يسكن ، ثم يستمر على ذلك .

وقوله « قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك » حكاية لمسألة قوم فرعون لموسى ان يدعو الله لهم بما عهد عند موسى ، والعهد التقـــدم في الامر ، فمنه العهد الوصية ، والعهود الوثائق ، والشروط . والعهد مطر بعد مطر قد عهد قبله . والمعاهد المعاقد على الذمة ، والتعاهد التقدم في تفقد الشيء ، وكذلك التعهد .

وقيل في معنى « ما عهد عندك » قولان :

احدهما - بما تقدم اليك به وعلمك ان تدعوه به فانه يجيبك كما أجابك في آياتك .

الثاني - بما عهد عندك على معنى القسم .

وقوله « فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه » فيه اخبار من الله تعالى انه لما كشف عنهم العذاب عند ذلك واخرهم الى اجل هم بالغوة يعني أجل الموت « اذا هم ينكثون » وانهم عند ذلك نكثوا ما قالوه ، ولم يفوا بشيء منه .

والعامل في (اذا) « ينكثون » ، وليست (اذا) هذه (اذا) المضافة الى جملة بل هي بمنزلة هناك - وهي المكتفية بالاسم ، ولو قال (اذا النكث) صح الكلام ، كما تقول : خرجت فاذا زيد . ومعنى (اذا) المفاجأة ، وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم ، لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء ، فكأنه فاجأ الرأي عجب من نكثهم ، والبلوغ منتهى المرور ، ومثله الوصول ، غير ان في الوصول معنى الاتصال ، وليس كذلك البلوغ . والانتهاء نقيض الابتداء في كل شيء ، وإن لم يكن فيه معنى المرور . والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به ، ومثله الغدر إلا أن (الغدر) فيما عقد من

الايمان على النفس ، ولذلك جاء في نقض الغزل في قوله تعالى « كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا (١) واصله النكاثة وهي تشعيب الشيء من حبل او غيره ، وانتكث الشيء اذا تشعب والنكيثة نقض العهد ، وجواب (لما) (اذا) ومثله قوله « وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون » (٢) ولا يجوز ان يجاب بعد (اذ) ، لانها لوقت الماضي والجواب بعد الاول ، يقتضي الاستقبال ، ولذلك صلحت فيه الفاء ولم يصلح الواو ، وحرف الجزاء يقلب الفعل دون الوقت .

قوله تعالى :

﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (١٣٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه بعد ان اظهر الايات التي مضى ذكرها وفزع قوم فرعون الى موسى ليسأل الله ان يرفع عنهم العذاب ، فانهم إذا رفع عنهم ذلك آمنوا ، ففعل موسى ، ورفع الله عنهم ذلك ، ولم يؤمنوا ، ونكثوا ما عهدوا به من القول وأنه انتقم منهم ، ومعناه سلب نعمهم بانزال العذاب عليهم وحلول العقاب بهم .

وقوله « فاغرقناهم في اليم » فالاغراق فى الامر او النزع ، فهو مشبه بالاغراق في الماء . و « اليم » البحر في قول الحسن وجميع اهل العلم ، قال ذو الرمة :

دوّية ودجى ليل كانهما يمّ تواطن في حافاته الروم (٣)

وقال الراجز :

كباذخ اليم سقاه اليم (٤)

---

(١) سورة النحل آية ٩٢ (٢) سورة الروم آية ٣٦

(٣) ديوانه : ٥٧٦ ومجمع البيان ٢ : ٤٦٦ وتفسير الطبرى ١٣ : ٧٤

(٤) قائله العجاج ديوانه : ٦٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٧ وتفسير الطبرى ١٣ : ٧٥ و (الباذخ) الموج . و (سقاه) أى امده

وقوله تعالى « بانهم كذبوا بآياتنا » معناه إنا فعلنا بهم ذلك جزاء بما كذبوا من آيات الله وحججه وبراهينه الدالة على نبوة موسى وصدقه « وكانوا عنها غافلين » معناه انهم انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم . والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة تقول : غفل يغفل غفولا ، وغفلا وغفلة ، وتغافل تغافلا وأغفل الأمر إغفالا ، واستغفله استغفالا ، واغتفله اغتفالا وتغفل تغفلا ، وغفله تغفيلا وهو مغفل .

فان قيل كيف جاء الوعيد على الغفلة ، وليست من فعل البشر ؟ ! قلنا عنه ثلاثة أجوبة :

احدها - انهم تعرضوا لها حتى صاروا ، لا يفطنون بها .

الثاني - ان الوعيد على الاعراض عن الآيات حتى صاروا كالغافلين عنها .

الثالث — ان المعنى وكانوا عن النعمة غافلين ودل عليه (انتقمنا) .

قوله تعالى:

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ * بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٦) آية في الكوفي والبصري ، وفى المدنيين آيتان آخر الاولى بني اسرائيل .

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم يعرشون بضم الراء الباقون بكسرها ، وهما لغتان فصيحتان : الكسر والضم ، والكسر انصح .

اخبر الله تعالى في هذه الآية إنه اورث الارض مشارقها ومغاربها الذين

استضعفوا في يدي فرعون وقومه . وانما اورثهم بأن اهلك من كان فيها وممكن هؤلاء ، وحكم بأن لهم ان يتصرفوا فيها على ما أباحه الله تعالى لهم. والاستضعاف طلب الضعف بالاستطالة والقهر . وقد استعمل استضعفته بمعنى وجدته ضعيفاً بامتحاني إياه ، كأنه قال طلبت حال ضعفه بمحنته ، فوجدته ضعيفاً . وقوله « باركنا فيها » يعني باخراج الزروع والثمار ، وسائر صنوف النبات والاشجار ، الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع للعباد .

وقيل « باركنا فيها » بالخصب الذي حصل فيها .

ومشارق الارض ومغاربها يريد جهات المشرق بها والمغرب . وقال الحسن هي أرض الشام ومصر . وقال قتادة هي ارض الشام . وقال ابو علي : هي أرض مصر . وقال الزجاج: كان من بني اسرائيل داود وسليمان ملكا جميع الارض. وقوله « وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل » يعني صح كلامه بانجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم ، واستخلافهم في الارض ، وانما كان الانجاز تمام للكلام لتمام النعمة به ، وقيل كلمته الحسنى هي قوله تعالى « ونريد ان نمن على الذي استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الارض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » . وإنما قيل الحسنى ، وان كانت كلمات الله كلها حسنة ، لأنه وعد بما يحبون .

وانتصب قوله تعالى « مشارق الارض ومغاربها » لاحد أمرين :

احدهما — بأنه مفعول اورثنا ، كقوله اورثه المال .

الثاني — بانه ظرف كأنه قال اورثنهم الارض التي باركنا فيها في مشارقها ومغاربها ، والاول أظهر .

وقوله « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه » معناه أهلكنا ما كان عمله فرعون وقومه مما كانوا يستعبدونهم ويسعون في افساد أمر موسى ويستعينون به في

أمرهم « وماكانوا يعرشون» معناه ما كانوا يبنونه من الابنية والقصور - في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقال الحسن هو تعريش الكرم . وقال ابو علي : تعريش الشجر والابنية . واصل التعريش الرفع ، قال ابو عبيدة يعوشون معناه يبنون ، و (العرش) في هذا الموضع البناء ، يقال عروش مكة أي بناؤها ، وقال ابو الحسن هما لغتان ، ومثله نبطش ونبطش ونحشر ونحشر ، في أمثال ذلك .

قوله تعالى :

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (١٣٧) آية بلا خلاف

قرأ حمزة والكسائي وخلف يعكفون — بكسر الكاف — الباقون بضمها ، وهما لغتان ، ومثله يعمّرون — بكسر السين — والضم في امثال ذلك .

المجاوزة الاخراج عن الحد يقال : جاوز الوادي جوازاً إذا قطعه وخلفه وراءه وتقول : جاز يجوز جوازاً وأجازه إجازة ، وجاوزه مجاوزة ، وتجاوز تجاوزاً ، واجتاز اجتيازاً ، وتجوز تجوزاً ، وجوّزه تجويزاً ، واستجاز استجازة .

والبحر الواسع العظيم السعة من مستقر الماء مما هو اعظم من كل نهر ، واصله السعة ، ومنه البحيرة التي يبحر أذنها اي توسع شقتها ، وتبحر في العلم : اذا اتسع فيه ، وقوي تصرفه به .

اخبر الله تعالى في هذه الاية انه حين أجاز قوم موسى وقطع بهم البحر وانجاهم من العدو وأغرق عدوهم فرعون وقومه ، وانهم بلغوا الى قوم عاكفين على أصنام لهم — ومعنى (العكوف) اللزوم للامر بالاقبال عليه والمراعاة له تقول عكف عكوفاً واعتكف اعتكافاً ، ومنه الاعتكاف لزوم المسجد للعبادة فيه ، وعكف عليه أي

واظب عليه - وانه لما رأى قوم موسى اولئك العاكفين على اصنامهم والملازمين لها دعاهم جبلتهم الى التشبيه بعبادة الأوثان - لما في طبع الانسان من الحكاية - ان قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . وفي طبع كل حيوان الحكاية، وأقوى الحيوان طبعاً في الحكاية القرد ، وله حكايات عجيبة ، وهذا الطلب منهم يدل على جهل عظيم من بنى اسرائيل بعد ما رأوا الايات التي توالت على فرعون وقومه حتى غرقهم الله في البحر بكفرهم، بعدما نجا بني اسرائيل ، فلم يردعهم ذلك عن ان قالوا لموسى(ع) « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » وتوهمهم انه يجوز عبادة غير الله ، وان اعتقدوا انه لايشبه الاشياء ، ولا تشبهه ، ولا يدل طلبهم ذلك على انهم مشبهة ، لما قلناه .

وقوله تعالى « انكم قوم تجهلون » حكاية عما اجابهم به موسى (ع) فقال لهم : انكم قوم تجهلون من المستحق للعبادة وما الذي يجوز ان يتقرب به الى الله تعالى ، ويحتمل ان يكون اراد تجهلون من صفات الله ما يجوز عليه وما لايجوز .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١٣٨) آية بلاخلاف

في هذه الاية حكاية عما قال موسى (ع) لقومه حين سألوه ان يجعل لهم إلهاً بعد ان قال لهم « انكم قوم تجهلون » ما يجوز ان يعبد ، وما لايجوز ، وانه اخبرهم « ان هؤلاء متبر ماهم فيه » يشير فيه الى العابد والمعبود من الاصنام ومعناه مهلك ، فالمتبر المهلك المدمر عليه، والتبار الهلاك، ومنه قوله تعالى « ولاتزد الظالمين إلا تباراً » (١) ومنه التبر للذهب سمي بذلك لامرين : احدهما - ان معدنه مهلكة قال الزجاج : يقال لكل اناء متكسر متبر ، وكسارته تبره .

(١) سورة نوح آية ٢٨

وقوله تعالى « وباطل ما كانوا يعملون » فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه ، وبأنه لايصح في عدم ولا وجود . والمعنى في بطلان عملهم انه لا يعود عليهم بنفع ولا يدفع ضرر ، فكأنه بمنزلة ما لم يكن من هذا الوجه . والعمل احداث ما به يكون الشيء على نقيض ما كان ، وهو على ضربين : احدهما ـ احداث المعمول . والاخر ـ احداث ما يتغير به . و (هؤلاء) أصله أولاء ادخلت عليه (هاء) التنبيه ، وهو مبني لتضمنه معنى الاشارة المعرفة ، وهو مع ذلك مستبهم استبهام الحروف ، إذ هو مفتقر في البيان عن معناه إلى غيره .

قوله تعالى :

﴿ قال أَغيرَ اللهِ أَبْغيكمُ إلهاً وَهُوَ فَضَّلكمُ على الْعالمينَ ﴾ (١٣٩) آية بلا خلاف .

في هذه الاية اخبار أيضاً عما قال موسى لقومه بعد ازرائه على الاصنام ، وعلى من كان يعبدها ، وان ما يفعلونه باطل مهلك : أأطلب غير الله لكم إلهاً ، ؟! قاله على وجه الانكار عليهم وان كان بلفظ الاستفهام ، فنصب « أغير الله » على انه مفعول به ، ونصب (الهاً) على احد شيئين :

احدهما ـ كأنه قال أأطلب لكم غير الله تعالى معبوداً ؟! .

والثاني ـ ان يكون نصب الهاً على انه مفعول به ، ونصب (غير) على الحال التي لو تأخرت كانت صفة .

و(بغى) يتعدى الى مفعولين ، وطلب يتعدى الى مفعول واحد ، لأن معنى بغى أعطى : بغاه الخير أعطاه الخير ، وليس كذلك طلب ، لانه غير مضمن بالمطلوب ، وقد يجوز ان يكون بمعنى ابغى لكم .

وقوله « وهو فضلكم على العالمين » قيل في معناه قولان

احدهما - قال الحسن وابو علي وغيرهما : يريد على عالمي زمانهم .

الثاني - معناه خصكم بفضائل من النعم بالآيات التي آتاكم ، وارسال موسى وهارون ، وهما رجلان منكم ، ومن اهلاك عدوكم بالتغريق في البحر ، ونجاتكم . وكل ذلك بمرأى ومستمع منكم .

والفرق بين التعظيم و التفضيل ان التفضيل يدل على فضل في النفس ، وهو زيادة على غيره ، وليس كذلك التعظيم ، ولذلك جاز وصف الله تعالى بالتعظيم ولم يجز بالتفضيل .

قوله تعالى:

﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ (١٤٠) آية

قرأ ابن عامر (نجيناكم) على لفظ الماضي . الباقون « انجيناكم » وقرأ نافع وحده « يقتلون » بالتخفيف . الباقون بالتشديد .

من شدد اراد التكثير . ومن خفف ، فلانه يحتمل القلة والكثرة . وقد مضى تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة (١) فلا وجه للتطويل بتفسيرها وانما نذكر جملها ، فنقول: هذا خطاب لبقية بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النبي (ص) فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعم على آبائهم وأسلافهم واذكروا « اذ أنجيناكم » من آل فرعون بمعنى خلصناكم لان النجاة الخلاص مما يخاف الى رفعة من الحال ، وأصله الارتفاع ، فمنه النجا أي الارتفاع في السير ، ومنه قوله « ننجيك ببدنك »(٢)

(١) في تفسير آية ٤٩ — ٥٠ من سورة البقرة المجلد الاول ص ٢١٧ - ٢٣١ من هذا الكتاب (٢) سورة يونس اية ٩٢

اي نلقيك على نجوة من الارض ، والنجو كناية عن الحدث ، لأنه كان يلقى بارتفاع من الارض للابعاد به ، وقد كان ايضاً يطلب به الانخفاض للابعاد به .

والفرق بين (انجيناكم) وبين (نجيناكم) ان الف (انجيناكم) للتعدية وتشديد (نجيناكم) يحتمل التعدية ، ويحتمل التكثير .

وقوله تعالى « يسومونكم » معناه يولونكم إكراهاً ويحملونكم إذلالاً « سوء العذاب » واصل السوم مجاوزة الحد فمنه السوم في البيع ، وهو تجاوز الحد في السعر الى الزيادة ، والسائمة من الابل الراعية ، لانها تجاوزت حد الانبات للرعي ، ومنه فلان سيم الخسف أي الزمه اكراهاً ، و (السوء) ماخوذ من انه يسوء النفس لنافريتها « يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم » معناه إن فرعون كان يقتل من تولد من بني اسرائيل ذكراً ويستبقي الاناث للاستخدام .

وقوله تعالى « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » فالمراد بالبلاء ههنا النعمة وقد يكون بمعنى النقمة واصله المحنة فتارة تكون المحنة بالنعمة ، واخرى بالنقمة ، وبالخير تارة وبالشر اخرى .

قوله تعالى:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤١) آية بلاخلاف .

قيل في فائدة قوله « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر » ولم يقل اربعين ليلة اقوال :

احدها - انه اراد شهراً وعشرة أيام متوالية . وقيل انه ذو القعدة وعشر

من ذي الحجة . ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء أول الشهر ، ولا أن الايام كانت متوالية ، ولا ان الشهر شهر بعينه ، هذا قول الفراء ، وهو معنى قول مجاهد وابن جريج ومسروق وابن عباس ، واكثر المفسرين .

الثاني - ان المعنى وعدناه ثلاثين ليلة يصوم فيها ويتفرد للعبادة بها . ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة . وقيل في العشر نزلت التوراة فلذلك أفردت بالذكر .

الثالث - قال ابو جعفر (ع) كان أول ما قال لهم اني اتأخر عنكم ثلاثين يوماً ، ليسهل عليهم ، ثم زاد عليهم عشراً ، وليس في ذلك كذب ، لانه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة ، فقد تأخر ثلاثين قبلها . وقال الحسن كان الموعد اربعين ليلة في اصل الوعد ، فقال في البقرة « واعدنا موسى أربعين ليلة » ، وفصله ههنا على وجه التأكيد فقال ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر .

وقوله تعالى « فتم ميقات ربه اربعين ليلة » ومعناه فتم الميقات اربعين ليلة ، وانما قال ذلك مع ان ما تقدم دل على هذا العدد ، لانه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل وهو الذي يسميه الكتاب الفذلكة ، لظن قوله « وأتممناها بعشر » أي كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين ، كما يقال تممت العشرة بدرهمين وسلمها اليه . وقيل في معنى قوله تعالى « واعدنا موسى ثلاثين ليلة » ينفرد فيهما للعبادة في المكان الذي وقت له ثم اتم الاربعين .

والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال ، والوقت وقت الشيء وقدره مقدر ، او لم يقدره ، ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام بها .

وقوله تعالى « وقال موسى لاخيه هارون أخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » الذين يفسدون في الارض ، وانما أمره بذلك مع انه نبي مرسل ، لان الرياسة كانت لموسى (ع) على هارون وجميع أمته ، ولم يكن يجوز ان يقول هارون لموسى مثل ذلك . وقال ابو علي : السبعون الذين اختارهم موسى الميقات كانوا

معه في هذا الخروج ، وسمعوا كلام الله لموسى (ع) وكانوا شهدوا له بذلك .

وقوله « هارون » في موضع جر ، لانه بدل من قوله (لاخيه) وانما فتح ، لانه لا ينصرف ، ولو رفع على النداء كان جائزاً ولم يقرأ به احد .

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٢) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الحجاز إلا عاصما « دكاء » بالمد والهمزة من غير تنوين هيهنا وفي الكهف — وافقهم عاصم في الكهف . الباقون « دكا » منونة مقصورة في الموضعين ، قال ابو زيد يقال دككت على الميت التراب ادكه دكا : إذا دفنته ، واهلت عليه ، وهما بمعنى واحد ، ودككت الركية دكاً إذا دفنته ، ودك الرجل فهو مدكوك إذا مرض ، وقال ابو عبيدة « جعله دكاً » أي مندكا ، والدك والدكة مصدره ، وناقة دكاء ذاهبة السنام والدك المستوى ، وانشد للاغلب :

هل غير عاد دكّ عاداً فانهدم (١)

وقال ابو الحسن : لما قال « جعله دكاً » فكانه قال دكه اي اراد جعله ذا دك ويقال دكاء جعلوها ، مثل الناقة الدكاء التي لا سنام لها . قال ابو علي الفارسي المضاف محذوف — على تقدير ابي الحسن ، وفي التنزيل « وحملت الارض والجبال فدكتا

(١) لم اجده في مظانه

دكة واحدة » (١) وقال « كلا اذا دكت الارض دكاً دكا » (٢) وقال الرماني معنى دكاً مستوياً بالأرض يقال دكه يدكه دكاً إذا سحقه سحقاً ، ومنه الدكة . واندك السنام اذا لصق بالظهر . وقال الزجاج : دكا يعني مدقوقاً مع الارض ، والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الارض ، ناشزة عنها ، لا تبلغ أن تكون جبلا . وقيل انه سباخ في الارض ـ في قول الحسن ، وسفيان ، وابي بكر الهذلي . وقال ابن عباس . صار تراباً ، وقال حميد :

يدك اركان الجبال هزمه يخطر بالبيض الرقال بهمه (٣)

وقيل في معنى قراءة من قرأها ممدودة قولان :

احدهما ـ انه شبه الجبل بالناقة التي لا سنام لها فيقال لها دكاء ، فكأنه قال فجعله مثل دكاء .

الثاني ـ فجعله أرضاً دكاء .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان موسى (ع) لما جاء الى ميقات ربه وهو الموضع الذي وقته له ، وكلمه الله تعالى فيه سأل الله تعالى ان يريه لينظر اليه . واختلف المفسرون في وجه مسألة موسى (ع) ذلك مع ان الرؤية بالحاسة لا تجوز عليه تعالى على ثلاثة اقوال :

احدها ـ انه سأل الرؤية لقومه حين ، قالوا له « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » (٤) بدلالة قوله « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » (٥) .

فان قيل على هذا ينبغي ان يجوزوا ان يسأل الله تعالى هل هو جسم أم لا أو يسأله الصعود والنزول ، وغير ذلك مما لا يجوز عليه ؟!!

(١) سورة الحاقة آية ١٤ (٢) سورة الفجر آية ٢١

(٣) تفسير الطبري ١٣ : ١٠٠ (٤) سورة البقرة آية ٥٥

(٥) سورة الاعراف آية ١٥٤

قلنا عنه جوابان:

احدهما - انه يجوز ذلك إذا علم ان في ورود الجواب من جهة الله مصلحة ، وانه أقرب الى زوال الشبهة عن القوم بأن ذلك لايجوز عليه تعالى ، كما جاز ذلك في مسألة الرؤية . وقال الجبائي انهم سألوا الله تعالى قبل ذلك هل يجوز عليه تعالى النوم أم لا ؟ ، وقالوا له سل الله ان يبين لنا ذلك ، فسأل الله تعالى ذلك ، فأمره بأن يأخذ قدحين يملأ احدهما ماء ، والآخر دهناً ، ففعل وألقى عليه النعاس ، فضرب احدهما على الاخر فانكسرا ، فاوحى الله تعالى اليه إنه لو جاز عليه تعالى النوم لاضطرب امر العالم، كما اضطرب القدحان في مدة حتى تكسرا .

الثاني - عن هذا السؤال أنه انما يجوز ان يسأل الله ما يمكن ان يعلم صحته بالسمع ، وما يكون الشك فيه لايمنع من العلم بصحة السمع ، وإنما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التي تقتضي الجسمية ، والتشبيه ، لان الشك في الرؤية التي لا تقتضي التشبيه مثل الشك في رؤية الضمائر ، والاعتقادات ، وما لايجوز عليه الرؤية ، وليس كذلك الشك في كونه جسما او ما يتبع كونه جسما من الصعود والنزول ، لأن مع الشك في كونه جسما ، لايصح العلم بصحة السمع من حيث ان الجسم لايجوز ان يكون غنياً ولا عالماً بجميع المعلومات ، وكلاهما لابد فيه من العلم بصحة السمع ، فلذلك جاز ان يسأل الرؤية التي لا توجب التشبيه ولم يجز ان يسأل كونه جسماً ، وما اشبه

والجواب الثاني - في اصل المسألة انه سأل العلم الضروري الذي يحصل في الآخرة ، ولا يكون في الدنيا ليزول عنه الخواطر والشبهات ، والرؤية تكون بمعنى العلم ، كما تكون الادراك بالبصر ، كما قال « الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » وأمثاله . وللانبياء ان يسألوا ما يزول عنهم الوساوس ، والخطرات ، كما سال ابراهيم ربه « فقال رب اني كيف تحيي الموتى » (١) غير انه سأل ما يطمئن قلبه الى ذلك

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

وتزول عنه ، الخواطر والوساوس ، فبين الله تعالى له ان ذلك لايكون في الدنيا .

الثالث - انه سأل آية من آيات الساعة التي يعلم معها العلم الذي لا يختلج فيه الشك كما يعلم في الآخرة وهذا قريب من الثاني .

وقال الحسن ، والربيع ، والسدي : انه سأل الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه وقوله « لن تراني » جواب من الله تعالى لموسى أنه لايراه على الوجه الذي سأله ، وذلك دليل على انه لا يرى لا في الدنيا ولا في الاخرة ، لان (لن) تنفي على وجه التأبيد ، كما قال « ولن يتمنوه أبداً » (١) وهذا انما يمكن ان يعتمده من قال بالجواب الأول ، فأما من قال : انه سأل العلم الضروري او علماً من أعلام الساعة لايمكنه ان يعتمده ، لان ذلك يحصل في الاخرة ، فيجري ذلك مجرى اختصاص الرؤية بالبصر على مذهب المخالف بحال الدنيا .

وقوله تعالى « فان استقر مكانه فسوف تراني » معناه ان استقر الجبل في حال ماجعله دكا متقطعاً فسوف تراني ، فلما كان ذلك محالا ، لان الشيء لايكون متحركا ساكناً في حال واحدة ، كانت الرؤية المتعلقة بذلك محالة ، لانه لا يعلق بالمحال إلا المحال . وقوله « فلما تجلى ربه للجبل » معناه ظهر بآياته التي احدثها في الجبل لحاضري الجبل بان « جعله دكا » . وقيل ان الله تعالى ابرز من ملكوته ما تدكدك به اذ في حكمه ان الدنيا ، لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذي في السموات ، كما قيل انه ابرز أنملة من العرش ، ويجوز ان يكون المراد « فلما تجلى ربه » لاهل الجبل ، كما قال « واسأل القرية » (٢) والتجلي هو الظهور ، ويكون ذلك تارة بالرؤية ، واخرى بالدلالة ، قال الشاعر :

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائياً (٣)

---

(١) سورة الجمعة آية ٦ (٢) سورة يوسف آية ٨٢

(٣) مجمع البيان ٢ : ٤٧٤

وانما اراد الشاعر ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر لذلك وأن تدبيره صواب ، فقال تجلى اي علم ، ولم ير بالابصار ، ولا أدرك بالحواس ، لأنه كان عن وقع الاسنة نائياً ، ولكن استدل عليه بحسن تدبيره .

وقال قوم : معناه فلما تجلى بالجبل لموسى قالوا : وحروف الصفات تتعاقب فيكون (اللام) بمعنى (الباء) . وقال قوم : لو أراد موسى الرؤية بالبصر لقال أرينك أو ارني نفسك ، ولا يجوز غير ذلك في اللغة .

وقوله « وخر موسى صعقا » قيل في معنى ذلك قولان :

أحدهما – قال ابن عباس والحسن وابن زيد وابو علي الجبائي : انه وقع مغشياً عليه من غير ان يكون قدمات بدلالة قوله « فلما أفاق » ولا يقال للميت إذا عاش أفاق ، وانما يقال : عاش اوحيي، وقال قتادة معناه مات . وقوله « قال سبحانك تبت اليك » قيل في معنى توبته ثلاثة اقوال :

احدها – انه تاب ، لأنه سأل قبل ان يؤذن له في المسألة ، وليس للانبياء ذلك

الثاني – أنه تاب من صغيرة ذكرها .

الثالث – انه قال ذلك على وجه الانقطاع اليه والرجوع الى طاعته ، وإن كان لم يعص ، وهذا هو المعتمد عندنا دون الأولين ، على انه يقال لمن جوز الرؤية على الله تعالى إذا كان موسى (ع) انما سأل ما يجوز عليه فمن اي شيء تاب ؟ فلابد لهم من مثل ما قلناه من الاجوبة .

فان قيل كيف يجوز ان يكون تجويز الرؤية صغيراً مع انه جهل بالله على مذهب من قال انه كان ذلك صغيرة ؟ !

قيل : لانه اذا لم تكن الرؤية المطلوبة على وجه التشبيه جرى مجرى تجويزه ان تكون هذه الحركة من مقدورات الله في انه لايخرجه من ان يكون عارفاً به تعالى ، وانما شك في الرؤية والحركة .

وقوله « وانا اول المؤمنين » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ قال الجبائي انا اول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك (فانا اول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية .

الثاني - قال مجاهد : وانا أول المؤمنين من بني اسرائيل] (١)

قوله تعالى:

﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ (١٤٣) آية بلا خلاف

قرأ أهل الحجاز ، وروح « برسالتي » على التوحيد . الباقون « برسالاتي » على الجمع . والرسالة تجري مجرى المصدر فتفرد في موضع الجمع ، وان لم يكن المصدر من (ارسل) يدلك على انه جار مجراه قول الاعشى :

ففادك بالخيل أرض العدو وجذ عانها كلقيطة العجم (٢)

فعمله اياها اعمال المصدر بذلك على انه يجري مجراه ، والمصدر قد يقع لفظ الواحد فيه ، والمراد به الكثرة ، وكان المعنى على الجمع لأنه مرسل لضروب من الرسالة ، والمصادر قد تجمع مثل الحلوم والالباب . وقال تعالى « ان انكر الاصوات لصوت الحمير » (٣) فجمع الاصوات لما أريد بها اجناس مختلفة ، صوت الحمار بعضها ، فافرد صوت الحمار ، وان كان المراد به الكثرة ، لانه صوت واحد .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه نادى موسى (ع) وقال له « يا موسى اني اصطفيتك » ومعنى الاصطفاء استخلاص الصفوة لما لها من الفضيلة . والفضائل على وجوه كثيرة : اجلها قبول الاخلاق الكريمة والافعال الجميلة ، ولهذا المعنى اصطفي

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٢) ديوانه : ٣٠ القصيدة ٣ (٣) سورة لقمان آية ١٩

موسى (ع) حتى استحق الرسالة ، وأن يكلم بتلقين الحكمة .

وقوله تعالى « برسالاتي وبكلامي » فيه بيان ما به اصطفاه وهو ان جعله نبياً وخصه بكلامه بلا واسطة ، وهما نعمتان عظيمتان منه تعالى عليه ، فلذلك امتن بهما عليه ، وانما صار في كلام الجليل نعمة على المكلم ، لانه كلمه بتعليم الحكمة من غير واسطة بينه وبين موسى ، ومن اخذ العلم عن العالم المعظم كان اجل رتبة ، ولو كلم إنساناً بالانتهار والاستخفاف ، لكان نقمة عليه بالضد من تلك الحال .

وقوله تعالى « فخذ ما اتيتك » معناه تناول ما اعطيتك « وكن من الشاكرين » يعني من المعترفين بنعمتي ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها على حسب مرتبتها ، فاذا كانت من اعظم النعم ، وجب ان تقابل بأعظم الشكر ، وهو شكر العباد لله وحده على وجه الاخلاص له .

قوله تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٤٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه كتب لموسى (ع) في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، وقال الجبائي المكتوب في الالواح التوراة ، فيها اخبار الامم الماضية ، وفصل فيها الحرام والحلال . و (الالواح) جمع لوح ، وقال الزجاج كانا لوحين ، فجمع ، قال ويجوز ان تكون ألواحاً جماعة ، واللوح صفيحة مهيأة للكتابة فيها ، وقد يقال لوح فضة تشبيهاً باللوح من الخشب ، ومثله لوح من حجر ، وقال الحسن : وكانت الالواح من خشب نزلت من السماء ، ومعنى كتبنا له من كل شيء كتبنا اليه كل ما في شرعه من حلال ، وحرام ، وحسن وقبيح ، وواجب وندب ، وغير

ذلك مما يحتاجون الى معرفته .

وقيل : كتب له التوراة فيها من كل شيء من الحكم والعبر .

واصل اللوح اللمع يقال لاح الامر يلوح لوحاً ولووحاً إذا لمـــع وتلألأ . والتلويح تضمير ، ولوّحه السفر والعطش اذا غيره تغييراً تبين عليه أثره ، لان حاله يلوّح بما نزل به ، واللوح الهواء ، لانه كاللامع في هبوبه ، واللوح مأخوذ من ان المعاني تلوح بالكتابة فيه . و (الموعظة) التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع الخوف تقول : وعظه يعظه وعظا وموعظة ، واتعظ اتعاظاً اذا قبل الوعظ .

وقوله « وتفصيلا لكل شيء » يعني تمييزاً لكل ما يحتاجون اليه .

وقوله « فخذها بقوة » قيل معناه بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة ، ولو أخذه بضعف نية لأداه الى فتور العمل به .

وقوله « وامر قومك يأخذوا بأحسنها » معناه يأخذوا بأحسن المحاسن ، وهي الفرائض والنوافل ، وأدونها في الحسن المباح ، لانه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب . وقال الجبائي احسنها الناسخ دون المنسوخ المنهي عنه ، لأن العمل بهذا المنسوخ قبيح . وقال الزجاج يأخذوا باحسنها معناه بما هو حسن دون ما هو قبيح ، وهـــذا تأويل بعيد ، لأنه لا يقال في الحسن انه احسن من القبيح ، ويجوز ان يكون المراد بأحسنها حسنها ، كما قال تعالى « وهو ان اهون عليه » (١) ومعناه هين ، ويحتمل ان يكون اراد باحسنها الى مادونه من الحسن ، الا ترى ان استيفاء الدين حسن وتركه احسن ، واما القصاص في الجنايات فحسن والعفو احسن ويكون ذلك على وجه الندب .

وقوله عز وجل « سأوريكم دار الفاسقين » قال الحسن ومجاهد والجبائي يعني به جهنم ، والمراد به فليكن منكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم ، وقال قتادة : هي منازلهم اي لتعتبروا بها وبما صاروا اليه من النكال فيها .

(١) سورة الروم آية ٢٧

قوله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٤٥) آية بلا خلاف

قرأ حمزة والكسائي وخلف « الرشد » بفتح الراء والشين . الباقون بضم الراء وسكون الشين . وفرق بينهما ابو عمرو بن العلاء ، فقال : الرشد - بضم الراء - الصلاح ، كقوله « فان آنستم منهم رشداً » (١) اي صلاحاً ، لدفعه اليهم ، والرشد الاستقامة في الدين ، كقوله « على ان تعلمني مما علمت رشداً » (٢) وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد ، مثل الحزن والحزن ، والسقم والسقم ، والرشد سلوك طريق الحق تقول رشد يرشد رشداً ، ورشد يرشد رشداً ، وارشده إرشاداً ، واسترشد استراشاداً ، وضده الغي غوي يغوى غياً وغواية ، واغواه اغواه ، واستغواه استغواه . وقال الجبائي والرماني معنا « سأصرف عن آياتي » اي سأصرف عن اياتي من العز والكرامة بالدلالة التي كسبت الرفعة في الدنيا والاخرة ، ويجوز ان يكون معناه اي احكم عليهم بالانصراف واسميهم بأنهم منصرفون عنها ، لأنهم قد انصرفوا عنها ، كما قال « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » (٣) .

ويحتمل ان يكون المرادني سأصرفهم عن التوراة والقرآن ، وما اوحى الله من كتبه بمعنى أمنعهم من افساده وتغييره وابطاله ، لأنه قال في اول الآية « وكتبنا له

(١) سورة النساء آية ٥ (٢) سورة الكهف آية ٦٧
(٣) سورة التوبة آية ١٢٨

في الالواح » الى قوله تعالى « ساصرف عن آياتي » ويجوز ان يكون المراد « سأريهم آياتي » فينصرفون عنها وهم الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ، كما يقول القائل سأحير فلاناً أي اسأله عن شيء فيتحير عند مسألتي وسأنجل فلانا أي اساله ماينجل عنده ، وكذلك يقال سأقطع فلاناً بكلامي ، والمراد انه سينقطع عند كلامي ، وكل ذلك واضح بحمد الله .

ويجوز ان يكون المراد أنهم لما عاندوا وتمردوا بعد لزوم الحجة عليهم وحضروا للتلبيس والشغب على ما حكاه الله عنهم انهم قالوا « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » (١) صرفهم الله بلطفه عن الحضور كما كانوا يحضرونه ، ويحتمل ان يكون المراد سأصرف عن جزاء آياتي .

ومن زعم انه بمعنى سأصرف عن الايمان بآياتي فقد اخطأ ، لأنه تعالى لا يأمر بالايمان ثم يمنع منه ، لأن حكمته تمنع من ذلك .

والصرف نقل الشيء الى خلاف جهته يقال صرفه يصرفه صرفا ، وصرّفه تصريفاً ، وتصرف تصرفاً ، وصارفه مصارفة ، وانصرف انصرافاً .

وقوله تعالى « الذين يتكبرون في الارض » والتكبر اظهار كبر النفس على غيرها ، وصفة متكبر صفة ذم في جميع البشر ، وهو مدح في صفات الله تعالى ، لأنه يستحق اظهار الكبر على كل شيء سواه ، لان ذلك حق ، وهذا المعنى في صفة غيره باطل ، فمعنى الآية الاخبار من الله انه يصرف عن ثواب آياته « الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها » يعني الذين إذا شاهدوا الحجج والبراهين لا ينقادون لها ، ولا يصدّقون بها « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » ومعناه أنهم متى رأوا سبيل الصلاح عدلوا عنه ، ولم يتخذوه طريقاً لهم بمعنى انهم لا يعملون

(١) سورة حم السجدة آية ٢٦

بذلك « وان يروا سبيل الغي ... » يعني وان يروا ضد الرشد من الكفر والضلال سلكوه وان تكبروا معصية الله في ذلك .

وقوله تعالى « ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا » يحتمل ذلك ان يكون في موضع رفع أي امرهم ذلك ، ويحتمل ان يكون نصباً أي فعلنا بهم ذلك ، لانهم تكبروا وكذبوا ، ومعناه : أفعل ذلك بهم ، يعني صرفي لهم عن ثواب الآيات الجزيل والمنزلة الجليلة .

ومن قال من المجبرة : إن الله تعالى يصرفه عن الايمان قوله باطل ، لانه تعالى لايجوز ان يصرف احداً عن الايمان ، لانه لو صرفه عنه ثم امره به ، لكان كلفه ما لايطيقه ، وذلك لايجوز عليه تعالى . وأيضاً فان الله تعالى بين انه يصرفهم عن ذلك في المستقبل ، جزاء لهم على كفرهم الذي كفروا ، فكيف يكون ذلك صرفا عن الايمان !! .

وقيل : ان معنى الآية أي سأصرف عن آياتي ، ولا اظهرها لهم كما اظهرتها للمؤمنين ، ويريد بذلك المعجزات الباهرات ، لعلمي بأن اظهارها مفسدة لهم يزدادون عندها كفراً ، تبين ذلك في قوله تعالى « وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا » .

وقيل : معناه سأصرف عن ابطالها والطعن فيها بما أظهره من حججها ، كما يقال سأمنعك من فلان اي من أذاه ، ذكره البلخي .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٦) آية بلاخلاف .

هذا اخبار من الله تعالى ان الذين كذبوا بآياته ، وجحدوا البعث والنشور في الآخرة . وهي الكرة الثانية ، لانه حقيق على من عرف النشأة الاولى ألا ينكر النشأة

الأخرى ، لان الذي قدر على الاولى ، فهو على الثانية أقدر ، كما ان من بنى داراً ابتداء ، فهو على اعادتها أقدر .

واصل اللقاء إلتقاء الحدين . ثم يحمل عليه الادراك فيقال لما ادركته : لقيه ، فهؤلاء كذبوا بادراك الآخرة استبعاداً لكونها .

وقوله « حبطت اعمالهم » اخبار من الله تعالى ان من كذب بآياته وجحد البعث والنشور تحبط أعماله ، لانها تقع على خلاف الوجه الذي يستحق بها المدح والثواب فيصير وجودها وعدمها سواء ، والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة مالم يعمل .

واصل الاحباط الفساد مشتق من الحبط ، وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلأ عليه ، يقال حبطت الابل تحبط : إذا اصابها ذلك ، واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه الذي أمر به يقال احبطه ، بمنزلة من يعمل شيئاً ثم يفسده .

وقوله « هل يجزون الا ما كانوا يعملون » اي به ، وصورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ ، والمعنى ليس يجزون إلا ما كانوا يعملون إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً .

قوله تعالى :

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٧) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « من حليهم » — بكسر الحاء واللام — الباقون بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام ، وتخفيف الياء ، فوجه قراءة يعقوب ان الحلي اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ومن قرأ بضم الحاء ، فلانه جمع (حلي) نحو ثدي وثدي ، وانما جمعه ، لانه أضافه الى جمع .

ومن قرأ بكسر الحاء أتبع الكسرة الكسرة ، وكره الخروج من الضمة الى الكسرة ، واجراه مجرى (قسي) جمع (قوس) .

اخبر الله تعالى عن قوم موسى انهم اتخذوا من بعد مفارقة موسى لهم ومضيّه الى مقيات ربه من حليهم ، ومعنى الاتخاذ الاعداد وهو افتعال من الاخذ واصله يتخذ إلا ان الياء تقلب في افتعل ، وتدغم ، لانها في موضع ثقيل في كلمة واحدة ، ولا يجوز في مثل أحسن قوماً الادغام . والاتخاذ اجتباء الشيء لامر من الامور ، فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة ، والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ، يقال : حلي بعيني يحلا ، وحلا في فمي يحلو حلاوة ، وحليت الرجل تحليلة اذا وضعته بما يرى منه . وقد تحلى بكذا أي تحسن به ، والعجل ولد البقرة القريب العهد بالولادة ، وهو العجول ايضاً ، وانما اخذ من تعجيل امره لصغره .

وقيل انهم عملوا العجل من الذهب ، وقوله « جسداً له خوار » فالجسد جسم الحيوان مثل البدن ، وهو روح وجسد ، والروح ما لطف ، والجسد ما غلظ ، والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات ، والخوار صوت الثور ، وهو صوت غليظ كالجؤار ، وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ ، والعوار والسكات والعطاش والنباح ، وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من الذهب خلاف ، فقال الحسن قبض السامري قبضة من تراب من اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل ، فتحول لحماً ودماً وكان ذلك معتاداً غير خارق للعادة ، وجاز ان يفعل الله لمجرى العادة . وقال الجبائي والبلخي إنما احتال بادخال الريح فيه حتى سمع له كالخوار ، كما قد يحتال قوم اليوم كذلك . ثم اخبر تعالى فقال « الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » على وجه الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبعد تصورهم ، فقال كيف يعبدون هذا العجل ، وهم يشاهدونه ، ولا يكلمهم ، ولا يتأتى منه ذلك ، ولا يهديهم الى سبيل خير . ثم قال « اتخذوه إلهاً وكانوا ظالمين » في اتخاذهم

له إلهاً واضعين للعبادة في غير موضعها .

والحلي الذي صاغ السامري منه العجل كانوا أصابوه من حلي آل فرعون قذفه البحر ، فقال السامري لـ (هارون) : إن هـذا حرام كله وينبغي ان نحرقه كله او نصرفه في وجه المصلحة ، فامر هارون بجمع ذلك كله ، واخذه السامري ، لانه كان مطاعاً فيهم ، فصاغه عجلا وكان صائغاً ، وطرحه في النار وطرح معه التراب الذي معه

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١٤٨) آية

قرأ اهل الكوفه إلا عاصماً « لئن لم ترحمنا » بالتاء « ربنا » بالنصب على النداء الباقون بالياء « ربنا » بالرفع على الخبر ، ومعنى قوله « سقط في ايديهم » وقع البلاء في أيديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه ، يقال : ذلك للنادم عندما يجده مما كان خفي عليه ، ويقال ايضاً سقط في يديه أي صار الذي كان يضرّبه في يديه .

ومعنى قوله «ورأوا » علموا « انهم قد ضلوا » وتبينوا بطلان ما كانوا عليه من عبادة العجل ، والكفر والضلال ، لان ما تعلق به الرؤية ، لايجوز ان يكون مدركاً بالبصر ، وهو معنى الجملة ، وانما يصح ان يعلم وان يدخل على الجملة وهي في تقدير المفرد ، ومتى ظهر فساد الاعتقاد ، فلا بد ان يندم صاحبه عليه ، لانه لامعنى للاقامة عليه مع توفر الدواعي الى خلافه ، كما انه لامعنى ان يكذب على نفسه مع علمه بكذبه ، غير انه مع ظهور الضلالة لهم لم يكونوا ملجئين الى الندم ، لان الالجاء يقع اما بالعلم بالمنع او تخوف من المضرة العاجلة او النفع العظيم العاجل الذي مثله يلجيء ، ولم يكن القوم على واحد من الامرين ، لانهم كانوا مكلفين للندم .

وفي الاية دلالة على بطلان قول من يقول لاحجوج الاعارف ، لان الله وصفهم

بأنهم سقط في ايديهم عندما رأوا من ضلالهم ، فدل على انهم كانوا محجوجين في ترك الضلال الذي ان لم يغفر لهم هلكوا .

وقوله « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرلنا » اخبار عما قال القوم حين تبينوا ضلالهم وسقط في ايديهم والتجائهم الى الله واعترافهم بأنه إن لم يغفر لهم ربهم ، ويتغمدهم بمغفرته يكونوا من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بما يستحقونه من العقاب الدائم.

وقال الحسن : كلهم عبدوا العجل إلاهارون بدلالة قول موسى « رب اغفرلي ولاخي » (١) ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له ، وقال الجبائي : انما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الاخبار عن النبي (ص) فيما روي عنه في هذا المعنى .

قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٩) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي وابو بكر وابن عامر « ابن ام » بكسر الميم . الباقون بالفتح . والقراء كلهم على « تشمت » بضم التاء . وقرأ حميد الاعرج ، ومجاهد « لا تشمت » بفتح التاء . واللغة الفصيحة بضم التاء من اشمت ، وقد ذكر شمت يشمت ، واشمت يشمت .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان موسى حين رجع من مناجاة ربه رجع غضبان

(١) آية ١٥٠ من سورة الاعراف

آسفا ، لما رأى من عكوف قومه على عبـــادة العجل ، والغضب معنى يدعو الى الانتقام على ما سلف وهو يضادّ ، الرضا ، يقال : غضب غضباً وأغضبه اغضاباً وغاضبه مغاضبة وتغضب تغضباً ، والاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف . وقال ابن عباس: أسفاً يعني حزيناً ، وقال ابو الدرداء: معناه شديد الغضب بدلالة قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا » (١) ومعناه اغضبونا كغضب المتحسر في الشدة ، وهو مجاز في الصفة .

وقوله تعالى « بئس ماخلفتموني من بعدي » معناه بئس ما عملتم خلفي ، يقال خلفه بما يكره وخلفه بما يحب اذا عمل خلفه ذلك العمل يقال خلف خلفا ، واخلف اخلافا ، وخالفه مخالفة ، واختلف اختلافا ، واستخلف استخلافا ، وتخلف تخلفا ، وخلف تخليفا ، وتخالفا تخالفا .

وقوله « اعجلتم امر ربكم » قال الجبائي معناه اعجلتم منه ما وعدكم من ثوابه ورحمته ، فلما لم تروه فعل بكم ذلك كفرتم ، واستبدلتم به عبادة العجل ، والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته ، والسرعة عمله في اول وقته ، ولذلك صارت العجلة مذمومة ، والسرعة محمودة ويقال عجلته أي سبقته واعجلته استحثثته .

وقوله « واخذ براس اخيه يجره اليه » قيل في معناه قولان :

احدهما – قال الجبائي انما هو لقبض الرجل منا على لحيته وعضه على شفته او ابهامه ، فاجرى موسى هارون مجرى نفسه ، فقبض على لحيته ، كما يقبض على لحية نفسه اختصاصا ، وقال ابو بكر بن الاخشيد (٢) : ان هذا أمر يتغير بالعادة ويجوز ان تكون العادة في ذلك الوقت انه إذا أراد الانسان ان يعاتب غيره لا على وجه الهوان أخذ بلحيته ، وجره إليه ثم تغيرت العادة الآن . وقال : انما اخذ برأسه

(١) سورة الزخرف آية ٥٥ (٢) هذا الاسم دائما أراه نسختين (ابن الاخشيد ، وابن الاخشاد)

ليسر اليه شيئاً أراده . وقال «يابن ام» حكاية عما قال هارون لموسى حين اخذ برأسه خوفاً من ان يدخل الشبهة على جهال قومه ، فيظنون ان موسى فعل ذلك على وجه الاستخفاف به والانكار عليه «يابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» .

ومن فتح ميم (ام) تحتمل قراءته امرين :

احدهما — انه بني لكثرة اصطحاب هذين حتى صار بمنزلة اسم واحد مع قوة النداء على التغيير نحو خمسة عشر .

الثاني — انه على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة ، كما قال الشاعر :

يابنة عمالاتلومي واهجعي(١)

والقياس يابن امي ، ومن كسر الميم أضافه الى نفسه بعد ان جعله اسما واحداً ، ومن العرب من يثبت الياء كما قال الشاعر :

يابن امي ويا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد (٢)

وقال الاخر :

يابن امي ولو شهدتك اذ تد عو تميماً وأنت غير مجاب (٣)

وقال الحسن كان أخاه لابيه وأمه والعرب تقول ذلك على وجه الاستعطاف بالرحم

---

(١) سيأتي في ٥ : ٥٦١ من هذا الكتاب وهو في اللسان (عم) وبعده :

* لا تسمعيني منك لوما واسمعي *

(٢) قائله ابو زبيد آمالي الزجاجي : ٩ وجمهر اشعار العرب : ١٣٩ واللسان (شقق) وتفسير الطبري ١٣ : ١٢٩ ومجمع البيان ٢ : ٤٨١ ، وقد روى (كنود) بدل (شديد)

(٣) قائله غلفاء ابن الحارث ، وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وهو عم امرىء القيس . وسمي (غلفاء) لانه كان يغلف رأسه بالمسك . انظر الاغاني ١٢ : ٢١٣ وتفسير الطبري ١٣ : ١٣٠ والنقائض : ٤٥٧ ، ١٠٧٧ والوحشيات رقم الشاهد ٢١٣

وقوله « فلا تشمت بي الاعداء » فالشماتة سرور العدو بسوء العاقبة تقول : شمت به شماتة واشمته إشماتاً إذا عرضته لتلك الحال. وقوله « والقى الالواح » يعني رماها ، وقال مجاهد كانت من زمرد أخضر ، وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوت احمر ، وقال ابو العالية كانت من زبرجد ، وقال الحسن كانت من خشب .

وقوله « ولا تجعلني مع القوم الظالمين » سؤال من هارون لموسى ألا يشمت به عدوه ولا يجعله في جملة القوم الظالمين لبراءة ساحته مما فعل قومه ، فلما ظهر لموسى براءة ساحة هارون ، بان له عذر ، عذره في المقام بينهم من خوفه على نفسه قال عند ذلك « رب اغفر لي ولاخي »

قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٥٠) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية عن دعاء موسى (ع) ربه عز وجل حين تبين له ما نبهه عليه هارون من خوف التهمة ، ودخول الشبهة عليهم بجره رأسه اليه - بأن يغفر له ولاخيه ، وان يدخله في رحمته ، والمقتضي لهذا الدعاء بالمغفرة قيل فيه قولان :

احدهما - ما اظهره من الموجدة على هارون وهو بريء مما يوجب العتب عليه ، لأنه لم يكن منه تقصير في الانكار على من عبد العجل ، لانه بلغ معهم من الانكار إلى أن همّوا بقتله لشدة إنكاره ، ولذلك قال « ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » .

والثاني - قال ابو علي انه بين بذلك لبني اسرائيل انه لم يأخذ برأسه على جهة الغضب عليه ، وإنما فعل ذلك كما يفعله الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره ، لا ، لانه كان منه في تلك الحال معصية .

وكان هذا الدعاء من موسى انقطاعاً منه الى الله تعالى ، وتقرباً اليه لا انه كان وقع منه او من أخيه قبيح صغير او كبير يحتاج ان يستغفر منه ، ومن قال : إنه استغفر من صغيرة كانت منه أو من أخيه ، فقد أخطأ ، ويقال له : الصغيرة على مذهبكم تقع مكفرة محبطة ، فلا معنى لسؤال المغفرة لها . وقد بينا في غير موضع ان الانبياء لايجوز عليهم شيء من القبائح لا كبيرها ولا صغيرها لان ذلك يؤدي الى التنفير عن قبول قولهم ، والانبياء منزهون عما ينفر عنهم على كل حال .

وقوله « وانت ارحم الراحمين » اعتراف من موسى بأن الله تعالى أرحم الراحمين وإعترافه بذلك دليل على قوة طمعه في نجاح طلبته ، لأن من هو ارحم الراحمين يؤمل الرحمة من جهته ، ومن هو أجود الاجودين يؤمل الجود من قبله .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (١٥١) آية بلا خلاف

في هذه الاية حذف ، وتقديره ان الذين اتخذوا العجل الهاً ومعبوداً سينالهم غضب ، فحذف لدلالة الكلام عليه ، وقوله في موضع آخر « فاخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي » (١) .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين اتخذوا العجل إلهاً وعبدوه من دون الله سينالهم غضب ، ومعناه فيلحقهم ، والنول اللحوق وأصله مدّ اليد الى الشيء الذي يبلغه ، ومنه قولهم نولك ان تفعل كذا أي ينبغي ان تفعله ، فانه يلحقك خيره ونواله . وتقول : ناوله مناولة ، وتناول تناولا ، وانا له إنالة .

وقوله « غضب من ربهم » يعني عقاب من الله تعالى وإنما ذكر الغضب مع

(١) سورة طه آية ٨٨

الوعيد بالنار لأنه أبلغ في الزجر عن القبيح ، كما ان ارادة الحسنة في الدعاء اليها والترغيب فيها ابلغ من الاقتصار على الوعد بها .

وقوله « وذلة في الحياة الدنيا » بمعنى صغر النفس ، والاهانة ، يقال ذل يذل ذلة ، وأذله اذلالاً ، وتذال تذللا ، وذلله تذليلا ، واستذله استذلالا .

وقيل المراد به ما يؤخذ منهم من الجزية على وجه الصغار .

وقوله « وكذلك نجزي المفترين » اخبار منه تعالى انه مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب يجزي الكاذبين والمتخرصين عليه ، وانما كان عبادة غير الله كفراً لانه تضييع لحق نعمة الله كتضييعه بالجحد للنعمة في عظم المنزلة ، وذلك لما ينطوي عليه من تسوية من انعم باجل النعمة بمن لم ينعم ، وفي ذلك إبطال لحق النعمة .

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٥٢) آية بلا خلاف .

لما توعد الله تعالى الذين عبدوا مع الله غيره وعطف على وعيدهم توعيد المفترين عليه والمتخرصين في دينه ما لم يأمر الله به ، عطف على ذلك ، فقال « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا » وهي جمع سيئة وهي الخصلة التي تسوء صاحبها عاقبتها ، وهي نقيض الحسنة ، كما ان الاساءة نقيض الاحسان « ثم تابوا من بعدها وآمنوا » يعني رجعوا الى الله تعالى بعد فعلهم السيئة وندموا عليها وعزموا على ان لا يعودوا إلى مثلها في القبح ، وآمنوا بما أوجب الله عليهم اجمع « ان ربك » يا محمد « من بعدها » يعني من بعد السيئة « لغفور رحيم » يعني يغفرها لهم ويسترها عليهم ، لرحمته بعباده .

وقد بينا فيما مضى ان التوبة التي اجمعوا على سقوط العقاب عندها هي الندم على

القبيح ، والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبيح ، وفي غيرها خلاف ، يقال : تاب يتوب توبة و (تاب الله عليه) : بمعنى وفقه للتوبة على الدعاء له ، و (تاب عليه) ايضاً : بمعنى قبل توبته ، والتوبة طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف و يسقط العقاب عندها بلا خلاف ، الا ان عندنا يسقط ذلك تفضلا من الله تعالى بورود السمع بذلك وعند المعتزلة العقل يوجب ذلك .

فان قيل كيف قال « تابوا من بعدها وآمنوا » والتوبة هي ايمان ؟

قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

احدها ـ تابوا من بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة .

الثاني ـ استأنفوا عمل الايمان .

الثالث ـ آمنوا بان الله قابل التوبة . وقيل ان الاية نزلت فيمن تاب من الذين كانوا عبدوا العجل ، فانهم تابوا وندموا ، واكثرهم تعبدهم الله بان يقتلوا انفسهم فقتل بعضهم بعضاً ، واستسلموا لذلك ، فقتل في يوم واحد سبعون الفاً ثم رفع عنهم ذلك وقبل توبتهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١٥٣) آية

معنى قوله « ولما سكت » سكن ، وسمي ذلك سكوتاً وان كان الغضب لا يتكلم ، لانه لما كان بفورته دالا على ما في النفس من المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك ، فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به والسكوت في هذا الموضع أحسن من السكون ، لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة لاخيه ، مع سكون غضبه . والسكوت هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه ، وهو

تسكين آلة الكلام .

وانما قيل سكت الغضب وسكت الحزن على طريق المجاز إلا انه في كل شيء يظهر اثره ، فيكون بمنزلة الناطق به ، قال ابو النجم .

وهمت الافعى بان تسيحا وسكت المكاء ان يصيحا (١)

فان قيل كيف جاز ان يستفز ، غضب الحمية عن غضب الحكمة ؟

قلنا : ليس كذلك ، ولكن غضب الحكمة صحبه غضب الحمية لما توجبه الحكمة . وسكون الغضب عن موسى (ع) لا يدل على ان قومه كانوا تابوا من عبادة العجل ، لانه يحتمل ان تكون زالت فورة الغضب ولم يزل الغضب ، لانه لم يخلص توبتهم بعد ويحتمل ان يكون زال غضبه لتوبتهم من كفرهم ، واذا احتمل الامران لم يحكم باحدهما الا بدليل ، وقوله تعالى « اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » معناه انه لما سكن غضبه رجع فأخذ الالواح التي كان القاها ، وكان في الالواح مكتوباً ما هو هدى وحجة وبيان ، ورحمة للذين هم لربهم يرهبون بمعنى يخافون عقابه ، ويجوز ان يقال لربهم يرهبون ، ولا يجوز يرهبون لربهم ، لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه تقدم او تاخر ، كما قال تعالى « ردف لكم » (٢) .

وفي الاية دلالة على انه يجوز إلقاء التوراة للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها ، للحكمة التي فيها من غير ان يكون إلقاؤها رغبة عنها .

قوله تعالى :

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا

(١) تفسير الطبري ١٣ : ١٣٨ (٢) سورة النمل آية ٧٢

فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴿١٥٤﴾ آية بلا خلاف .

الاختيار هو ارادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختار احدهما . والاختيار والايثار بمعنى واحد .

اخبر الله تعالى ان موسى (ع) اختار من قومه سبعين رجلا وحذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الشاعر :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع (١)

وقال غيلان :

وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين اذ ردت علي الاباعر (٢)

وقال اخر :

فقلت له اخترها قلوصا سمينة ونابا عليها مثل نابك في الحيا (٣)

يريد اختر منها ، وقال العجاج :

تحت الذي اختار له الله الشجر (٤)

---

(١) قائله الفرزدق . ديوانه : ٥١٦ والنقائض ٦٩٦ وسيبويه ١ : ١٨ واللسان (خير) وتفسير الطبري ١٣ : ١٥٥ وامالي ابن الشجري ١ : ٨٦ والكامل للمبرد ١ : ٢١ وغيرها (٢) مجمع البيان ٢ : ٤٨٤

(٣) قائله الراعي النميري . طبقات فحول الشعراء : ٤٥٠ ومعاني القرآن ١ : ٣٩٥ وشرح الحماسة ٤ : ٣٧ وتفسير الطبري ١٣ : ١٤٦

(٤) ديوانه : ١٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٢٩ ومعاني القرآن ١ : ٣٩٥ واللسان (خير) وتفسير الطبري ١٣ : ١٤٧ وقبله:

وانما اختار اخراجهم للميقات والميقات المذكور ههنا هو الميقات المذكور أولا ، لأنه في سؤال الرؤية ، وقد ذكر اولا ودل عليه ثانياً . وقيل هو غيره ، لانه كان في التوبة من عبادة العجل .

وقوله « فلما أخذتهم الرجفة » قيل في السبب الذي ، لأجله اخذتهم الرجفة ولان :

احدهما ـ لانهم سألوا الرؤية في قول ابن اسحاق .

الثاني ـ قال ابن عباس : لانهم لم ينهوا عن عبادة العجل ، وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى ، وانها الزلزلة العظيمة والحركة الشديدة .

وقوله « قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي » حكاية عما قال موسى لله تعالى ، وانه ناداه ، وقال يا رب لو شئت اهلكتني واياهم من قبل هذا الموقف .

وقوله « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » معناه النفي ، وإن كان بصورة الانكار ، كما تقول : (أتشتمني واسكت عنك) أي لا يكون ذلك . والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا .

وقوله « ان هي الا فتنتك » معناه إن الرجفة إلا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك أي تشديدك تشديد التعبد علينا بالصبر على ما انزلته بنا من هذه الرجفة والصاعقة اللتين جعلتهما عقاباً لمن سأل الرؤية وزجراً لهم ولغيرهم ، ومثله قوله « اولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » (١) يعني بذلك الامراض والاسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده فسمى ذلك فتنة من حيث يشدد الصبر عليها ، ومثله « الم . احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون » (٢) ومعناه لا يخلهم

ـ وعصبة النبي اذ خافوا الحصر شدوا له سلطانه حتى اقتسر
بالقتل اقواما واقواما اسر تحت الذي اختار له الله الشجر

(١) سورة التوبة آية ١٢٧ (٢) سورة العنكبوت آية ١ ـ ٢

شدائد الدنيا والامراض ، وغيرها ، ويحتمل ان يكون المراد بذلك ان هي إلا عذابك وقد سمى الله تعالى العـــذاب فتنة في قوله « يوم هم على النار يفتنون » (١) أي يعذبون ، فكأنه قال ليس هذا الاهلاك إلا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل ، وسؤالهم الرؤية ، وغير ذلك . والسبعون الذين كانوا معه وإن لم يعبدوا العجل ، فقد كانوا سألوا موسى ان يسأل الله تعالى ان يريه نفسه ، ليخبروا بذلك أمته ، ويشهدوا له بأن الله كلمه ، فان بني اسرائل قالوا لموسى لا نصدقك على قولك إن الله كلمك من الشجرة ، فاختار السبعين حتى سمعوا كلام الله ، وشهدوا له بذلك عند قومه ، فسألوا ان يسأل الله الرؤية ايضاً ليشهدوا له ، فلذلك استحقوا الاهلاك ولم يثبت ان السبعين كانوا معصومين ، ولا انهم كانوا انبياء ، فينتفي عنهم ذلك .

وقيل المراد بقوله « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » أي اتميتنا بالرجفة التي تميتهم بها ، وان لم يكن ذلك عقوبة لنا . والهلاك الموت ، لقوله « ان امرؤ هلك » (٢) والفتنة الكشف والاختبار ، قال المسيب بن علس :

إذ تستنيك باصلتي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع (٣)

اي لتكشفه وتبرزه . وقوله « تضل بها من تشاء » معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك ، وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء ، وانما نسب الضلال الى الله لانهم ضلوا عند أمره وامتحانه ، كما اضيفت زيادة الرجس الى السورة في قوله « فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٤) وان كانوا هم الذين ازدادوا عندها . والمعنى تختبر بالمحنة من تشاء لينتقل صاحبه عن الضلالة ، وتهدي من تشاء معناه تبصره بدلالة المحنة ليثبت صاحبها على الهداية من تشاء . وقوله « انت ولينا » . معناه أنت ناصرنا وأولى بنا « فاغفر لنا » سؤال منه

(١) سورة الذاريات آية ١٣ (٢) سورة النساء آية ١٧٥
(٣) مجمع البيان ٢ : ٤٨٤ وروايته (تستبيك) (٤) سورة التوبة ١٢٦

المغفرة له ولقومه . وقوله « وارحمنا وانت خير الغافرين » اخبار من موسى بأن الله خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم .

قوله تعالى :

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١٥٥) آية بلا خلاف.

هذا تمام الاخبار عما قال موسى وقومه الذين كانوا معه ، وانهم سألوا الله تعالى المغفرة وان يكتب لهم في هـذه الدنيا حسنة وهي النعمة ، وانما سميت النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لأمرين .

احدهما - ان النعمة تتقبلها النفس ، كما يتقبل العقل الحسنة التي هي الطاعـة.

والاخر - ان النعمة ثمرة الطاعة لله عز وجل ، وانما سألوا ان يكتب لهم ، ولم يسألوا ان يجعل لهم ، لان ما كتب من النعمة أثبت لاسيما اذا كانت الكتابة خبراً بدوام النعمة ، ويقال كتب له الرزق في الديوان، فيدل على ثبوته على مرور الازمان . «وفي الاخرة» معناه واكتب لنا في الاخرة ايضاً النعمة التي هي الثواب « انا هدنا اليك » قال ابن عباس معناه تبنا اليك ، وبه قال سعيد بن جبير وابراهيم وقتادة ومجاهد . واصله الرجوع من هاد يهود ، فهو هايد اذا رجع ، فمعناه رجعنا بتوبتنـا اليك ، والتهويد الترفق في السير والتفريج والتمكث . وقال ابو وجرة : هدنا بكسر الهاء من هاد يهيد ، وهو شاذ ، وثوب، مهود أي مرقع ذكره الجبائي ، وليس اليهود مشتقاً منه ، بل إنما قيل يهودي ، لانه نسب الى يهوذا ، لكن العرب غيرته في النسب .

وقوله « قال عذابي اصيب به من اشاء » حكاية عما اجابهم الله به من ان عذابه يصيب به من يشاؤه ممن استحقه بعصيانه . وقيل انما علقه بالمشيئة ولم يعلقه بالمعصية لامرين :

احدهما - الاشعار بأن وقوعه بالمشيئة له ، دون المعصية .

الثاني - انه لا يشأ ذلك الا على المعصية ، فايهما ذكر دل على الاخر وعندنا انه علقه بالمشيئة ، لانه كان يجوز الغفران عقلا بلا توبة .

وقوله « ورحمتي وسعت كل شيء » معناه إني اقدر ان انعم على كل شيء يصح الانعام عليه ، وقيل المعنى إنها تسع كل شيء ان دخلوها ، فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم إلا ان فيهم من يمتنع منها من الضلال بأن لا يدخل معه فيها ، وقال ابن عباس وهي خاصة في المؤمنين ، وقال الحسن وقتادة هي عامة للبر والفاجر - في الدنيا - خاصة . وفي الاخرة للبر .

وقوله « فسأكتبها للذين يتقون » معناه إن الرحمة في الاخرة مكتوبة للذين يتقون معاصيه ويحذرون عقابه « ويؤتون الزكاة » قيل في معناه ههنا قولان :

احدهما - يخرجون زكاة اموالهم ، فذكره ، لانه من اشق فرائضهم .

الثاني - يطيعون الله ورسوله في قول ابن عباس والحسن ذهبا الى ما يزكي النفس ويطهرها من الاعمال ، والذين هم بايانتا يؤمنون يعني اكتبها للذين يصدقون بايات الله وحججه وبيناته ، وليس اذا كتب الرحمة للذين يتقون منع ان يغفر للعصاة والفساق بلا توبة ، لان الذي تفيده الاية القطع على وصول الرحمة الى المتقين ، والفساق ليس ذلك بمقطوع لهم وان كان مجوّزاً .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً

عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴿١٥٦﴾ آية بلا خلاف.

قرأ « اصارهم » ابن عامر وحده على الجمع . الباقون « اصرهم » على التوحيد . ومن وحد فلان (الاصر) مصدر يقع على الكثير والقليل بدلالة قوله تعالى « اصرهم » فأضافه الى الكثرة . وقال « لا تحمل علينا اصراً » (١) ومن جمع اراد ضروباً من المآصر مختلفة ، فلذلك جمع .

قوله « الذين » في موضع جر ، لانه صفة لـ (الذين) في الآية الاولى بعد صفة في قوله « فسأكتبها للذين يتقون » فذكر ان من تمام صفاتهم اتباعهم للرسول « النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » يعني محمداً (صلى الله عليه وآله) و (الامي) الذي لا يكتب . وقيل انه منسوب الى الأمة . والمعنى انه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة . وقيل انه منسوب الى الأم ، ومعناه انه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة . وعن ابي جعفر الباقر (ع) انه منسوب الى مكة ، وهي أم القرى . وقيل انه نسب الى العرب ، لانها لم تكن تحسن الكتابة .

ومعنى « يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » انهم يجدون نعته وصفته ، ولانه مكتوب في التوراة (اتانا الله من سينا وأشرف من ساعير ، واستعلن من جبال فاران) وفيها (ساقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كلما اوصيه به) وفيها ، (وأما ابن الامة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثني

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦

عشر عظيما وأؤخره لامة عظيمة) .

وفي الانجيل بشارة بالفار قليط في مواضع منها (يعطيكم فار قليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله) وفيها انه (إذا جاء فقد أهل العلم) وفيها (انه يدبركم بجميع الخلق ، ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي) .

وقوله تعالى « يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » صفة للنبي (ص) الأمي ، وهو في موضع الحال ، وتقديره آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وسمي الحق (معروفاً) والباطل (منكراً) لان الحق يعرف صحته العقل إذ الاعتماد في المعرفة على الصحة ، وينكر الباطل بمعنى ينكر صحته .

« ويحل لهم الطيبات » معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة التي كانت حراماً عليهم ، ويحرم عليهم الخبائث يعني القبائح ، وما يعافي الانفس

« ويضع عنهم اصرهم » يعني الثقل بأمور محرمة وفي تكليفها مشقة ، كتحريم العروق والغدد ، وتحريم السبت ، وكانت كالاغلال في اعناقهم ، كما يقولون هذا طوق في عنقك .وقيل ما أمتحن به بنو اسرائيل من قبل نفوسهم ، وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم ، والتزام المكاره في كل شيء يخالفون الله فيه .

قوله تعالى « فالذين آمنوا به » يعني صدقوا بهذا النبي « وعزروه » يعني عظموه بمنعهم كل من اراد كيده ، واصله المنع ومنه تعزير الجاني وهو منعه بتاديبه من العود ، وقال قوم (عزرته) معناه رددته ، وقال اخرون : معناه أعنته وقال بعضهم معناه نصرته . وقال اخرون : منعته ونصرته .

وقوله « واتبعوا النور الذي انزل معه » يعني القرآن سماه نوراً لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور . واخبر عنهم بان من فعل ما قلناه فأولئك هم المفلحون الفائزون بثواب ربهم .

فهارس المجلد الرابع

من التبيان

١ — فهرس الآيات المستشهد بها

٢ — فهرس الاحاديث

٣ — فهرس الردود

٤ — فهرس المباحث اللغوية

٥ — الخطأ والصواب

٦ — فهرس المواضيع

١ - فهرس الايات المستشهد بها فى غير موضعها

صفحة	آية
	(٢) سورة البقرة
٦	وكذلك جعلناكم امة وسطاً ١٤٣
١١	هو الذي خلق لكم ٠٢٩
١١	ومما رزقناهم ينفقون ٠٠٢
١٣	ولهم عذاب اليم ٠١٠
٢٥/١٨١	ولا يقبل منها عدل ١٢٣
٥٠	ومن يكتمها فانه آثم قلبه ٢٨٣
٦٤/٥٦٨	ارنى كيف تحيي الموتى ٢٦٠
٧٠	الله يستهزىء بهم ٠١٥
١٢٧	لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ٣٨
	٦٢ ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤
١٣٢	ولئن أتيت الذين ١٤٥
١٤٠/٢٨٩	وما يضل به ٠٢٦
١٨٢	فأزلهما الشيطان ٠٣٦
٢٦٧	واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ١٢٤
٢٨٨	قد نرى تقلب وجهك ١٤٤
٣٠٥/٣١٤	فمن جاءه موعظة ٢٧٥
٣٠٧	والكافرون هم الظالمون ٢٥٤
٣٠٨	نساؤكم حرث لكم ٢٢٣
٣١٨	خاوية على عروشها ٢٥٩
٣٤٢	فاذكروني أذكركم ١٥٢
٣٥٧	مثل الذين ينفقون لموالهم ٢٦١
٣٥٧	من ذا الذي يقرض الله ٢٤٥
٣٥٩	اتبعوا ما انزل ١٧٠
٣٧٥/٢٤٢	ولا يحيطون بشيء ٢٥٧
٣٨٤	وإذ اخذنا ميثاقكم ٦٣، ٩٣
٤٢٦	كونوا قردة خاسئين ٠٦٥
٤٨١	باؤا بغضب ٠٦١
٤٨٧	واني فضلتكم على العالمين ١٢٢، ٤٧
٥٠٧	فمن عفي له من اخيه ١٧٨
٥١٩	ثم بعثناكم من بعد موتكم ٥٦
٥٦٧	لن نؤمن لك حتى نرى الله ٠٥٥
٥٩٣	لاتحمل علينا اصراً ٢٨٦
	(٣) سورة آل عمران
٥٦	لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ١٧٠
٧٠	ومكروا ومكر الله ٠٥٤

صفحة	آية	صفحة	آية
١٢٢	ولقد كنتم تمنون الموت	١٤٣	٥٩٠ إن امرؤ هلك ١٧٥
١٦٤	ان هذا لهو القصص الحق	٠٦٢	(٥) سورة المائدة
٢٦٦	هو الذي انزل عليك الكتاب	٠٠٧	٢٣ فلا تخشوا الناس واخشوني ٠٤٧
٤١٤	قد كان لكم آية في فئتين	٠١٣	٥٣ أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ٠٣٢
٤٢٥	يوم تبيض وجوه	١٠٦	١١٠ وجعلنا قلوبهم قاسية ٠١٤
٤٣١	فبشرهم بعذاب اليم	٠٢١	١٢٧ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠٧٢
٤٦٥	ومامن إله إلا الله	٠٦٢	١٤٠/٢٨٩ يهد به الله من اتبع ٠١٨
٤٨١	وباؤا بغضب من الله	١١٢	١٥٨ ومن عاد فينتقم الله منه ٠٩٨
	(٤) سورة النساء		١٦٩ وما علمتم من الجوارح ٠٠٥
٨/٧٤	لا يغفر ان يشرك به	٤٧، ١١٥	٢٧٢ واذا حللتم فاصطادوا ٠٠٣
١١	وكلم الله موسى تكليماً	١٦٣	٢٧٣/٢٧٥ حرمت عليكم الميتة ٠٤
٤٧	حتى اذا حضر احدكم الموت	٠١٧	٢٧٨ وطعام الذين اوتوا الكتاب ٠٦
٤٨	فليس عليكم جناح ان تقصروا	١٠٠	٤١٣ ان الله يحب المقسطين ٠٤٥
٤٩	فارزقوهم منه	٠٠٧	٤٦٨ يا أيها الرسول بلغ ٧٠
٧٠	يخادعون الله وهو خادعهم	١٤١	٤٨٦ ومن يتولى الله ورسوله ٥٩
١٧٨/٣٥٦	انكم اذاً مثلهم	١٣٩	(٦) سورة الانعام
٢٤٧	يبين الله لكم ان تضلوا	١٧٥	١٦ اوفوا بالعقود ١
٤٨٨	للذكر مثل حظ الانثيين	٠١٠	٤٧ حتى اذا جاء احدكم الموت ٦١
٥١٥	طبع الله عليها بكفرهم	١٥٤	٦٥ اسرع الحاسبين ٦٢
٥٧٤	فان آنستم منهم رشداً	٠٠٥	٨٨ قضى اجلا واجل مسمى عنده ٠٢

صفحة	آية
١٠٤	فله عشر امثالها ١٦٠
١٢٧	لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ٤٨
١٣٢/١٣٥	ولو اننا نزلنا ١١١
١٧٠	كذّبت رسل من قبلك ٣٤
١٧٥	ولبسنا عليهم مايلبسون ٩
١٧٨	وما على الذين يتقون ٦٩
١٨١	اولئك الذين ابلسوا ٧٠
٢١٦	وانذر به الذين يخافون ٥١
٢٥٦/٤٩٧	ولو ردوا لعادوا ٢٨
٢٦٩	يوحي بعضهم الى بعض ١١٢
٢٧٣	أتلو ما حرم ربكم عليكم ١٥٣
٢٧٣	فصلنا الايات ٩٧، ٩٨، ١٢٦
٢٧٣	الذين يشهدون ان الله حرم ١٥٠
٢٩١	قد جاءكم بصائر من ربكم ١٠٤
٣٤٠	ان اكون من اسلم ١٤
٣٧٦	ألم يأتكم رسل ١٣٠

(٧) سورة الاعراف

١٩	ائن كشفت عنا الرجز ١٣٣
٦٥	ارحم الراحمين ١٥٠
٦٩/٧٦	ونادى اصحاب الجنة ٤٣
٩٤	سبحانك تبت اليك ١٤٢
١٠٠	ولله الاسماء الحسنى ١٧٩
١٠٧	ربنا ظلمنا انفسنا ٢٢
١٢٣	ساء مثلا القوم ١٧٦
١٢٧	لاخوف عليهم ٣٤، ٠
١٦٢	وان يروا سبيل الرشد ١٤٥
١٧٠	جاءتهم رسلهم بالبينات ١٠٠
١٧٣	فأنجيناه والذين معه ٦٣، ٧١
٢٢٦	فريقا هدى وفريقا حق عليهم ٢٩
٢٤٧	ودرسوا مافيه ١٦٨
٢٥٤/٣٣٩	ما منعك ألا تسجد ١١
٢٦٧	وتمت كلمة ربك الحسنى ١٣٦
٢٧٥/٤٢٣	واتبع هواه ١٧٥
٢٧٥	ربنا هؤلاء أضلونا ٣٧
٢٨٩	الحمد لله الذي هدانا لهذا ٤٢
٣٤٢	اذا مسهم طائف من الشيطان ٢٠٠
٣٦١	حتى اذا ادارکوا فيها ٣٧
٤٠٥	كذلك نخرج الموتى ٥٦
٤٠٦	فيها تحيون وفيها تموتون ٢٤
٤٠٦	كما بدأكم تعودون ٢٩

صفحة	آية
٤٢٦	كونوا قردة خاسئين ١٦٥
٤٤١	ما اغنى عنكم جمعكم ٤٧، ٤٨
٤٦٨	رسالة ٧٨
٥١٨	انظرني الى يوم يبعثون ١٣
٥٢٠	ولا تقعدوا بكل صراط ٨٥
٥٢٩	سحروا أعين الناس ١١٥
٥٦٧	اتهلكنا بما فعل السفهاء ١٥٤
٥٨٠	رب اغفرلي ولاخي ١٥٠

(٨) سورة الانفال

٢١٨	لو نشاء لقلنا مثل هذا ٣١
٢٨٧/٣٥٢	وما رميت اذ رميت ١٧
٢٨٨	ويجعل الخبيث بعضه ٣٧

(٩) سورة التوبة

٤٩	اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ١٠
٧٠	اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا ٣٣
١٥٩	من يحادد الله ورسوله فان له ٦٤
١٨٩	انما المشركون نجس ٢٩
٣٥٥	فاقتلوا المشركين ٠٦
٣٩١/٥١٥/٥٩٠	فزادتهم رجساً ١٢٦
٤٣١	فبشرهم بعذاب اليم ٣٥
٤٧٤	ثم ابلغه مأمنه ٠٧
٥٣٢	اما يعذبهم واما يتوب ١٠٧
٥٧٤	ثم انصرفوا صرف الله ١٢٨
٥٨٩	إنهم يفتنون في كل عام ١٢٧

(١٠) سورة يونس

٨٤/١٤٤	حتى اذ كنتم في الفلك ٢٢
١٠٤	انك آتيت فرعون ٨٨
١٢٧	لاخوف عليهم ٦٢
١٣٩	ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ٦١
١٦٤	نفصل الآيات ٢٤
١٧٠	جاءتهم رسلهم بالبينات ١٣
٢٦٧	لا تبديل لكلمات الله ٦٤
٣٠٥	قد جاءتكم موعظة من ربكم ٥٧
٤١٨	كسبوا السيئات جزاء سيئة ٢٧
٤٣٦	وآخر دعواهم ان الحمد لله ١٠
٤٩٦	خير الحاكمين ١٠٩
٥٢٩	ما جئتم به السحر ٨١
٥٦٣	ننجيك ببدنك ٩٢

(١١) سورة هود

٦٥	احكم الحاكمين ٤٥

صفحة	آية
٩٦	ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً ٨
١٢٣	ياويلتى أألد وأنا عجوز ٧٢
١٦٤	احكمت آياته ثم فصلت ٢
١٩٢	رأى ايديهم ٧٠
٢٦٦	الر . كتاب احكمت ١
٣٠٥/٣١٤	واخذ الذين ظلموا الصيحة ٦٧
٣٨٤	استغفروا ربكم ٣، ٥٢، ٩٠
٤٦٨	فان تولوا فقد ابلغتكم ٥٧
٤٧٩	الا ان ثمود كفروا ربهم ٦٨
٤٩٠	انه مصيبها ما اصابهم ٨١
٤٩١	يانوح إنه ليس من اهلك ٤٦
٥٠٩	يرسل السماء عليكم مدراراً ٥٢

(١٢) سورة يوسف

٦٥	أرحم الراحمين ٦٤، ٩٢
١٢٧	إني ليحزنني ان تذهبوا به ١٣
١٦٢	قل هذه سبيلي ١٠٨
١٦٤	نقص عليك احسن القصص ٣
١٦٤	لقد كان في قصصهم عبرة ١١١
١٧٠	وقالت نسوة في المدينة ٣٠
٤٩٦	خير الحاكمين ٨٠

صفحة	آية
٥٦٩	واسأل القرية ٨٢

(١٤) سورة ابراهيم

١٤٠، ٢٨٩	ويضل الله الظالمين ٢٧
١٧	جاءتهم رسلهم بالبينات ٩
٢١٦	هذا بلاغ للناس ولينذروا ٥٢
٤٥٣	وتغشى وجوههم النار ٥٠

(١٥) سورة الحجر

١٢٧	ولا تحزن عليهم ٨٨
٢١٥	ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ٣
٣٠٥	فاخذتهم الصيحة ٧٣، ٨٣
٣٧٧	فو ربك لنسألنهم اجمعين ٩٢
٤١٧	ان المتقين في جنات وعيون ٤٥
٤٥٨	وارسلنا الرياح لواقح ٢٢
٥١٨	فانظرني الى يوم يبعثون ٣٦

(١٦) سورة النحل

٧١	وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ١٢٦
١١٦	وان ربك ليحكم بينهم ١٢٤
١٢٧	ولا تحزن عليهم ١٢٧
١٦٢	سرابيل تقيكم الحر ٨١

صحيفة	آية
٢٣٢	ومن ثمرات النخيل ٦٧
٢٣٦	ويجعلون لله البنات ٥٧
٢٨٧	فعليهم غضب من الله ١٠٦
٣٦٥، ٣٧٤	وما امر الساعة ٧٧
٤٧	فأذاقها الله لباس الجوع ١١٢
٥٥٧	كالتي نقضت غزلها من بعد ٩٢

(١٧) سورة الاسرى

٨٨	وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه ٢٣
٨٨	وقضينا الى بني اسرائيل ٤
١١٢	واذا قرأت القرآن ٤٥-٤٦
٢٧٢	ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى ١١٠
٢٩٠	وما منع الناس ان يؤمنوا ٩٤
٥٢٠	فحق عليها القول ١٦

(١٨) سورة الكهف

٥١	وكذلك اعثرنا عليهم ٢١
٦٦	الحمد لله الذي انزل على عبده ١
١١٦	وكلبهم باسط ذراعيه ١٨
٢٢١	هذا فراق بيني وبينك ٧٩
٢٧٠	لنعلم اي الحزبين ١٢

صفحة	آية
٢٧٥	واتبع هواه ٢٨
٢٩٠	وما منع الناس ان يؤمنوا ٥٦
٢٩٥	وحشرناهم فلم نغادر منهم ٤٨
٣١٨	خاوية على عروشها ٤٣
٤١٠	افتتخذونه وذريته اولياء ٥١
٥٣٣	اما ان تعذب واما ان تتخذ ٨٧
٥٧٤	تعلمني مما علمت رشداً ٦٧

(١٩) سورة مريم

٥٨	اني عبدالله آتاني الكتاب ٣٠-٣٢
٦٤	فهب لي من لدنك ولياً ٤-٥
٣٤٢	أولا يذكر الانسان ٦٧
٣٩١	فسوف يلقون غياً ٥٩
٤٨٤	وقد بلغت من الكبر عتياً ٧

(٢٠) سورة طه

٥٣	ولاصلبنكم في جذوع النخل ٧١
١٠٠	فما بال القرون الاولى ٥١
١٢٣	واجعل لي وزيراً ٢٩-٣٠
١٢٦	لأولي النهى ٥٤، ١٢٨
١٤٥	لعله يذكر او يخشى ٤٤

صفحة	آية
١٤٨	ولقد أريناه آياتنا كلها ٥٦
١٤٨	الرحمن على العرش استوى ٥
٢٧٥	واتبع هواه ١٦
٢٩٥	ونحشره يوم القيامة اعمى ١٢٤
٥٤٤/٥١٤	عجلا جسداً له خوار ٨٨

(٢١) سورة الانبياء

٥٦	لايحزنهم الفزع الاكبر ١٠٣
٦٥	ارحم الراحمين ٨٣
١٣٤	فليأتنا بآية كما ارسل الأولون ٥
٢١٦	انما انذركم بالوحي ٤٥
٢٢٨	كل في فلك يسبحون ٣٣
٢٥٤	وحرام على قرية اهلكناها ٩٥
٥٠٠	رب احكم بالحق ١١٢

(٢٢) سورة الحج

٨٢	ان كنتم في ريب من البعث ٥
١٥٩	من تولاه فانه يضله ٤
٣١٨	خاوية على عروشها ٤٥
٣٨٠	ذلك بان الله هو الحق ٦،٦٢
٤٢٢	تذهل كل مرضعة ٢
٤٩٤	النار وعدها الله الذين ٧٢

صفحة	آية

(٢٣) سورة المؤمنون

٤٧	اذا جاء أحدهم الموت ١٠٠
٦٥	احسن الخالقين ١٤
١٠١	يرثون الفردوس هم فيها ١١
١٠٧	ربنا غلبت علينا شقوتنا ١٠٧
١٥٩/٤٠٥	أيعدكم انكم اذا متتم ٣٥
٢٤٢	ما اتخذ الله من ولد وما ٩٢
٢٨١	كل حزب بما لديهم فرحون ٥٤
٣٠٥	فاخذتهم الصيحة ٤١
٣٧٦	الم تكن آياتي تتلى عليكم ١٠٦
٣٧٧	فلا انساب بينهم يومئذ ١٠٢

(٢٤) سورة النور

٣١٠	يسبح له فيها بالغدو ٣٦
٤٣٦،٤٣٧	ان غضب الله ٩

(٢٥) سورة الفرقان

٦٦	تبارك الذي نزل الفرقان ١
٩٦	أهذا الذي بعث الله رسولا ٤١
١٢٣	وجعلنا معه اخاه هارون ٣٥
٢١٩	وعباد الرحمن الذين يمشون ٦٣
٢٢٦	وكلا ضربنا له الامثال ٣٩

صفحة	آية
٢٤٦	وقالوا اساطير الاولين اكتتبها ٥
٢٤٧	ان هذا إلا افك افتراه ٤
٣١٢	حجراً محجوراً ٢٢، ٥٣
٣٤٢	والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر ٦٢
٣٤٢	ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ٥٠

(٢٦) سورة الشعراء

٩٤	انا نطمع ان يغفر لنا ربنا ٥٢
١٣٢	ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ٤
٢٤٢	فلما تراء الجمعان ٦٢
٢٧٥	وما اضلنا إلا المجرمون ٩٩
٣٤٧	واجعل لي لسان صدق ٨٤
٤٤٢	والذي اطمع ان يغفرلي ٨٢
٥٢٥	انما انت من المسحرين ١٥٣، ١٨٥
٥٢٩	فألقي السحرة ساجدين ٤٦
٥٣٠	وتلك نعمة تمنها عليّ ٢٢

(٢٧) سورة النمل

٩٦	سلام على عباده الذين ٥٩
١٢٧	ولا تحزن عليهم ٧٠
١٤٧/	٢٣٩ وأوتيت من كل شيء ٢٣
٣٩٩	قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه ٤٩

صفحة	آية
٤٣٧	نودي ان بورك من في النار ٨
٤٦٠	صنع الله ٨٨
٥٨٧	ردف لكم ٧٢

(٢٨) سورة القصص

١٢٤	تلك الدار الآخرة ٨٣
١٤٩	فخسفنا بهو وبداره هو ٨١
	١٥٦/ ٢٤٧/ ٢٦٣/ ٢٨٢/ ٣١١
	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً ٨
٢٦٧	ونريد ان نمنّ على الذين ٥
٢٧٥	اتبع هواه ٥٠
٣٧٦، ٣٧٧	ولا يسأل عن ذنوبهم ٧٨
٥١٦	وقالت لاخته قصيه ١١

(٩) سورة العنكبوت

١٢٤	وان الدار الآخرة لهي الحيوان ٦٤
١٣٥	اولم يكفهم انا أنزلنا عليك ٥١
١٤٠، ٢٨٩	والذين جاهدوا فينا ٦٩
١٧٣	فانجاه الله من النار ٢٤
٥٥٣	فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ١٤
٥٨٩	الم احسب الناس ان يتركوا ١-٢

صفحة	آية
(٣٠) سورة الروم	
٣٠	ظهر الفساد في البر والبحر ٤١
١٧٠	جاءتهم رسلهم بالبينات ٩
٢٨١	كل حزب بما لديهم فرحون ٣٢
٣٠٢	لله الامر من قبل ومن بعد ٤
٤٠٦	ثم اذا دعاكم دعوة من الارض ٢٥
٤٥٨، ٤٦٠	يرسل الرياح ٤٦، ٤٨
٥٥٧	وان تصبهم سيئة بما قدمت ٣٦
٥٧٣	وهو اهون عليه ٢٧
(٣١) سورة لقمان	
٢٠٤/٧ ٣	ان الشرك لظلم عظيم ١٣
٣٨٠	ذلك بأن الله هو الحق ٣٠
٥٤٤	واصبر على ما اصابك ١٧
٥٧١	انكر الاصوات لصوت الحمير ١٩
(٣٢) سورة الم السجدة	
٥١١	آلم تنزيل الكتاب لاريب ١-٣
(٣٣) سورة الاحزاب	
٩٦/٣٥٨	والحافظين فروجهم ٣٥
٣٣٧	هلم الينا ١٨
٣٥٣	ان الذين يؤذون الله ورسوله ٥٧
٤٢٧	يضاعف لها العذاب ضعفين ٣٠
(٣٤) سورة سبأ	
٦٨	لو ترى اذ فزعوا فلا فوت ٥١
٦٨	ولو ترى اذ الظالمون ٣١
١٣٩	ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ٣
٣٧٨	انحن صددناكم عن الهدى ٣٢
(٣٥) سورة فاطر	
٩٠	ولا يحيق المكر السيء ٤٣
١٣٩	وان امة إلا خلافيها نذير ٢٤
٤٦٥	هل من خالق غير الله ٣
٤٧٥	هو الذي جعلكم خلائف ٣٩
(٣٦) سورة يس	
٩٣	ومالي لا اعبد الذي فطرني ٢٢
١٢٢	ياحسرة على العباد ٣٠
١٢٣	ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ٥٢
٢٢٨	وكل في فلك يسبحون ٤٠
٢٥٤	فلا يستطيعون توصية ٥٠
٣٧٤	اولم ير الانسان أنا خلقناه ٧٧

صفحة	آية
٣٧٦/٣٧٧	الم اعهد اليكم ٦٠
٤٠٦	الى ربهم ينسلون ٥١
٤٥٣	فأغشيناهم فهم لا يبصرون ٩

(٣٧) سورة الصافات

٦٥	احسن الخالقين ١٢٥
٢٣٦	وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ١٥٨
٣٧٦	وقفوهم انهم مسئولون ٢٤
٣٧٨	واقبل بعضهم على بعض ٢٧، ٥٠
٤٦٥	لا إله إلا الله ٣٥
٥٢٠	فحق علينا قول ربنا ٣١
٥٣٦	والله خلقكم وما تعملون ٩٦

(٣٨) سورة ص

٧٣	وانطلق الملأ منهم ان امشوا ٦
٣١٥	بخالصة ذكرى الدار ٤٦
٣١٦	جنات عدن مفتحة لهم الابواب ٥٠
٣٧٨	ربنا من قدم لنا هذا فزده ٦١
٣٧٩	فالحق والحق اقول ٨٤
٣٩١	ص . والقرآن ذي الذكر ١-٢
٤٦١	لما خلقت بيدي ٧٥
٥١٨	انظرني الى يوم يبعثون ٧٩

صفحة	آية

(٣٩) سورة الزمر

٧٢/١٦٩	الله يتوفى الانفس ٤٢
٨٩	لو اراد الله ان يتخذ ولداً ٤
١٢٢	يا حسرتا على ما فرطت ٥٦
١٣٢	لئن اشركت ليحبطن عملك ٦٥
٢٣٠/٤٠٦	يخلقكم في بطون امهاتكم ٦
٣٧٦	الم يأتكم رسل ٧١

(٤١) سورة حم السجدة

١٠٧	أرنا الذين اضلانا من ٢٩
١٧٠	اذ جاءتهم الرسل من بين ١٤
١٧٣	ونجينا الذين ١٨
١٨٥	إئتيا طوعاً او كرهاً ١١
٢٢١	ومن بيننا وبينك حجاب ٥
٢٦٣، ٣٠٦	اعملوا ما شئتم ٤٠
٢٩٠	واما ثمود فهديناهم ١٧
٥٧٥	لا تسمعوا لهذا القرآن ٢٦

(٤٢) سورة الشورى

٢٦، ٧١، ٢٥٧، ٤٤٨	وجزاء سيئة ٤٠
٨٨	ولولا كلمة سبقت من ربك ١٤
٢٢٦	يدخل من يشاء في رحمته ٨

صفحة	آية
٢٤٤	ما كان لبشر ان يكلمه الله ٥١
	(٤٣) سورة الزخرف
٨٢	وهو الذي في السماء إله ٨٤
٩٢	ولئن سألتهم من خلقهم ٨٧
٩٤	قل ان كان للرحمن ولد ٨١
٢٣٦:	٢٨٨، ٤١٠ وجعلوا الملائكة ١٩
٥٨١	فلما آسفونا انتقمنا منهم ٥٥
	(٤٤) سورة الدخان
١٠٢	ذق انك انت العزيز الكريم ٤٩
	(٤٥) سورة الجاثية
٣٧٣	ما كان حجتهم إلا ان قالوا ٢٤
	(٤٦) سورة الاحقاف
٢٣٩	تدمر كل شيء بأمر ربها ٢٥
٢٩٩	وولوا الى قومهم منذرين ٢٩
٤٥٨	ما استعجلتم به ريح فيها عذاب ٢٤
	(٤٧) سورة محمد
١٤٠،	٢٨٩ والذين اهتدوا زادهم ١٧
٢٨٩	والذين قتلوا في سبيل الله ٤-٥
٣٥٦	ثم لا يكونوا امثالكم ٣٨

صفحة	آية
٤٦٥	لا إله إلا الله ١٩
٤٨٦	ان تنصروا الله ينصركم ٧
٥٤٨	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين ٣١
	(٤٨) سورة الفتح
١٣	ومن أوفى بما عاهد عليه الله ١٠
٩٧/	١٧٠ يد الله فوق ايديهم ١٠
٢٦٧	كلمة التقوى ٢٦
٣٦٠	ويهديك صراطاً مستقيماً ٢
	(٤٩) سورة الحجرات
٤١٣	ان الله يحب المقسطين ٩
٥٢٨	انما المؤمنون اخوة ١٠
	(٥٠) سورة ق
٦	وجاءت سكرة الموت بالحق ١٩
٢٦٧	ما يبدل القول لدي ٢٩
	(٥١) سورة الذاريات
٢٨٣	وما خلقت الجن والانس إلا ٥٦
٣٣٤	قتل الخراصون ١٠
٤١٧	ان المتقين في جنات ١٥
٤٥٨	وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح ٤١

صفحة	آية
٥٩٠	يوم هم على النار يفتنون ١٣
	(٥٢) سورة الطور
٣٧٨	واقبل بعضهم على بعض يتسألون ٢٥
	(٥٣) سورة النجم
٤٥٣	فغشاها ما غشى ٥٤
٥٣٦	والمؤتفكات ٥٣
	(٥٤) سورة القمر
٢٩٣	فهل من مدكر ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٣٢
٣٧٢	انا كل شيء خلقناه بقدر ٤٩
٣٧٤	اقتربت الساعة وانشق القمر ١
	(٥٥) سورة الرحمن
٢٢٨	الشمس والقمر بحسبان ٥
٢٩٩	مرج البحرين يلتقيان ١٩
٣٧٦، ٣٧٧	لا يسأل عن ذنبه انس ٣٩
	(٥٦) سورة الواقعة
١٤٦	فلولا ان كنتم غير مدينين ٨٦
	(٥٧) سورة الحديد
٢٨٠	يسعى نورهم بين ايديهم ١٢-١٣
٣٨٥، ٤٣٧	لئلا يعلم اهل الكتاب ٢٩

صفحة	آية
٤٠٦، ٤٠٧	وانزلنا الحديد فيه بأس ٢٥
٤٤٠	فضرب بينهم بسور له باب ١٣
	(٥٩) سورة الحشر
١٣٧	وما آتاكم الرسول فخذوه ٧
٣٨٨	الجبار المتكبر ٢٣
	(٦٠) سورة الممتحنة
٢٢٢	يوم القيامة يفصل بينكم ٣
٤١٣	ان الله يحب المقسطين ٨
	(٦٢) سورة الجمعة
٢٧٢	فاذا قضيت الصلاة فانتشروا ١٠
٥٦٩	ولا يتمنونه ٧
	(٦٣) سورة المنافقون
١٤٦	لولا اخرتني الى اجل قريب ١٠
٢٣٣	كأنهم خشب مسندة ٤
	(٦٤) سورة التغابن
٢٨٩	ومن يؤمن بالله يهد قلبه ١١
	(٦٥) سورة الطلاق
٥٠	واقيموا الشهادة لله ٢

صفحة	آية
(٦٦) سورة التحريم	
٢٦٧ وصدقت بكلمات ربها	١٢
٤٤٣ يوم لايخزي الله النبي	٨
(٦٧) سورة الملك	
١٤٨ أأمنتم من في السماء	١٦، ١٧
(٦٨) سورة القلم	
٣٧٨ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون	٣
(٦٩) سورة الحاقة	
٦٣ عيشة راضية	٢١
٤٥٨ واما عاد فأهلكوا بريح	٦
٥٦٧ فدكتا دكة واحدة	١٤
(٧١) سورة نوح	
٢٣٠ وقد خلقكم اطواراً	١٤
٥٠٩ يرسل السماء عليكم مدراراً	١١
٥٦١ ولا تزد الظالمين الا تباراً	٢٨
(٧٢) سورة الجن	
٢٢٢ وانا منا الصالحون ومنادون	١١
٢٨٨ يسلكه عذباً صعداً	١٧
٢٩٥ وانه كان رجال من الانس	٠٦

صفحة	آية
٤١٣ واما القاسطون فكانوا لجنهم	١٥
(٧٣) سورة المزمل	
٣٤٢ وتبتل اليه تبتيلا	٨
٤٣٧ علم ان سيكون منكم مرضى	٢٠
(٧٤) سورة المدثر	
١٩/٥٥٥ والرجز فاهجر	٥
٢٨٨ سأرهقه صعوداً	١٧
(٧٥) سورة القيامة	
٢٤٣ وجوه يومئذ ناظرة	٢٢-٢٣
٣٦٤ كلا لاوزر	١١
(٧٦) سورة الدهر	
٢٢٦/٤١٤ يدخل من يشاء	٣١
٣٣١/٥١١ ولا تطع منهم آثماً	٢٤
(٧٧) سورة المرسلات	
٣٦ والمرسلات عرفاً	١
(٧٨) سورة النبأ	
١٣٨ ياليتني كنت تراباً	٤١
(٧٩) سورة النازعات	
٢١٦ انما انت منذر من يخشاها	٤٥

صفحة	آية
٤٠٦	فانما هي زجرة واحدة ١٣
٥٤٤	انا ربكم الاعلى ٢٤
	(٨٠) سورة عبس
٢٢٣/٣٧٨	لكل امرئ منهم ٣٧
	(٨٢) سورة الأنفطار
٩٤	اذا السماء انفطرت ١
	(٨٣) سورة المطففين
٧	هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ٢٦
٥٣	اذا اكتالوا على الناس ٢
	(٨٤) سورة الانشقاق
٤٣١	فبشرهم بعذاب اليم ٣٤
	(٨٨) سورة الغاشية
٢٥٦	هل اتاك حديث الغاشية ١ ـ ٤
	(٨٩) سورة الفجر
١٤٨/٣٥٣	وجاء ربك ٢٢
٥٦٧	كلا اذا دكت الارض دكا ٢١

صفحة	آية
	(٩٠) سورة البلد
٢٩٠	وهديناه النجدين فلا ١٠-١١
٣٨٤	ثم كان من الذين آمنوا ١٧
	(٩٢) سورة الليل
٣١١	وما يغني عنه ماله اذا تردى ١١
٤٢٥	فانذتكم ناراً تلظى ١٤-١٦
	(٩٣) سوره "الضحى
١٢٤، ١٢٥	وللاخرة خير لك من الاولى ٤
	(٩٤) سوره "الانشراح
٣٦٤	ووضعنا عنك وزرك ٢
	(٩٥) سوره "التين
٦٥	احكم الحاكمين ٨
	(٩٦) سوره "العلق
١٦٥	سندعم الزبانية ١٨
	(٩٨) سوره "البينه"
٣٥٩	وذلك دين القيمة ٥
	(١٠١) سوره "القارعه"
٦٣	عيشه راضية ٧

٢ - فهرس الاحاديث

صحيفة

١٠ عن النبي (ص) انه قال : انما رهبانية أمتي الجلوس في المساجد .... سياحة أمتي الجهاد ... ليس منا من خصا واختصا ...

١٤ عن النبي (ص) انه قال لعبد الله بن رواح : (احسنت) عندما علم بأنه حلف يمينه

٢٢ عن علي (ع) - في من شرب خمراً وادعى الشبهة - : اديروه على الصحابة فان لم يصمع احداً منهم قرأعليه آية التحريم فادرؤوا عنه وان كان ....

٣٨ روي ان رجلا سأل النبي (ص) من ابي ؟ فقال له : حذافة .

٣٨ سئل النبي (ص) عن الحج في كل عام ، قال : لا ، ولو قلت نعم لوجب .

٤٤ عن النبي (ص) أنه قال : اذا رأوا الناس منكراً فلم يغيروه عمهم الله بالعقاب .

٥٩ عن النبي (ص) في كيفية نفخ المسيح في الطير .

٧١ عن النبي (ص) : بسم الله ارقيك والله يشفيك ....

٨٠ عن ابي عبد الله (ع) : ان الانعام نزلت جملة وشيعها ....

٨٥ عن النبي (ص) خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

١٠٠ عن النبي (ص) : من بلغه اني ادعو الى لا إله إلا الله فقد بلغه .

١٢٠ عنه (ص) في كيفيه استحقاق الخلود في الجنة . اوفي النار .

١٤٨ عن ابي عبد الله (ع) : من الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً .

١٧٢ سئل علي (ع) كيف يحاسب الله الخلق وهم لا يرونه ، قال : كما يرزقهم وهم لا يرونه .

١٧٦ عن النبي (ص) : سألت ربي ان لا يظهر على امتي اهل دين غيرهم فأعطاني

صفحة

وسألته ... وسألته ان لا يلبسهم شيعاً فمعنى ذلك
١٧٦ عن ابى عبدالله (ع) في معنى قوله تعالى «ان يبعث عليكم عذاباً ...»
١٧٩ عن النبي (ص) انه قال لعمر : يكفيك آية الصيف
١٨٠ عن ابى جعفر (ع) في معنى قوله تعالى «وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ...»
١٨٧ عن النبي (ص) : كيف انعم وقد التقم صاحب القرن وحنا جبينه . . .
١٨٩ عنه (ص) : نقلني الله من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات . . .
١٩١ عن ابى جعفر (ع) فى معنى « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات ...»
٢٠٤ عن النبي (ع) في معنى « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم »
٢١٤ عنه (ص) : أليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين ...
٢٢٣ عنه (ص) : يحشرون حفاة عراة عزلا .
٢٦٢ عن ابى جعفر (ع) في معنى « يوحي بعضهم الى بعض » .
٣٢٠ عن النبي (ص) : ابدأ بمن تعول .
٣٤٠ عن ابى جعفر (ع) ادنى الشرك الرياء .
٣٤١ عن ابى جعفر (ع) في معنى « ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن »
٣٥٣ عن النبي (ص) : بادروا بالاعمال قبل ستة . . .
٣٥٤ عن ابي جعفر (ع) في معنى « الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً »
٣٧٥ عن النبي (ص) : ان الله يسأل كل احد بكلام له . . .
٣٩٣ عن ابي جعفر (ع) في معنى « لآتينهم من بين ايديهم ...»
٤٠٢ عن النبي (ص) : خاصف النعل في الحجرة — يعني علياً (ع) —
٤١٥ عن ابى جعفر (ع) في معنى « خذوا زينتكم عند كل مسجد »

صفحه

٤٢٩ عن ابى جعفر (ع) في معني « ولا تفتح لهم ابواب السماء ... »
٤٤٠ عن ابى جعفر (ع) في معنى « وعلى الاعراف رجال » .
٤٤٠ عن ابي عبد الله (ع) فى معنى « الاعراف » وأين يكون .
٤٤١ عن النبي (ص) : يا علي كأنى بك يوم القيامة وبيدك عصاً . . .
٤٥٨ عن النبي (ص) عند ما تهب الريح : اللهم اجعلها رياحاً ولاتجعلها ريحاً
٤٩٦ عنه (ص): اقتلوا القاتل واصبروا الصابر .
٥٥٣ عنه (ص) : ان من البيان لسحراً .
٥٦٥ عن ابى جعفر (ع) في تفسير « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر »

٣ - فهرس الردود والاجوبة

صفحة

١٢ رد على الطبري في منعه قراءة « عقدتم » بالتشديد .

٣٠ دفع شبهة من يتوهم ان قوله تعالى « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوي عدل » يدل على جواز العمل بالقياس .

٤٠/ ٤٤/ ١٤٦/ ١٥٠/ ١٥١/ ١٨٥/ ٢٢٦/ ٢٦٠/ ٢٤٥/ ٢٩٠ - ٢٩٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦/ ٤٥١/ ٤٧٠/ ٥٠٠/ ٥٥/ ٥٧٥/ ٥٧٦ ردود على المجبرة ودفع شبهاتهم وابطال مذهبهم من جذوره .

٤٣/ ٤١٢ رد على من يقول بوجوب التقليد ، وعلى من يقول المعارف ضرورية.

٦٦ - ٦٧ رد على من يقول : أن المائدة لم تنزل على قوم عيسى (ع).

٨٣ رد على من يقول : أن الله تعالى موجود في مكان دون مكان .

٨٩ رفع شبهة من يقول : بجواز التلبيس من الله تعالى.

٩٥/ ٢١٠ رد على من لايجوز الوعيد من الله على من علم انه لا يعصي .

٩٩ رد على من يقول : لا يوصف الله تعالى بانه شيء .

١٠١/ ٢٦٥ - ٢٦٦ جواب من يسأل كيف يجوز على مذهبكم ان يكون اهل الكتاب عارفين بالله ونبيه ثم يموتون على الكفر ؟؟

١٠٦ جواب من يسأل كيف قالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » ولا كذب في الاخرة مع انه تعالى قال « انظر كيف كذبوا » .

١٠٨/ ١١٤/ ٢٦٩/ ٢٩٣/ ٤٦٩ ردود على من يقول بان المعارف ضرورية .

١١٣ رد على من يقول « وهم ينهون عنه وينأون عنه » نزلت في ابي طالب .

صفحه

١١٨ـ١١٩ أخذورد حول القدرة هل هي قبل الفعل ؟ وعن وجوب ابقاء من علم الله انه يؤمن أم لا .

١٢١ رد على المشبهة وابطال ما فهموه من « اذ وقفوا على ربهم » .

١٣٨ـ١٣٩ رد على القائلين بالتناسخ وبان البهائم مكلفة .

١٣٩ رد على البلخي في استدلاله على ان الاعواض للحيوانات دائمة .

١٥٣ رد على الجبائى والبلخي فى استدلالهم بأن الملك افضل من النبي

١٦١ جواب من يسأل عن اشتراط الفعل الصالح بعد التوبة في لزوم المغفرة

١٦٦ رد على من يقول بأن الظلم والجور بقضاء الله

١٧٨ رد على الجبائى فى استدلاله على عدم جواز التقية على الائمة المعصومين ، وعلى النبي (ص) .

١٧٩ رد على الجبائى فى استدلاله بان النبي (ص) يجوز عليه السهو والنسيان

١٩٦ـ٢٠٠ اسئلة واجوبة حول قوله تعالى « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي .... »

٤٣ | ٣ ٢ | ٢٠٦ | ٣٣٨/٤١٢ | ٤٢ ردود على من يقول بالتقليد ، ويحرم النظر والحجاج .

٢٢٦ رد على من يقول ان الله يحول بين المرء وبين ما دعاه اليه

٢٣٥ رد على من يقول بالطبع — اي ان الاشياء كل واحد منها له طبع خاص لا يتغير .

٢٤٠ـ٢٤٤ رد على من جوز رؤية الله بالبصر

٢٦٠ رد على من يقول ارادة الله قديمة

٢٦٥ ـ ٢٦٦ جواب من يسأل كيف يصح وصف اهل الكتاب بانهم يعلمون الحق ـ

صفحه

على مذهبكم في الموافات و نفي الاحباط
٢٧٧ رد على القائلين ان قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » قد نسخ
٣٣١ جواب من يسأل كيف يكون التكليف عقوبة مع انه تابع للمصلحة
٣٣٢ در على ابن علية — على مذهبه في تحريم اكل شحم ما يذبحه اليهودي ، فقط
٣٥٧ جواب من يسأل كيف نجمع بين « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » و بين « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة » و بين « يضاعفه له أضعافا كثيرة » و بين المجازاة على وجه التأبيد والخلود في الجنة . أو في النار .
٣٧٦ جواب من يسأل كيف نجمع بين « لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » و بين « فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين » و بين « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » وامثال ذلك .
٣٩٢ رد على من يقول : ان اغواء ابليس كان سبباً لضلاله .
٣٩٨ رد على المعتزلة القائلون بان الملائكة أفضل من البشر ، والانبياء منهم
٤١٠ رد على من يقول بأن الجن يرون بالابصار .
٤٤١ رد على الرماني والجبائي في استدلالهم بالاجماع على أنه لا يدخل الجنة إلا المطيع
٤٦٢ أخذ ورد حول (الطبع) والسبب والمسبب .
٥٣٢—٥٣٤ استدلال على بطلان السحر وانه خيال محض
٥٣٩ رد على الرماني في استدلاله على عدم جواز إمامان في زمن واحد
٥٦٧ - ٥٧٠ اسئلة واجوبة حول الرؤية وهل يجوز ان يسأل الله ذلك ؟
٥٧٩ - ٥٨٠ رد على من يقول لا محجوج إلا عارف
٥٨٤ رد على من يقول : ان استغفار موسى (ع) كان لمعصية صدرت منه او من اخيه

٤ - فهرس المباحث اللغوية

صفحه

١٢-١٣ بحث في (عقد) و (عاقد) وامثالها

٢٥ بحث في (العدل) بفتح العين و (العدل) بكسر العين

٣٢ بحث في (قيام) و (قيم) ، وامثالها مثل (فعال ، وفعالة ، وفعل)

٣٦ الفرق بين الرسول ، والنبي

٣٩ بحث في وزن (اشياء) وتصغيره . وفي (هين) بتشديد الياء - وامثالها

٥٩ بحث في (طير) وجمعه ، وتأنيثه وتذكيره

٦١ الفرق بين (أوحيت) و « وحيت)

٦٣ الفرق بين (الاستطاعة) و(القدرة)

٨٥ بحث في (مفعال) مثل مذكار ، ومئناث

٩٨،٩٩ بحث في همزة الاستفهام اذا كان بعدها همزة قطع

١٠٩ بحث في (وقر، يقر، وقراً)

١١٠ بحث في (اساطير) هل هو جمع او اسم جمع او جمع الجمع

١١٧ بحث في (وقف) و(اوقف)

١٢٧،١٢٨،١٢٩،١٣٠ بحث في (حزنته، واحزنته) والفرق بين (فعلته) بتشديد العين و (أفعلته) .

١٤٢-١٤٣ بحث في (أرأيت) في جميع احوالها

١٤٦ بحث في (لو، ولولا، وهلا، ولوما)

١٥٥ بحث في (غداة، وغدوة) وموارد استعمالها

صفحه

١٦٠ بحث في مادة وهيئة (سلام، وسلم)
١٧٣، ١٧٤ بحث في (نجا) و (أنجى)
٢٢٢ بحث في (بين) وهي تكون تارة اسماً وتارة تكون حرفاً
٢٢٣ بحث في (فرادى) وامثالها
٢٣٠ بحث في (مستقر) بفتح القاف و (مستقر) بكسر القاف
٢٣٢-٢٣٣ بحث في (ثمر) - بالفتح، والكسر، والضم، وجمعه ومفرده
٢٣٤ بحث في (قنوان) وفي مفرده وجمعه
٢٣٥ بحث في (ينع) مصدر، وجمع، وامثاله واشباهه
٢٣٦ بحث في (خرق) (واخترق) و (اختلق)
٢٣٨ بحث في (مفعل، وفعيل) والفرق بين الابتداع والاختراع
٢٤١-٢٤٢ الفرق بين (الادراك، والرؤية)
٢٤٤-٢٤٥ بحث في (بصائر) و (ابصار) و (مبصر) و (بصير) واشباهها
٢٤٦-٢٤٨ بحث في (درس، ودُارس، ودرست، ودارست)
٢٥٠ الفرق بين الحفيظ والوكيل
٢٥٨ بحث في (قبيل) مثلث القاف
٢٦٤ الفرق بين (حاكم) و (حكم)
٢٦٨ الفرق بين (الأكثر) و (الاعظم)
٢٧٦ بحث في (وذر) و (ترك) وتصريفهما
٢٨٦ بحث في (فعّل، وفعل) مثل ضيق، وضيق، وصعد، ويصّعد
٣٠٣، ٣٠٤ بحث في وزن (ذرّية)

صفحه

٣٠٧ في (زعم) ثلاث لغات
٣١٣ بحث في (حجر) مثلث الحاء
٣١٨ بحث في (فعال) بفتح الفاء وكسرها مثل حصاد ، وحصاد
٣٢١ بحث في (خطوات) وفيها ثلاث لغات
٣٢٢-٣٢٣/٣٢٤ بحث في (معز) وتصغيره وجمعه . وكذلك (ضأن)
٣٣٠ بحث في (حوايا) وما هو مفرده
٣٣٧ بحث في (هلم)
٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤ بحث في (ذكرته ذكراً) وفي (اشدّ) وامثالها
٣٥٩ بحث في « قيم » و (اشياء) و (ثيرة) و (ثور)
٣٦١-٣٦٢ بحث في (محياي) وكيف يكون للفعل الواحد ثلاثة مصادر
٣٧٠ الفرق بين (الاّتباع) و(الاتباع)
٣٧١ بحث في (كم ، وربّ)
٣٨١-٣٨٢ بحث في (معايش) وكل ما جاء على فعايل ، وفعائل ، وكذلك مصايب
٣٨٣ الفرق بين (الحمد) و(الشكر)
٤٠٤ الفرق بين (بعض) و (غير)
٤٢٨ بحث في (افعل) التي للتفضيل
٤٣٥ بحث في (نعم) بفتح العين وكسرها وتسكينها
٤٣٦-٤٣٧ بحث في (إن) مشددة و (أن) مخففة ومشددة ومواردا ستعمالها
٤٣٨ الفرق بين (نعم) و (بلى)
٤٣٩-٤٤٠ بحث في ﴿ عوج ﴾ بفتح العين وكسرها

صفحه

٤٤٢ بحث في ﴿ سيما ، وسيماء ﴾ وامثالها

٤٥٧-٤٥٨ بحث في ﴿ ريح ﴾ وامثالها والفرق بينها وبين اوزان تشبهها

٤٥٩-٤٦٠ بحث في ﴿ بشر ، ونشر ﴾ وامثالها ، واشباهها

٤٦٢ بحث في ﴿ نكد ﴾ من قوله تعالى « لا يخرج إلا نكداً »

٤٧٥ الفرق بين ﴿ العجب ﴾ بفتح العين والجيم و ﴿ العجب ﴾ بضم العين وتسكين الجيم

٤٧٥ بحث في ﴿ إلا . إلّى . ألّا ﴾

٥٠٨ الفرق بين ﴿ لو ﴾ و ﴿ لولا ﴾ و ﴿ إن ﴾

٥١٩-٥٢٠ بحث في ما كان آخره الف ، وما كان آخره الف ونون أو واو ونون من اسماء الاعلام

٥٢٠،٥٢١ بحث في ﴿ حقيق عليّ ان لا اقول ﴾ و ﴿ حقيق على ان لاّ اقول ﴾

٥٢٦-٥٢٧ بحث في ﴿ ارجه ﴾ و ﴿ ارجيه ﴾ و ﴿ أرجئه ﴾ وامثالها واشباهها

٥٣٣ بحث في ﴿ إمّا ، وأمّا ﴾ والفرق بينها وبين ﴿ أو ﴾

٥٣٤ الفرق بين ﴿ لو . وإن . ولما . واذا . وإما . وأما ﴾

٥٣٧ الفرق بين (ما . وأن) المصدريتين . وبحث في اسماء الاشارة

٥٥٢ بحث في (مهما) والفرق بينها وبين (ما)

٥٧٤ بحث في (رشد) بضم الراء وتسكين الشين . وبفتح الراء والشين

٥٨٠ بحث في (أشمت ، وشمت ، يشمت)

٥ – فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢٤	٥	هولمحرم	هوالمحرم
٢٤	١٧	وقولو	وقوله
٥٠	٢	الشادة	الشهادة
١٠٦	٩	قيل	قبل
١١٠	١١	فمعهم الطاف	فمنعهم الالطاف
١٢٥	١٢	لم يحز	لم يجز
١٢٦	٦	والجحا	والحجا
١٣٠	١	ومذهب	ومذنب
١٣٣	١٨	اسمت	اسمعت
١٤٠	٩	يه	به
٢٢٥	١٢	زابومالك	وأبومالك
٢٢٧	١٨	ابتدأ	ابتداء
٣٩٩	٧	لامن	لأن
٤٠٨	٥،٤	اعطيتة	اعطيت
		رجلا فرسته	الرجل ريشه
٤٣٣	١٧	ابواعلى	أبو علي
٤٤١	٣	يطمون	يطمعون
٤٥٣	٢٠	يفيد	يفده
٥٦٨	٢١	اني	أرني
٥٧٤	٢	آيات	آياتي

٦ - فهرس المواضيع

٥ - سورة المائدة

صفحه		آية
٥	واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع	٨٦
٦	ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا	٨٧
٧	فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين	٨٨
٨	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم	٨٩
٩	يا أيها الذين آمنو الا تحرّموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا	٩٠
١٠	وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون	٩١
١٢	لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم	٩٢
١٧	يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس	٩٣
١٩	انما يريد الشطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر	٩٤
٢١	واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم	٩٥
٢٢	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا	٩٦
٢٣	يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم	٩٧
٢٥	يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً	٩٨
٣٠	احل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم	٩٩
٣١	جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام	١٠٠
٣٥	اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم	١٠١
٣٦	ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون	١٠٢

صحفة

٣٧	قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث	١٠٣
٣٨	يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم	١٠٤-١٠٥
٤٠	ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام	١٠٦
٤٢	واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا	١٠٧
٤٣	يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم	١٠٨
٤٥	يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية	١٠٩
٥٠	فان عثر على انهما استحقا اثماً فآخران يقومان مقامهما	١١٠
٥٤	ذلك أدنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد	١١١
٥٥	يوم يجمع الله الرسول فيقولوا ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا	١١٢
٥٧	إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك	١١٣
٦٠	وإذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا	١١٤
٦٢	اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل	١١٥
٦٣	قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا	١١٦
٦٤	قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء	١١٧
٦٥	قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه	١١٨
٦٧	واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين	١١٩
٧٢	ما قلت لهم إلا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم	١٢٠
٧٣	ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت	١٢١
٧٥	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات	١٢٢ ١٢٣

٦ — سورة الانعام

صفحه

٧٩ الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ١

٨٠ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ٢

٨٢ وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ٣

٨٣ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ٤_٥

٨٤ ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ٦

٨٦ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ٧

٨٧ وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ٨—٩

٨٩ ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا ١٠

٨٩ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ١١—١٣

٩٢ قل اغير الله اتخذ وليّاً فاطر السماوات والارض وهو يطعم ولا يطعم ١٤

٩٥ قل اني اخاف ان عصيت ربي ... من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ١٥_١٦

٩٧ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يمسسك بخير ١٧—١٨

٩٨ قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ١٩

١٠٠ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ٢٠

١٠٢ ومن اظلم ممن افترى على الله .... ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول ٢١-٢٢

١٠٣ ثم لم تكن فتنتهم إلا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ..... انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ٢٣ - ٢٤

١٠٨/١٠٩ ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ٢٥

صفحة		آية
١١٣	وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا انفسهم	٢٦
١١٤	ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب	٢٧
١١٨	بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه	٢٨
١٢٠	وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ... ولو ترى اذ وقفوا على ربهم	٢٩-٣٠
١٢١	قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة	٣١
١٢٤	وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدّار الاخرة خير	٣٢
١٢٦	قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن	٣٣
١٣٠	ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا	٣٤
١٣١	وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقاً	٣٥
١٣٣	انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله	٣٦
١٣٤	وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر	٣٧
١٣٦	وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم	٣٨
١٣٩	والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله	٣٩
١٤١	قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او أتتكم الساعة اغير الله تدعون	٤٠-٤١
١٤٥	ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء	٤٢-٤٣
١٤٦	فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا	٤٤-٤٥
١٤٩	قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم	٤٦
١٥٠	قل ارأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا	٤٧
١٥١	وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح	٤٨-٥٠
١٥٣	وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه	٥١
١٥٤	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه	٥٢

صفحة		آية
١٥٦	وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء منّ الله عليهم	٥٣
١٥٨	واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم	٥٤
١٦١	وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين	٥٥
١٦٣	قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله	٥٦
١٦٤	قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به	٥٧
١٦٦	قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم	٥٨
١٦٦	وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في	٥٩
١٦٨	وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار	٦٠
١٧٠	وهو القاهر فوق عباده ... ثم ردوا الى الله مولاهم الحق	٦١ ـ ٦٢
١٧٢	قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر .... قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون	٦٣ ـ ٦٤
١٧٥	قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت	٦٥
١٧٦	وكذب به قومك وهو الحق ... لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون	٦٦ ـ ٦٧
١٧٧	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم	٦٨
١٧٩	وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى	٦٩
١٨٠	وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا	٧٠
١٨٢	قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا	٧١
١٨٤	وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي	٧٢ ـ ٧٣
١٨٨	واذ قال ابراهيم لأبيه آزر اتتخذ أصناماً آلهة	٧٤
١٩٠	وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين	٧٥
١٩١	فلما جنّ عليه الليل راى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال	٧٦ ـ ٧٩

صفحة		آية
٢٠١	وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني	٨٠
٢٠٣	وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله	٨١
٢٠٤	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن	٨٢
٢٠٦	وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات	٨٣
٢٠٧	ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا	٨٤ - ٩٠
٢١٣	وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء	٩١
٢١٦	وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه	٩٢
٢١٧	ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً اوقال اوحي اليّ ولم يوح اليه	٩٣
٢٢٠	ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة	٩٤
٢٢٤	إن الله فالق الحبّ والنوى يخرج الحي من الميت	٩٥
٢٢٦	فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً	٩٦
٢٢٩	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر	٩٧
٢٣٠	وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع	٩٨
٢٣٢	وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به بنات كل شيء	٩٩
٢٣٦	وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات	١٠٠
٢٣٧	بديع السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة	١٠١
٢٣٩	ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء	١٠٢
٢٤٠	لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف	١٠٣
٢٤٤	قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها	١٠٤
٢٤٦	وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه	١٠٥
٢٤٨	اتبع ما اوحي اليك من ربك لا إله الا هو واعرض عن المشركين	١٠٦

صفحة		آية
٢٤٩	ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً	١٠٧
٢٥٠	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله	١٠٨
٢٥٢	واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن	١٠٩
٢٥٦	ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة	١١٠
٢٥٧ — ٢٥٨	ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم	١١١
٢٦٠	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن	١١٢
٢٦٢	ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه	١١٣
٢٦٤	افغير الله أبتغي حكماً وهو الذي انزل اليكم الكتاب	١١٤
٢٦٧	وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته	١١٥
٢٦٨	وإن تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله	١١٦
٢٧٠	إن ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين	١١٧
٢٧١	فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين	١١٨
٢٧٣	وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم	١١٩
٢٧٦	وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون	١٢٠
٢٧٧	ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين	١٢١
٢٧٩	او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس	١٢٢
٢٨١	وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها	١٢٣
٢٨٣	واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله	١٢٤
٢٨٥	فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله	١٢٥
٢٩٢	وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون	١٢٦ — ١٢٧
٢٩٥	ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس	١٢٨

صفحة		آية
٢٩٧	وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون	١٢٩
٢٩٩	يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي	١٣٠
٣٠٠	ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون	١٣١
٣٠٢	ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون	١٣٢
٣٠٣	وربك الغني ذوا الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم	١٣٣
٣٠٤	ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين	١٣٤
٣٠٥	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون	١٣٥
٣٠٧	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا	١٣٦
٣٠٩	وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم	١٣٧
٣١٢	وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء	١٣٨
٣١٤	وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا	١٣٩
٣١٦	قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله	١٤٠
٣١٧	وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات	١٤١
٣٢١	ومن الانعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله	١٤٢
٣٢٢	ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين	١٤٣
٣٢٦	ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام	١٤٤
٣٢٧	قل لا اجد فيما اوحي الي محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة	١٤٥
٣٢٩	وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم	١٤٦
٣٣٢	فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه	١٤٧
٣٣٣	سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا	١٤٨
٣٣٥	قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين	١٤٩

صفحة		آية
٣٣٦	قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا	١٥٠
٣٣٨	قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً و ...	١٥١
٣٤١	ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده	١٥٢
٣٤٥	وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم	١٥٣
٣٤٦	ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء	١٥٤
٣٤٨	وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون	١٥٥
٣٤٩	ان تقولوا إنما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا	١٥٦
٣٥٠	او تقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم	١٥٧
٣٥٢	هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او	١٥٨
٣٥٤	ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء	١٥٩
٣٥٥	من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا	١٦٠
٣٥٨	قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم . ديناً قيما	١٦١ - ١٦٢
٣٦١	قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين	١٦٣
٣٦٣	قل اغير الله أبغي ربّاً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا	١٦٤
٣٦٤	وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض	١٦٥

٧ — سورة الاعراف

٣٦٧	المص * كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه	١
٣٦٩-٣٧٠	اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء	٢
٣٧١	وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً اوهم قائلون	٣

صفحة		آية
٣٧٣	فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين	٤
٣٧٤	فلنسألن الذين ارسل اليهم ... فلنقصن عليهم بعلم	٥ ـ ٦
٣٧٨	والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون	٧ - ٨
٣٨٠	ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون	٩
٣٨٣	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	١٠
٣٨٥	قال ما منعك ألا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه	١١
٣٨٧	قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين	١٢
٣٨٨	قال انظرني الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين	١٣ ـ ١٤
٣٩٠	قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك ... ثم لآتينهم من بين ايديهم	١٥ - ١٦
٣٩٤	قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم	١٧
٣٩٥	ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه	١٨
٣٩٧	فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما	١٩
٣٩٩	وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين .	٢٠
٤٠٠	فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما	٢١
٤٠٢	قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	٢٢
٤٠٤	قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الارض مستقر ومتاع	٢٣
٤٠٥	قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون	٢٤
٤٠٦	يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً	٢٥
٤٠٩	يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة	٢٦
٤١١	واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها	٢٧
٤١٢	قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه	٢٨ ـ ٢٩

صفحة		آية
٤١٥	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا	٣٠
٤١٦	قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق	٣١
٤١٨	قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي	٣٢
٤٢٠	ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	٣٣
٤٢١	يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى	٣٤
٤٢٣	والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار	٣٥
٤٢٤	فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته اولئك ينالهم	٣٦
٤٢٦	قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار	٣٧
٤٢٨	وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب	٣٨
٤٢٩	ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب	٣٩
٤٣١	لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين	٤٠
٤٣٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها	٤١
٤٣٣	ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا	٤٢
٤٣٥	ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا	٤٣
٤٣٨	الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالاخرة كافرون	٤٤
٤٣٩	وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم	٤٥
٤٤٢	واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع	٤٦
٤٤٣	ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم	٤٧
٤٤٤	اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف	٤٨
٤٤٥-٤٤٦	ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء	٤٩
٤٤٧	الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم	٥٠

صفحة		آية
٤٤٨	ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون	٥١
٤٤٩	هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل	٥٢
٤٥١	ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم	٥٣
٤٥٤	ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين	٥٤
٤٥٥	ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً	٥٥
٤٥٧	وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحاباً	٥٦
٤٦٢	والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً	٥٧
٤٦٤	لقد ارسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٥٨
٤٦٦	قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين	٥٩
٤٦٧	قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين	٦٠
٤٦٨	ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون	٦١
٤٦٩	او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم	٦٢
٤٧٠	فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا	٦٣
٤٧١	والى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره	٦٤
٤٧٢	قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة	٦٥
٤٧٣	قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين	٦٦
٤٧٤	ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح أمين . اوعجبتم ان جاءكم	٦٧ ـ ٦٨
٤٧٦	قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ... قال قد وقع عليكم	٦٩ ـ ٧٠
٤٧٨	فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا	٧١
٤٧٩	والى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا ما لكم من اله غيره	٧٢

صفحة		آية
٤٨٠	واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون	٧٣
٤٨٢	قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم	٧٤
٤٨٣	قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون. فعقروا الناقة	٧٥ ـ ٧٦
٤٨٤ـ٤٨٥	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فتولى عنهم وقال	٧٧ ـ ٧٨
٤٨٦	ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد	٧٩
٤٨٧	أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون	٨٠
٤٨٩	وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم	٨١
٤٩٠	فانجيناه واهله الا امرأته .... وامطرنا عليهم مطراً	٨٢ ـ ٨٣
٤٩٢	والى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره	٨٤
٤٩٣	ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به	٨٥
٤٩٥	وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا	٨٦
٤٩٦	قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا	٨٧
٤٩٨	قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها	٨٨
٥٠٠	وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون	٨٩
٥٠١	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين	٩٠
٥٠٢	الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا	٩١
٥٠٤	فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم	٩٢
٥٠٥	وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء	٩٣
٥٠٦	ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا	٩٤
٥٠٨	ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات	٩٥

صحيفة		آية
٥٠٩	افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون	٩٦ - ٩٧
٥١٢	افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون	٩٨
٥١٤	او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء	٩٩
٥١٥	تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات	١٠٠
٥١٧	وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين	١٠١
٥١٨	ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملأئه فظلموا بها	١٠٢
٥١٩	وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين	١٠٣
٥٢٠	حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم	١٠٤
٥٢١	قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين	١٠٥
٥٢٢	فألقى عصاه فاذا هي ثعبان ..... ونزع يده فاذا هي بيضاء	١٠٦ - ١٠٧
٥٢٤	قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم	١٠٨ - ١٠٩
٥٢٦	قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين	١١٠ - ١١١
٥٣٠	وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجراً .... قال نعم	١١٢ - ١١٣
٥٣٢	قالوا يا موسى اما ان تلقي واما أن نكون نحن الملقين	١١٤ - ١١٥
٥٣٥	واوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون	١١٦ - ١١٧
٥٣٧	فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . والقي السحرة ساجدين	١١٨ - ١٢١
٥٣٩ - ٥٤٠	قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن .... لاقطعن ايديكم	١٢٢ - ١٢٣
٥٤٢	قالوا إنا الى ربنا منقلبون	١٢٤
٥٤٣	وما تنقم منا إلا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا	١٢٥
٥٤٤	وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض	١٢٦

صفحة		آية
٥٤٦	قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله	١٢٧
٥٤٧	قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم	١٢٨
٥٤٨	ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون	١٢٩
٥٥٠	فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا	١٣٠
٥٥٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين	١٣١
٥٥٣	فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم	١٣٢
٥٥٥	ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد	١٣٣ ـ ١٣٤
٥٥٧	فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا	١٣٥
٥٥٨	واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها	١٣٦
٥٦٠	وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام	١٣٧
٥٦١	ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون	١٣٨
٥٦٢	قال أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين	١٣٩
٥٦٣	واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب	١٤٠
٥٦٤	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه	١٤١
٥٦٦	ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك	١٤٢
٥٧١	قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي	١٤٣
٥٧٢	وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا	١٤٤
٥٧٤	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق	١٤٥
٥٧٦	والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم	١٤٦
٥٧٧	واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً	١٤٧

صفحة		آية
٥٧٩	ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا	١٤٨
٥٨	ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال بئسما خلفتموني	١٤٩
٥٨٣	قال رب اغفرلي ولا خي وادخلنا في رحمتك	١٥٠
٥٨٤	ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة	١٥١
٥٨٥	والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك	١٥٢
٥٨٦	ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة	١٥٣
٥٨٧	واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة	١٥٤
٥٩١	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة إنا هدنا اليك	١٥٥
٥٩٢/٥٩٣	الذين يتبعون الرسول النبيّ الامي الذي يجدونه	١٥٦

تمت الفهارس

تم المجلد الرابع من التبيان

ويليه المجلد الخامس وأوله قوله تعالى:

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم ... » آية ١٥٧ من سورة الاعراف

طبع في :

مطبعة النعمان - النجف الأشرف

لصاحبها : حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

في شوال ١٣٨٠ هـ نيسان ١٩٦١ م

Library of

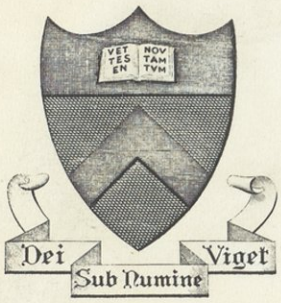

Princeton University.